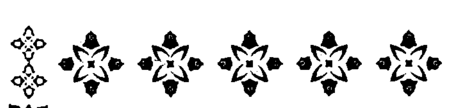
الدكتور عماد الدين الخليل

قالوا عن الإسلام



قالوا عن الإسلام



(الموضوع): دراسات

(العنوان): قالوا عن الإسلام

(التأليف): الدكتور عماد الدين خليل

الطبعة الأولى

1431 هـ - 2010 م

الورق: أسمر

ألوان الطباعة: لون واحد

عدد الصفحات: ١١٨

القياس: ١٩-٢٢

التجليد: فني

الوزن: ٦٠٠ غ

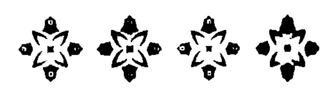
التنفيذ الطباعي:
مؤسسة جواد للطباعة و التصوير
التجليد:
عادل قرق



للطباعة و النشر و التوزيع

دمشق - سوريا - ص.ب: 311
حلبوني - جادة ابن سينا - بناء الجابي
صالة المبيعات تلفاكس: 2228450 - 2225877
الإدارة تلفاكس: 2458541 - 2243502
بيروت - لبنان - ص.ب: 113/6318
برج أبي حيدر - خلف دبوس الأصلي - بناء الحديقة
تلفاكس: 817857 01 - جوال: 204459 03
www.ibn-katheer.com
info@ibn-katheer.com





د . عماد الدين خليل

قالوا عن الإسلام




بسم الله الرحمن الرحيم

ملاحظات في المنهج

١ـ يبدو أن العقل الغربي ـ عموماً ـ يقف ـ إزاء الإسلام ـ في نقطة التوازن بين الشد والجذب باتجاهين متناقضين: النزعة العلمية الموضوعية، والنزعة التحزبية، وكل ما يرتبط بها أو يوازيها من إحساس استعلائي تجاه كل ما هو شرقي، ورغبة منفعية في تدمير ثقة الشرقيين بأنفسهم.. إلى آخره.

بعض الغربيين يقدر على تخليص نفسه من أسر هذه النقطة، فيميل إلى معالجة ما يتعلق بالإسلام معالجة موضوعية، ويقترب من الحقيقة، بينما يندفع بعضهم الآخر باتجاه القطب المعاكس، فيقف موقفاً مضاداً يتأرجح بين السباب والشتيمة، وبين الحكم المنحاز المغطى من الخارج برداء العلمية، وما هو منها بشيء.

وتبقى سائر المواقف الأخرى، كالموجب والسالب، متحركة على طرفي (النقطة) قرباً أو بعداً.

إن ما قدمه الغربيون عامة، والمستشرقون على وجه الخصوص، يتضمن الأبيض والأسود، إن على مستوى المنهج أو الموضوع، وليس كله سواء. بل إن الرجل منهم قد يتضمن كلامه، في نفس الوقت، الأبيض والأسود معاً، لأسباب عديدة منها قوة الجذب التي أشرنا إليها، ومنها الجهل ببعض المسائل، ومنها التأثيرات الذاتية والثقافية... إلى آخره.

«إن العقل الغربي الحديث ـ كما يقول سير هاملتون جب ـ يعسر عليه بوجه خاص، أن يقوم بمحاولة استكناه طبيعة المواقف الدينية لدى أناس تختلف نظرتهم إلى الكون اختلافاً بعيداً عن نظرة (الغربي)، لأن الدين، سواء أكان في صورة قوة محسوسة، أو قوة ذات أثر روحي، يتطلب تدريب ملكة الإدراك الحدسي، أي يتطلب طفرة العقل التي تعبر خضم كل المعلومات والمناهج المتبعة في التحليل

العقلي... وتتخطى حدوده لتستكنه بالتجربة المحسوسة، وعلى نحو مباشر، عنصراً من العناصر القائمة في طبيعة الأشياء؛ مما لا يستطيع التعقل أن يصفه أو يحدد هويته». «الإيمان هو الثقة بما يرجى والإيقان بأمور لا ترى». أما الرجل الغربي النموذجي الذي ورث الفكر الإنكليزي العقلاني وقيم القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، وأصبح موجهاً عقلياً بقوة ذلك الفكر، أو بقوة الفكر الألماني وقيم السنوات المئة والخمسين الماضية، فقد هزلت وأهملت لديه ملكة الحدس؛ حتى إنه ليأبى أن يسلم بمحض وجودها. ولذلك أصبحت أحكامنا الدينية ـ نحن الغربيين ـ «شديدة الاختلال»[1].

وهنا يجب أن نقف قليلاً عند مسألة (حدود النص) أو (الشاهد) وضرورة عدم ممارسة الاقتطاع القسري إزاءه، وكيف يتم ذلك؟

إن علينا أن نلاحظ كيف أن عدداً من الشهادات الإيجابية بحق الإسلام أو جانب من جوانبه، من قبل هذا المؤلف أو ذاك يقابلها في الوقت نفسه ركام من شهادات أخرى سلبية تقف موقفاً مضاداً من الإسلام، لكن هذا لا يمنع من اعتبار الشهادات الأولى بمثابة اعتراف (حر) بهذه القيمة أو تلك من قيم الإسلام، والتي تدفع الغربيين إلى إعلان رأيهم ذلك، دونما أي نوع من أنواع الاضطرار أو القسر.

فكشهادات، وليس كموقف نهائي، يمكن أن يتعالى المزيد على ما نحن بصدده، فأما (الشهادة السلبية) فقد فرضت نفسها على نطاق واسع لأنها الأكثر حضوراً وانتشاراً في الفكر الغربي، ويستطيع المرء أن يجدها بسهولة في معظم الأعمال الغربية التي تمس الإسلام. وأما (الشهادة الإيجابية) فهي التي تحتاج إلى المزيد من التأكيد والتنسيق وإعادة العرض في إطار ملائم.

وهنالك فرق بيِّن ـ بطبيعة الحال ـ بين خطيئة الاقتطاع القسري للشاهد لتأكيد فكرة ما في سياق معين، قد يصل إلى أهداف ومواقع لم يفكر فيها صاحب النص أساساً، وبين استقصاء الشهادات الإيجابية التي صدرت عن حشد من المفكرين الغربيين، من بين سيل من المعطيات تتميز بموقفها السلبي من الإسلام كما قلنا.

---

(١) دراسات في حضارة الإسلام، ص ٢٣٥ـ٢٣٦.

فهاهنا تبدو الشهادة صدوراً حراً، وتقييماً إيجابياً لجانب من الإسلام ينبثق عن قناعة تامة للمفكر، الذي يجد نفسه بعد لحظات، أو قبل لحظات يسدد هجمة لجانب آخر، وربما للجانب نفسه من الإسلام، قد لا تبررها الموضوعية، ولكنها ـ على أية حال ـ تمثل بدورها حلقة من قناعات ذلك المفكر.

وبما أن مهمة هذا الكتاب هي محاولة حصر قدر طيب من الشهادات الإيجابية كما يتضح من هدفه ومنهجه، فإن الأمر يتجاوز كونه اقتطاعاً قسرياً للشاهد، إلى السعي العلمي المتبصر لاستقطاب المعطيات الإيجابية للمفكر غير المسلم، تلك التي إذا ما عرضت عليه أكد صدقها ثانية وثالثة ورابعة لأنه لم يقلها إلا بدافع قدرة الإسلام، في جانب ما من جوانبه، على تأكيد تميزه وتفوقه وفاعليته.

وفي المقابل فإن بمقدور أي قارئ أن يتابع الشهادات ذات الطابع السلبي في معظم المصادر التي اعتمدتها هنا وغيرها كثير، وهي مسألة ليست من مهمة هذا البحث، وقد تصدى لها بالعرض والنقد والدراسة، ولا يزال، عدد من المتخصصين والباحثين الإسلاميين ضمن توجهات منهجية أخرى.

إن عنوان الكتاب يحمل بوضوح بنيته المنهجية القائمة ـ أساساً ـ على الانتقاء، والبحث عن الشهادات الإيجابية البناءة فقط، وأؤكد على الكلمة، تلك التي صدرت عن أناس لم يكونوا يؤمنون بالإسلام، ثم جذب بعضهم إليه، وظل آخرون بعيدين عنه.

ومرة أخرى، فإن ما قيل في الإسلام من مواقع التحزب والخصومة والمصالح والظنون والأهواء كثير جداً، وليس ثمة من لم يغترف من سيله الطامي، ولو غرفة بيده، لكي يطلع على ما تتضمنه.

أما مهمة هذا الكتاب فشيء معاكس تماماً: البحث عن المعطيات التي صدرت من مواقع الرؤية الأكثر نقاءً وموضوعية، والتي قد يحوطها ـ بالتأكيد ـ الكدر من بين يديها ومن خلفها، ومن ثم، وما دام أن الهدف واضح منذ اللحظة الأولى، فسنضطر إلى المنهج الانتقائي لوضع اليد على طرف الإيجاب وحده، فالمسألة ليست مسألة بحث في واقعة ما، أو ظاهرة من الظواهر، أو حتى دين أو مذهب، لكي نتابع ما يتطلبه المنهج العلمي: تسليط الضوء على الأبيض والأسود معاً،

وإنما محاولة لرصد جانب من الشهادات الإيجابية التي صدرت بحق هذا الدين، من بيئات طالما أساءت إليه، ومن ثم تحمل ـ أي المحاولة التي يمثلها هذا الكتاب ـ تبريرها العلمي الصريح في اطراح كل ما من شأنه أن يتناقض مع هذا الهدف الواضح المحدد سلفاً.

وإذا كان الكتاب عملاً انتقائياً في هذا الاتجاه، فهو انتقائي أيضاً في الاتجاه المعاكس، أي باتجاه إسقاط الكثير من الشهادات الإيجابية بحق الإسلام، تجاوزاً للتكرار والتضخم. ويكفي أن تأتي الشهادة في هذا الجانب أو ذاك من جوانب الإسلام متمثلة بعدد مناسب من النصوص التي تمثل سياقاً نمطياً لا تعدو سائر الشهادات الأخرى ـ في إطاره ـ أن تكون بمثابة تأكيد يكرر إلى ضلالة قد تكون متباينة شكلاً، ولكنها تلتقي في المضمون.

ولا بد من الإشارة هنا إلى أن الكتاب، من أجل الهدف آنف الذكر، حاول، قدر الإمكان، تجاوز شهادات التقييم الغربية التي انصرفت إلى رد مزاعم بعض الغربيين أنفسهم، أو غير المسلمين عموماً؛ لأن هذه الشهادات لا تعدو أن تكون صيغاً ذات طابع (دفاعي) موجهة ضد معطيات سلبية، بينما تتجه مهمة الكتاب، كما رأينا، إلى الاكتفاء بالشهادات الإيجابية (البنائية) التي تتحدث عن هذا الجانب أو ذاك بصيغة التقييم والإعجاب.

إن العديد من الأسماء التي سيجدها القارئ هنا تدلي بشهاداتها عن الإسلام، لا يحمل اعتمادها أي معنى من معاني التبرئة والتنزيه عن الميول والظنون والأهواء، وهي بالتالي ليست دعوة للقارئ إلى التوجه لمعطيات هذه الأسماء، والتسليم بها في تفاصيلها وجزئياتها كافة، أو في منهجها الذي اعتمدته، والذي قد يرتطم ابتداء بالمنهج الموضوعي الصحيح في التعامل مع هذا الدين.

ولو حدث أن توهم القارئ ـ لحظة ـ أن إيراد هذه الأسماء، أو بعضها على الأقل، يتضمن دعوة لتقبل استنتاجاتها ومناهجها كافة، فإن الغرض من هذا البحث المتواضع سينقلب رأساً على عقب، وسيقود إلى ضلالة أخرى. والمهم، كما أكدنا أكثر من مرة هو أن ما يتضمنه الإسلام، وتاريخه وحضارته، من عناصر الجذب، والإشعاع، والقوة، والإقناع، والإثارة، والانسجام مع التوجهات الإنسانية الأصلية، ساق هؤلاء، وأرغمهم، حيناً آخر، على الإدلاء بشهاداتهم الإيجابية جنباً

إلى جنب، بالنسبة لبعضهم على الأقل، مع حشود من الاستنتاجات الخاطئة المضادة، بل إن بعض تلك الشهادات الإيجابية تتضمن في بنيتها ومفرداتها ـ كما أشرنا ـ سلبيات شتى، مما يجده القارئ أحياناً بسبب من طبيعة المنهج الذي يعتمده الغربيون في التعامل مع الإسلام.

وثمة صيغة أخرى للعمل اضطررنا لتجاوزها؛ خشية أن يتحول الكتاب إلى مشروع مناقشات وجدل ودفع للتهم الباطلة، فيفقد أهميته، وتوجهه المطلوب، فضلاً عن أن أمراً كهذا مورس على نطاق واسع عبر العقود الأخيرة بصدد الفكر الغربي عامة، والاستشراق على وجه الخصوص.

٢ـ إن شهادات الغربيين الإيجابية عن الإسلام ليست ذات طبقة واحدة، وإنما عدة طبقات[١]، فبعض الشهادات لا تعدو كونها تأكيداً لحقائق معينة في نسيج ديننا وحضارتنا، تارة بالترجمة الحرفية لنصوص الوقائع المستمدة من المصادر الإسلامية نفسها، أو الغربية، وتارة أخرى بتركيز هذه النصوص، أو التوسع فيها، مع المحافظة على جوهرها الأصيل. وهذا التأكيد، أو النقل، يمثل ـ بحد ذاته ـ اعترافاً ضمنياً أو مكشوفاً بقيم الدين والحضارة الإسلامية، وتميّزهما، فهو ـ إذاً ـ يحمل أهميته كشهادة، خاصة إذا ما تذكرنا السيل الآخر المضاد من المعطيات الغربية التي استهدفت التشكيك بصحة هذه الوقائع، وتحققها بالفعل، أو فسرتها تفسيراً خاطئاً يخرج بها عن كونها عناصر جيدة ترفد المجرى العام البناء الذي يشكل الإسلام والحياة الإسلامية، ويلقي عليها ظلاً يبعد بها عن جادة اليقين.

فها هي الشهادات الإيجابية تجيء كإقرار أو اعتراف لكي ترد هذا الهوى، وتبعد ذلك السوء، وتعلن بالموضوعية التي يتطلبها التعامل الجاد مع الحقائق، تأكيدها لما وقع فعلاً لا لما يريد أصحاب الظنون والأهواء أن يكون.

---

(١) يجب أن نتذكر أن الشهادات (السلبية) تتضمن هي الأخرى طبقات عدة يلي بعضها الآخر، هبوطاً، فهناك طبقة التشويه، فالتشكيك فالنفي الذي مارسه العقل الغربي كثيراً إزاء ما يعتبر في المنظور الإسلامي من قبيل البداهات والحقائق المسلم بها. انظر بحثاً للمؤلف بعنوان: (المستشرقون والسيرة النبوية: بحث مقارن في منهج المستشرق البريطاني المعاصر مونتغمري وات) (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس ١٩٨٥).

لكن هذه الشهادة لا ترقى إلى مرتبة الطبقة التالية التي تأخذ طابع التقييم الذي يصدر عن غير المسلم، تجاه هذا الجانب أو ذاك من الإسلام.

ثم تأتي الطبقة الثالثة، والأعلى مرتبة من الشهادات، متمثلة بمعطيات أولئك الذين انتموا فعلاً لهذا الدين، وقالوا كلمتهم في هذا الجانب أو ذاك من جوانبه، قبل انتمائهم أو بعده. إن هذه الشهادات تمثل سياقاً يحمل أهميته البالغة فيما نحن بصدده، لأنها تجيء بمثابة الدافع والشهادة في الوقت نفسه، الدافع الذي قادهم إلى الإسلام، والشهادة على ما يتضمنه هذا الدين من قيم ومزايا لا تتوفر في المذاهب والعقائد الأخرى. إن هذا الانتماء ليعدّ بحد ذاته شهادة واقعية على صدق هذا الدين في تعامله مع الإنسان المتحضر، وقدرته على الكسب والانتشار.

وسيتابع هذا الكتاب، بالقدر المناسب، الأنماط، أو الطبقات الثلاث من الشهادات، مانحاً الأولوية للطبقتين الأخيرتين، خاصة وأن الطبقة الأولى قد حظيت بحشد غني من الكتابات، فضلاً عن أن أهميتها تنحصر في كونها تأكيد فحسب لصدق الوقائع والمعطيات وتحقّقها في الزمن والمكان.

أما الطبقتان الأخريان من الشهادات فتجيء بمثابة استنتاج، أو تقييم، أو استنباط نقدي، تجاه هذا الجانب أو ذلك من بنية الإسلام والحياة الإسلامية، وهذا ـ بلا ريب ـ يحمل قيمة أكبر بكثير، بل إنه هو الذي يمثل الشهادة المطلوبة هاهنا، لأنه يركز مقولاته في صيغة مبادئ وقيم وتوجهات شمولية، يحكم بها، أو يصوغ بعبارة أدق، الكثير من أوجه الإسلام والحياة الإسلامية. وهكذا سينصب الاختيار بالدرجة الأساسية على هذا النمط، مع عدم إغفال النمط الآخر بالكلية.

٣ـ يبدو من المستحيل استقصاء كل الشهادات التي قيلت بصدد الموضوع، ولكن ما يعوض هذا أن البحث ذو طابع نمطي، إذ تكفي في كل جانب منه شهادة عدد محدد من الأشخاص والمفكرين لكي يكون بمثابة عرض (نموذجي) لجل ما قيل في ذلك الجانب، وكثير ما يحدث أن تتناول عدة نصوص مسألة محددة وتمنح تأكيدها أو تقييمها لهذه الموضوعة أو تلك، بالمعطيات نفسها تقريباً، وهكذا فإن إيرادها جميعاً سوف يقود ولا ريب إلى نوع من التكرار والتضخم. إن قطعة القماش ما دامت ذات نسيج واحد، فإنه لن يكون من قبيل الاعتساف اقتطاع عينات منها لكي تدل عليها جميعاً.

وقد يلحظ المرء عدم توازن في مساحة الشهادات المعروضة عن الجوانب المختلفة للإسلام والحياة الإسلامية، والسبب يرجع ـ حيناً ـ إلى مساحة الموضوع الذي تعالجه الشهادات، وحيناً آخر، إلى طبيعة المعطيات التي كانت تنصب بغزارة على جانب ما كالإسلام نفسه أو حضارته أو صيغ انتشاره وتعامله مع غير المنتمين إليه، بينما تقل في جوانب أخرى ـ ولكن مادام أن مسألة (كالانتشار والتعامل) أو (الحضارة) هي بمثابة التحقق المنظور للإسلام في واقع الإنجاز التاريخي، فإن اتساع المساحة الخاصة بها تجيء، بحد ذاتها، شهادة على عناصر القوة والعطاء والإبداع والالتزام في الأسس الإسلامية التي قامت عليها الممارسة التاريخية، وفي القدرات العقيدية والنفسية والعقلية والأخلاقية التي فجرها الإسلام في اتباعه، فدفعهم إلى تقديم هذا العطاء الواسع، الغني، الملتزم، المتشعب.

ولحسن الحظ، فإن الشهادات، بشكل عام، تشكل مع بعضها نوعاً من التكامل حيث ينصب اهتمام كل مجموعة منها على جانب ما من جوانب الإسلام والحياة الإسلامية. وها هنا من أجل تجاوز التكرار والتضخم، تم التركيز على أكثر الكتب، المتوفرة، أهمية وغزارة بالنسبة لكل مجموعة مع عدم إغفال المراجع الأقل مادة بطبيعة الحال.

مثلاً، يحمل كل من (إنسانية الإسلام) لمارسيل بوازار و (الطريق إلى مكة) لليوبولد فايس (محمد أسد) و(دفاع عن الإسلام) للورا فيشيا فاغليري (ودراسات في حضارة الإسلام) و(الاتجاهات الحديثة في الإسلام) لهاملتون جب، أهميته البالغة في كثافة شهاداته عن الإسلام عقيدة وشريعة وعبادة وأخلاقاً وسلوكاً، ومن ثم يمكن اعتبار الكتب المذكورة بمثابة مراجع محورية في الفصل الخاص بالإسلام، حيث تليها في الأهمية سائر المراجع التي قدمت مادة أقل.

وما يقال عن الكتب آنفة الذكر بالنسبة (للإسلام) ويمكن أن يقال ـ مثلاً ـ عن كتاب (القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم) لموريس بوكاي بالنسبة (للقرآن الكريم) وكتاب (محمد الرسالة والرسول) لنظمي لوقا، و (حياة محمد) لأميل درمنغم و(الأبطال) لكارلايل، بالنسبة للرسول ﷺ، وكتاب (الدعوة إلى الإسلام) لتوماس أرنولد و(إنسانية الإسلام) لبوازار بالنسبة (لانتشار الإسلام وطرائق معاملة

غير المسمين) وكتاب (حضارة العرب) لغوستاف لوبون و(شمس الله تسطع على الغرب) لزيغريد هونكه و(تأثير الإسلام على أوربة في العصور الوسطى) لمونتغمري وات بالنسبة (للحضارة الإسلامية)، وكتاب (القوميات والدولة السوفيتية) لهيلين كارير دانكوس، و(إنسانية الإسلام) لبوازار و (الطريق إلى مكة) لليوبولد فايس بالنسبة لـ (واقع المسلمين ومستقبلهم).

٤ـ إن كلمة (الإسلام) التي يتضمنها عنوان الكتاب، تجيء بشكل جامع يضم بين جناحيه الجوانب النظرية (العقدية) والتطبيقية (التاريخية) على السواء باعتبار أن التاريخ الإسلامي بمعطياته السياسية والحضارية، برجالاته وجماهيره وتجاربه، تعبير عن الإسلام بدرجة أو أخرى، أو بعبارة ثانية: الحقل الذي تبرز فيه تأثيرات الإسلام في خطوط متفاوتة العمق. ومن ثم فإن الشهادات لن تقتصر هنا على الإسلام وحده، بقرآنه الكريم ونبيه عليه السلام ومعطياته العقيدية والتشريعية. . . إلى آخرهِ، وإنما تنسحب على صيغ التحقق في الزمان والمكان، أي في التاريخ.

وبما أن الشهادات المنصبة على التاريخ السياسي والعسكري للإسلام بأحداثه وأشخاصه ووقائعه وتوجهاته، تدور في معظمها ضمن طبقة تأكيد الحقائق لا تقييمها، وتجاوزاً للتضخم فسوف يتم قدر الإمكان تحاشي الشهادات التي قدمت في هذا الإطار، إلّا قلة منها، أما الحضارة فإن أمرها يختلف، وإن الشهادات في دائرتها لتتوزع بشكل عادل بين التقييم والتأكيد.

وقد نلحظ أحياناً ـ بعض الغربيين يستخدمون كلمات من مثل (عربي) و(حضارة عربية) و (فكر عربي) و (تاريخ عربي). . . إلى آخرهِ، رغم أن تحليلهم ينصب على مساحة بشرية أوسع بكثير، تضم بين ظهرانيها جماعات وشعوباً أخرى غير عربية.

لا داعي لأن نعيد القول في هذه المسألة، ويكفي أن ننبه عليها مرة واحدة، والمهم هو أن شهادات هؤلاء الغربيين تتجاوز في مضامينها ـ معظم الأحيان نطاق التسمية المحدودة صوب كل ما هو إسلامي، يمثل العرب ـ ولا ريب ـ مساحة كبيرة منه، إلى جانب جماعات وأقوام وشعوب أخرى كثيرة انضوت إلى هذا الدين، أو عملت في نطاق دوله وحضارته.

ثم إننا يجب أن نلاحظ أن كلمة (الغربيين) التي تتردد في مقدمة هذا الكتاب وفصوله، قصد بها في معظم الأحيان: غير المسلمين عموماً سواء كانوا أوربيين وأمريكيين أو حتى شرقيين، لكن المساحة الأوسع تبقى ولا ريب، (غربية) بالمفهوم الجغرافي والحضاري.

٥ـ يتضمن الكتاب مدخلاً وسبعة فصول تتفاوت في مساحتها؛ استناداً إلى حجم المادة المرصودة في كل فصل.

يتحدث الفصل الأول عما قيل في (القرآن الكريم)، ويتحدث ثانيها عن رسول الله ﷺ: الشخصية والسيرة والحديث والسنة، بينما يتجه ثالثها، وهو أكبرها حجماً، إلى (الإسلام) بكافة جوانبه العقيدية والتشريعية والتعبدية والأخلاقية والسلوكية. أما الفصل الرابع الذي يتميز بأتساع رقعته، أسوة بالذي سبقه، فينتقل للحديث عن معطيات الإسلام التاريخية بصدد اثنتين من أهم المسائل: الانتشار ومعاملة غير المسلمين. وهما مسألتان مرتبطتان أشد الارتباط، متداخلتان مع بعضهما كنسيج واحد؛ ولذا تم تناولهما في إطار فصل واحد.

وأما الفصل الخامس الذي يتميز هو الآخر باتساعه، فيقف عند المعطيات الحضارية، محاولاً قدر الإمكان تجاوز التفاصيل والجزئيات، مركزاً على الشهادات ذات الطابع الاستنتاجي والتقييمي، وبخاصة تلك التي تتحدث عن أبعاد الدور العلمي الذي لعبته حضارة الإسلام في مجرى التاريخ.

أما الفصلان الأخيران الأصغر حجماً فيعالج أحدهما بعض ما قيل بصدد جانب مهم من النسيج الاجتماعي للإسلام والمجتمع الإسلامي: المرأة والأسرة، ويتناول ثانيهما نماذج من الشهادات التي قيلت عن واقع الإسلام الراهن ومستقبله القريب والبعيد. وقد حاولت هاهنا ـ قدر الإمكان ـ أن ألتقط الأقوال ذات الطابع الشمولي، متجاوزاً الكثير مما قيل عن هذه الحركة الإسلامية أو تلك، مما يتضمن حشوداً كبيرة من التفاصيل والجزئيات لا يتسع لها الكتاب.

ويجب أن نلاحظ ما يحدث أحياناً من تداخل بين معطيات بعض الفصول، فإن عدداً من الشهادات التي تنصب على شخصية الرسول ﷺ مثلاً، قد ترتبط بشكل من الأشكال، بجانب ما من جوانب القرآن الكريم أو الإسلام. أو غيرهما من

الموضوعات، وبالعكس، ومهما يكن من أمر فإن تصنيف الشهادة في مواضعها التي يلحظها القارئ إنما يعتمد على مركز الثقل فيها.

هذا وقد رتب الشهود في كل فصل وفق التسلسل الأبجدي لأسمائهم كما نظمت النصوص بالنسبة لكل شاهد وفق سياقها في المصدر المعتمد، وليس وفق الموضوعات الفرعية التي تعالجها، وذلك من أجل سهولة الرجوع إلى المصدر المعني، وأعطى لكل شهادة رقم خاص، وفي حالات محدودة، اعتمد القوس المربع [ ] الذي يخترق النص بإيضاح أو ربط ما لتمييزه عن سياق النص، كما أن النقاط (. . .) التي تسبق النص أو تتخلله أو تختتمه، أريد بها التأشير على مكان الحذف في النص.

ولقد وردت بعض أسماء الأعلام التي تبدأ بحرف G الإنكليزي (مثل Gibb) حسب رسم الحرف في المصدر المعتمد، حيناً بالغين (غب)، وحيناً بالكاف (كب) أو الكاف الفارسية (كب) وحيناً بالجيم (جب) التي تلفظ لدى المصريين بالكاف الفارسية. وحبذا لو تم الاتفاق بين المترجمين العرب على رسم موحد لهذا الحرف المربك.

أما تعريفات الأعلام فقد وردت مرتبطة بأول فصل يدلي فيه المؤلف بشهادته، فإذا كان سير توماس أرنولد، على سبيل المثال، قد قدم شهادة ما في فصل (القرآن الكريم) ورد تعريفه هناك، وإلا فإن التعريف سيرد في الفصل التالي، وهكذا. وقد استقيت مادة التعريف من المراجع نفسها حيناً، وبخاصة تلك التي يسهم في كتابة فصولها عدد من المؤلفين أو المتحدثين كما هو الحال ـ مثلاً ـ بالنسبة لكتاب (تراث الإسلام) الذي أشرف توماس أرنولد على تحريره، وكتاب (الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة) الذي تولى جمعه محمد خلف الله، وكتاب (رجال ونساء أسلموا)، القيم، ذي الأجزاء العشرة التي تولى جمعها وتأليفها عرفات كامل العشي، وكتاب (ما يقال عن الإسلام) للعقاد، ولكن جل التعريفات استمدت من كتاب نجيب العقيقي (المستشرقون) بأجزائه الثلاثة التي تقدم كشفاً دقيقاً بمعظم المستشرقين: حياتهم وآثارهم[1].

---

(١) الطبعة الثالثة (المزيدة والمنقحة)، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٤ ـ ١٩٦٥.

٦ـ إن الشهادات التي يتضمنها الكتاب تحمل أكثر من مغزى، وواضح أن المغزى الأشد ثقلاً وحضوراً هو ما يحمله هذا الدين في نسيجه وتصوره ومعطياته المتحققة في السلوك والحضارة والتاريخ من قيم وميزات إيجابية فعالة، تتحرك في خطوط متوازية مع مطامح الإنسان السوي المتوازن، وميوله ومنازعه، حيث لا تعارض، ولا تقاطع، ولا تفتت، ولا ارتطام.

ولكن هناك شيئاً لا يقل أهمية، فنحن في عصر التعصب والتباغض والخصام؛ الذي يصنعه دين سماوي منحرف حيناً، ومذهب وضعي حيناً آخر. . التباغض والخصام بين دين ودين ومذهب ومذهب، وما يسوق إليه من صراع كثيراً ما تسبب في إراقة أنهار من الدماء البريئة. وكما تتراكم الخبرات الثقافية، والحضارية عموماً بمرور الزمن، فتزداد نضجاً وتعقيداً واتساعاً في الطول والعرض والعمق؛ فإنه في مقابل هذا ـ وعلى الجانب السلبي من حركة الزمن ودلالاتها ـ نلتقي بتراكم خبرات، أو بشكل أدق تجارب وذكريات الحقد الديني والطائفي والمذهبي؛ لكي تبلغ في قرننا هذا شأواً بعيداً مترعاً بالحزن والمرارة.

وتجيء هذه الشهادات؛ لكي تمنح السيل الطامي المليء بالوحل والكدر شيئاً من الصفاء؛ لكي تحاول أن تعيد للعلاقات بين المذاهب والأديان شيئاً من الألفة والمحبة، أن تفتح باب الحوار المتعقل المحب المسؤول بين دين ودين، وبين مذهب وذهب، وأن تكسر حواجز العنف والكراهية، وتخفف من عبء التراكم المحزن في ذكريات الاقتتال والدمار والعذاب.

ويقيناً فإنه في بيئة حرة كهذه، يبدو أنها ستزداد تأصلاً واتساعاً بمرور الوقت، في بيئة كهذه سيكون الانتصار للإسلام نفسه كما أكد التاريخ ولا يزال، مادام أن الإسلام، مهندس بإعجاز، على حجم الإنسان، مرسومة خرائط بإتقان على مساحة دوره في العالم. وما دام أنه الحركة العقيدية الوحيدة؛ التي كانت وستظل بمثابة الطريق الأوحد للتحقّق بالوفاق مع الذات والكون والتصالح مع سننهما ونواميسهما؛ من أجل سعادة الإنسان وتوحده.

قد تحقق هذه المحاولة ـ كذلك ـ نوعاً من التسهيلات الأكاديمية للباحثين، وذلك بوضع حشد من النصوص الموثقة عن رأي غير المسلمين بالإسلام في كافة

مناحيه العقيدية والتطبيقية. وهذه النصوص ستعزز، ولا شك، كل بحث يسعى بموضوعية وإخلاص، إلى دراسة هذا الجانب أو ذاك من بنية الإسلام.

وتبقى المحاولة بمثابة عمل ناقص، أو مشروع مفتوح، قابل دوماً للإضافة والإغناء، ولئن أخطأت أو قصرت؛ فإني ألتمس من القارئ الصفح الجميل.

وإلى الله وحده نتوجه بالأعمال.

الموصل **عماد الدين خليل**

المدخل
شهادة العقل الغربي: الحواجز والقيمة

لابد من الاعتراف ـ منذ البدء ـ بأن العقل الغربي، بسبب من حيويته وتوقده، يمثل ـ عبر القرن الأخير على وجه الخصوص ـ مركز ثقل خطير في دائرة التصور والفكر والحياة. وبما أن «الدين» ـ ابتداء ـ يقدم برنامجاً للفكر وتصوراً للحياة، فإن تفحص موقف هذا العقل من الدين، يعد ضرورة بالغة إذا ما أريد وضع اليد بشكل محدد، على المساحة التي احتلها، ويحتلها، وسيحتلها الدين في خارطة الوجود البشري.

هذه مسألة ذات طابع عام يتضمن مطلق الأديان. وبما أن العقل الغربي قد قال كلمته ـ أكثر من مرة ـ في الدين المسيحي الذي يعد ـ إلى حد كبير ـ القوة الدينية الوحيدة الموازية للإسلام، في الديمومة والانتشار، وبما أن هذا العقل قد أعلن أكثر من مرة، رفضه للنصرانية وانسلاخه عنها بسبب من نقاط الارتطام العديدة بينه وبينها، فإننا نريد أن نتفحص هنا بعض ما يريد أن يقوله في الدين الآخر: الإسلام.

طبعاً، لقد عانى هذا العقل ولا يزال من حواجز الرؤية الموضوعية التي تمكنه من معاينة الإسلام عن كثب، والحكم عليه بالتجرُّد والعلمية التي ينادي بها هذا العقل ويتخذها منهج عمل له في التعامل مع الظواهر والموجودات، أو كما يحاول أن يقنع نفسه على الأقل.

هذه الحواجز ذات الجذور العميقة والطبقات المتعددة، جعلته، عبر قرون متواصلة، يقول في الإسلام ما يرتطم ـ ابتداء ـ ببداهات الروح العلمية التي يؤمن بها، ويلح عليها. وإننا لنتذكر هنا عبارتين للمستشرق البريطاني المعاصر

(مونتغمري وات) يقول في إحداهما: «إذا حدث وأن كانت بعض آراء العلماء الغربيين غير معقولة عند المسلمين، فذلك لأن العلماء الغربيين لم يكونوا دائماً مخلصين لمبادئهم العلمية، وأن آراءهم يجب إعادة النظر فيها من وجهة النظر التاريخية الدقيقة»[١]، ويقول في الأخرى: «إن موقف العلماء الغربيين كان غالباً سيئاً لما يبدو أنه يتضمنه من إنكار لمعتقدات الإسلام الفقهية؛ ولذا كانت الدراسات الغربية عن القرآن غير موفقة حتى من وجهة نظر أفضل العلماء»[٢].

وبمقدور المرء أن يتابع سيلاً عارماً من الكتابات والأقوال الغربية في الإسلام، تدفقت عبر أربعة قرون أو خمسة؛ فإنه غير واجد في معظم مساحاته إلا الكدر؛ الذي يحجب نفاذ الرؤية إلى الأعماق.

هذه مسألة تكاد تكون معروفة للجميع، وليس من مهمة هذا البحث إلا أن يكتفي بالإشارة إليها لكي يمضي مباشرة، إلى النقيض الذي يهمه: رصد الأقوال والمعطيات الأكثر موضوعية، والأقرب إلى العلمية التي يعتمدها العقل الغربي وغير المسلم عموماً، وهي أقوال ومعطيات أخذت تتزايد طرداً بمرور الوقت وبخاصة في العقود الأخيرة بسبب من قدرة العقل الغربي على كسر العديد من الحواجز؛ التي كانت تصده عن التعامل العادل مع هذا الدين، وتمكنه من اجتيازها بصيغ تستحق التقدير والإعجاب. بل إن بعض الغربيين ـ وهذا أمر طبيعي ـ انتهى به الأمر إلى اعتناق الإسلام، كما لو أنه اكتشف ـ بعد لأي - ما كان يبحث عنه، بالدهشة والفرح والإعجاب نفسها التي تتملك إنساناً ما فقد وثيقة مستقبله وطموحه، ثم ها هو ذا يعثر عليها أخيراً.

مهما يكن من أمر فإن رصد معطيات كهذه ـ رغم عدم توازنها الكمي بطبيعة الحال مع التيار المضاد اللا علمي واللا موضوعي ـ يمثل ضرورة على أكثر من مستوى، بعضها إنساني، وبعضها عقيدي، وبعضها الآخر أكاديمي صرف.

وهذه الضرورة، بمستوياتها تلك، هي التي تمنح القارئ، شرقياً كان أم غربياً، مسلماً كان أم غير مسلم، مبررات عمل كهذا، وتلقي الضوء على دوافعه وأهدافه.

---

(١) محمد في مكة، ص٦.
(٢) نفسه، ص ٥٥ ـ ٥٦.

إنسانياً تجيء شهادات خصوم هذا الدين، بما يمتلكون من قدرات عقلية فذة، وصيغ حضارية متقدمة، بمثابة سعي مخلص وجاد، غير متحيز ولا ميال، لحل أزمة الإنسان المعاصر، بإرشاده، بشكل مباشر أو غير مباشر إلى أن «الإسلام» هو خلاصه الوحيد، وأن معضلته ليست خطيئة أبدية، ولا طريقاً مسدوداً، بل إن بمقدوره في أية لحظة أن يحظى بخلاصه المنشود، بمجرد أن يفتح عقله وقلبه وأن يعرف، بدافع من عشق الحق وحده، ما يمكن أن يقدمه له هذا الدين.

عقيدياً، تجيء شهادات خصوم هذا الدين، لتأكيد وتعزيز ما سبق وأن قاله الإسلام نفسه، في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، وما عبر عنه من خلال معطيات أجيال من المسلمين، على مستوى العقيدة والشريعة والسلوك والتاريخ والحضارة، من أنه الدين الوحيد الحق، الدين الأخير الذي تنزل لكي يكون على حجم الإنسان المتحضر، المسؤول، وعلى حجم مطامحه بالتقدم، ورغبته الملحة في التوحد بين الوجود والمصير.

أكاديمياً، تجيء شهادات خصوم هذا الدين لكي تثبت «حقائق» يتحتم أن ترصد، وتوازن سيلاً من المعطيات اللاعلمية واللاموضوعية؛ التي قيلت عن هذا الدين، وترد الأمر، أو بعضه، إلى نصابه الحق.

وهذه الدوافع، أو الأهداف الثلاثة، تقود ـ بالضرورة ـ إلى المحصلة الأخيرة التي يبتغيها هذا العمل الأولي المتواضع: مخاطبة العقل الغربي، بالصيغ الأكثر إقناعاً وتأثيراً عن طريق الاستنتاجات نفسها التي توصل إليها هذا العقل وهو يتعامل مع الإسلام، بقدر طيب من الموضوعية، وإقناعه، أو محاولة إقناعه، بجدية هذا الدين، وأحقيته في قيادة الإنسان، والحياة وفي صياغة الوجود البشري والتخطيط للمصير، بعد أن عجزت كافة المذاهب والأيديولوجيات والأديان عن تحقيق هذا الهدف، وأنه ليس ثمة غير الإسلام، بواقعيته، وشموليته، وتوازنه، وانسجامه مع الإنسان، من يقدر على أداء هذا الدور الخطير.

ومن أجل ألا يكون هذا التحليل مجرد تعميمات غير محددة، فإنه يتحتم قبل البدء بتقديم «الشهادات» أن نضع أيدينا ـ بالتركيز المطلوب ـ على الخصائص الأساسية للإسلام، تلك التي كانت بمثابة نقاط إشعاع أو تألق، جذبت أنظار

الغربيين ودفعتهم إلى إصدار مقولاتهم تلك، وأن نضع أيدينا ـ كذلك ـ على الخصائص الأساسية للبيئة الفكرية والنفسية، والحضارية عموماً؛ التي تعطي الإنسان المعاصر بعض ما يريده، نعم، ولكنها تمنع عنه الكثير مما يريده فيما يوازي حجمه كإنسان، ويلبي مطامحه كمخلوق أريد له أن يلعب دوراً أكبر بكثير، وأعلى بكثير من هذا الذي يمارسه على مساحة العالم، حتى إذا ما أتيح له أن يلتقي بهذا الدين، وجهاً لوجه، أو من خلال مرايا الآخرين؛ التي تنطبع عليها الملامح، أو بعضها، وعبر الجسور التي يقيمها هذا الرجل أو ذاك، فإنه سيعثر - ولا شك - على ما يدهشه ويعجبه، فتكون ردود الأفعال المتفاوتة، ويكون التعبير ذو الدرجات التي تبدأ «بقول» يقيم هذا الجانب أو ذاك من جوانب الإسلام، و«شهادة» تبدي إعجابها بهذا الوجه أو ذاك من وجوه أنشطته، ومعطياته، ونسيجه المتفرد، وتنتهي بمعانقة هذا الدين، والتسليم به، والانتماء إليه: عقيدة تحمل في بنيتها الصواب المطلق، وتحمل مع هذا الصواب القدرة الفذة المتجددة على مجابهة معضلات العصر، ومعايشة بيئته الصعبة، المضطربة؛ التي يتخبط فيها الإنسان، لكنها ما تلبث أن تستجيب لنداءاته كافة، وتقوده، عبر طرق مستقيمة، كالصراط، إلى مبتغاه.




الإسلام هو الرسالة السماوية الأخيرة للبشرية: دعوة للاختبار

إن حقيقة « أن الإسلام هو الرسالة السماوية الأخيرة للبشرية» تحمل أهميتها هنا بقدر ما يتعلق الأمر بفئتين من غير المسلمين، ظنت إحداهما أن رحلة الأديان توقفت عند السيد المسيح عليه السلام، وأخذت طابعها الأخير على يديه، فليس ثم بعده من نبوة، ولا بعد دينه من دين، وظنت الفئة الأخرى أنه بعد المسيحية، كدين أخير، وبعد أن أثبتت عجزها عن قيادة الحياة، والإنسان، وملاحقة المتغيرات الفكرية، والحضارية، وبعد أن أخفقت في الاستجابة للتحديات التاريخية المتجددة؛ التي لا ينقطع سيلها، ترك الحبل على الغارب، ودعي الإنسان؛ الذي لم تقدر النصرانية على أن تأخذ بيده حتى النهاية، دعي لكي يستجيش قدراته العقلية، وينقذ نفسه بنفسه، وفق برامج عمل مرحلية، تسلمه الواحدة منها إلى الأخرى، معتقداً أنه بهذا وحده قدير على ملء الفراغ، ومنح الإنسان القدرة على اجتياز رحلة الحياة على هدى وبينه.

وليس ثم مجال للتأكيد هاهنا على إخفاق هذه المحاولات الوضعية المتواصلة وبقاء الإنسان معلقاً، من عنقه في فضاء مخيف، وليس ثم من يمد يده إليه؛ لكي يخلصه ويهديه سواء السبيل، هذه المحاولات التي كان بعضها ينقض بعضاً، وكانت إحداها تضرب الأخرى لكي تدفع بها بعيداً عن مركز القيادة والسلطان.

عشرات بل مئات من المحاولات، كانت الحياة نفسها محك اختبارها، وكان فشلها ـ في نهاية الأمر ـ معيار عدم قدرتها على أداء الدور الذي أريد للأديان أن تؤديه لصالح الإنسان.

وهكذا فإن اعتبار الإسلام هو « الدين الأخير» يحمل أهميته البالغة ليس فقط في دحض قناعات الفئتين آنفتي الذكر؛ اللتين تشكلان المساحة الأكبر من البشرية، بل باعتباره الدين الوحيد الذي يتحتم الانتماء إليه، والعقيدة المتفردة، من بين كل العقائد السماوية التي نسخها هذا الدين، أو الوضعية التي أثبتت نسبيتها، وعدم قدرتها على أداء مهمتها في القيادة المتواصلة، الناجعة للإنسان والحياة. العقيدة القديرة في كل لحظة على تسلم موقع القيادة، المستعدة في كل زمن ومكان لتأدية دورها المرسوم بعناية لصالح الإنسان، المستجيبة أبداً للمتغيرات والتحديات.

ولم يكن الإسلام ليحمل هذه الصفة المتفردة، ولا ليصدر هذا الحكم الحاسم، باعتباره الدين الأخير الناسخ لما سبقه من أديان، والقادر في الوقت نفسه على مواصلة الطريق حتى النهاية؛ دون أن يكون لديه ميزتان أساسيتان نريد أن نقف عندهما بعض الشيء أولهما: عقيدية تتعلق بطبيعة الارتباط بين الإسلام وبين كافة الأديان السماوية التي سبقته، وثانيتهما: حيوية تتعلق بقدرة هذا الدين على قيادة الحياة البشرية، وتمكنه من تلبية حاجيات الإنسان، بغض النظر عن اختلاف الزمن والمكان، وتفاوت البيئات والأحوال.

إن اختبار هاتين الميزتين، ليس من قبل المسلمين أنفسهم؛ الذين يسلمون بهما تسليماً قطعياً، وإلا ما غدوا مسلمين، ولا اقتنعوا بأحقية هذا الدين في الانتماء إليه، وإنما من قبل أولئك الذين يتحركون خارج الإسلام، ويحرصون، سلباً أو إيجاباً، على تفحص ميزات كهذه، لكي ينفوا أو يؤكدوا تلك المقولات التي تعتبر الإسلام ديناً أخيراً، وهو في الوقت نفسه يملك ديمومته واستمراريته.

إن اختبار هاتين الميزتين ـ مما يدخل في سياق هذا الكتاب ـ والاقتناع بصدقهما وواقعيتهما، يمنح الإنسان غير المسلم قناعة كافية، من بين قناعات أخرى كثيرة، بأن ديناً كهذا يستحق «الشهادة» و «التقييم»، بل و«التقبل» و«الانتماء»، وهذا هو ما تم بالفعل على نطاق ليس بمحدود؛ كما سيتضح من متابعة معطيات الكتاب.

والحق أنه ليس أسهل على المرء من ممارسة اختبار كهذا، جرى ويجري على نطاق واسع، وذلك بمجرد الرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، أو إمرار النظر

في معطيات الإسلام العقيدية والتشريعية، أو متابعة جانب من صيرورته التاريخية والحضارية.

إن القرآن الكريم، والسنة بالتالي، لا يؤكدان فحسب «تصديق» الإسلام لكافة الأديان السماوية التي سبقته[1]، وهيمنته على روحها وجوهرها، وصهره معطياتها الأصيلة في كيان ديني متوحد، ذي نسيج واحد، ولكنهما يتجاوزان ذلك، بما يتضمنانه من حشود الصيغ والمفردات إلى تأكيد مشهود لحقيقة أن الإسلام هو خاتم الأديان السماوية جميعاً، وجوهرها وروحها، وأنه كآخر محطة في مسارها الطويل، سيحمل كل ما تكفلت حمله من قيم، وأهداف، وخبرات، سعت جميعاً عبر أماكن وأزمان متفاوتة، لتأكيد أهميتها للإنسان، ولتنفيذها في واقع الحياة.

إن هذا الاحتواء المؤكد لخبرات ومعطيات الأديان السابقة في أصولها الصحيحة، دفع الكثير من الدارسين إلى ذلك الوهم المعروف، وهو أن محمداً ﷺ قد تعلم من تلك الأديان، وأخذ عنها، والأمر ليس كذلك، فإن ما نقضه الإسلام نفسه من تحريفات تلك الأديان؛ التي ظن أصحابها ـ ولا يزالون ـ أنها من صلب أديانهم، وما طرده من أجسام غريبة ـ وثنية الأصول ـ في كيان هذه الأديان السماوية، يؤكد أن محمداً ﷺ، لم يبعث لكي يتلقى فحسب، أو يرفض فحسب، ولا حتى لكي يمارس عملاً انتقائياً إزاء مفردات الأديان السابقة؛ لكي يركب منها ديناً جديداً. وإنما المسالة على خلاف هذا كله، فيما يبدو واضحاً في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، على أشد ما يكون الوضوح: تنزيل دين جديد، متميز، في طبيعة نسيجية، وفي المساحة التي سيتحرك عليها والأهداف التي دعي لتنفيذها، ولكنه دين غير معزول عن تراث النبوة السابقة[2]، بل لقد كان يسعى منذ اللحظات الأولى إلى احتضان العناصر الإيجابية من ذلك التراث، وإغناء مكوناته بالجوانب المتألقة من تلك الخبرات، ولكنه ـ في الوقت نفسه ـ ما كان يتهادن أبداً مع كل ما من شأنه أن يمس شخصيته المتميزة، ودعوته المتفردة للتوحيد المطلق، مما هو طارئ على الأديان السابقة، غريب عن نسيجها ذي الخيوط الواحدة الممتدة من السماء.

---

(١) انظر على سبيل المثال: سورة البقرة، آية ٤١، ٨٩، ٩١، ١٠١، آل عمران ٣، ٨١، النساء ٤٧، المائدة ٤٨، فاطر ٣١، الأحقاف ١٢، ٣٠، يونس، ٣٧، يوسف ١١١.

(٢) قبل التحريف.

معنى هذا أن الإسلام ليس بدعاً من الأمر، وأن كل أبناء الأديان الأخرى مدعوون للانضواء إليه، لأنهم بهذا وحده سيكونون صادقين مع أنفسهم، ملبين مطالب الدين الذي ينتمون إليه، وأنهم بانتمائهم للدين الجديد سيعززون القيم الأصيلة لأديانهم السابقة، وسيمكنون لها في الأرض، وأنهم بشكل من الأشكال، مدعوون لمغادرة قطاراتهم التي أنهكها المسير، ونفد وقودها، والتحول إلى قطار الإسلام ذي الوقود العجيب، والذي أريد له أن ينطلق لكي يلف العالم كله، وينقل الأجيال تلو الأجيال من ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن عبادة العباد إلى عبادة الله وحده.

إنه اختبار ليس صعب المنال، والنتيجة التي يتوخاها الممتحن المخلص كائنة هناك، في نسيج معطيات هذا الدين، منقوشة بوضوح متألق في صفحات كتابه وكلمات رسوله عليه السلام.

ويقيناً فإنه بمجرد أن يتبين هذا اللقاء المرسوم بين الإسلام وبين أشقائه الذين سبقوه على الطريق، بمجرد أن يتضح هذا العناق في الروح، وفي الجوهر، بين الأديان السماوية جميعاً، وقد تبين هذا وذاك فعلاً، فإنه سيكون بمثابة واحدة من الإغراءات الأشد إثارة، من الوعد المقنع، بأن الانتماء لهذا الدين ليس خيانة ولا هرطقة ولا مروقاً، ولكنه الصدق مع الله والنفس والضمير، والتوحد الأكثر حيوية وعطاء مع حركة الدين السماوي في هذا العالم.

ترى، كم من أولئك الذين عاينوا هذه المسألة، خرجوا لكي يقولوا للناس كلمة حق، أو يدلوا بشهادة تقييم لهذا الدين، وكم منهم، انتهوا أخيراً إلى التحقق بالكلمة، والانتماء إلى دين هو بمثابة دعوة للحنفي واليهودي والنصراني، فضلاً عن الوثني والملحد.




الخصائص الأساسية لهذا الدين

فماذا عن الاختبار الثاني؟ محاولة التأكد من قدرة هذا الدين الأبدية على الاستجابة لمطالب الإنسان، فرداً وجماعة، وعلى قيادته، عبر الصراط إلى أهدافه المرتجاة؟

سيكون من قبيل محاولة إثبات أن الشمس تطلع من الشرق، إذا قلنا بأن الإسلام جاء لكي يعالج مناحي الحياة البشرية، الفردية والجماعية، الروحية والمادية والتربوية والتشريعية... إلى آخره، فهذه مسألة معروفة لا تحتاج إلى اختبار أو تأكيد، بمجرد أن يعرف أنه ما جاء لكي يؤم الناس في الصلوات فحسب، بل لكي يقودهم في الحياة ويرشدهم، وفق برنامج عمل مرسوم، إلى ما يجب أن يفعلوه، وما يجب ألا يفعلوه في مسائل الحياة جميعاً.

لكن ثمة «ميزات» تنبثق عن هذه النزعة الشمولية، وتمثل في الوقت نفسه مصدرها الأساسي، هي التي تجعل هذا الدين، من بين سائر الأديان والمذاهب السماوية والوضعية، بمثابة الضرورة الدائمة أو الحتمية الوحيدة للإنسان والجماعة البشرية إذا أراد، وأرادت، أن ترجع إلى فطرتها الأصلية، وتستعيد توازنها المفقود، وتتجاوز تبعثرها، وانشطارها، وتعاستها.

وهذه الميزات هي التي تأكدت بمرور الوقت، وازدادت صلابة وتبلوراً عن طريق احتكاكها الدائم بالمعطيات الجانحة، سواء كانت وضعية أم دينية محرفة، وهي التي يسوق اختبارها، ووضع اليد عليها من قبل غير المسلمين إلى تبين خصوصية هذا الدين، وتفرده وقدرته على الاستجابة لمطالب الإنسان الملحة، والسير به صوب أهدافه المرتجاة.

فمن يستطيع ـ مثلاً ـ أن ينكر ما يتضمنه الإسلام من توازن بين كافة الثنائيات ووفاق بينها، بينما هي في سائر الأديان والمذاهب الأخرى تصطرع وتتقاتل، وينفي

بعضها بعضاً، أو يطغى على حساب الأخريات متفرداً بالسلطان؟ إنه ما من دين أو مذهب ـ كالإسلام ـ قدر على لمّ هذه الثنائيات في صميم الكينونة الإنسانية، في تركيب الجماعة البشرية، في نسيج النشاط الحضاري، وتحويلها بالتناغم والتلاؤم إلى قوى توحد ودفع وانسجام في مسيرة الإنسان. إنه اللقاء الموزون بين الظاهر والباطن، والحضور والغياب، والمادة والروح، والقدر والاختيار، والضرورة والجمال، والطبيعة وما وراء الطبيعة، والتراب والحركة، والوحدة والتنوع، والفردية والجماعية، والأخلاقية والنفعية، والعدل والحرية، والوحي والتجريب، والدنيا والآخرة، والفناء والخلود. . . هذا اللقاء الذي يشكل بحق واحداً من نقاط الجذب في الإسلام، ويدفع الكثيرين ممن يعاينونه ويختبرونه إلى الإعجاب والانبهار.

من يستطيع أن ينكر قدرة الإسلام على تلبية مطالب الإنسان أياً كان موقعه في المكان أو الزمان، وأية كانت درجة رقيه وتحضره؟ إنه إذ يخاطب ويخطط لعناصر الديمومة والاستمرار في كيان الإنسان، ونسيج العلاقات الاجتماعية، تلك العناصر التي تعلو على المتغيرات، بل تعمل من خلالها، بحضورها الأبدي، وتتجاوز عوامل التعرية والتآكل التي تأتي بالفناء على الكثير من القيم والخبرات الموقوتة، إنه إذ يفعل هذا فكأنه يتجاوز معضلة «المرحلية» التي أسرت ـ ولا تزال ـ الكثير من المذاهب والأديان، ودفعتها إلى الزوايا الضيقة، فما لبثت حركة التاريخ أن تجاوزتها، أو أرغمتها على الانسحاب؛ لأنها لم تكن تملك المرونة والانفتاح اللذين يمكناها من مواصلة التعامل مع الإنسان. لقد كان الإسلام وسيظل، هو الأقدر من بين سائر المذاهب والممارسات، على تلبية حاجيات الإنسان وتطمين منازعه، وأننا بمجرد أن نتفحص سيل المنتمين إلى هذا الدين في القرن العشرين، وهم على ما هم عليه من تقدم مشهود في السلم الحضاري، جنباً إلى جنب مع حشود المنتمين إليه في أماكن وأزمان شتى، وهم على ما هم عليه من تخلف حضاري، يتبين لنا كم أن الإسلام قدير على تلبية مطالب الإنسان، دون أن يشكل انضواء الإنسان إليه أي ارتطام على الإطلاق بين حالته التاريخية أو الحضارية، وبين الصيغ والخرائط التي يلزمه الإسلام باعتمادها، والاسترشاد بها؛ عبر اجتيازه رحلة الحياة الدنيا.

ومن يستطيع أن ينكر أن الإسلام جاء لكي يهدي الإنسان ككيان بشري في كافة مكوناته، وعلى قدر احتياجاته، من غير زيادة أو نقصان، وأنه بينما جنحت المذاهب والنظريات صوب جانب فحسب من جوانب الكينونة البشرية: العقل، أو الروح، أو الغرائز، أو الجسد، أو الحس، أو الوجدان... إلخ، بينما عانت من التضخم والورم المرضي في هذا الجانب أو ذاك، وضمرت وغابت في جوانب أخرى، نجد الإسلام يتقدم بهندسته المعجزة لكي يتعامل مع الإنسان بمكوناته كافة، ولكي يكون حاضراً عند كل صغيرة أو كبيرة في معاناته، أية كانت طبيعة هذه المعاناة عقلية أم روحية أم جسدية. وإذا كنا قبل قليل نتكلم عن أن هذا الدين جاء لكي يكون رسالة السماء الأخيرة للأرض، فإنه سيكون من قبيل التناقض ألا يتضمن ميزة «التلاؤم» الكامل مع الإنسان، فإن الله سبحانه الذي هو أدرى بخلقه، والذي يعرف من خلق، يعرف في الوقت نفسه المنهاج الذي يصلح للإنسان، والذي يجيء موازياً تماماً لحجمه، ملائماً تماماً لدوره في الأرض؛ إن المؤمنين يعرفون هذا جيداً، وهم يعيشونه صباح مساء، وعبر أربعة عشر قرناً من الزمان كان المسلم وهو يتعامل مع دينه، مقتنعاً حتى النخاع بأنه واجد فيه الجواب على كل سؤال يطرحه، والحل لكل معضلة تجابهه، بل إنه واجد فيه التناسب الفذ مع منازعه كإنسان، بحيث إن هذه العقيدة لم تنكمش يوماً تاركة إياه يتخبط في اجتهاداته الخاصة التي قد تخطئ وقد تصيب، ولم تتسع يوماً بأكثر مما يجب؛ بحيث يعجز عن ملاحقة مطالبها وإدراك أبعادها الشاسعة، لقد كان المسلم يعرف دائماً أن إحدى مزايا دينه هو هذا التلاؤم بينه وبين الإنسان، أما غير المسلمين فإنهم كثيراً ما اختبروا هذا الجانب، فأكد لهم الاختبار صدق المقولة، وكان ذلك من بين عوامل وميزات أخرى، ما دفعهم إلى أن يقولوا كلمتهم فيه، بل أن يعلن بعضهم انتماءه إليه.

من يستطيع أن ينكر ـ كذلك ـ حركية هذا الدين، أو ديناميته الأبدية، وقدرته على ملاحقة المتغيرات، واستجابته للتحديات، وحضوره الدائم في مواجهة الأحداث والخبرات؟ من يستطيع، رغم مرور الإسلام بفترات اختناق وتصلب، طالت حيناً وقصرت أحياناً، أن يقول بأنه ما استرجع قدرته على الفعل والحوار في أعقاب كل توقف، أو أنه فقد قدرته على الجدل إثر كل اختناق؟

إن بمقدور المرء وهو يتفحص هذا الدين؛ أن يلمح في تركيبه خطين متوازيين كان وجودهما معاً بمثابة حماية لذاتية الإسلام، وتمكين له في الوقت نفسه من

التحرك والانفتاح لكي يجابه سائر الحالات والمتغيرات، ويستجيب لمختلف الخبرات والتحديات.

أما الخط الأول فيتمثل بعناصر الديمومة والثبات التي لا يطالها التغيير، والتي تتأبى على المتغيرات بسبب من كونها حقائق أبدية تجابه حالات دائمة، لا تخضع للتبدلات التاريخية والحضارية. وأما الخط الثاني فيتمثل بتلك الإمكانات المرنة التي منحها الإسلام أتباعه كي يجتهدوا أن يجابهوا بها المتغيرات، ويستجيبوا للحالات المتجددة استناداً إلى الأسس والعناصر الدائمة الثابتة. وهكذا يمضي الإسلام القرون تلو القرون، وهو يحمل قدرته المزدوجة على حماية ذاته في مواجهة العالم، فيما لم تشهده أي عقيدة أو مذهب آخر، ويحمل مع هذه قدرته الأخرى على التكيف والملاءمة والاستجابة.

إن وحدة الدين والحياة ما تحققت يوماً ما كما تحققت في إطار هذا الدين، وإن ما قاله كبار الدارسين للإسلام من غير أبنائه يؤكد صموده للاختبار في هذا الجانب الحيوي، وتفوقه فيه.

وثمة ميزات وملامح كثيرة أخرى سنلتقي بها عبر فصول الكتاب، ولن يتسع لها المجال هاهنا، إذ هو على أية حال ليس مجال الحديث عن الإسلام من الداخل، وإنما هي إشارة فحسب إلى أن اختبار بعض هذه الميزات، من الخارج، أكد، وسيظل يؤكد تفرد هذا الدين وقدراته المتجددة التي مالها من نفاد. ويزيد هذا الاختبار أهمية أنه، لا الأديان المحرفة ولا المذاهب الوضعية، قدرت على أن تلم دفعة واحدة هذه الميزات جميعاً. نعم إنها قد تألقت في هذا الجانب أو ذاك، ونالت إعجاب الناس لهذه الميزة أو تلك، ثم إن هذا التألق والإعجاب ما غطى سوى مرحلة زمنية محددة فحسب، وما لبث أن انطفأ لكي يتحول الاتباع إلى ما يبهرهم ويقنعهم، إلى عقائد ومذاهب أخرى، أو أنهم علقوا على الأقل إعجابهم وانبهارهم، وفقدوا قناعاتهم بما كانوا قد انتموا إليه يوماً، كما يفعل الكثير من الغربيين اليوم ممن كانوا نصارى أو ماركسيين في يوم من الأيام.

أما في الإسلام فإننا نجد حشداً من الميزات، وقدرة في الوقت نفسه على تجاوز أسر الزمان والمكان، والامتداد الدائم، عبر الحالات والمتغيرات

والتحديات، لكسب الإنسان، ومنحه القناعة بتفرد هذا الدين، وتميزه على المذاهب والنظريات، وهو يبدو واضحاً في قرننا العشرين هذا بسبب من الخيبة التي مني بها الإنسان، وهو يتعامل مع هذه المذاهب والنظريات، الأمر الذي يقودنا إلى وقفة عاجلة عند الخصائص الأساسية للبيئة الفكرية والنفسية والحضارية التي يعيشها الإنسان المعاصر، فتدفعه دفعاً إلى البحث عن «البديل» أو الإعراب عن الإعجاب به أو بجانب منه على أقل تقدير.




أزمة الإنسان والحضارة الغربية

بإيجاز شديد، ومن خلال معاينة أو مطالعة سيل من المعطيات المعاصرة يستطيع المرء أن يضع يديه على «الأزمة» التي يعانيها الفكر الغربي بجناحيه العلماني والمادي، والتي يعيشها الإنسان المعاصر، والتي تجابه الحضارة الغربية المتفوقة بنذر التعاسة، وتصيب جسدها الخاوي بالقروح.

وقد تبلورت هذه الأزمة، في جوانبها كافة، من خلال طبيعة الحياة الغربية المعاصرة، وحشود الشهادات التي أدلى بها، ولا يزال عدد ليس بالقليل من مفكري الغرب وعلمائه وأدبائه وفلاسفته وفنانيه.

ورغم ما قد يبدو على هذه الشهادات ـ أحياناً ـ من طابع رد الفعل الذي يتسم بالمبالغة أو التهويل، لكنه رد فعل ملائم للأزمة التي تعانيها الحياة الغربية، ورد الفعل ـ كما هو معروف ـ يجيء مساوياً للفعل في قوته مخالفاً إياه في الاتجاه.

ثم إن هؤلاء الذين يقولون كلمتهم في الحضارة الغربية، ويدينونها، ليسوا أناساً عاديين، إنهم ـ بلا ريب ـ زهرة الثقافة الغربية وطليعتها التي لا تعبر عن نفسها فحسب، ولكن عن حشود المثقفين الذين يجتازون الممر الضيق نفسه ويكادون أن يختنقوا، بل عن جماهير الناس العاديين الذين سنلتقي بنماذج منهم في هذا الكتاب، والذين يحسون بالأزمة ولكنهم لا يستطيعون أن يعبروا عنها بالصيغ الأكثر نضجاً، بل ربما، كان تعبير بعضهم أقرب إلى المباشرة والبساطة والفجاجة، من خلال موجات من الموضات السلوكية المنحرفة، يعقب بعضها بعضاً، وهي في عمومها تمنح الدارس محصلة واحدة: الاحتجاج ضد الحياة الغربية المعاصرة، ورفضها.

وبمجرد إلقاء نظرة سريعة على أعمال معروفة من مثل (اللامنتمي) و (سقوط الحضارة) لكولن ولسون، و (الساعة الخامسة والعشرون) لكونستانتان جيور وجيو، و(الخمور الفكرية) لآرثر كوستلر و (الصرخة المختنقة) لسترايتشي و(الطريق إلى مكة) لليوبولد فايس و(منعطف الاشتراكية الكبير) و(البديل) لروجيه جارودي و(عصر السريالية) لفاولي و (المذكرات) لكازانتزاكي و (الإنسان ذلك المجهول) لألكسيس كاريل و (حدود العلم) لسوليفان، ومؤلفات كتاب (العبث واللامعقول) من مثل بكت وجان جينيه ويونسكو وبعض الكتاب الوجوديين وبخاصة كامي وغيرها كثير[١]، يمكن أن نتلمس بوضوح حجم المعاناة التي تجابه الإنسان والحضارة الغربية بأجنحتها كافة، فتسوق البعض إلى الرفض والانشقاق، والبعض الآخر إلى البحث عن البديل، وتسوق فئة ثالثة إلى الإيمان بهذا الدين: الإسلام الذي رأوا فيه خلاصهم الوحيد.

إن انتماء رجل كليوبولد فايس، أو روجيه جارودي إلى الإسلام، وكلاهما يملك عقلاً كبيراً، ويمثل باتساع ثقافته وعمقها، وبتنوع خبرته، حصيلة الثقافة الغربية العميقة وغنى خبراتها، يعني أن هذه الثقافة لم تجد في مكوناتها الخاصة بها ـ على ازدحامها وكثافتها ـ ما يمنح بعض العقول الكبيرة القناعة والتوازن واليقين.

بالعكس، فإن هذا الغنى الثقافي يكشف أكثر فأكثر، ضرورة أن تكون هناك قاعدة أساسية تنبثق عنها هذه الثقافة، عقيدة شاملة، بعبارة أخرى، فالثقافة وحدها لا تكفي وهي تميل في الأغلب، إذا لم تستند إلى أرضية عقيدية، أو رؤية شمولية مقنعة، لأن تتبعثر وتتشتت وتجر معها الإنسان إلى التبعثر والتشتت.

وإلى جانب هذا ومن خلال المعاناة نفسها برزت على الساحة الغربية ظاهرة (اللاانتماء) التي حدثنا عنها الباحث البريطاني كولن ولسون في كتابيه المعروفين (اللامنتمي) و (سقوط الحضارة) فأطال الحديث. إن كبار المفكرين والفنانين والأدباء والفلاسفة هناك لم يقدروا على التحقّق الذاتي في إطار ثقافتهم تلك، بل لم يجدوا أوليات التوازن واليقين في خضم هذه الثقافة المتلاطم، الكالح،

---

(١) انظر المؤلفات التالية للمؤلف: (تهافت العلمانية)، (العلم في مواجهة المادية)، (فوضى العالم في المسرح الغربي المعاصر)، (أضواء جديدة على لعبة اليمين واليسار).

العميق. وكانت مأساتهم تكمن في أنهم كانوا يعون هذا الانفصال المحزن بين الإنسان فرداً ومجتمعاً وبين ثقافته، وإذ اندفعت قيادات هذه الثقافة وقواعدها نحو نوع من الاندماج أو النسيان ـ ربما ـ بسبب من تضاؤل وعيها بانعدام التوازن، أو التلاؤم بين الإنسان الغربي وبين ثقافته، نجد بالمقابل ذلك التيار المضاد: حشد من المثقفين يتمردون على ثقافة بلغت بهم شوطاً من الطريق، وهم يريدون أن يواصلوا الرحلة صوب المصير، فلا تقدر معطياتهم الثقافية على منحهم المزيد، لقد «امتلكوا العالم» كما يقول كولن ولسون ثم «ماذا بعد؟».

إن الإنسان بطبيعة تركيبه ذي النزوع إلى الماورائيات يريد أن يتجاوز العالم إلى الكون، جدران المادية إلى الغيب، الطبيعة إلى ما وراءها، والسلطة إلى الحرية، إنه يريد أن يكسر الأسوار، وينطلق بحثاً عن الإله المفقود. بعبارة أخرى إنهم يريدون العقيدة التي تلبي نزوعهم الطموح، وإن المرء ليلمس بوضوح هذا التوجه صوب العقيدة الشمولية المتوازنة في معظم المؤلفات الغربية التي أشرنا إلى نماذج منها، والتي حاول أصحابها أن يعالجوا أزمة الوجود الثقافي الغربي على ضوء المصير المقفل، والدرب المسدود.

وإننا لنلمح على ضوء هذه الأزمة التي تعانيها الثقافة الغربية الدافع؛ الذي جعل حشداً من كبار المثقفين الغربيين، عبر الربع الثاني من هذا القرن على وجه التقريب، من مثل آرثر كوستلر وأندريه جيد وريتشارد رايت وإكناز سيلوني وستيفن سبندر ولويس فيشر وبيكاسو وارجون وجارودي وغيرهم يلجؤون إلى الماركسية. إنه لم يكن توجهاً حراً بمعنى الكلمة، ولكنه ارتماء المرهقين الباحثين عن الخلاص بأية طريقة، ومن خلال أي برنامج يمتلك رؤية عقيدية شاملة تأخذ بيد الإنسان، حتى ولو كان الذي يصوغها هو الشيطان.

لكن المشكلة التي سرعان ما تبدت لهؤلاء الذين ارتموا في أحضان الماركسية؛ أنها هي الأخرى تمنح من البئر نفسه الذي يشكل ماؤه نسيج الثقافة الغربية، وينفخ الحياة في عروقها.

الفلسفة المادية التي ترفض الغيب والروح، وتتنكر للسماء، وتقطع الطريق إلى الجنة، وتحارب وجود الله، إنها هي الأخرى تحجم الإنسان، وتحصره في النطاق

الضيق، وتغلق الأبواب عليه لكي لا ينطلق صوب الآفاق الرحبة التي تتجاوز حدود المنظور والملموس، وتتأبى على نداءات الجنس، وصرخات الأمعاء.

وإذا كان ثمة فارق فإنه يكمن في امتلاك الماركسية النظرة الشمولية للعقيدة والفلسفة؛ التي استهوت أولئك المثقفين، ولكن الجوهر هو الجوهر، والنسيج هو النسيج. فما ثمة بد لهؤلاء من الارتداد، كرة أخرى، بحثاً عن حل أكثر قبولاً، وأقدر على تلبية طموح الإنسان، بما أنه «إنسان» لا «حيوان اجتماعي»، لا مجرد أداة ميكانيكية، أو رقم مضاف إلى الشمال أو اليمين. حل يمكن المثقف الغربي من التحقّق الذاتي الضائع، وإذا كانت الأكثرية القلقة لم تقدر لأسباب شتى، ليس هذا مجال تحليلها أو حتى الإشارة إليها، على أن تجد طريقها صوب الهدف، فإن إسلام عشرات الغربيين بل مئاتهم، إشارة مؤكدة على أن هناك من يقدر على الوصول، وعلى أن رحلة البحث عن المصير الموازي لحجم الإنسان ستؤتي ثمارها بإذن الله.

إن الأزمة الغربية الراهنة، في جوانبها الفكرية والنفسية والحضارية، تأخذ أبعاداً شتى، ليس أقلها خطورة ـ إذاً ـ ذلك الضمور والضحالة الروحية اللذان تعانيهما الحضارة المعاصرة بكافة مذاهبها ونظمها ومعطياتها، الضمور والضحالة اللذان يصلان حد الخواء، وانعدام أي بعد يمنح الإنسان المعاصر رؤية أوسع مدى، وتجربة أعمق غوراً، يتجاوز بهما سطحية حياته المادية، ورتابة تجربته المباشرة، ويكسر جدران الحس القريب لكي يمد في تجربة «الإنسان» ويمنحها كثافة أشد، وتوغلاً أبعد، ومنظوراً للكون والحياة والعالم والإنسان أكثر غنى، إنه خواء يستل اليقين بكل ما من شأنه أن يمنح الحياة البشرية تفردها، وتألقها، وتميزها عن سائر الحيوان، ويعطي أبناءها الفرصة للاستهداء بحشد من القيم والضوابط والمناهج المرسومة؛ التي يتحركون على هديها إلى أهداف تليق بهم، وتخلصهم من الفوضى والتخبط والارتجال.

إن حضارة تفتقد اليقين الديني لن يكون بمقدورها أن تمنح الإنسان كل ما يريد، وإن الإنسان إن لم يجد نفسه في بيئة تتعامل معه كإنسان، بكل مكوناته، وأشواقه ومنازعه؛ فإنه سيتمرد ـ ولا ريب ـ على هذه البيئة، وينشق عليها طال الوقت أم قصر.

الأخطاء المنهجية للفكر الوضعي

وثمة النظرة الأحادية للفكر الغربي الوضعي[١]، والمنهج ذو الوجه الواحد الذي طالما اعتمده هذا الفكر وتشبث به. إنه ملمح لا يقل خطورة عن الملمح السابق، ومن ثم سنقف عنده بعض الشيء.

إن المرء كثيراً ما يتساءل: لماذا يصر الفكر الوضعي عموماً، والغربي بخاصة، على التشبث بجانب واحد من الفكرة ذات الجوانب العديدة، ويقف عند مساحة محدودة منها بينما هناك مساحات أخرى؟ ولماذا يصرّ على تبسيط الظاهرة، وحملها على أن تطل على الإنسان بوجه مسطح واحد بينما هنالك وجوه عدة؟ ولماذا يتشنج على طبقة واحدة من الحقيقة، بينما هي تتضمن طبقات وطبقات؟

إن السبب قد يحمل بعداً نفسياً ذاتياً صرفاً، فالمفكر الوضعي الذي يكتشف جانباً من الحقيقة، أو مساحة من الظاهرة، أو وجهاً ما من الفكرة، ليسعى للاعتقاد بأن ما اكتشفه هو الجانب الوحيد للحقيقة، والمساحة الكلية للظاهرة، والوجه المتفرد للفكرة، ويبذل جهداً متواصلاً لإقناع أتباعه بذلك، ولشدة التكرار والإلحاح يتوهم هؤلاء بأن ما يقوله هو الحق، وأن اكتشافه الفكري هو الصواب، وأنه يتضمن أطراف الحقيقة أو الفكرة أو الظاهرة كافة.

إنها نوع من الرغبة في تعبيد الناس للمفكر، وكسب إعجابهم وانبهارهم خلال أطروحاته الفكرية المعززة باستنتاجات ومعطيات متواصلة لتأكيد أنها الحق المطلق، وأن ما وراءها الباطل والضلال. وهو يبني موقفه هذا، أو كسبه غير المشروع إذا صح التعبير، على ما قد يتضمنه العقل البشري من قصور وعدم قدرة على الإلمام بجوانب الحقيقة، وافتقاده النظرة الكلية التي تستشرف أطراف الظاهرة

(١) المقصود هنا المدلول اللغوي لا الاصطلاحي لكلمة (الوضعية).

من كل مكان. هذا العقل الذي يظل يعاني من نقصه هذا طالما هو لم يستهدِ بدين سماوي، ببرنامج عمل موضوعي يجيء من السماء، ويمنح الإنسان والعقل الإنساني ـ بما يتضمنه من علم إلهي شامل ـ القدرة على تجاوز النظرة أحادية الجانب، والتوغل لإدراك جوانب الحقيقة ومساحتها وطبقاتها جميعاً.

إن المفكر الوضعي يمارس هنا نشاطاً ضد المنهج، ضد الموضوعية و التجرد العلمي، وهذه الضدية تجيء على حساب الحقيقة. نعم، قد يكسب المفكر الجولة، وقد يلتف حوله المريدون والأتباع، وقد يظن لفترة طويلة من الزمن أنه وضع يده على مفاتيح الحقيقة، وأنه سبر غورها العميق، ولكن الخاسر في هذه اللعبة التي تكررت على الساحة الأوربية عشرات القرون هو الحقيقة والإنسان الذي يتوخى معرفتها وإدراكها في نهاية الأمر.

ويقوم هذا النشاط الذي يمارسه المفكر ضد المنهج والموضوعية على محاولة توسيع مساحة «الاكتشاف» لجعله يلف الظاهرة كلها، فيمطه بأي أسلوب لكي يحيط بالفكرة من جوانبها كافة، ويرغمه على التضخم؛ لكي يوازي الحقيقة طولاً وعرضاً وعمقاً.

والمشكلة أن هذا الاكتشاف الذي يحمل قيمته الكبيرة بحد ذاته، قد يغطي مساحة من الظاهرة، قد يفسر جانباً من الفكرة، قد ينشر شعاعاً على جهة من الحقيقة لكي يضيئها. ولكن تبقى مساحات وجوانب أخرى من الظواهر والأفكار والحقائق لا يكفي الاكتشاف ـ إن على مستوى النوع أو على مستوى الكم ـ لتفسيرها وإضاءتها، لابد من اكتشافات أخرى وإضاءات متتالية، تأخذ طابع التتابع والتكامل، وتسلط على الحقائق والظواهر والأفكار من أطرافها جميعاً، ويسهم فيها خط طويل من المفكرين، وعقول متألقة لا يحصيها عد، وعند ذلك قد تصل إلى تفسير هذه الظاهرة أو تلك وقد لا تصل أساساً.

إن هذا يتم في ميدان العلوم النظرية (الصرفة) والتطبيقية (التقنية) ولهذا حققت هذه العلوم تلك الخطوات العملاقة، وقدمت للإنسان خدمات جلّى؛ لا يستطيع أحد أن ينكر دورها الفعال في استمرار الحضارات، وبخاصة الحضارة الغربية المعاصرة.

لكن العلوم الإنسانية شهدت صيغة أخرى في العمل، صيغة الانفراد والذاتية، والادعاء والتضخم. ولذا لم تستطع أن تقدم للإنسان عشر معشار ما قدمته العلوم النظرية والتطبيقية، ولهذا ـ أيضاً ـ آلت إلى الفشل والسقوط الواحدة تلو الأخرى.

فعلى سبيل المثال، لماذا يصر عقل فذّ كـ (هيغل) على جعل الجدل أو الديالكتيك، أو التقابل المتضاد بين الحقائق والتجارب يقتصر على نطاق (الفكرة)؟ ولماذا يجيء (ماركس) و(إنجلز) بعده لكي يديناه على أحادية نظرته، بل على وضعها المقلوب، لكنهما ما يلبثان أن يقعا في الخطأ نفسه فيتشنجان على نظرية الديالكتيك المادي، أي: الجدل في نطاق المادة وحدها؟ إنهما يتهمان (هيغل) بأنه وضع فلسفة «تمشي على رأسها» لكنهما وهما يسعيان لتعديل الوضع الفلسفي، قدما فلسفة تمشي على بطنها بحثاً عن الخبز وحده.

أما كان الأولى أن يتجاوز (هيغل) تشبثه بالفكرة، وأن يبعد (ماركس) و(إنجلز) قليلاً عن الأرضية المادية، وأن يحاول الطرفان وضع صيغة للجدل أكثر شمولية تتضمن الفكري والمادي معاً؟ ثم لماذا يصر الطرفان على أن الجدل بين الأفكار أو الصيغ المادية يأخذ طابع التناقض والتضاد ويقود دوماً إلى الاصطراع؟ ألا يتحتم أن تضاف إليه صيغة أخرى لعلاقة تأخذ طابع (التبادل) بدلاً من التضاد؟ تبادل في الأخذ والعطاء دونما ضرورة تدفع لصراع محتوم، ودونما اطراح لبعض العناصر من هذا الجانب أو ذاك، بل بلورته وتبنيه وإضافته للموحد الجديد.. وغير (هيغل) و (ماركس) و(إنجلز) كثيرون جداً.

إن ثمة أسئلة كثيرة تخطر على بال الإنسان وهو يتعامل مع الفكر الوضعي ولئن لم تحظ بأي جواب، فإن هناك ما يشبه القناعة تبرز لكل ذي عينين: إن النظرة أحادية الجانب، تلك التي تأخذ بخناق هذا الفكر، إن هي إلا انعكاس لنوع من الادعاء والغرور، وربما الكذب، سواء شئنا أم أبينا. إن معظم المفكرين الغربيين هم كما يصفهم كتاب الله ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ﴾ [النجم: ٢٣].

تلك هي أزمة الفكر الوضعي من جهة المفكر نفسه، أي: من الزاوية التي يطل بها على العالم والمنهج الذي يعتمده في التعامل مع الظواهر والحقائق والأشياء. ولكننا نريد أن نقف لحظات في الجهة الأخرى، جهة العقل الغربي المتلقي وهو

يتعامل مع معطيات مفكريه: مذاهب ومدارس وعقائد ونظريات، جهة المثقفين الغربيين وهم ينتمون إلى هذه المدرسة أو تلك، وإلى هذا المذهب أو النظرية أو ذاك.

فهاهنا أيضاً نجابه بعدد من الأخطاء المنهجية في طبيعة هذا التعامل، ويكمن أكبر هذه الأخطاء وأشدها وضوحاً في المشكلة نفسها التي يعاني منها المفكر واضع النظرية أو مصمم المذهب، تلك هي ـ مرة أخرى ـ النظرة أحادية الجانب حيث يمارس المثقف ما يمكن اعتباره خداعاً وتضليلاً على حساب الحقيقة، أو ما يمكن اعتباره خطأً منهجياً على أقل تقدير. إنه يصدق فعلاً أن (الاكتشاف) الذي حققه هذا المفكر أو ذاك ومطه ونفخ فيه لكي يجعل منه نظرية أو مذهب يفسر كل شيء، ويلقي ضوءه على كل معضلة أو مسألة غامضة في الوجود والعالم، يصدق أن هذا الاكتشاف هو الحق المطلق والرؤية المتفردة والكشف النهائي للسنن والقوانين التي تحرك العالم وتفسر معطياته في الوقت ذاته، وهم ـ أي: المثقفون ـ يدفعون أنفسهم إلى نوع من هذا الاستسلام لهذا التصور يصل بهم أحياناً حد الوثنية والتعبد، فيفقدون القدرة على أي تفكير مستقل يخرج بهم عن دائرة المذهب الذي انتموا إليه، والمفكر أو الفيلسوف الذي آمنوا به، بل إنهم يعتبرون أية محاولة لتجاوز أطروحات المذهب خروجاً عن التعاليم المقدسة، وهرطقة يستحق صاحبها أشد العقاب.

وإذا كان المفكر الوضعي يتخذ موقف المعلم المطلق، أو صاحب الاكتشاف المقدس لتحقيق حاجة ذاتية في تركيبه الخاص، فما الذي يجعل المثقف المتلقي، أو التابع يتخذ موقف التسليم المطلق والانقياد الأعمى للفكرة أو الاكتشاف، ويتشنج عليهما، ويعتبرهما الحق الذي ليس وراءه سوى الضلال؟

قد يلعب البعد النفسي دوره هنا أيضاً، فإن الانتماء لمذهب ما والاعتقاد بأنه الحق المطلق واليقين الكامل، يمنح الذات فرصة للتحقق والتوازن والامتلاء، ويشبع فيها حاجات كانت في كثير من الأحيان بمثابة الدافع القوي للسلوك البشري. لكن هذا وحده لا يكفي. إنه ـ مرة أخرى ـ القصور العقلي، عدم قدرة الإنسان على بلوغ اليقين المطلق، أو رؤية الحقيقة كاملة طالما هو يرفض التلقي على العلم الإلهي الشامل، ومن ثم يجد نفسه أسير التجزيئية و القصور، والرؤية

ذات البعد الواحد. وهو من أجل تجاوز محنته، بل بسبب من اعتقاده بقدرته العقلية الفائقة، يندفع للتصديق بهذه النظرية أو تلك والتسليم بهذا الكشف أو ذاك لا لأنها تحمل الصواب المطلق، بل لأنه هو نفسه لا يملك المقاييس الموضوعية النهائية للحكم عليها، ومن ثم فقد يمتلك القناعة الكافية، المتناسبة مع قدراته المحدودة، في أن هذا الذي يطرحه مفكر أو فيلسوف ما هو إلا الصدق واليقين والحق، وأن الانتماء إليه يمنح الفكر معادلاته الموضوعية وتوازنه واستقراره.

إن المشكلة، مرة أخرى تكمن في غياب الرؤية الدينية، وانعدام المقاييس الموضوعية التي تنبثق عن العلم الإلهي الشامل. وهنا، في الساحة التي يتفرد فيها بالسلطان العقل ذو القدرات النسبية، يصبح الانتماء مجرد اجتهاد شخصي قد يخطئ وقد يصيب، وهو حتى إذا أصاب، فإنه لا يتحقق بالمعرفة الكلية اليقينية الشاملة؛ لأنه ليس بمقدور عقل بشري أن يبلغ شواطئها.

وهنا قد يسأل المرء: إذا حدث وأن طرح مفكر ما كشفاً أو نظرية تناقض في جوهرها كشف مفكر آخر أو نظريته، فمن يكون من أتباع كلا المفكرين على حق، ومن يكون على ضلال؟

إن هذا التناقض الطولي بين مفكر وآخر يعملان في مجال واحد، مثل التناقض بين (هيغل) و(ماركس) أو بين (داروين) وحفيده، أو بين (فرويد) وبعض تلامذته الذين انشقوا عليه يكفي وحده أن يهز قناعات الأتباع بكل الربوبيات والصنميات الفكرية، لكن هذا لا يحدث إلا نادراً؛ لأن القصور الفكري وضياع المقاييس الشمولية، فضلاً عن الحاجات والدوافع النفسية في الاحتماء بهذه النظرية أو تلك والامتلاء بقناعاتها يمنع هذا المصير.

مهما يكن من أمر، فإن بعض المفكرين بسبب من تضخم إحساسهم بالقدرة على الكشف، وبأن كشفهم هذا قادر على الامتداد لتغطية جوانب الحقيقة كافة وتفسير كل شيء بسبب من هذا يتجاوزون ـ أحياناً ـ دوائر تخصصهم ويوغلون في مجالات ودوائر أخرى للمعرفة قد لا يملكون من الأدوات والوسائل ما يمكنهم من أن يحققوا فيها ما حققوه هناك في حقل تخصصهم وإبداعهم، وإذا كان الدافع لهذا

السلوك واضحاً، فما الذي يدفع (الأتباع) إلى تقبل هذا الموقف، واعتبار معطيات المفكر حتى في مجالات تبعد عن تخصصه بمثابة الحقيقة النهائية هي الأخرى؟

إن هذا بالذات ما يحدث بالنسبة للماركسيين ـ على سبيل المثال ـ وهم يتعاملون مع اكتشافات (ماركس) في حقول الاقتصاد والفلسفة والتاريخ، فيرونها جميعاً بمثابة الأمور التي تتجاوز حدود الحقائق الاختيارية إلى نوع من القدسية التي يتحتم أن لا يمسها أحد بأية صيغة من صيغ التساؤل والشك. فإذا كان (ماركس) متضلعاً في حقل الاقتصاد، وقدم في دائرته كشوفاً ذات قيمة، فما الذي يحتم على أتباعه قبول كل معطياته وكشوفاته في مجالين آخرين قد لا يكون صاحب القول الفصل فيهما، وهما الفلسفة والتاريخ؟

إن الفلسفة التي تتعامل مع المادة لا يمكن أن تمنحنا قناعات كافية إن لم تبدأ من المختبر، وتنبثق عن أسس فيزيائية علمية كما يفعل رجال من أمثال (هايزنبرغ) و(أينشتاين) و (كاريل) وغيرهم. والبحث في التاريخ ما لم يستكمل تفاصيل وجزيئات كل عصر وبيئة لا يمكن أن يمنحنا نتائج نهائية.

وعلى ضوء هاتين البديهيتين يمكن أن نقيم معطيات (ماركس) في هذين الحقلين، ونحن لا زلنا نذكر عبارة الباحث الاقتصادي (أوسكار لانكة) وهو أحد أكبر اختصاصيي اقتصاد الدول النامية، فهو بعد أن يستعرض جهود الكتاب الذين اهتموا بدراسة اقتصاد مجتمعات ما قبل الرأسمالية، منذ عصر (ماركس) وحتى عصر (بورشييف) يقول ما معناه: «ولكن هذه الدراسات جميعها مفككة، لذلك فإن الاقتصاد السياسي للنظم الاجتماعية ما قبل الرأسمالية لما يخرج بعد إلى حيز الوجود باعتباره فرعاً منظماً من فروع الاقتصاد السياسي»[1]. ولكن هل يكفي هذا كله لفك الارتباط الوثني بين الأتباع والأرباب، وتجاوز تقاليد قرون طوال سادت الفكر الغربي ولا تزال؟.

قد يتساءل المثقف الغربي، ومن حقه أن يتساءل: هل معنى قبول الدين والإسلام على وجه الخصوص أن نتخلى ـ بمعنى من المعاني ـ عن بعض درجات

(١) محمد علي نصر الله، أضواء على نمط الإنتاج الآسيوي، مجلة آفاق عربية، سنة ٢، عدد ٦، ١٩٧٧م.

سلمنا الحضاري المتقدمة، أو أن نتجاوز «العلمية» التي تميز هذه الحضارة، والتي هي منهجها وشعارها؟

بعبارة أخرى: هل يحتم خلاصنا الديني بالإسلام، أن نضحي ببعض منجزاتنا العقلية، وخبراتنا الحضارية، من أجل هذا الخلاص؟ وهل أنه لا مناص من الاختيار بين الاثنين: إما هذا أو ذاك؟

إن الجواب على هذا السؤال المشروع بجانبيه، أي: ما يتعلق بالحضارة وما يخص العلم، يقتضي وقفة متأنية لكي نعرف ما الذي يقوله الإسلام بصددهما، ما الذي قدمه أو نسجه؟ وما هي طبيعة منظوره للحضارة، ورؤيته للعلم؟ وهل ثمة من تأشيرات سلبية على أنشطتها، أم أنه اللقاء، والحض، والعطاء؟ هل أنه الانفصال الذي اعتقدته العلمانية الأوربية كرد فعل للنصرانية؛ التي وقفت بمواجهة التحضر والعلم بشكل أو بآخر أم أنه الدين الإسلامي؟

لن يسمح هذا المدخل الموجز لتقديم الجواب[١]، ويكفي أن نتابع «الشهادات» التي تضمنها هذا الكتاب، والتي لا تدع مجالاً للشك في أن الإسلام، بمعنى من المعاني، هو التحضر والعلم معاً في إطار رؤية دينية تتميز بالشمولية والتوازن.

إنه يتحتم علينا أن لا ننساق وراء المقولة الخاطئة التي اصطنعتها العلمانية الأوربية، والتي تتركز بعبارة «إما هذا أو ذاك»، أي: إما الإيمان أو التحضر، إما الدين أو العلم، إما الله أو الإنسان، وباختصار: إما السماء وإما الأرض.

فها هنا، في نسيج التصور الإسلامي، متناسقاً مع سداه ولحمته، نلتقي الشعار الآخر الذي يتحتم على الغربيين أن يعرفوه جيداً، ويوقنوا به: هذا وذاك، الإيمان والتحضر، الدين والعلم، الله والإنسان، السماء والأرض.

إن الإسلام، بانفتاحه على العلم والتحضر وتبنيه لهما، كما سيتبين لنا، يجعل من مرور الزمن وتراكم الخبرات العلمية والحضارية، سلاحاً بيده وليس ضده كما

(١) عالج المؤلف هذه المسألة في الكتب التالية التي يمكن الرجوع إليها لمتابعة التفاصيل: (مدخل إلى موقف القرآن الكريم من العلم)، (حول إعادة تشكيل العقل المسلم)، (التفسير الإسلامي للتاريخ)، و (مدخل إلى التاريخ والحضارة الإسلامية).

فعلت النصرانية وبعض الأديان الأخرى، سيجعل منها عصا كتلك التي أمسك بها موسى عليه السلام فضرب بها البحر، ومضى بأتباعه صوب أهدافهم المرتجاة.

وإنه من خلال المعطيات العلمية والحضارية ستتبين لكل ذي فكر مصداقية هذا الدين، وأحقيته بالتفرد والسلطان، فما قال به في عصر تنزله البعيد جاءت هذه المعطيات لكي تؤكده وتكشف عنه النقاب. وإن القرآن الكريم ليؤكد هذا البعد الزمني في آيتين: إحداهما قول الله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ [يونس: ٣٩]. والثانية: قوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣]. بعد الخبرة والتقدم والزمن الذي يضيف بحساب الكم والنوع إلى نهر العلم والتحضر.

إن الانتماء إلى الإسلام يضع الإنسان في حالة تساوق وتآلف مع السنن الكونية، ويجنبه الارتطام بها، فيمنحه قوة أكبر على التقدم والاندفاع من خلال توافق طاقاته مع طاقات الكون ونواميسه. كما أن الانتماء للدين الذي يدعوه للكشف عن السنن والطاقات المذخورة في الكون والعالم، والإفادة منها، يمنحه قدرات مضافة على التحضر والإبداع والتقدم جنباً إلى جنب، مع دعوته للكشف عن قوانين الحركة التاريخية واعتمادها لتنفيذ مهمته العمرانية في العالم، والتعجيل بها.

إن الإسلام، في نهاية التحليل وبدايته كذلك، دعوة إلى التقدم والتحضر بأي منظور ومن أية زاوية، وإن المنتمين إليه يجدون فرصتهم الحقيقية لذلك، ليس من قبيل الادعاء والغرور، ولكن من خلال الفعل والتحقق اللذين يحرسهما الإيمان والتقوى، ويدفعهما الإحسان إلى المزيد، كما سيتبين لنا من قراءة فصول هذا الكتاب.

الفصل الأول

القرآن الكريم

«لقد قمت بدراسة القرآن الكريم وذلك دون أي فكر مسبق وبموضوعية تامة، باحثاً عن درجة اتفاق نص القرآن الكريم ومعطيات العلم الحديث.. فأدركت أنه لا يحتوي على أية مقولة قابلة للنقد من وجهة نظر العلم في العصر الحديث».

العالم الفرنسي موريس بوكاي

خليل أحمد[1]

١ «يرتبط هذا النبي ﷺ بإعجاز أبد الدهر بما يخبرنا به المسيح ـ عليه السلام ـ في قوله عنه: (ويخبركم بأمور آتية)، هذا الإعجاز هو القرآن الكريم معجزة الرسول الباقية ما بقي الزمان. فالقرآن الكريم يسبق العلم الحديث في كل مناحيه: من طب، وفلك، وجغرافية، وجيولوجيا، وقانون، واجتماع، وتاريخ... ففي أيامنا هذه استطاع العلم أن يرى ما سبق إليه القرآن بالبيان والتعريف...»[2].

٢ «أعتقد يقيناً أني لو كنت إنساناً وجودياً... لا يؤمن برسالة من الرسالات السماوية، وجاءني نفر من الناس وحدثني بما سبق به القرآن العلم الحديث ـ في كل مناحيه ـ لآمنت برب العزة والجبروت، خالق السموات والأرض، ولن أشرك به أحداً...»[3].

٣ «في هذا الظلام الدامس ـ أيها المسيحي ـ ينزل القرآن الكريم على رسول الله ليكشف لك عن الله عز وجل...»[4].

٤ «للمسلم أن يعتز بقرآنه، فهو كالماء فيه الحياة لكل من نهل منه»[5].

---

(١) إبراهيم خليل أحمد Ibrahim Khlil Ahmad
قس مبشر من مواليد الإسكندرية عام ١٩١٩، يحمل شهادة عالية في علم اللاهوت من كلية اللاهوت المصرية، ومن جامعة برنستون الأمريكية. عمل أستاذاً بكلية اللاهوت بأسيوط. كما أرسل عام ١٩٥٤ إلى أسوان سكرتيراً عاماً للإرسالية الألمانية السويسرية. وكانت مهمته الحقيقية التنصير والعمل ضد الإسلام. ولكن تعمقه في دراسة الإسلام قاده إلى الإيمان بهذا الدين، وأشهر إسلامه رسمياً عام ١٩٥٩.
كتب العديد من المؤلفات. أبرزها ولا ريب (محمد في التوراة والإنجيل والقرآن)، (المستشرقون والمبشرون في العالم العربي والإسلامي)، و(تاريخ بني إسرائيل).

(٢) محمد في التوراة والإنجيل والقرآن، ص ٤٧ ـ ٤٨.

(٣) نفسه، ص ٤٨.

(٤) نفسه، ص ١٧٢.

(٥) نفسه، ص ٣٢.

آرنولد[١]

١ «.. [إننا] نجد حتى من بين المسيحيين مثل [ألفار Alvar الإسباني] الذي عرف بتعصبه على الإسلام، يقرر أن القرآن قد صيغ في مثل هذا الأسلوب البليغ الجميل، حتى إن المسيحيين لم يسعهم إلا قراءته والإعجاب به..»[٢].

إيرفنج[٣]

١ «كانت التوراة في يوم ما هي مرشد الإنسان وأساس سلوكه. حتى إذا ظهر المسيح [عليه السلام] اتبع المسيحيون تعاليم الإنجيل، ثم حل القرآن مكانهما، فقد كان القرآن أكثر شمولاً وتفصيلاً من الكتابين السابقين، كما صحح القرآن ما قد أدخل على هذين الكتابين من تغيير وتبديل. حوى القرآن كل شيء، وحوى جميع القوانين، إذ أنه خاتم الكتب السماوية..»[٤].

٢ «يدعو القرآن إلى الرحمة والصفاء، وإلى مذاهب أخلاقية سامية»[٥].

---

(١) سير توماس أرنولد (١٨٦٤ ـ ١٩٣٠) Sir Thomas Arnold
من كبار المستشرقين البريطانيين. صاحب فكرة كتاب (تراث الإسلام) الذي أسهم فيه عدد من مشاهير البحث والاستشراق الغربي. وقد أشرف أرنولد على تنسيقه وإخراجه. تعلم في كمبرج، وقضى عدة سنوات في الهند أستاذاً للفلسفة في كلية عليكرة الإسلامية، وهو أول من جلس على كرسي الأستاذية في قسم الدراسات العربية في مدرسة الدراسات الشرقية بلندن. وصفه المستشرق البريطاني المعروف (جب) بأنه « عالم دقيق فيما يكتب، وأنه أقام طويلاً في الهند وتعرف على مسلميها، وأنه متعاطف مع الإسلام، وكل هذه أمور ترفع أقواله فوق مستوى الشهادات » (دراسات في حضارة الإسلام ص ٢٤٤). ذاع صيته بكتابيه: (الدعوة إلى الإسلام) الذي ترجم إلى أكثر من لغة، و(الخلافة). كما أنه نشر عدة كتب قيمة عن الفن الإسلامي.

(٢) الدعوة إلى الإسلام (بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية)، ص ١١٦.

(٣) واشنجتون إيرفنج W.Irving
مستشرق أمريكي. أولى اهتماماً كبيراً لتاريخ المسلمين في الأندلس. من آثاره: (سيرة النبي العربي) مذيلة بخاتمة لقواعد الإسلام ومصادرها الدينية (١٨٩٤)، و(فتح غرناطة) (١٨٥٩)، وغيرها.

(٤) حياة محمد، ص ٧٢.

(٥) نفسه، ص ٣٠٤.

بروز(١)

١ «إنه ليس هناك شيء لا ديني في تزايد سيطرة الإنسان على القوى الطبيعية، وهناك آية في القرآن يمكن أن يستنتج منها أنه لعل من أهداف خلق المجموعة الشمسية لفت نظر الإنسان لكي يدرس علم الفلك، ويستخدمه في حياته: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾ [يونس: ٥] وكثيراً ما يشير القرآن إلى إخضاع الطبيعة للإنسان باعتباره إحدى الآيات التي تبعث على الشكر والإيمان: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا۟ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ﴾ [الزخرف: ١٢-١٣]. ويذكر القرآن - لا تسخير الحيوان واستخدامه فحسب - ولكن يذكر السفن أيضاً.. فإذا كان الجمل والسفينة من نعم الله العظيمة، أفلا يصدق هذا أكثر على سكة الحديد والسيارة والطائرة؟»(٢).

٢ «.. إن أعظم نتائج العلم يمكن أن تستخدم في أغراض هدمية أو بناء الحديد: ما كان هذا هو المقصود بما ورد في القرآن خاصة باستخدام الحديد: ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ [الحديد: ٢٥]. وأظهر مثال من هذا الآن بالضرورة هو استخدام النشاط الذري - الذي نشطت بحوثه - لضرورة حربية..»(٣).

بلاشير(٤)

١ «إن الفضل بعد الله يعود إلى الخليفة عثمان بن عفان [رضي الله عنه] لإسهامه قبل سنة ٦٥٥ هـ في إبعاد المخاطر الناشئة عن وجود نسخ عديدة من القرآن،

(١) د. ميلر بروز Millar Burrows
رئيس قسم لغات الشرق الأدنى وآدابه وأستاذ الفقه الديني الإنجيلي في جامعة (ييل). وعمل أستاذاً في جامعة براون، وأستاذ زائراً بالجامعة الأمريكية في بيروت، ومديراً للمدرسة الأمريكية للبحوث الشرقية بالقدس، ومن مؤلفاته: Founders Great Religions, 1931. What Means these Stones, 1914. Palestine is our Business, 1914.

(٢) الثقافة الإسلامية، ص ٤٥.

(٣) الثقافة الإسلامية، ص ٥٤.

(٤) بلاشير R.L.Blachere
ولد بالقرب من باريس، وتلقى دروسه الثانوية في الدار البيضاء، وتخرج بالعربية في كلية =

وإليه وحده يدين المسلمون بفضل تثبيت نص كتابهم المنزل، على مدى الأجيال القادمة»(١).

٢ «لا جرم في أنه إذا كان ثمة شيء تعجز الترجمة عن أدائه؛ فإنما هو الإعجاز البياني واللفظي والجرس الإيقاعي في الآيات المنزلة في ذلك العهد.. إن خصوم محمد ﷺ قد أخطؤوا عندما لم يشاؤوا أن يروا في هذا إلّا أغاني سحرية وتعويذية، وبالرغم من أننا على علم ـ استقرائياً فقط ـ بتنبؤات الكهان، فمن الجائز لنا الاعتقاد مع ذلك بخطل هذا الحكم وتهافته، فإن للآيات التي أعاد الرسول ﷺ ذكرها في هذه السور اندفاعاً وألقاً وجلالة، تخلف وراءها بعيداً أقوال فصحاء البشر، كما يمكن استحضارها من خلال النصوص الموضوعة التي وصلتنا»(٢).

٣ «.. إن القرآن ليس معجزة بمحتواه وتعليمه فقط، إنه أيضاً ويمكنه أن يكون قبل أي شيء آخر تحفة أدبية تسمو على جميع ما أقرته الإنسانية وبجلته من تحف.. إن الخليفة المقبل عمر بن الخطاب [رضي الله عنه] المعارض الفظ في البداية للدين الجديد، قد غدا من أشد المتحمسين لنصرة الدين عقب سماعه لمقطع من القرآن. وسنورد الحديث فيما بعد عن مقدار الافتتان الشفهي بالنص القرآني بعد أن رتله المؤمنون»(٣).

٤ «.. الإعجاز هو المعجزة المصدقة لدعوة محمد ﷺ الذي لم يرتفع في أحاديثه الدنيوية إلى مستوى الجلال القرآني..»(٤).

= الآداب بالجزائر (١٩٢٢) وعين أستاذاً لها في معهد مولاي يوسف بالرباط، ثم انتدب مديراً لمعهد الدراسات المغربية العليا بالرباط (١٩٢٤ـ١٩٣٥)، واستدعته مدرسة اللغات الشرقية بباريس أستاذاً لكرسي الأدب العربي (١٩٣٥ـ١٩٥١)، ونال الدكتوراه (١٩٣٦)، عين أستاذاً محاضراً في السوربون (١٩٣٨)، ومشرفاً على مجلة (المعرفة)، التي ظهرت في باريس باللغتين العربية والفرنسية، من آثاره: دراسات عديدة عن تاريخ الأدب العربي في أشهر المجلات الاستشراقية، وكتاب (تاريخ الأدب العربي) (باريس ١٩٢٥)، وترجمة جديدة للقرآن الكريم في ثلاثة أجزاء (باريس ١٩٤٧ـ١٩٥٢) وغيرها.

(١) تاريخ الأدب العربي، ٢/ ٢٢.
(٢) نفسه، ٢/ ٣١.
(٣) القرآن الكريم، ص ١٠٢ـ١٠٣.
(٤) نفسه، ص ١٠٤.

٥ «.. في جميع المجالات التي أطللنا عليها من علم قواعد اللغة والمعجمية وعلم البيان، أثارت الواقعة القرآنية، وغذت نشاطات علمية هي أقرب إلى حالة حضارية منها إلى المتطلبات التي فرضها إخراج الشريعة الإسلامية. وهناك مجالات أخرى تدخل فيها (الواقعة القرآنية) كعامل أساسي.. ولا تكون فاعليتها هنا فاعلية عنصر منبه فقط، بل فاعلية عنصر مبدع تتوطد قوته بنوعيته الذاتية..»[(١)].

بوازار[(٢)]

١ «لا بد عند تعريف النص القدسي في الإسلام من ذكر عنصرين، الأول أنه كتاب منزل أزلي غير مخلوق، والثاني أنه (قرآن) أي كلام حي في قلب الجماعة.. وهو بين الله والإنسانية (الوسيط) الذي يجعل أي تنظيم كهنوتي غير ذي جدوى؛ لأنه مرضي به مرجعاً أصلياً، وينبوع إلهام أساسي.. وما زال حتى أيامنا هذه نموذجاً رفيعاً للأدب العربي تستحيل محاكاته. إنه لا يمثل النموذج المحتذى للعمل الأدبي الأمثل وحسب، بل يمثل كذلك مصدر الأدب العربي والإسلامي الذي أبدعه؛ لأن الدين الذي أوحي به هو في أساس عدد من المناهج الفكرية التي سوف يشتهر بها الكتاب..»[(٣)].

٢ «لقد أثبت التنزيل برفضه الفصل بين الروحي والزمني أنه دين ونظام اجتماعي.. ومن أن التنزيل هو السبيل الذي ظن إمكان استخدامه فيه قد طبعا المجتمع بعمق..»[(٤)].

---

(١) نفسه، ص ١٠٤ـ١٠٥.

(٢) مارسيل بوازار M.Polzar
مفكر، وقانوني فرنسي معاصر. أولى اهتماماً لمسألة العلاقات الدولية وحقوق الإنسان، وكتب عدداً من الأبحاث للمؤتمرات والدوريات المعنية بهاتين المسألتين. ويعتبر كتابه (إنسانية الإسلام)؛ الذي انبثق عن الاهتمام نفسه، علامة مضيئة في مجال الدراسات الغربية للإسلام، بما تميز به من موضوعية، وعمق، وحرص على اعتماد المراجع التي لا يأسرها التحيز والهوى. فضلاً عن الكتابات الإسلامية نفسها.

(٣) إنسانية الإسلام، ص ٥٢ ـ ٥٣.

(٤) نفسه، ص ٢٠٦ـ٢٠٧.

[٣] «.. إن القرآن لم يقدر فقط لإصلاح أخلاق عرب الجاهلية،إنه على العكس يحمل الشريعة الخالدة والكاملة والمطابقة للحقائق البشرية، والحاجات الاجتماعية في كل الأزمنة»[١].

[٤] «.. يخلق الروح القرآني مناخ عيش ينتهي به الأمر إلى مناغمة التعبيرات الذهنية والمساواة بين العقليات والنظم الاجتماعية بأكثر مما تفترض التصريفات السياسية والطوابع الأيدلوجية؛ التي تستند إلى الدول. ولا يكفي قط ما يتردد عن درجة تأثير القرآن الكبرى في (الذهنية الإسلامية) المعاصرة، فهو ما يزال مصدر الإلهام الفردي والجماعي الرئيسي، كما أنه ملجأ المسلمين وملاذهم الأخير»[٢].

[٥] «.. [إن] الأدوات التي يوفرها التنزيل القرآني قادرة ولا ريب على بناء مجتمع حديث..»[٣].

بوتر[٤]

[١] «.. عندما أكملت القرآن الكريم غمرني شعور بأن هذا هو الحق؛ الذي يشتمل على الإجابات الشافية حول مسائل الخلق وغيرها. وأنه يقدم لنا الأحداث بطريقة منطقية نجدها متناقضة مع بعضها في غيره من الكتب الدينية. أما القرآن فيتحدث عنها في نسق رائع، وأسلوب قاطع، لا يدع مجالاً للشك بأن هذه هي الحقيقة، وأن هذا الكلام هو من عند الله لا محالة»[٥].

---

(١) نفسه، ص ١٠٩.
(٢) نفسه، ص ٣٤٣.
(٣) نفسه، ص ٣٤٥.
(٤) ديبورا بوتر D.Potter
ولدت عام ١٩٥٤، بمدينة ترافيرز، في ولاية متشيغان الأمريكية، وتخرجت من فرع الصحافة بجامعة متشيغان، اعتنقت الإسلام عام ١٩٨٠، بعد زواجها من أحد الدعاة الإسلاميين العاملين في أمريكا، بعد اقتناع عميق بأنه ليس ثمة من دين غير الإسلام يمكن أن يستجيب لمطالب الإنسان ذكراً كان أم أنثى.
(٥) رجال ونساء أسلموا، ٨/ ١٠٠.

٢ «.. إن المضمون الإلهي للقرآن الكريم هو المسؤول عن النهوض بالإنسان وهدايته إلى معرفة الخلق، هذه المعرفة التي تنطبق على كل عصر..»[١].

٣ «.. كيف استطاع الرسول محمد ﷺ الرجل الأمي الذي نشأ في بيئة جاهلية أن يعرف معجزات الكون التي وصفها القرآن الكريم، والتي لا يزال العلم الحديث حتى يومنا هذا يسعى لاكتشافها؟ لابد إذاً أن يكون هذا الكلام هو كلام الله عز وجل»[٢].

بوكاي[٣]

١ «لقد قمت أولاً بدراسة القرآن الكريم، وذلك دون أي فكر مسبق وبموضوعية تامة باحثاً عن درجة اتفاق نص القرآن ومعطيات العلم الحديث. وكنت أعرف، قبل هذه الدراسة، وعن طريق الترجمات، أن القرآن يذكر أنواعاً كثيرة من الظاهرات الطبيعية ولكن معرفتي كانت وجيزة. وبفضل الدراسة الواعية للنص العربي استطعت أن أحقق قائمة، أدركت بعد الانتهاء منها أن القرآن لا يحتوي على أية مقولة قابلة للنقد من وجهة نظر العلم في العصر الحديث، وبنفس الموضوعية قمت بنفس الفحص على العهد القديم والإنجيل. أما بالنسبة للعهد القديم فلم تكن هناك حاجة للذهاب إلى أبعد من الكتاب الأول، أي: سفر التكوين، فقد وجدت مقولات لا يمكن التوفيق بينها وبين أكثر معطيات العلم رسوخاً في عصرنا. وأما بالنسبة للأناجيل... فإننا نجد نص إنجيل متى يناقض بشكل جلي إنجيل لوقا Luc، وأن هذا الأخير يقدم لنا صراحة أمراً لا يتفق مع المعارف الحديثة الخاصة بقدم الإنسان على الأرض»[٤].

---

(١) نفسه، ٨/١١٣.

(٢) نفسه، ٨/١٠٩.

(٣) بوكاي M.Bucaille
الطبيب والعالم الفرنسي المعروف. كان كتابه (القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم) من أكثر المؤلفات التي عالجت موضوعاً كهذا، أصالة واستيعاباً وعمقاً. ويبدو أن عمله في هذا الكتاب القيم منحه قناعات مطلقة بصدق كتاب الله. وبالتالي صدق الدين الذي جاء به. دعي أكثر من مرة لحضور ملتقى الفكر الإسلامي الذي ينعقد في الجزائر صيف كل عام، وهناك أتيح له أن يطلع على الإسلام فكراً وحياة.

(٤) القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم، ص ١٣.

[٢] «لقد أثارت الجوانب العلمية التي يختص بها القرآن دهشتي العميقة في البداية، فلم أكن أعتقد قط بإمكانية اكتشاف عدد كبير إلى هذا الحد من الدعاوى الخاصة بموضوعات شديدة التنوع، ومطابقته تماماً للمعارف العلمية الحديثة، وذلك في نص كتب منذ أكثر من ثلاثة عشر قرناً. في البداية لم يكن لي أي إيمان بالإسلام. وقد طرقت دراسة هذه النصوص بروح متحررة من كل حكم مسبق وبموضوعية تامة..»[١].

[٣] «.. تناولت القرآن منتبهاً بشكل خاص إلى الوصف الذي يعطيه عن حشد كبير من الظاهرات الطبيعية. لقد أذهلتني دقة بعض التفاصيل الخاصة بهذه الظاهرات، وهي تفاصيل لا يمكن أن تدرك إلّا في النص الأصلي. أذهلتني مطابقتها للمفاهيم التي نملكها اليوم عن نفس هذه الظاهرات، والتي لم يكن ممكناً لأي إنسان في عصر محمد ﷺ أن يكون عنها أدنى فكرة..»[٢].

[٤] «.. كيف يمكن لإنسان ـ كان في بداية أمره أمياً ـ.. أن يصرح بحقائق ذات طابع علمي لم يكن في مقدور أي إنسان في ذلك العصر أن يكونها، وذلك دون أن يكشف تصريحه عن أقل خطأ من هذه الوجهة؟»[٣].

بيكارد[٤]

[١] «.. ابتعت نسخة من ترجمة سافاري (Savary) الفرنسية لمعاني القرآن وهي أغلى ما أملك، فلقيت من مطالعتها أعظم متعة، وابتهجت بها كثيراً حتى غدوت؛ وكأن شعاع الحقيقة الخالد قد أشرق علي بنوره المبارك»[٥].

---

(١) نفسه، ص ١٤٤.
(٢) نفسه، ص ١٤٥.
(٣) نفسه، ص ١٥٠.
(٤) وليم بيرشل بشير بيكارد W.B.Beckard
إنكليزي، تخرج من كانتر بوري. مؤلف وكاتب مشهور. ومن بين مؤلفاته الأدبية بالإنكليزية (مغامرات القاسم) و (عالم جديد). شارك في الحرب العالمية الأولى وأسر. عمل فترة من الوقت في أوغندا. أعلن إسلامه عام ١٩٢٢ م.
(٥) رجال ونساء أسلموا، ٢/ ٨٦.

حتي[1]

١ «إن الأسلوب القرآني مختلف عن غيره، ثم إنه لا يقبل المقارنة بأسلوب آخر، ولا يمكن أن يقلد. وهذا في أساسه، هو إعجاز القرآن.. فمن جميع المعجزات كان القرآن المعجزة الكبرى»[2].

٢ «.. إن إعجاز القرآن لم يحل دون أن يكون أثره ظاهراً على الأدب العربي. أما إذا نحن نظرنا إلى النسخة التي نقلت في عهد الملك جيمس من التوراة والإنجيل؛ وجدنا أن الأثر الذي تركته على اللغة الإنكليزية ضئيل، بالإضافة إلى الأثر الذي تركه القرآن على اللغة العربية. إن القرآن هو الذي حفظ اللغة العربية وصانها من أن تتمزق لهجات»[3].

حنا[4]

١ «إنه لا بد من الإقرار بأن القرآن، فضلاً عن كونه كتاب دين وتشريع، فهو أيضاً كتاب لغة عربية فصحى. وللغة القرآن الفضل الكبير في ازدهار اللغة، ولطالما يعود إليه آئمة اللغة، في بلاغة الكلمة وبيانها، سواء كان هؤلاء الأئمة مسلمين أم مسيحيين. وإذا كان المسلمون يعتبرون أن صوابية لغة القرآن هي نتيجة

---

(١) د. فيليب حتي P.Hitti
ولد عام ١٨٨٦م، لبناني الأصل، أمريكي الجنسية، تخرج من الجامعة الأمريكية في بيروت (١٩٠٨م)، ونال الدكتوراه من جامعة كولومبيا (١٩١٥م)، وعين معيداً في قسمها الشرقي (١٩١٥-١٩١٩)، وأستاذاً لتاريخ العرب في الجامعة الأمريكية ببيروت (١٩١٩-١٩٢٥)، وأستاذاً مساعداً للآداب السامية في جامعة برنستون (١٩٢٦ - ١٩٢٩م)، وأستاذاً ثم أستاذ كرسي ثم رئيساً لقسم اللغات والآداب الشرقية (١٩٢٩-١٩٥٤م) حين أحيل على التقاعد، انتخب عضواً في جمعيات ومجامع عديدة.
من آثاره: (أصول الدولة الإسلامية) (١٩١٦م)، (تاريخ العرب) (١٩٢٧م)، (تاريخ سورية ولبنان وفلسطين) (١٩١٥م)، (لبنان في التاريخ) (١٩١٦م)، وغيرها.

(٢) الإسلام منهج حياة، ص ٦٢.

(٣) نفسه، ص٢٨٧-٢٨٨.

(٤) د. جورج حنا G.Hanna (John)
مسيحي من لبنان، ينطلق في تفكيره من رؤية مادية طبيعية صرفة، كما هو واضح في كتابه المعروف (قصة الإنسان).

محتومة لكون القرآن منزلاً ولا تحتمل التخطئة، فالمسيحيون يعترفون أيضاً بهذه الصوابية، بقطع النظر عن كونه منزلاً أو موضوعاً، ويرجعون إليه للاستشهاد بلغته الصحيحة، كلما استعصى عليهم أمر من أمور اللغة»[١].

داود[٢]

[١] «.. تناولت نسخة من ترجمة معاني القرآن الكريم باللغة الإنجليزية؛ لأنني عرفت أن هذا هو الكتاب المقدس عند المسلمين، فشرعت في قراءته وتدبر معانيه. لقد استقطب جل اهتمامي، وكم كانت دهشتي عظيمة حين وجدت الإجابة المقنعة عن سؤالي المحير: [الهدف من الخلق] في الصفحات الأولى من القرآن الكريم.. لقد قرأت الآيات (٣٠ ـ ٣٩) من سورة البقرة.. وهي آيات توضح الحقيقة بجلاء لكل دارس منصف، إن هذه الآيات تخبرنا بكل وضوح وجلاء وبطريقة مقنعة عن قصة الخلق..»[٣].

[٢] «.. إن دراستي للقرآن الكريم وضحت أمام ناظري العديد من الإشكالات الفكرية، وصححت الكثير من التناقضات التي طالعتها في الكتب السماوية السابقة»[٤].

درمنغم[٥]

[١] «للمسيح [عليه السلام] في القرآن مقام عال، فولادته لم تكن عادية كولادة بقية الناس، وهو رسول الله الذي خاطب الله جهراً عن مقاصده، وحدث عن

(١) قصة الإنسان، ص ٧٩ـ٨٠.

(٢) عامر علي داود A.Ali David

ينحدر من أسرة برهمية، تنصرت على أيدي المبشرين الذين قدموا مع طلائع الاستعمار، كان كثير القراءة للكتب الدينية، ولما أتيح له أن يطلع على القرآن الكريم كان الجواب هو انتماءه للإسلام.

(٣) رجال ونساء أسلموا، ٧/١١٦ـ١١٨.

(٤) نفسه، ٧/١١٨.

(٥) إميل درمنغم E.Dermenghem

مستشرق فرنسي، عمل مديراً لمكتبة الجزائر، من آثاره: (حياة محمد) (باريس ١٩٢٩) وهو من أدق ما صنفه مستشرق عن النبي ﷺ، و(محمد والسنة الإسلامية) (باريس ١٩٥٥)، =

ذلك أول شخص كلمه، وهو كلمة الله الناطقة من غير اقتصار على الوحي وحده.. والقرآن يقصد النصرانية الصحيحة حينما يقول: إن عيسى [عليه السلام] كلمة الله، أو روح الله، ألقاها إلى مريم وأنه من البشر.. وهو يذم مذهب القائلين بألوهية المسيح [عليه السلام] ومذهب تقديم الخبز إلى مريم عبادة ثم أكله وما إلى ذلك من مذاهب الإلحاد النصرانية، لا النصرانية الصحيحة، ولا يسع النصراني إلّا أن يرضى بمهاجمة القرآن للثالوث المؤلف من الله وعيسى ومريم»[(١)].

٢ «سيكون القرآن حافزاً للجهاد يردده المؤمنون كما يردد غيرهم أناشيد الحرب، محرضاً على القتال جامعاً لشؤونه، محركاً لفاتري الهمم، فاضحاً للمخلفين مخزياً للمنافقين، واعداً الشهداء بجنات عدن»[(٢)].

٣ «كان محمد ﷺ يعد نفسه وسيلة لتبليغ الوحي، وكان مبلغ حرصه أن يكون أميناً مصغياً أو سجلاً صادقاً أو حاكياً معصوماً لما يسمعه من كلام الظل الساطع والصوت الصامت للكلام القديم على شكل دنيوي، لكلام الله الذي هو أم الكتاب، للكلام الذي تحفظه ملائكة كرام في السماء السابعة. ولا بد لكل نبي من دليل على رسالته، ولا بد له من معجزة يتحدى بها.. والقرآن هو معجزة محمد ﷺ الوحيدة، فأسلوبه المعجز وقوة أبحاثه لا تزال.. إلى يومنا يثيران ساكن من يتلونه، ولو لم يكونوا من الأتقياء العابدين، وكان محمد ﷺ يتحدى الإنس والجن بأن يأتوا بمثله، وكان هذا التحدي أقوم دليل لمحمد على صدق رسالته.. ولا ريب أن في كل آية منه، ولو أشارت إلى أدق حادثة في حياته الخاصة، تأتيه بما يهز الروح بأسرها من المعجزة العقلية، ولا ريب في أن هناك ما يجب أن يبحث به عن سر نفوذه، وعظيم نجاحه»[(٣)].

٤ «كان لمحمد ﷺ بالوحي آلام كبيرة.. وحالات مؤثرة كره أن يطلع الناس عليها، ولاحظ أبو بكر [رضي الله عنه] ذات يوم، والحزن ملء قلبه، بدء الشيب في لحية النبي ﷺ فقال له النبي: (شيبتي هود وأخواتها: الواقعة والحاقة والقارعة).

= ونشر عدداً من الأبحاث في المجلات الشهيرة مثل: (المجلة الإفريقية)، و(حوليات معهد الدراسات الشرقية)، و(نشرة الدراسات العربية) إلخ.

(١) حياة محمد، ص ١٣١-١٣٢

(٢) نفسه، ص ١٩٥.

(٣) نفسه، ص ٢٨٩-٢٨٠.

وكان النبي ﷺ يشعر بعد الوحي بثقل في رأسه فيطبه بالمراهم، وكان يدثر حين الوحي فيسمع له غطيط وأنين. وكان إذا نزل الوحي عليه يتخدر جبينه عرقاً في البرد»[١].

[٥] «كان محمد ﷺ، وهو البعيد من إنشاء القرآن وتأليفه ينتظر نزول الوحي إليه أحياناً على غير جدوى، فيألم من ذلك، ويود لو يأتيه الملك متواتراً»[٢].

دي كاستري[٣]

[١] «إن العقل يحار كيف يتأتى أن تصدر تلك الآيات عن رجل أمي، وقد اعترف الشرق قاطبة بأنها آيات يعجز فكر بني الإنسان عن الإتيان بمثلها لفظاً ومعنى. آيات لما سمعها عقبة بن ربيعة حار في جمالها، وكفى رفيع عبارتها لإقناع عمر بن الخطاب [رضي الله عنه] فآمن برب قائلها، وفاضت عين نجاشي الحبشة بالدموع لما تلا عليه جعفر بن أبي طالب سورة زكريا وما جاء في ولادة يحيى، وصاح القسس: إن هذا الكلام وارد من موارد كلام عيسى [عليه السلام]. . لكن نحن معشر الغربيين لا يسعنا أن نفقه معاني القرآن كما هي لمخالفته لأفكارنا ومغايرته لما ربيت عليه الأمم عندنا. غير أنه لا ينبغي أن يكون ذلك سبباً في معارضة تأثيره في عقول العرب. ولقد أصاب (جان جاك روسو) حيث يقول: (من الناس من يتعلم قليلاً من العربية ثم يقرأ القرآن ويضحك منه، ولو أنه سمع محمداً ﷺ يمليه على الناس بتلك اللغة الفصحى الرقيقة وصوته المشبع المقنع الذي يطرب الأذان، ويؤثر في القلوب. . لخر ساجداً على الأرض وناداه: أيها النبي رسول الله خذ بيدنا إلى مواقف الشرف والفخار أو مواقع التهلكة والأخطار، فنحن من أجلك نود الموت أو الانتصار). . وكيف يعقل أن النبي ﷺ ألف هذا الكتاب باللغة الفصحى مع أنها في الأزمان الوسطى كاللغة اللاتينية ما كان يعقلها إلّا القوم

(١) نفسه، ص ٢٨٣.
(٢) نفسه، ص ٢٨٥.
(٣) الكونت هنري دي كاستري (١٨٥٠-١٩٢٧) Cte. H. de Castries
مقدم في الجيش الفرنسي، قضى في الشمال الإفريقي ردحاً من الزمن. من آثاره: (مصادر غير منشورة عن تاريخ المغرب) (١٩٠٥)، (الأشراف السعديون) (١٩٢١)، (رحلة هولندي إلى المغرب) (١٩٢٦)، وغيرها.

العالمون.. ولو لم يكن في القرآن غير بهاء معانيه وجمال مبانيه لكفى بذلك أن يستولي على الأفكار، ويأخذ بمجامع القلوب..»[١].

٢ «أتى محمد ﷺ بالقرآن دليلاً على صدق رسالته، وهو لا يزال إلى يومنا هذا سراً من الأسرار التي تعذر فك طلاسمها، ولن يسبر غور هذا السر المكنون إلّا من يصدق بأنه منزل من الله»[٢].

٣ «.. قد نرى تشابهاً بين القرآن والتوراة في بعض المواضيع، إلّا أن سببه ميسور المعرفة.. إذا لاحظنا أن القرآن جاء ليتممها، كما أن النبي ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين»[٣].

دينيه[٤]

١ «لقد حقق القرآن معجزة لا تستطيع أعظم المجامع العلمية أن تقوم بها، ذلك أنه مكن للغة العربية في الأرض بحيث لو عاد أحد أصحاب رسول الله ﷺ إلينا اليوم لكان ميسوراً له أن يتفاهم تمام التفاهم مع المتعلمين من أهل اللغة العربية، بل لما وجد صعوبة تذكر للتخاطب مع الشعوب الناطقة بالضاد، وذلك عكس ما يجده مثلاً أحد معاصري (رابيليه) من أهل القرن الخامس عشر؛ الذي هو أقرب إلينا من عصر القرآن، من الصعوبة في مخاطبة العدد الأكبر من فرنسيي اليوم»[٥].

٢ «.. أحس المشركون، في دخيلة نفوسهم، أن قد غزا قلوبهم ذلك الكلام العجيب الصادر من أعماق قلب الرسول الملهم ﷺ، وكلهم كثيراً ما كانوا على وشك الخضوع لتلك الألفاظ الأخاذة التي ألهمها إيمان سماوي، ولم يمنعهم عن الإسلام إلّا قوة حبهم لأعراض الدنيا..»[٦].

---

(١) الإسلام: خواطر وسوانح، ص ١٨ـ٢٠.
(٢) نفسه، ص ٢٠.
(٣) نفسه، ص ٢٢ـ٢٣.
(٤) إتيين دينيه (١٨٦٠ـ ١٩٢٩) Et.Dinet
تعلم في فرنسا، وقصد الجزائر، فكان يقضي في بلدة بوسعادة نصف السنة من كل عام، وأشهر إسلامه وتسمى بناصر الدين (١٩٢٧)، وحج إلى بيت الله الحرام (١٩٢٨).
(٥) أشعة خاصة بنور الإسلام، ص ٣٥.
(٦) محمد رسول الله، ص ١٠٦.

[٣] «إن معجزة الأنبياء الذين سبقوا محمداً كانت في الواقع معجزات وقتية، وبالتالي معرضة للنسيان السريع. بينما نستطيع أن نسمي معجزة الآيات القرآنية: (المعجزة الخالدة) وذلك أن تأثيرها دائم ومفعولها مستمر، ومن اليسير على المؤمن في كل زمان وفي كل مكان أن يرى هذه المعجزة بمجرد تلاوة في كتاب الله، وفي هذه المعجزة نجد التعليل الشافي للانتشار الهائل الذي أحرزه الإسلام، ذلك الانتشار الذي لا يدرك سببه الأوربيون لأنهم يجهلون القرآن، أو لأنهم لا يعرفونه إلّا من خلال ترجمات لا تنبض بالحياة فضلاً عن أنها غير دقيقة»[١].

[٤] «إن كان سحر أسلوب القرآن وجمال معانيه، يحدث مثل هذا التأثير في [نفوس علماء] لا يمتون إلى العرب ولا إلى المسلمين بصلة، فماذا ترى أن يكون من قوة الحماس التي تستهوي عرب الحجاز وهم الذين نزلت الآيات بلغتهم الجميلة؟.. لقد كانوا لا يسمعون القرآن إلّا وتتملك نفوسهم انفعالات هائلة مباغتة، فيظلون في مكانهم وكأنهم قد سمروا فيه. أهذه الآيات الخارقة تأتي من محمد ﷺ ذلك الأمي الذي لم ينل حظاً من المعرفة؟.. كلا إن هذا القرآن لمستحيل أن يصدر عن محمد وأنه لا مناص من الاعتراف بأن الله العلي القدير هو الذي أملى تلك الآيات البينات..»[٢].

[٥] «لا عجب أن نرى النبي الأمي يتحدى الشعراء، ويعترف لهم بحق نعتهم له بالكذب، إن أتوا بعشر سور من مثله، فقد آمن بعجزهم عن ذلك»[٣].

ديورانت[٤]

[١] «.. ظل [القرآن] أربعة عشر قرناً من الزمان محفوظاً في ذاكرة [المسلمين] يستثير خيالهم، ويشكل أخلاقهم، ويشحذ قرائح مئات الملايين من الرجال.

(١) نفسه، ص ١١٨.
(٢) نفسه، ص ١١٩-١٢١.
(٣) نفسه، ص ٢٨٥.
(٤) ول ديورانت WA Durant
مؤلف أمريكي معاصر، يعد كتابه (قصة الحضارة) ذو الثلاثين مجلداً، واحداً من أشهر الكتب التي تؤرخ للحضارة البشرية عبر مساراتها المعقدة المتشابكة، عكف على تأليفه السنين الطوال، وأصدر جزأه الأول عام ١٩٣٥، ثم تلته بقية الأجزاء. ومن كتبه المعروفة كذلك (قصة الفلسفة).

والقرآن يبعث في النفوس أسهل العقائد، وأقلها غموضاً، وأبعدها عن التقيد بالمراسم والطقوس، وأكثرها تحرراً من الوثنية والكهنوتية. وقد كان له أكبر الفضل في رفع مستوى المسلمين الأخلاقي والثقافي، وهو الذي أقام فيهم قواعد النظام الاجتماعي والوحدة الاجتماعية، وحرضهم على اتباع القواعد الصحية، وحرر عقولهم من كثير من الخرافات والأوهام، ومن الظلم والقسوة، وحسن أحوال الأرقاء، وبعث في نفوس الأذلاء الكرامة والعزة، وأوجد بين المسلمين.. درجة من الاعتدال والبعد عن الشهوات لم يوجد لها نظير في أية بقعة من بقاع العالم يسكنها الرجل الأبيض..»[١].

روزنثال[٢]

١ «من الدوافع العلمية لدراسة التاريخ توفر المادة التاريخية في القرآن مما دفع مفسريه إلى البحث عن معلومات تاريخية لتفسير ما جاء فيه. وقد أصبح الاهتمام بالمادة التاريخية، على مر الزمن، أحد فروع المعرفة التي نمت بالارتباط بالقرآن. وإذا كان الرسول ﷺ قد سمع بعض الأخبار والمعلومات التاريخية، فإن هذا لا يبرر الافتراض بأنه قد قرأ المصادر التاريخية كالتوراة في ترجمتها العربية. لقد وردت في القرآن معلومات تاريخية تختلف عما يدعي اليهود وجوده في التوراة. وقد ذكر الرسول ﷺ أن اليهود والنصارى حرفوا التوراة، وتمسك المسلمون بما جاء في القرآن.. لقد أشار القرآن إلى كثير من الأحداث التي أحاطت بالرسول ﷺ.. وكان لذلك أهمية في التاريخ الإسلامي؛ لأن الأحداث التي أشارت إليها الآيات صارت لها أهمية تاريخية كبرى للمسلمين، واستثارت البحوث التاريخية..»[٣].

---

(١) قصة الحضارة، ص ١٣/٦٨ ـ ٦٩.

(٢) فرانز روزنثال f. Rosenthal
من أساتذة جامعة ييل، من آثاره: العديد من الدراسات والأبحاث في المجلات الشهيرة مثل (الثقافة الإسلامية)، (الشرقيات)، (صحيفة الجمعية الأمريكية الشرقية). كما ألف عدداً من الكتب أشهرها: (مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي)، و(علم التاريخ عند المسلمين).

(٣) علم التاريخ عند المسلمين، ص ٤١-٤٢.

ريسلر[١]

[١] «.. لما كانت روعة القرآن في أسلوبه فقد [أنزل] ليقرأ ويتلى بصوت عال. ولا تستطيع أية ترجمة أن تعبر عن فروقه الدقيقة المشبعة بالحساسية الشرقية، ويجب أن تقرأه في لغته التي كتب بها لتتمكن من تذوق جمله وقوته وسمو صياغته. ويخلق نثره الموسيقي والمسجوع سحراً مؤثراً في النفس، حيث تزخر الأفكار قوة وتتوهج الصور نضارة. فلا يستطيع أحد أن ينكر أن سلطانه السحري وسموه الروحي يسهمان في أشعارنا بأن محمداً ﷺ كان ملهماً بجلال الله وعظمته»[٢].

[٢] «كان في القرآن فوق أنه كتاب ديني خلاصة جميع المعارف.. وظل زمناً طويلاً أول كتاب يتخذ للقراءة إلى الوقت الذي شكل فيه وحده كتاب المعرفة والتربية. ولا يزال حتى اليوم النص الذي تقوم عليه أسس التعليم في الجامعات الإسلامية. ولا تستطيع الترجمات أن تنقل ثروته اللغوية (إذ يذبل جمال اللغة في الترجمات كأنها زهرة قطفت من جذورها) ولذلك يجب أن يقرأ القرآن في نصه الأصلي»[٣].

[٣] «إن القرآن يجد الحلول لجميع القضايا، ويربط ما بين القانون الديني والقانون الأخلاقي، ويسعى إلى خلق النظام، والوحدة الاجتماعية، وإلى تخفيف البؤس والقسوة والخرافات. إنه يسعى إلى الأخذ بيد المستضعفين، ويوصي بالبر، ويأمر بالرحمة.. وفي مادة التشريع وضع قواعد لأدق التفاصيل للتعاون اليومي، ونظم العقود والمواريث، وفي ميدان الأسرة حدد سلوك كل فرد تجاه معاملة الأطفال والأرقاء والحيوانات والصحة والملبس، إلخ..»[٤].

[٤] «حقاً، لقد ظلت شريعة القرآن راسخة على أنها المبدأ الأساسي لحياة المسلم، ولم يتعرض ما جاء في القرآن من نظر وأخلاق ونظام لأية تغييرات، ولا لتبديلات بعيدة الغور»[٥].

---

(١) جاك. س. ريسلر J.S.Restler
باحث فرنسي معاصر، وأستاذ بالمعهد الإسلامي بباريس.
(٢) الحضارة العربية، ص ٣٠ـ٣١.
(٣) نفسه، ص ٤٥.
(٤) نفسه، ص ٥١.
(٥) نفسه، ص ٧٥.

٥ «يظل القرآن طيلة القرون الأولى للهجرة من جهة المبدأ مصدر الإلهام لكل العقلية الإسلامية؛ فهو يضم بين أطرافه الأفكار والأحاسيس الضرورية والكافية لتزويد أعظم الدراسات في الفكر»[١].

سارتون[٢]

١ «[إن] لغة القرآن على اعتبار أنها اللغة التي اختارها الله جل وعلا للوحي كانت بهذا التحديد، كاملة. . . وهكذا يساعد القرآن على رفع اللغة العربية إلى مقام المثل الأعلى في التعبير عن مقاصده. . [وجعل منها] وسيلة دولية للتعبير عن أسمى مقتضيات الحياة»[٣].

ستشيجفسكا[٤]

١ «إن القرآن الكريم مع أنه أنزل على رجل عربي أمي نشأ في أمة أمية، فقد جاء بقوانين لا يمكن أن يتعلمها الإنسان إلّا في أرقى الجامعات. كما نجد في القرآن حقائق علمية لم يعرفها العالم إلّا بعد قرون طويلة»[٥].

---

(١) نفسه، ص٢١٢.

(٢) جورج سارتون G. Sarton
ولد في بلجيكا، وحصل على الدكتوراه في العلوم الطبيعية والرياضية (١٩١١)، فلما نشبت الحرب رحل إلى إنكلترا، ثم تحول عنها إلى الولايات المتحدة، وتجنس بجنسيتها، فعين محاضراً في تاريخ العلم بجامعة واشنطن (١٩١٦)، ثم في جامعة هارفرد (١٩١٧ ـ ١٩٤٩). وقد انكب على دراسة اللغة العربية في الجامعة الأمريكية ببيروت (١٩١٣ـ١٩٣٢) وألقى فيها وفي كلية المقاصد الإسلامية محاضرات ممتعة لتبيان فضل العرب على التفكير الإنساني، زار عدداً من البلدان العربية، وتمرس بالعديد من اللغات، ومنح عدة شهادات دكتوراه كما انتخب عضواً في عشرة مجامع علمية وفي عديد من الجمعيات العالمية، وأشرف على عدد من المجلات العلمية، من آثاره: خلف أكثر من خمسمئة بحث، وخير تصانيفه وأجمعها: (المدخل إلى تاريخ العلم) في خمسة مجلدات (١٩٢٧، ١٩٣١، ١٩٤٧)

(٣) الثقافة الغربية، ص ٣٧ ـ ٣٨.

(٤) يوجينا غيانة ستشيجفاسكا Bozena Gajana Stryzewska
باحثة بولونية معاصرة، درست الإسلام في الأزهر على يد أساتذة ومشرفين اختصاصيين زهاء خمس سنوات (١٩٦١ـ١٩٦٥)، تمكنت خلالها من اللغة العربية كذلك، وكانت قد أنهت دراستها العليا في كلية الحقوق وفي معهد اللغات الشرقية في بولونيا.

(٥) تاريخ الدولة الإسلامية وتشريعها، ص ١٧.

ستيفنز[١]

[١] «في تلك الفترة من حياتي بدا لي وكأنني فعلت كل شيء وحققت لنفسي النجاح والشهرة والمال والنساء. . كل شيء، ولكن كنت مثل القرد أقفز من شجرة إلى أخرى، ولم أكن قانعاً أبداً. ولكن كانت قراءة القرآن بمثابة توكيد لكل شيء بداخلي كنت أراه حقاً، وكان الوضع مثل مواجهة شخصيتي الحقيقية»[٢].

[٢] «القرآن الكريم يقرر الكثير عن الزواج، وعن العلاقة بين الرجل والمرأة، وعن أي موضوع آخر تقريباً»[٣].

سلهب[٤]

[١] «إن الآية التي أستطيب ذكرها هي التي تنبع سماحاً إذ تقول: «﴿۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٦]»[٥]. ذلك ما يقوله المسلمون للمسيحيين وما يؤمنون به لأنه كلام الله إليهم. إنها لعبارات يجدر بنا جميعاً مسيحيين ومسلمين، أن نرددها كل يوم، فهي حجارة الأساس في بناء نريده أن يتعالى حتى السماء؛ لأنه البناء الذي فيه نلتقي، والذي

(١) كات ستيفنز G. Stephens
المغني البريطاني ـ نمساوي الأصل ـ المشهور. بيع من أسطواناته ما يقدر بالمليون في الستينات وأوائل السبعينيات، اعتنق الإسلام عام ١٩٧٦، بعد أن تعرف على القرآن الكريم بواسطة شقيقه. يقضي الآن معظم وقته في المسجد، ويلعب دوراً فعالاً في شؤون الجالية الإسلامية في لندن.

(٢) رجال ونساء أسلموا، ١٠/١٠٣.

(٣) نفسه، ١٠/١٠٣.

(٤) نصري سلهب N. Salhab
مسيحي من لبنان، يتميز بنظرته الموضوعية وتحريه للحقيقة المجردة، كما عرف بنشاطه الدؤوب لتحقيق التعايش السلمي بين الإسلام والمسيحية في لبنان، ـ كما يزعم ـ إن على مستوى الفكر أو على مستوى الواقع. وعبر الستينيات كتب العديد من الفصول، وألقى العديد من المحاضرات في المناسبات الإسلامية والمسيحية على السواء، متوخياً الهدف نفسه.
من مؤلفاته (لقاء المسيحية و الإسلام) (١٩٧٠)، و(في خطى محمد) (١٩٧٠).

(٥) لقاء المسيحية و الإسلام، ص ٢٢.

فيه نلقى الله: فحيث تكون المحبة يكون الله. والواقع أن القرآن يذكر صراحة أن الكتب المنزلة واحدة، وأن أصلها عند الله، وهذا الأصل يدعى حيناً (أم الكتاب) وحيناً آخر (اللوح المحفوظ) أو (الإمام المبين). . »[١].

٢ «. . إن محمداً ﷺ كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب. فإذا بهذا الأمي يهدي الإنسانية أبلغ أثر مكتوب حلمت به الإنسانية منذ كانت الإنسانية ذاك كان القرآن الكريم، الكتاب الذي أنزله الله على رسوله هدى للمتقين. . »[٢].

٣ «. . الإسلام ليس بحاجة إلى قلمنا، مهما بلغ قلمنا من بلاغة. ولكن قلمنا بحاجة إلى الإسلام، إلى ما ينطوي عليه من ثورة روحية وأخلاقية، إلى قرآنه الرائع الذي بوسعنا أن نتعلم منه الكثير»[٣].

٤ «لم يقدر لأي سفر، قبل الطباعة، أياً كان نوعه وأهميته، أن يحظى بما حظي به القرآن من عناية واهتمام، وأن يتوفر له ما توفر للقرآن من وسائل حفظته من الضياع والتحريف، وصانته عما يمكن أن يشوب الأسفار عادة من شوائب»[٤].

٥ «تلك اللغة التي أرادها الله قمة اللغات، كان القرآن قمتها، فهو قمة القمم، ذلك بأنه كلام الله. . » [٥].

سوسة[٦]

١ «يرجع ميلي إلى الإسلام. . حينما شرعت في مطالعة القرآن الكريم للمرة الأولى. . فولعت به ولعاً شديداً. . وكنت أطرب لتلاوة آياته. . »[٧].

---

(١) نفسه، ص ٩٤.
(٢) نفسه، ص ١٢١.
(٣) نفسه، ص ٣٣٧.
(٤) نفسه، ص ٣٤٢.
(٥) نفسه، ص ٣٤٥.
(٦) د. أحمد نسيم سوسة Dr. A. N. Sousa
باحث مهندس من العراق، وعضو في المجمع العلمي العراقي، وواحد من أبرز المختصين بتاريخ الري في العراق، كان يهودياً فاعتنق الإسلام متأثراً بالقرآن الكريم، وتوفي قبل سنوات قلائل.
ترك الكثير من الدراسات في مختلف المجالات وخاصة في تاريخ الري، وفند في عدد منها ادعاءات الصهيونية العالمية من الناحية التاريخية، ومن مؤلفاته الشهيرة: (مفصل العرب واليهود في التاريخ)، و (في طريقي إلى الإسلام) الذي تحدث فيه عن سيرة حياته.
(٧) في طريقي إلى الإسلام، ١/ ٥١.

[٢] «.. الواقع أن تحوير وتبديل مصاحف اليهود أمر أجمع عليه العلماء في عصرنا الحالي نتيجة الدرس والتنقيب، وقد جاء ذلك تأييداً علمياً للأقوال الربانية التي أوحيت قبل نيف وثلاثة عشر قرناً على لسان النبي العربي الكريم ﷺ. أما الفرقان المجيد.. فقد حافظ المسلمون عليه بحرص شديد وأمانة صادقة فهو حقاً الكتاب المقدس الفريد الذي أجمع الكل على سلامته وطهارته من التلاعب والتحوير، وما على القارئ إلّا أن يطالع ما كتبه المستشرقون في هذا الباب.. الذين وصفوا كيفية جمعه وتدوينه، وهؤلاء أجانب غرباء كثيراً ما يصوبون أسهمهم الناقدة السامة نحو الإسلام، والواقع أن الدلائل التاريخية واضحة بأجلى وضوح مما لا يترك أي شك في أن الفرقان الكريم لم يطرأ عليه أي تحريف أو تحوير، وقد جاء كلام الله بكامله على لسان نبيه ﷺ دون أن يتغير فيه حرف واحد»[١].

[٣] «ورد في القرآن أنه جاء مهيمناً على ما بين يديه من الكتاب، ويستدل من ذلك أن التعاليم الإلهية المقدسة الأصلية قد ضمن القرآن المحافظة عليها بما أوضحه من الحقيقة بإظهار الصحيح والدخيل في الكتب الرائجة في زمان نزوله، وعليه فيكون بهذا البيان والإيضاح قد جاء خير مهيمن على كتب الله الحقيقية وخير حافظ إياها من التلاعب»[٢].

[٤] «الواقع أنه يتعذر على المرء الذي لم يتقن اللغة العربية ولم يضطلع بآدابها أن يدرك مكانة هذا الفرقان الإلهي، وسموه وما يتضمنه من المعجزات المبهرة، ولما كان القرآن الكريم قد تناول كل أنواع التفكير والتشريع فقد يكون من العسير على إنسان واحد أن يحكم في هذه المواضيع كلها. وهل من مناص للمرء من الانجذاب إلى معجزة القرآن بعد تمعنه في أمية نبي الإسلام، ووقوفه على أسرار حياة الرسول ﷺ.. فقد جعل الله تعالى معجزة القرآن وأمية محمد ﷺ برهاناً على صدق النبوة، وصحة انتساب القرآن له..» [٣].

[٥] «إن معجزة القرآن الكريم هي أكثر بروزاً في عصرنا الحالي، عصر النور والعلم مما كانت عليه في الأزمنة التي سادها الجهل والخمول..» [٤].

---

(١) نفسه، ١/ ٨٦.
(٢) نفسه، ١/ ٨٧.
(٣) نفسه، ١/ ١٨٢-١٨٣.
(٤) نفسه، ١/ ١٨٥.

سيديو[١]

١ «لا توجد في القرآن آية إلّا توحي بمحبة شديدة لله.. وفيه حث كبير على الفضيلة خلا تلك القواعد الخاصة بالسلوك الخلقي.. وفيه دعوة كبيرة إلى تبادل العواطف، وحسن المقاصد، والصفح عن الشتائم، وفيه مقت للعجب والغضب، وفيه إشارة إلى أن الذنب قد يكون بالفكر والنظر، وفيه حض على الإيفاء بالعهود حتى مع الكافرين، وتحريض على خفض الجناح والتواضع، وعلى استغفار الناس لمن يسيئون إليهم، لا لعنهم، ويكفي جميع تلك الأقوال الجامعة المملوءة حكمة ورشداً لإثبات صفاء قواعد الأخلاق في القرآن.. إنه أبصر كل شيء..»[٢].

٢ «.. صلح القرآن ليكون نموذجاً للأسلوب وقواعد النحو.. فأوجب ذلك نشوء علم اللغة، فظهور علم البيان الذي درس فيه تركيب الكلام ومقتضى الحال والبديع وأوجه البلاغة، وأضحى لصناعة قراءة القرآن وتفسيره أكثر من مئة فرع، فأدى هذا إلى مالا حصر له من التأليف في كل منها، واغتنت اللغة العربية بتعابير جديدة كثيرة بعيدة من الفساد بمخالطة اللغات الأخرى..»[٣].

٣ «مما يجدر ذكره أن يكون القرآن، بين مختلف اللغات التي يتكلم بها مختلف الشعوب الإسلامية في آسيا حتى الهند، وفي إفريقية حتى السودان، كتاباً يفهمه الجميع، وأن يربط القرآن هذه الشعوب المتباينة الطبائع برباط اللغة والمشاعر..»[٤].

---

(١) لويس سيديو (١٨٠٨-١٨٧٦) L.Sedillot
مستشرق فرنسي عكف على نشر مؤلفات أبيه جان جاك سيديو الذي توفي عام ١٨٣٢ قبل أن تتاح له فرصة إخراج كافة أعماله في تاريخ العلوم الإسلامية. وقد عين لويس أميناً لمدرسة اللغات الشرقية (١٨٣١) وصنف كتاباً بعنوان (خلاصة تاريخ العرب) فضلاً عن (تاريخ العرب العام)، كتب العديد من الأبحاث والدراسات في المجلات المعروفة.

(٢) تاريخ العرب العام، ص ٨٩، ٩٨-٩٩، ١٠٠، ١١٧.

(٣) نفسه، ص ٤٥٨.

(٤) نفسه، ص ٤٥٨. هنري سيرويا HÁ Serouya

سيرويا[١]

١ «.. القرآن وحي من الله لا يدانيه أسلوب البشر، وهو في الوقت عينه، (ثورة عقيدية)، هذه الثورة العقيدية لا تعترف ـ لا بالبابا ولا أي مجمع لعلماء الكهنوت والقساوسة، حيث لم يشعر الإسلام يوماً بالخشية والهلع من قيام مبدأ التحكيم العقلي الفلسفي. فإذا قارنا الإسلام باليهودية والمسيحية نجد بعض الخطوط المميزة، والتي لا تبدو مطابقة تماماً خاصة مع المسيحية.. فالنظام المسيحي اليهودي يخالف الإسلام حيث لا يوجد فراغ بين الخالق والخلق البشري، هذا الفراغ لدى اليهود والمسيحيين مليء بالوساطة.. ولا شيء من هذا يتفق مع الإسلام. فمحمد ﷺ مع كونه مبعوثاً ورسولاً من لدن الله لم يتظاهر بإنكار دعوات كل من موسى وعيسى، كل مجهوده انحصر في تنقيتهما على ما جاء في القرآن، الذي وضع في العام الأول مهاجمة مبدأ الثلاثة منبها إلى أن عيسى ليس سوى رجل ابن مريم وليس بابن الله والقول بأن الله له ولد، هذا شرك كبير تنشق له السماء، وتنفتح له الأرض، وتنسحق له الجبال. أما روح القدس فما هو إلّا بمثلبة ملاك مثل جبريل دوره هو أن ينقل إلى عيسى ومحمد ﷺ الدعوة المقدسة، أما مريم فهي مريم العذراء وليست بأم الله..»[٢]

شاد[٣]

١ «.. عندما آمنت بالتوحيد بدأت أبحث عن الحجج والبراهين التي تثبت أن القرآن هو كتاب الله تعالى، وأنه آخر الكتب السماوية وخاتمها. وإنني أحمد

---

(١) من آثاره: (موسى بن ميمون: ترجمة وآثار وفلسفة)(١٩٢١)، (الصوفية والمسيحية واليهود)، (فلسفة الفكر الإسلامي).

(٢) فلسفة الفكر الإسلامي، ص ٣٢ـ٣٣.

(٣) بشير أحمد شاد Basheer A. Shed

ولد عام ١٩٢٨، لأسرة نصرانية هندية بقرية ديان جالو الهندية، كان أبوه ماتياس مبشراً نصرانياً، ولذا حرص على تنشئة ابنه على ذات الطريقة، في عام ١٩٤٧ أكمل دراسته وبدأ العمل مبشراً في لاهور، لكنه مثل كثيرين غيره ما لبث أن فقد قناعاته ـ كلية ـ بالنصرانية، وانتهى به الأمر بعد عشرين سنة من البحث والمعاناة إلى إعلان إسلامه، (حزيران عام ١٩٦٨).

الله إذ مكنني من حل هذه المسألة. القرآن الكريم هو الكتاب الوحيد الذي يعترف بكافة الكتب السماوية الأخرى، بينما نجد أنها جميعاً يرفض بعضها بعضاً.. وهذه في الحقيقة هي إحدى خصائص ومميزات القرآن الكريم، آخر الكتب السماوية وخاتمها..»[1].

٢ «.. إن القرآن الكريم هو الكتاب السماوي الوحيد الذي يحفظه عن ظهر قلب ألوف مؤلفة من البشر في مختلف بقاع الأرض، بينما نجد أن الكتب المقدسة الأخرى محفوظة بالخط المطبوع فقط. ومن هنا لو حدث لسبب أو لآخر أن اختلفت الكتب المطبوعة يظل القرآن هو كتاب الله الوحيد المحفوظ في الصدور. وهكذا يحق له أن يتباهى بأنه ظل في مأمن من التحريف لم ينقص منه حرف واحد ولم يزد فيه حرف واحد منذ أن نزل به الوحي على رسول الله ﷺ. فليست هناك أية تناقضات ولا أخطاء من أي نوع في القرآن الكريم، هذا في الوقت الذي تعاني فيه الكتب السماوية الأخرى في نسختها الحالية من الكثير من التغيير والتبديل. هذا سبب آخر جعلني أؤمن بالإسلام»[2].

فاغليري[3]

١ «إن معجزة الإسلام العظمى هي القرآن الذي تنقل إلينا الرواية الراسخة غير المنقطعة، من خلاله، أنباء تتصف بيقين مطلق، أنه كتاب لا سبيل إلى محاكاته. إن كلاً من تعبيراته شامل جامع، ومع ذلك فهو ذو حجم مناسب، ليس بالطويل أكثر مما ينبغي، وليس بالقصير أكثر مما ينبغي. أما أسلوبه فأصيل فريد. وليس ثمة أيما نمط لهذا الأسلوب في الأدب العربي تحدر إلينا من العصور التي

(١) رجال ونساء أسلموا، ٧/١٩-٢٠.

(٢) نفسه، ٧/ ٢٠.

(٣) لورا فيشيا فاغليري L. Veccla Vaglleri
باحثة إيطالية معاصرة، انصرفت إلى التاريخ الإسلامي قديماً وحديثاً، وإلى فقه العربية وآدابها.
من آثارها: (قواعد العربية) في جزءين (١٩٣٧-١٩٤١)، و (الإسلام) (١٩٤٦)، و(دفاع عن الإسلام) (١٩٥٢)، والعديد من الدراسات في المجلات الاستشراقية المعروفة.

سبقته. والأثر الذي يحدثه في النفس البشرية إنما يتم من غير أيما عون عرضي أو إضافي من خلال سموه السليقي. إن آياته كلها على مستوى واحد من البلاغة، حتى عندما تعالج موضوعات لابد أن تؤثر في نفسها وجرسها كموضوع الوصايا والنواهي وما إليها. إنه يكرر قصص الأنبياء [عليهم السلام] وأوصاف بدء العالم ونهايته، وصفات الله وتفسيرها، ولكن يكررها على نحو مثير إلى درجة لا تضعف من أثرها. وهو ينتقل من موضوع إلى موضوع من غير أن يفقد قوته. إننا نقع هنا على العمق والعذوبة معاً ـ وهما صفتان لا تجتمعان عادة ـ حيث تجد كل صورة بلاغية تطبيقاً كاملاً، فكيف يمكن أن يكون هذا الكتاب المعجز من عمل محمد ﷺ، وهو العربي الأمي الذي لم ينظم طوال حياته غير بيتين أو ثلاثة أبيات لا ينم أي منها عن أدنى موهبة شعرية؟»[1].

٢ «لا يزال لدينا برهان آخر على مصدر القرآن الإلهي في هذه الحقيقة: وهي أن نصه ظل صافياً غير محرف طوال القرون التي تراخت ما بين تنزيله ويوم الناس هذا، وأن نصه سوف يظل على حاله تلك من الصفاء وعدم التحريف، بإذن الله، ما دام الكون»[2].

٣ «إن هذا الكتاب، الذي يتلى كل يوم في طول العالم الإسلامي وعرضه، لا يوقع في نفس المؤمن أيما حس بالملل. على العكس، إنه من طريق التلاوة المكررة يحبب نفسه إلى المؤمن أكثر يوما بعد يوم. إنه يوقع في نفس من يتلوه أو يصغي إليه حساً عميقاً من المهابة والخشية. إن في إمكان المرء أن يستظهره في غير عسر، حتى إننا لنجد اليوم، على الرغم من انحسار موجة الإيمان، آلافاً من الناس القادرين على ترديده عن ظهر قلب. وفي مصر وحدها عدد من الحفاظ أكثر من عدد القادرين على تلاوة الإنجيل عن ظهر قلب في أوروبة كلها»[3].

٤ «إن انتشار الإسلام السريع لم يتم لا عن طريق القوة ولا بجهود المبشرين الموصولة. إن الذي أدى إلى ذلك الانتشار كون الكتاب الذي قدمه

(١) دفاع عن الإسلام، ص ٥٦ـ٥٧.
(٢) نفسه، ص ٥٨ـ ٥٩.
(٣) نفسه، ص ٥٩.

المسلمون للشعوب المغلوبة، مع تخييرها بين قبوله ورفضه، كتاب الله، كلمة الحق، أعظم معجزة كان في ميسور محمد ﷺ أن يقدمها إلى المترددين في هذه الأرض»[١].

٥ «فيما يتصل بخلق الكون فإن القرآن على الرغم من إشارته إلى الحالة الأصلية وإلى أصل العالم.. لا يقيم أيما حد مهما يكن في وجه قوى العقل البشري، ولكنه يتركها طليقة تتخذ السبيل الذي تريد..»[٢].

فايس[٣]

١ «هكذا، بإلماح إلى وعي الإنسان وعقله ومعرفته بدأ تنزيل القرآن..»[٤].

٢ «أصبحت أليسا (زوجتي)، شأني أنا، أكثر تأثراً مع الوقت بذلك الالتئام الباطني بين تعاليم [القرآن] الأخلاقية وتوجيهاته العملية. إن الله بمقتضى القرآن، لم يطلب خضوعاً أعمى من جانب الإنسان، بل خاطب عقله: إنه لا يقف بعيداً عن مصير الإنسان، بل إنه (أقرب إليك من حبل الوريد) إنه لم يرسم أي خط فاصل بين الإيمان والسلوك الاجتماعي»[٥].

٣ «.. لقد عرفت الآن، بصورة لا تقبل الجدل، أن الكتاب الذي كنت ممسكاً به في يدي كان كتاباً موحى به من الله. فبالرغم من أنه وضع بين يدي الإنسان منذ أكثر من ثلاثة عشر قرناً فإنه توقع بوضوح شيئاً لم يكن بالإمكان أن

---

(١) نفسه، ص ٥٩.
(٢) نفسه، ص ٦٠.
(٣) ليوبولد فايس (محمد أسد) L. Weiss
مفكر، وصحفي نمساوي، أشهر إسلامه، وتسمى بمحمد أسد، وحكى في كتابه القيم (الطريق إلى مكة) تفاصيل رحلته إلى الإسلام. وقد أنشأ بمعاونة وليم بكتول؛ الذي أسلم هو الآخر، مجلة (الثقافة الإسلامية)، في حيدر أباد، الدكن (١٩٢٧) وكتب فيها دراسات وفيرة معظمها في تصحيح أخطاء المستشرقين عن الإسلام.
من آثاره: ترجم صحيح البخاري بتعليق وفهرس، وألف (أصول الفقه الإسلامي)، و(الطريق إلى مكة) و (منهاج الإسلام في الحكم)، و(الإسلام على مفترق الطرق).
(٤) الطريق إلى مكة، ص ٣٠٣.
(٥) نفسه، ص ٣١٨.

يصبح حقيقة إلّا في عصرنا هذا المعقد، الآلي. لقد عرف الناس التكاثر في جميع العصور والأزمنة، ولكن هذا التكاثر لم ينته قط من قبل إلى أن يكون مجرد اشتياق إلى امتلاك الأشياء، وإلى أن يصبح ملهاة حجبت رؤية أيما شيء آخر. . اليوم أكثر من أمس وغداً أكثر من اليوم. . لقد عرفت أن هذا[١] لم يكن مجرد حكمة إنسانية من إنسان عاش في الماضي البعيد في جزيرة العرب النائية، فمهما كان هذا الإنسان على مثل هذا القدر من الحكمة؛ فإنه لم يكن يستطيع وحده أن يتنبأ بالعذاب الذي يتميز به هذا القرن العشرون. لقد كان ينطق لي، من القرآن، صوت أعظم من صوت محمد»[٢].

فيشر[٣]

١ «إن القرآن كلام الله يشد فؤاد المسلم، وتزداد روعته حين يتلى عليه بصوت مسموع، لكنه لا يفهم هذه الروعة كما يفهمها زملاؤه الذين سبقوه إلى الاعتراف ببلاغة القرآن، اعتماداً على أثره البليغ في قلوب قرائه وسامعيه، ثم يقفون عند تقرير هذه البلاغة بشهادة السماع»[٤]

٢ «. . إن القرآن كتاب تربية وتثقيف، وليس كل ما فيه كلام عن الفرائض والشعائر، وإن الفضائل التي يحث عليها المسلمين من أجمل الفضائل وأرجحها في موازين الأخلاق، تتجلى هداية الكتاب في نواهيه كما تتجلى في أوامره. . »[٥].

---

(١) يشير إلى سورة التكاثر التي أخبرت بإعجاز عن أزمة القرن العشرين.

(٢) نفسه، ص ٣٢٨-٣٢٩.

(٣) د. سدني فيشر DrÁ Sydney fisher

أستاذ التاريخ في جامعة أوهايو الأمريكية، وصاحب الدراسات المتعددة في شؤون البلاد الشرقية التي يدين الأكثرون من أبنائها بالإسلام. مؤلف كتاب (الشرق الأوسط في العصر الإسلامي) والذي يناقش فيه العوامل الفعالة التي يرجع إليها تطور الشعوب والحوادث في هذه البلاد وأولها الإسلام.

(٤) الشرق الأوسط في العصر الإسلامي، عن العقاد: ما يقال عن الإسلام، ص ٥٤.

(٥) نفسه، ص ٥٤.

جب[١]

١ «إذا رأى أحد أن إلحاح القرآن على فعل الخير غير كثير أثبتنا له بالحجة القاطعة خطأه، وسقنا إليه ذلك التعريف الشامل للبر في تلك الآية العظيمة ﴿۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧]. فالبر إذاً تاج الإيمان الحق، حين يدرك المؤمن أخيراً أن الله شاهد أبداً، ويستجيب لشهوده في كل أفكاره وأعماله»[٢].

٢ «هذه، إذاً، هي الرسالة التي بلغها القرآن إلى الجيل الأول من المسلمين، وظل يبلغها إلى جميع الأجيال منذ عندئذ. فالقرآن سجل لتجربة حية مباشرة في ميدان الألوهية، تجربة ذات طرفين: واحد مطلق وآخر متصل بشؤون الحياة العامة، ودعوة للمخلوق كي ينظم حياته ليتمكن من الأخذ بنصيب في تلك التجربة. وحين يتبع المسلم أوامر القرآن ويسعى ليستكنه روح تعاليمه، لا بفكره فحسب بل بقلبه وروحه أيضاً، فإنه يحاول أن يستملك شيئاً من الرؤى الحدسية ومن التجربة التي كانت للرسول الحبيب. ويعظم في عينيه مغزى كل آية فيه، لإيمانه بأنه كلام الله. ولو لم يكن هذا الإيمان شعبة من عقيدته لما تناقصت قيمته لديه من حيث هو منبع للإلهام، والاستبصار الديني»[٣].

---

(١) سير هاملتون الكسندر روسكين جب ١٨٩٥-١٩٦٧ Prof. Sir Hamilton A.R.Gibb
يعد إمام المستشرقين الإنكليز المعاصرين، أستاذ اللغة العربية في جامعة لندن سنة ١٩٣٠، وأستاذ في جامعة أكسفورد منذ سنة ١٩٣٧، وعضو مؤسس في المجمع العلمي المصري، تفرغ للأدب العربي، وحاضر بمدرسة المشرقيات بلندن.
من آثاره: (دراسات في الآداب العصرية)(١٩٢٦)، (الفتوحات الإسلامية في آسيا الوسطى وعلاقتها ببلاد الصين)، (رحلات ابن بطوطة)، (اتجاهات الإسلام المعاصرة)، وهو أحد محرري دائرة المعارف الإسلامية.

(٢) دراسات في حضارة الإسلام، ص ٢٥٤.

(٣) نفسه، ص ٢٥٤.

٣ «مهما يكن أمر استمداد الإسلام من الأديان التي سبقته؛ فذلك لا يغير هذه الحقيقة أيضاً، وهي: أن المواقف الدينية التي عبر عنها القرآن، ونقلها إلى الناس تشمل بناء دينياً جديداً متميزاً»[١].

٤ «.. على الرغم مما قام به العلماء المتأخرون من تطوير لعلم كلام إسلامي منهجي، يبقى صحيحاً ما ذكرناه سابقاً وهو: أن جمهور الجماعة الإسلامية كان يتألف من شعوب أحدثت لديها ممارسة حقائق الدين ممارسة حدسية أثراً أقوى وأسرع من كل أثر خلفه أي قدر من الجدل العقلي، أو من حذاقته وبراعته»[٢].

٥ «إننا نخطئ خطأ فاحشاً إذا اقتصرنا على النظر إلى هذه العقيدة نظرتنا لمذهب لاهوتي أتقن بشكل وراثي من جيل إلى جيل منذ ألف وثلاثمئة سنة، إنها على العكس من ذلك يقين وإيمان حي يتجدد، ويتأكد باستمرار في قلوب المسلمين وأرواحهم وأفكارهم، ولدى العربي بشكل خاص، حين يدرس النص المقدس. لقد عارض المذهب السني المتمسك بشكل عام ترجمة القرآن إلى اللغات الإسلامية الأخرى، على الرغم من أن النص العربي يظهر في بعض الأحيان مقترناً بترجمة تركية أو فارسية أو أوردية وغيرها من اللغات. إن هذا الموقف يستند على محاكمة شرعية متماسكة تصوغ حججها إلى حدّ ما بشكل عقلاني مستندة في ذلك على اعتبارات بعيدة عن هذا الشكل العقلاني. والواقع أن القرآن لا يمكن ترجمته بشكل أساسي كما هي الحال بالنسبة للشعر الرفيع. إذ ليس بالإمكان التعبير عن مكنون القرآن باللغة العادية، ولا يمكن أن يعبر عن صوره وأمثاله؛ لأن كل عطف أو مجاز أو براعة لغوية يجب أن تدرس طويلاً قبل أن ينبثق المعنى للقارئ. القرآن كذلك له حلاوة وطلاوة ونظم بديع مرتب لا يمكن تحديده لأنها تعد بسحرها أفكار الشخص الذي يصغي إلى القرآن لتلقي تعاليمه. ولا شك أن تأويل كلمات القرآن إلى لغة أخرى لا يمكن إلّا أن يشوهها، ويحول الذهب النقي إلى فخار..»[٣].

---

(١) نفسه، ص ٢٥٤ـ٢٥٥.

(٢) نفسه، ص ٢٥٥.

(٣) الاتجاهات الحديثة في الإسلام، ص ٣٠ـ٣١.

كوبلولد[١]

[١] «.. وذكرت أيضاً ما جاء في القرآن عن خلق العالم، وكيف أن الله سبحانه وتعالى قد خلق من كل نوع زوجين، وكيف أن العلم الحديث قد ذهب يؤيد هذه النظرية بعد بحوث مستطيلة ودراسات امتدت أجيالاً عديدة»[٢].

[٢] «إن أثر القرآن في كل هذا التقدم [الحضاري الإسلامي] لا ينكر، فالقرآن هو الذي دفع العرب إلى فتح العالم، ومكنهم من إنشاء إمبراطورية فاقت إمبراطورية الإسكندر الكبير، والإمبراطورية الرومانية سعة وقوة وعمراناً وحضارة.. » [٣].

[٣] «الواقع أن جمل القرآن، وبديع أسلوبه أمر لا يستطيع له القلم وصفاً ولا تعريفاً، ومن المقرر أن تذهب الترجمة بجماله وروعته، وما ينعم به من موسيقى لفظية لست تجدها في غيره من الكتب. ولعل ما كتبه المستشرق جوهونسن بهذا الشأن يعبر كل التعبير عن مثقفي الفرنجة وكبار مفكريهم قال: (إذا لم يكن شعراً، وهو أمر مشكوك به، ومن الصعب أن يقول المرء بأنه من الشعر أو غيره، فإنه في الواقع أعظم من الشعر، وهو إلى ذلك ليس تاريخاً ولا وصفاً، ثم هو ليس موعظة كموعظة الجبل، ولا هو يشابه كتاب البوذيين في شيء قليل أو كثير، ولا خطباً فلسفية كمحاورات أفلاطونية، ولكنه صوت النبوة يخرج من القلوب السامية، وإن كان عالمياً في جملته، بعيد المعنى في مختلف سوره وآياته، حتى إنه يردد في كل الأصقاع، ويرتل في كل بلد تشرق عليه الشمس)» [٤].

[٤] «أشار الدكتور ماردريل المستشرق الفرنسي الذي كلفته الحكومة الفرنسية بترجمة بعض سور القرآن، إلى ما للقرآن الكريم من مزايا ليست توجد في

---

(١) اللادي إيفلين كوبولد Lady E.Cobold
نبيلة إنكليزية، اعتنقت الإسلام وزارت الحجاز وحجّت إلى بيت الله، وكتبت مذكرات عن رحلتها تلك في كتاب لها بعنوان: (الحج إلى مكة) (لندن ١٩٣٤) والذي ترجم إلى العربية بعنوان: (البحث عن الله).

(٢) البحث عن الله، ص ٤٥.

(٣) نفسه، ص ٥١.

(٤) نفسه، ص ١١١-١١٢.

كتاب غيره وسواه فقال: (أما أسلوب القرآن فإنه أسلوب الخالق عز وجل وعلا، ذلك أن الأسلوب الذي ينطوي عليه كنه الكائن الذي صدر عنه هذا الأسلوب لا يكون إلّا إلهياً. والحق والواقع أن أكثر الكتاب ارتياباً وشكاً قد خضعوا لتأثير سلطانه وسحره، وإن سلطانه على ملايين المسلمين المنتشرين على سطح المعمورة لبالغ الحد الذي جعل أجانب المبشرين يعترفون بالإجماع بعدم إمكان إثبات حادثة واحدة محققة ارتد فيها أحد المسلمين عن دينه إلى الآن. ذلك أن هذا الأسلوب؛ الذي يفيض جزالة في اتساق منسق متجانس. كان لفعله الأثر العميق في كل سامع يفقه اللغة العربية؛ لذلك كان من الجهد الضائع الذي لا يثمر أن يحاول المرء [نقل] تأثير هذا النثر البديع الذي لم يسمع بمثله بلغة أخرى..» [1].

٥ «الواقع أن للقرآن أسلوباً عجيباً يخالف ما كانت تنهجه العرب من نظم ونثر، فحسن تأليفه، والتئام كلماته، ووجوه إيجازه، وجودة مقاطعه، وحسن تدليله، وانسجام قصصه، وبديع أمثاله، كل هذا وغيره جعله في أعلى درجات البلاغة، وجعل لأسلوبه من القوة ما يملأ القلب روعة، لا يمل قارئه ولا يخلق بترديده.. قد امتاز بسهولة ألفاظه حتى قل أن تجد فيها غريباً، وهي مع سهولتها جزلة عذبة، وألفاظه بعضها مع بعض متشكلة منسجمة لا تحس فيها لفظاً نابياً عن أخيه، فإذا أضفت إلى ذلك سمو معانيه أدركت بلاغته وإعجازه»[2].

كويليام[3]

١ «من الوجه العلمي، بصرف النظر عن أنه كتاب موحى به، فالقرآن أبلغ كتاب في الشرق.. (وهو حافل بالمجازات السامية مليء بالاستعارات الباهرة)..»[4].

---

(١) نفسه، ص ١١٢ـ١١٣.

(٢) نفسه، ص ١١٣.

(٣) عبد الله كويليام Kwelem
مفكر إنكليزي، ولد سنة ١٨٦٥، وأسلم سنة ١٨٨٧، وتلقب باسم: (الشيخ عبد الله كويليام).
من آثاره: (العقيدة الإسلامية)(١٨٨٩)، و (أحسن الأجوبة).

(٤) العقيدة الإسلامية، ص ١١٩ـ١٢٠.

٢ «أحكام القرآن ليست مقتصرة على الفرائض الأدبية والدينية.. إنه القانون العام للعالم الإسلامي، وهو قانون شامل للقوانين المدنية والتجارية والحربية والقضائية والجنائية والجزائية. ثم هو قانون ديني يدار على محوره كل أمر من الأمور الدينية إلى أمور الحياة الدنيوية، ومن حفظ النفس إلى صحة الأبدان، ومن حقوق الرعية إلى حقوق كل فرد، ومن منفعة الإنسان الذاتية إلى منفعة الهيئة الاجتماعية، ومن الفضيلة إلى الخطيئة، ومن القصاص في هذه الدنيا إلى القصاص في الآخرة.. وعلى ذلك فالقرآن يختلف مادياً عن الكتب المسيحية المقدسة التي ليس فيها شيء من الأصول الدينية، بل هي في الغالب مركبة من قصص وخرافات واختباط عظيم في الأمور التعبدية.. وهي غير معقولة وعديمة التأثير»[١].

٣ «لقد عثرت في (دائرة المعارف العامة) Pular Encyclopedia على نبذة نصها كما يأتي (إن لغة القرآن معتبرة بأنها من أفصح ما جاء في اللغة العربية، فإن ما فيه من محاسن الإنشاء وجمال البراعة جعله باقياً بلا تقليد ودون مثيل. أما أحكامه العقلية فإنها نقية زكية إذا تأملها الإنسان بعين البصيرة لعاش عيشة هنية)»[٢].

٤ «هذا القرآن الذي هو كتاب حكمة، فمن أجال طرف اعتباره فيه وأمعن النظر في بدائع أساليبه وما فيها من الإعجاز رآه وقد مر عليه من الزمان ألف وثلاثمئة وعشرون سنة كأنه مقول في هذا العصر؛ إذ هو مع سهولته بليغ ممتنع، ومع إيجاز مفيد للمرام بالتمام. وكما أنه كان يرى مطابقاً للكلام في زمن ظهوره لهجة وأسلوباً، كذلك يرى موافقاً لأسلوب الكلام في كل زمن ولهجة، وكلما ترقت صناعة الكتابة قدرت بلاغته، وظهرت للعقول مزاياه. وبالجملة فإن فصاحته وبلاغته قد أعجزت مصاقع البلغاء، وحيرت فصحاء الأولين والآخرين. وإذا عطفنا النظر إلى ما فيه من الأحكام، وما اشتملت عليه من الحكم الجلية؛ نجده جامعاً لجميع ما يحتاجه البشر في حياته وكماله وتهذيب أخلاقه.. وكذا نراه ناهياً عما ثبت بالتجارب العديدة خسرانه وقبحه من الأفعال ومساوئ الأخلاق.. وكم فيه ما عدا ذلك أيضاً ما يتعلق بسياسة المدن وعمارة الملك، وما يضمن للرعية الأمن

---

(١) نفسه، ص ١٢٢ـ١٢٣.

(٢) نفسه، ص ١٣٩ـ١٤٠.

والدعة من الأحكام الجلية التي ظهرت منافعها العظيمة بالفعل والتجربة فضلاً عن القول..»[(١)].

٥ «إن من ضمن محاسن القرآن العديدة أمرين واضحين جداً، أحدهما: علامة الخشوع والوقار التي تشاهد دائماً على المسلمين عندما يتكلمون عن المولى ويشيرون إليه.. والثاني: خلوه من القصص والخرافات وذكر العيوب والسيئات وإلى آخره، وهو الأمر الذي يؤسف عليه كثيراً لوقوعه بكثرة فيما يسميه المسيحيون (العهد القديم)..»[(٢)].

لاندو[(٣)]

١ «بسبب من أن مهمة ترجمة القرآن بكامل طاقته الإيقاعية، إلى لغة أخرى، تتطلب عناية رجل يجمع الشاعرية إلى العلم، فإننا لم نعرف حتى وقت قريب ترجمة جيدة استطاعت أن تتلقف شيئاً من روح الوحي المحمدي. والواقع أن كثيراً من المترجمين الأوائل لم يعجزوا عن الاحتفاظ بجمال الأصل فحسب، بل كانوا إلى ذلك مفعمين بالحقد على الإسلام إلى درجة جعلت ترجمتهم تنوء بالتحامل والغرض. ولكن حتى أفضل ترجمة ممكنة للقرآن في شكل مكتوب لا تستطيع أن تحتفظ بإيقاع السور الموسيقي الآسر، على الوجه الذي يرتلها به المسلم، وليس يستطيع الغربي أن يدرك شيئاً من روعة كلمات القرآن وقوتها إلّا عندما يسمع مقاطع منه مرتلة بلغته الأصلية»[(٤)].

---

(١) أحسن الأجوبة عن سؤال أحد علماء أوربة، ص ٢٣ ـ ٢٦.
(٢) العقيدة الإسلامية، ص ١٣٨.
(٣) روم لاندو R.Landau
نحّات وناقد فني إنكليزي، زار زعماء الدين في الشرق الأدنى (١٩٣٧) وحاضر في عدد من جامعات الولايات المتحدة (١٩٥٢ـ١٩٧٥)، أستاذ الدراسات الإسلامية وشمالي إفريقية في المجتمع الأمريكي للدراسات الآسيوية في سان فرانسيسكو (١٩٥٣).
من آثاره: (الله ومغامرتي) (١٩٣٥)، (بحث عن الغد) (١٩٣٨)، (سلم الرسل) (١٩٣٩)، (دعوة إلى المغرب) (١٩٥٠)، (سلطان المغرب) (١٩٥١)، (فرنسا والعرب) (١٩٥٣)، (الفن العربي) (١٩٥٥). وغيرها.
(٤) الإسلام والعرب، ٣٦ ـ ٣٧.

٢ «.. كلف كاتب الوحي، زيد بن ثابت، جمع الآيات القرآنية في شكل كتاب، وكان أبو بكر [رضي الله عنه] قد أشرف على هذه المهمة. وفيما بعد، إثر جهد مستأنف بذل بأمر من الخليفة عثمان [رضي الله عنه] اتخذ القرآن شكله التشريعي النهائي الذي وصل إلينا سليماً لم يطرأ عليه أي تحريف»[١].

٣ «.. إن بين آيات قصار السور ترابطاً باهراً له تأثيره الوجداني برغم أنه ليس ثمة أيما وزن نظامي. وفي الحق إن سماع السور تتلى في الأصل العربي، كثيراً ما يخلف في نفس المرء تأثيراً بليغاً. لقد أريد بالقرآن أن يتلى في صوت جهير. ويتعين على المرء أن يسمعه مرتلاً لكي يحكم عليه حكماً عادلاً، ويقدره حق قدره.. وبوصفه كلمة الله الحقيقية، كان معجزاً لا سبيل إلى محاكاته، ولم يكن ثمة، بكل بساطة، أيما شيء من مثله»[٢].

لوبون[٣]

١ «.. إن أصول الأخلاق في القرآن عالية علو ما جاء في كتب الديانات الأخرى جميعها، وإن أخلاق الأمم التي دانت له تحولت بتحول الأزمان والعروق مثل تحول الأمم الخاضعة لدين عيسى [عليه السلام].. إن أهم نتيجة يمكن استنباطها هي تأثير القرآن العظيم في الأمم التي أذعنت لأحكامه، فالديانات التي لها ما للإسلام من السلطان على النفوس قليلة جداً، وقد لا تجد ديناً اتفق له ما اتفق للإسلام من الأثر الدائم، و القرآن قطب الحياة في الشرق، وهو ما نرى أثره في أدق شؤون الحياة»[٤].

٢ «إن هذا الكتاب [القرآن] تشريع ديني وسياسي واجتماعي، وأحكامه نافذة منذ عشرة قرون.. »[٥].

---

(١) نفسه، ص ٢٩٦.
(٢) نفسه، ص ٢٩٦-٢٩٧.
(٣) كوستاف لوبون Dr.G.Lebon
ولد في عام ١٨٤١ م، وهو طبيب، ومؤرخ فرنسي، عني بالحضارات الشرقية.
من آثاره: (حضارة العرب)(باريس١٨٨٤)، (الحضارة المصرية)و(حضارة العرب في الأندلس).
(٤) حضارة العرب، ص ٤٣١-٤٣٢.
(٥) التتائج الأولى للحرب (عن: محمد كرد علي: الإسلام والحضارة العربية، ١/ ٧٤).

ليختنستادتر(١)

١ «. . إن المسلم العصري يعتقد أن كتابه المنزل يسمح له، بل يوجب عليه، أن يعالج مشكلات عصره بما يوافق الدين ولا يضيع المصلحة أو يصد عن المعرفة كما انتهت إليها علوم زمنه. . وإن مزية القرآن ـ في عقيدة المسلم ـ أنه متمم للكتب السماوية، ويوافقها في أصول الإيمان، ولكنه يختلف عنها في صفته العامة، فلا يرتبط برسالة محدودة تمضي مع مضي عهدها، ولا بأمة خاصة يلائمها ولا يلائم سواها، وكل ما يراد به الدوام، ينبغي أن يوافق كل جيل، ويصلح لكل أوان»(٢).

٢ «إنه من الضروري لإدراك عمل القرآن من حيث هو كتاب ديني وكتاب اجتماعي أن ندرك صدق المسلم حين يؤكد أن القرآن يمكن أن يظل أساساً لإدراك الحكم المعقدة التي تعالج مشكلات المجتمع الحديث. فإن النبي ﷺ يرى أن القرآن هو حلقة الاتصال بين الإله في كماله الإلهي وبين خليقته التي يتجلى فيها بفيوضه الربانية وآيتها الكبرى الإنسان. وإن واجب الإنسان أن يعمل بمشيئة الله للتنسيق بين العالم الإلهي وبين عالم الخلق والشهادة، وخير ما يدرك به هذا المطلب أن تتولاه جماعة إنسانية تتحرى أعمق الأوامر الإلهية وألزمها، وهي أوامر العدل للجميع والرحمة بالضعيف والرفق والإحسان. وتلك هي الوسائل التي يضعها الله في يد الإنسان لتحقيق نجاته، فهو ثم مسؤول عن أعماله، ومسؤول كذلك عن مصيره»(٣).

مونتاي(٤)

١ «إنني لا أشك لحظة في رسالة محمد ﷺ، وأعتقد أنه خاتم الأنبياء والمرسلين، وأنه بعث للناس كافة، وأن رسالته جاءت لختم الوحي الذي نزل

(١) د. إلس ليختنستادتر Ilse Lictenstadter
سيدة ألمانية، درست العلوم العربية والإسلامية في جامعة فرانكفورت، ثم في جامعة لندن، وأقامت زهاء ثلاثين سنة بين بلاد الشرقين الأدنى والأوسط، وعنيت عناية خاصة بدعوات الاجتهاد والتجديد والمقابلة بين المذاهب، من مؤلفاتها (الإسلام والعصر الحديث).
(٢) الإسلام والعصر الحديث، عن العقاد: ما يقال عن الإسلام، ص ١٩.
(٣) نفسه، ص ١٩.
(٤) فنساي مونتاي: المنصور بالله الشافعي F.Montague

في التوراة والإنجيل. وأحسن دليل على ذلك هو القرآن المعجزة. فأنا أرفض خواطر بسكال العالم الأوربي الحاقد على الإسلام والمسلمين إلّا خاطرة واحدة وهي قوله: ليس القرآن من تأليف محمد ﷺ، كما أن الإنجيل ليس من تأليف متى»[١].

٢ «.. إن مثل الفكر العربي الإسلامي المبعد عن التأثير القرآني كمثل رجل أفرغ من دمه»[٢].

هوني[٣]

١ «.. لن أستطيع مهما حاولت، أن أصف الأثر الذي تركه القرآن في القلب، فلم أكد أنتهي من قراءة السورة الثالثة من القرآن حتى وجدتني ساجدة لخالق هذا الكون، فكانت هذه أول صلاة لي في الإسلام..»[٤].

وات[٥]

١ «يعتبر القرآن قلاقل العصر نتيجة أسباب دينية بالرغم من الأسباب الاقتصادية والاجتماعية، وأنه لا يمكن تقويمها إلّا باستخدام الوسائل الدينية مثل كل

= فرنسي، رجل بحث وترحال، اختص بدراسة القضايا الإسلامية والعربية عن كثب سنوات عديدة في المغرب والمشرق وإفريقية وآسيا، ونشر عشرات الأبحاث والكتب عن الإسلام والحضارة الإسلامية، وانتهى الأمر به إلى إعلان إسلامه في صيف عام ١٩٧٧.

(١) رجال ونساء أسلموا، ٥/ ٤٥.

(٢) نفسه، ٥/ ٥٠-٥١.

(٣) عائشة برجت هوني Ayesha Bridget Honey
نشأة في أسرة إنكليزية مسيحية، وشغفت بالفلسفة، ثم سافرت إلى كندا لإكمال دراستها، وهناك في الجامعة أتيح لها أن تتعرف على الإسلام، وأن تنتهي إليه، وقد عملت مدرسة في مدرسة عليا في نيجيريا.

(٤) رجال ونساء أسلموا، ١/ ٥٩-٦٠.

(٥) مونتجومري وات Montgomery, Watt
عميد قسم الدراسات العربية في جامعة أدنبره سابقاً.
من آثاره: (عوامل انتشار الإسلام)، (محمد في مكة)، (محمد في المدينة)، (الإسلام والجماعة الموحدة) وهو دراسة فلسفية اجتماعية لرد أصل الوحدة العربية إلى الإسلام (١٩٦١).

شيء. وإنه لمن الجرأة الشك في حكمة القرآن نظراً لنجاح محمد ﷺ في تبليغ الرسالة التي أمره الله بتبليغها..»[١].

٢ «يجب علينا في رأيي، مهما كان موقفنا الديني، أن نعتبر رسالة القرآن انبثاقاً خلاقاً في الوضع المكي. ولا شك أنه كانت توجد مشاكل تتطلب الحل، وأزمات حاول البعض تخفيفها، ولكن كان يستحيل الانتقال من هذه المشاكل وتلك الأزمات إلى رسالة القرآن بواسطة التفكير المنطقي.. ولا شك أن رسالة القرآن تحل مشاكل اجتماعية وأخلاقية وفكرية، ولكن لا تحلها جميعاً دفعة واحدة وبصورة بديهية. ولربما قال مؤرخ دنيوي أن محمداً وقع صدفة على أفكار كانت بمثابة المفتاح لحل المشاكل الأساسية في زمانه، وليس هذا ممكناً. ولا يمكن للمحاولات التجريبية، ولا للفكر النافذ أن يفسر لنا كما يجب رسالة القرآن»[٢].




(١) محمد في مكة، ص ١٣٥.
(٢) نفسه، ص ١٣٥ـ١٣٦.

الفصل الثاني

محمد رسول الله ﷺ

«إن محمداً رسول الله ﷺ كان الرجل الوحيد في التاريخ الذي نجح بشكل أسمى وأبرز في كلا المستويين الديني والدنيوي..

إن هذا الاتحاد الفريد الذي لا نظير له للتأثير الديني والدنيوي معا يخوله أن يعتبر أعظم شخصية ذات تأثير في تاريخ البشرية».

العالم الأمريكي مايكل هارت.

إبراهيم خليل أحمد

١ «هذه هي حقيقة يثبتها التاريخ: فبينما كان العالم الشرقي والعالم الغربي بفلسفاتهما العقيمة يعيش في دياجير ظلام الفكر، وفساد العبادة، بزغ من مكة المكرمة في شخص محمد رسول الله ﷺ نور وضاء أضاء على العالم فهداه إلى الإسلام»[١].

٢ «إن سيدنا عيسى عليه السلام يتنبأ عن الرسول الكريم محمد ﷺ بقوله: (وأما متى جاء ذاك: روح الحق، فهو يرشدكم إلى جميع الحق؛ لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به، ويخبركم بأمور آتية)[٢]. . . »[٣].

٣ «يقول برنابا: (سيأتي مشياً (أي الرسول) المرسل من الله لكل العالم، . . وحينئذ يسجد لله في كل العالم وتنال الرحمة. .)[٤]. . »[٥].

٤ «. . كلمة إنجيل كلمة يونانية تعني بشارة أو بشرى، ولعل هذا الذي نستفيده من سيرة سيدنا عيسى عليه السلام أنه كان بشرى من الله للرحمة، وبشرى بتبشيره عن المسيا الذي سيأتي للعالمين هدى ورحمة، ألا وهو الرسول الكريم سيدنا محمد ﷺ»[٦].

٥ «يقول عيسى [عليه السلام] في إنجيل برنابا: (لأن الله سيصعدني من الأرض، وسيغير منظر الخائن حتى يظنه كل أحد إياي. ومع ذلك فإنه حين يموت شر ميتة أمكث أنا في ذلك العار زمناً طويلاً في العالم، ومتى ما جاء محمد رسول الله المقدس تزال عني هذه الوصمة. .)[٧]. . »[٨].

---

(١) محمد في التوراة والإنجيل والقرآن، ص ٤٧.
(٢) إنجيل يوحنا، ١٦: ١٢و ١٣.
(٣) محمد في التوراة والإنجيل والقرآن، ص ٩٨.
(٤) إنجيل برنابا، ٨٢:١٦-١٨.
(٥) محمد في التوراة، ص ١٠٥.
(٦) نفسه، ص ١١٤.
(٧) إنجيل برنابا، ١١٢: ٨ ـ ١٨.
(٨) محمد في التوراة، ص ١٤١.

أرنولد

[١] «.. لعله من المتوقع، بطبيعة الحال أن تكون حياة مؤسس الإسلام ومنشئ الدعوة الإسلامية ﷺ، هي الصورة الحق لنشاط الدعوة إلى هذا الدين. وإذا كانت حياة النبي ﷺ هي مقياس سلوك عامة المؤمنين، فإنها كذلك بالنسبة إلى سائر دعاة الإسلام؛ لذلك نرجو من دراسة هذا المثل أن نعرف شيئاً عن الروح التي دفعت الذين عملوا على الاقتداء به، وعن الوسائل التي ينتظر أن يتخذوها. ذلك أن روح الدعوة إلى الإسلام لم تجئ في تاريخ الدعوة متأخرة بعد أناة وتفكر، وإنما هي قديمة قدم العقيدة ذاتها، وفي هذا الوصف الموجز سنبين كيف حدث ذلك، وكيف كان النبي محمد ﷺ يعد نموذجاً للداعي إلى الإسلام..» (١).

[٢] «.. من الخطأ أن نفترض أن محمداً ﷺ في المدينة قد طرح مهمة الداعي إلى الإسلام والمبلغ لتعاليمه، أو أنه عندما سيطر على جيش كبير يأتمر بأمره، انقطع عن دعوة المشركين إلى اعتناق الدين..»(٢).

[٣] «.. إن المعاملة الحسنة التي تعودتها وفود العشائر المختلفة من النبي ﷺ واهتمامه بالنظر في شكاياتهم، والحكمة التي كان يصلح بها ذات بينهم، والسياسة التي أوحت إليه بتخصيص قطع من الأرض مكافئة إلى كل من بادر إلى الوقوف في جانب الإسلام، وإظهار العطف على المسلمين، كل ذلك جعل اسمه مألوفاً لديهم، كما جعل صيته ذائعاً في كافة أنحاء شبه الجزيرة سيداً عظيماً ورجلاً كريماً. وكثيراً ما كان يفد أحد أفراد القبيلة على النبي ﷺ بالمدينة، ثم يعود إلى قومه داعياً إلى الإسلام، جاداً في تحويل إخوانه إليه..» (٣).

واشنجتون إيرفنج

[١] «كان محمد ﷺ خاتم النبيين وأعظم الرسل؛ الذين بعثهم الله ليدعو الناس إلى عبادة الله»(٤).

---

(١) الدعوة إلى الإسلام، ص ٣٤.

(٢) نفسه، ص ٥٤.

(٣) نفسه، ص ٥٥ عن: Muir (Sir William) : Life of Mahomet , PP. 107-8 (London, 1858-,1).

(٤) حياة محمد، ص ٧٢.

٢ «كانت تصرفات الرسول ﷺ في [أعقاب فتح] مكة تدل على أنه نبي مرسل لا على أنه قائد مظفر. فقد أبدى رحمة وشفقة على مواطنيه برغم أنه أصبح في مركز قوي، ولكنه توج نجاحه وانتصاره بالرحمة والعفو»[١].

٣ «لقي الرسول ﷺ من أجل نشر الإسلام كثيراً من العناء، وبذل عدة تضحيات، فقد شك الكثير في صدق دعوته، وظل عدة سنوات دون أن ينال نجاحاً كبيراً، وتعرض خلال إبلاغ الوحي إلى الإهانات والاعتداءات والاضطهادات، بل اضطر إلى أن يترك وطنه ويبحث عن مكان يهاجر إليه هنا وهناك، وتخلى عن كل متع الحياة، وعن السعي وراء الثراء من أجل نشر العقيدة»[٢].

٤ «برغم انتصارات الرسول ﷺ العسكرية لم تثر هذه الانتصارات كبرياءه أو غروره، فقد كان يحارب من أجل الإسلام لا من أجل مصلحة شخصية، وحتى في أوج مجده حافظ الرسول ﷺ على بساطته وتواضعه، وكان يكره إذا دخل حجرة على جماعة أن يقوموا أو يبالغوا في الترحيب به، وإن كان قد هدف إلى تكوين دولة عظيمة، فإنها كانت دولة الإسلام وقد حكم فيها بالعدل، ولم يفكر أن يجعل الحكم فيها وراثياً لأسرته»[٣].

٥ «كان الرسول ﷺ ينفق ما يحصل من جزية أو ما يقع في يديه من غنائم في سبيل انتصار الإسلام، وفي معاونة فقراء المسلمين، وكثيراً ما كان ينفق في سبيل ذلك آخر درهم في بيت المال.. وهو لم يخلف وراءه ديناراً أو درهماً أو رقيقاً.. وقد خيره الله بين مفاتيح كنوز الأرض في الدنيا وبين الآخرة فاختار الآخرة»[٤].

---

(١) نفسه، ص ٢٣٣

(٢) نفسه، ص ٣٠٠.

(٣) نفسه، ص ٣٠٢-٣٠٣.

(٤) نفسه، ص ٣٠٣.

بارت(١)

١ «كان من بين ممثلي حركة التنوير من رأوا في النبي العربي ﷺ أداة لله، و مشرعاً حكيماً ورسولاً للفضيلة، وناطقاً بكلمة الدين الطبيعي الفطري، مبشراً به»(٢).

٢ «كان العرب يعيشون منذ قرون طويلة في بوادي وواحات شبه الجزيرة يعيشون فيها فساداً، حتى أتى محمد ﷺ ودعاهم إلى الإيمان بإله واحد، خالق بارئ، وجمعهم في كيان واحد متجانس»(٣).

بروي(٤)

١ «جاء محمد بن عبد الله ﷺ، النبي العربي وخاتمة النبيين، يبشر العرب والناس أجمعين، بدين جديد، ويدعو للقول بالله الواحد الأحد، كانت الشريعة [في دعوته] لا تختلف عن العقيدة والإيمان، وتتمتع مثلها بسلطة إلهية ملزمة، تضبط ليس الأمور الدينية فحسب، بل أيضاً الأمور الدنيوية، فتفرض على المسلم الزكاة، والجهاد ضد المشركين.. ونشر الدين الحنيف.. وعندما قبض النبي العربي ﷺ، عام ٦٣٢م، كان قد انتهى من دعوته، كما انتهى من وضع نظام اجتماعي يسمو كثيراً فوق النظام القبلي الذي كان عليه العرب قبل الإسلام، وصهرهم في وحدة قوية، وهكذا تم للجزيرة العربية وحدة دينية متماسكة، لم تعرف مثلها من قبل..»(٥).

بلاشير

١ «.. إن معجزة النبي [عليه الصلاة والسلام] الحقيقية والوحيدة هي إبلاغه الناس رسالة ذات روعة أدبية لا مثيل لها، فمن هو ذلك الرجل المكلف

---

(١) رودي بارت Rudl, Part
عالم ألماني معاصر، اضطلع بالدراسات الشرقية في جامعة هايدلبرج، وكرس حياته لدراسة علوم العربية والإسلام، وصنف فيها عدداً كبيراً من الأعمال، منها ترجمته للقرآن الكريم التي استغرقت منه عشرات السنين وأصدرها بين عامي ١٩٦٣ و١٩٦٦، وله كتاب عن النبي محمد ﷺ.

(٢) الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية، ص ١٥.

(٣) نفسه، ص٢٠.

(٤) إدوارد بروي Edourd Perroy باحث فرنسي معاصر، وأستاذ في السربون.

(٥) تاريخ الحضارة العام، ٣/ ١١٢.

بالمهام الثقيلة العبء، وهي حمل النور إلى عرب الحجاز في أوائل القرن السابع، إن محمداً [عليه الصلاة والسلام] لا يبدو في القرآن ـ إطلاقاً ـ منعماً بمواهب تنزهه عن الصفات الإنسانية، فهو لا يستطيع في نظر معاصريه المشركين أن يفخر بالاستغناء عن حاجات هي حاجاتهم، وهو يصرح بفخر أنه لم يكن سوى مخلوق هالك: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [الكهف: ١١٠]. وهو لم يتلقّ أي قدرة على صنع المعجزات، ولكنه انتخب ليكون منذراً ومبشراً للكافرين. إن نجاح رسالته مرتبطة إذاً في قيمتها الإحيائية وإلى شكلها المنقطع النظير. ولم يكن محمد [عليه الصلاة والسلام] رغم ذلك، صاحب بيان ولا شاعراً، فإن الأخبار التي روت سيرته لم تحسن الاحتفاظ بذكرى مفاخراته الشخصية، وثمة عوامل تحمله على الشك فيما إذا كان عرف استعمال السجع، أو أنه تلقى من السماء فن ارتجال الشعر، وعندما قال عنه المكيون المشركون إنه شاعر، أو حين عرضوا بأن مصدر الوحي جني معروف أزال الله عنه هذه التهمة: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ۝٦٩ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [يس: ٦٩-٧٠]. وهكذا يطرح هذا الوحي البالغ جماله حد الإعجاز، الواثق بحمل الناس بقوة بيانه على الهداية، كظاهرة لا علاقة لها بالفصاحة ولا الشعر»[1].

٢ «. . أما عن انتصار الإسلام فثمة أسباب تداخلت وفي طليعتها القرآن والسنة وحالة الحجاز الدينية، ونصح وبيان وأمانة الرجل المرسل لإبلاغ الرسالة المنزلة عليه. .»[2].

مارسيل بوازار

١ «سبق أن كتب كل شيء عن نبي الإسلام ﷺ، فأنوار التاريخ تسطع على حياته التي نعرفها في أدق تفاصيلها. والصورة التي خلفها محمد ﷺ عن نفسه تبدو، حتى وإن عمد إلى تشويهها، علمية في الحدود التي تكشف فيها، وهي تندمج في ظاهرة الإسلام عن مظهر من مظاهر المفهوم الديني، وتتيح إدراك عظمته الحقيقية. .»[3].

---

(١) تاريخ الأدب العربي، ٢/ ١٤ـ١٥.
(٢) نفسه، ٢/ ٥٠.
(٣) إنسانية الإسلام، ص ٤٠ـ٤١.

[٢] «لم يكن محمد ﷺ على الصعيد التاريخي مبشراً بدين وحسب، بل كان كذلك مؤسس سياسة غيرت مجرى التاريخ، وأثرت في تطور انتشار الإسلام فيما بعد على أوسع نطاق..»[(١)].

[٣] «منذ استقر النبي محمد ﷺ في المدينة، غدت حياته جزءاً لا ينفصل من التاريخ الإسلامي. فقد نقلت إلينا أفعاله وتصرفاته في أدق تفاصيله.. ولما كان منظماً شديد الحيوية، فقد أثبت نضالية في الدفاع عن المجتمع الإسلامي الجنيني، وفي بث الدعوة.. وبالرغم من قتاليته ومنافحته، فقد كان يعفو عند المقدرة، لكنه لم يكن يلين أو يتسامح مع أعداء الدين. ويبدو أن مزايا النبي الثلاث: الورع والقتالية والعفو عند المقدرة؛ قد طبعت المجتمع الإسلامي في إبان قيامه وجسدت المناخ الروحي للإسلام.. وكما يظهر التاريخ الرسول ﷺ قائداً عظيماً ملء قلبه الرأفة، يصوره كذلك رجل دولة صريحاً قوي الشكيمة له سياسته الحكيمة؛ التي تتعامل مع الجميع على قدم المساواة، وتعطي كل صاحب حق حقه. ولقد استطاع بدبلوماسيته ونزاهته أن ينتزع الاعتراف بالجماعة الإسلامية عن طريق المعاهدات في الوقت الذي كان النصر العسكري قد بدأ يحالفه. وإذا تذكرنا أخيراً على الصعيد النفساني هشاشة السلطان الذي كان يتمتع به زعيم من زعماء العرب، والفضائل التي كان أفراد المجتمع يطالبونه بالتحلي بها، استطعنا أن نستخلص أنه لا بد أن يكون محمد ﷺ الذي عرف كيف ينتزع رضا أوسع الجماهير به إنساناً فوق مستوى البشر حقاً، وأنه لابد أن يكون نبياً حقيقياً من أنبياء الله»[(٢)].

[٤] «لقد كان محمد ﷺ نبياً لا مصلحاً اجتماعياً، وأحدثت رسالته في المجتمع العربي القائم آنذاك تغييرات أساسية ما تزال آثارها ماثلة في المجتمع الإسلامي المعاصر..»[(٣)].

[٥] «مما لا ريب فيه أن محمداً ﷺ قد اعتبر، بل كان في الواقع، ثائراً في النطاق الذي كان فيه كل نبي ثائراً بوصفه نبياً، أي: بمحاولته تغيير المحيط الذي يعيش فيه..»[(٤)].

---

(١) نفسه، ص ٤٢.
(٢) نفسه، ص ٤٦.
(٣) نفسه، ص ٦١.
(٤) نفسه، ص ٦٦.

توينبي(١)

١ «لقد كرس محمد ﷺ حياته لتحقيق رسالته في كفالة هذين المظهرين في البيئة الاجتماعية العربية [وهما الوحدانية في الفكرة الدينية، والقانون والنظام في الحكم] وتم ذلك فعلاً بفضل نظام الإسلام الشامل؛ الذي ضم بين ظهرانيه الوحدانية والسلطة التنفيذية معاً.. فغدت للإسلام بفضل ذلك قوة دافعة جبارة لم تقتصر على كفالة احتياجات العرب، ونقلهم من أمة جهالة إلى أمة متحضرة، بل تدفق الإسلام من حدود شبه الجزيرة، واستولى على العالم السوري بأسره من سواحل الأطلسي إلى شواطئ السهب الأوراسي..»(٢).

٢ «لقد أخذت سيرة الرسول العربي ﷺ بألباب أتباعه، وسمت شخصيته لديهم إلى أعلى عليين، فآمنوا برسالته إيماناً جعلهم يتقبلون ما أوحي به إليه وأفعاله كما سجلتها السنة، مصدراً للقانون، لا يقتصر على تنظيم حياة الجماعة الإسلامية وحدها، بل يرتب كذلك علاقات المسلمين الفاتحين برعاياهم غير المسلمين؛ الذين كانوا في بداية الأمر يفوقونهم عدداً»(٣).

فيليب حتي

١ «إن اللغة العربية هي لغة القرآن التي كانت الأساس الذي قامت عليه أمة جديدة أخرجت للناس، أمة جاءت بها بعثة محمد ﷺ من قبائل متنافرة متنازعة لم يقدر لها من قبل أن تجتمع على رأي واحد. وهكذا استطاع رسول

---

(١) أرنولد توينبي Arnold Toynbee
المؤرخ البريطاني المعاصر، الذي انصبت معظم دراساته على تاريخ الحضارة، وكان أبرزها ـ ولا ريب ـ مؤلفه الشهير (دراسة للتاريخ)، الذي شرع يعمل فيه منذ عام ١٩٢١، وانتهى منه عام ١٩٦١، وهو يتكون من اثني عشر جزءاً عرض فيها توينبي لرؤيته الحضارية للتاريخ. ولقد وضع المستر سومر فيل ـ تحت إشراف توينبي نفسه ـ مختصراً في جزءين لهذا العمل الواسع بسط فيه جميع آراء المؤلف مستخدماً عباراته الأصلية في معظم الأحيان، وحذف الكثير من الأمثلة والآراء دون إخلال بالسياق العام للكتاب، وهذا المختصر هو الذي ترجم إلى العربية في أربعة أجزاء، وهو الذي اعتمدناه هنا.

(٢) مختصر دراسة للتاريخ، ١/ ٣٨١.

(٣) نفسه، ٣/ ٩٨.

الإسلام ﷺ أن يضيف حداً جديداً (رابعاً) إلى المأثرة الحضارية ذات الحدود الثلاثة من الدين والدولة والثقافة، ذلك الحد الرابع الجديد كان (إيجاد أمة ذات لغة فوق اللغات). . »[(١)].

٢ «إن إقامة الأخوة في الإسلام مكان العصبية الجاهلية (القائمة على الدم والقرابة) للبناء الاجتماعي كان في الحقيقة عملاً جريئاً جديداً، قام به النبي العربي ﷺ. . » [(٢)].

٣ «في الكتاب المعاصرين لنا نفر يحاولون أن يكشفوا الأعمال الباهرة (التي حققها محمد ﷺ أو أن يعالجوا حياته الزوجية على أساس من التحليل النفسي، فلا يزيدون على أن يضيفوا إلى أوجه التحامل وإلى الآراء الهوائية أحكاماً من زيف العلم. . » [(٣)].

٤ «صفات محمد ﷺ مثبتة في القرآن بدقة بالغة فوق ما نجد في كل مصدر آخر. إن المعارك التي خاضها، والأحكام التي أبرمها، والأعمال التي قام بها لا تترك مجالاً للريب في الشخصية القوية، والإيمان الوطيد، والإخلاص البالغ، وغير ذلك من الصفات التي خلقت الرجال القادة في التاريخ. ومع أنه كان في دور من أدوار حياته يتيماً فقيراً، فقد كان في قلبه دائماً سعة لمواساة المحرومين في الحياة»[(٤)].

٥ «إذا نحن نظرنا إلى محمد ﷺ من خلال الأعمال التي حققها، فإن محمداً الرجل والمعلم والخطيب ورجل الدولة والمجاهد يبدو لنا بكل وضوح واحداً من أقدر الرجال في جميع أحقاب التاريخ. لقد نشر ديناً هو الإسلام، وأسس دولة هي الخلافة، ووضع أساس حضارة هي الحضارة العربية الإسلامية، وأقام أمة هي الأمة العربية. وهو لا يزال إلى اليوم قوة حية فعالة في حياة الملايين من البشر»[(٥)].

---

(١) الإسلام منهج حياة، ص ١٩-٢٠.
(٢) نفسه، ص ٥١.
(٣) نفسه، ص ٥٤.
(٤) نفسه، ص ٥٤.
(٥) نفسه، ص ٥٦.

جورج حنا

١ «.. كان محمد ﷺ يخرج من سويعات [لقائه مع جبريل عليه السلام] بآيات تنطق بالحكمة، داعياً قومه إلى الرجوع عن غيهم، والإيمان بالإله الواحد الكلي القدرة، صاباً النقمة على الآلهة الصنمية، التي كان القوم يعبدونها، فكان طبيعياً أن يحقد عليه أشراف العرب، ويضمروا له الشر، لما كان في دعوته من خطر على زعامتهم، وهي ما كانت قائمة إلّا على التعبد للأصنام التي جاء هذا الرجل يدعو إلى تحطيمها. لكن محمداً ﷺ لم يكن يهادن في بث دعوته، ولم يكن يسكت عن اضطهاد أشراف قريش له، بل كان يتحداهم، فيزدادون حقداً عليه، وتآمراً على حياته. فلم تلبث دعوته حتى تحولت من دعوة سلمية إلى دعوة نضالية. إنه لم يرض بأن يحول خده الأيسر لمن يضربه على خده الأيمن.. بل مشى في طريقه غير هياب، في يده الواحدة رسالة هداية، يهدي بها من سالموه، وفي يده الثانية سيف يحارب به من حاربوه. لقد آمن به نفر قليل في بداية الدعوة، وكان نصيب هذا النفر مثل نصيبه من الاضطهاد والتكفير.. كان هؤلاء باكورة الديانة الإسلامية، والشعلة التي انطلقت منها رسالة محمد ﷺ»(١).

٢ «كان محمد ﷺ في المدينة أكثر اطمئناناً على نفسه وعلى أتباعه مما كان في مكة.. كانت يثرب مدينة العامة التابعة، لا مدينة الخاصة المتبوعة، والعامة دائماً أقرب إلى اقتباس كلمة الحق من الخاصة، لا سيما إذا كانت كلمة الحق هذه تحررها من عبوديتها للخاصة»(٢).

٣ «محمد بن عبد الله ﷺ كان ثائراً، عندما أبى أن يماشي أهل الصحراء في عبادة الأصنام وفي عاداتهم الهمجية وفي مجتمعهم البربري. فأضرمها حرباً لا هوادة فيها على جاهلية المشركين وأسيادهم وآلهتهم. فكفره قومه، واضطهدوه، وأضمروا له الموت. فهاجر تحت جنح الليل مع نفر من أتباعه، وما تخلى عن النضال في نشر دعوته، وما أحجم عن تجريد السيف من أجلها، فأخرج من

(١) قصة الإنسان، ص ٧٦.
(٢) نفسه، ص ٧٧.

جاهلية الصحراء عقيدة دينية واجتماعية تجمع بين الملايين من البشر في أقطار المعمورة»[١].

أميل درمنغم

١ «.. إذا كانت كل نفس بشرية تنطوي على عبرة، وإذا كان كل موجود يشتمل على عظة؛ فما أعظم ما تثير فينا من الأثر الخاص العميق المحرك الخصيب حياة رجل يؤمن برسالته فريق كبير من بني الإنسان»[٢].

٢ «.. ولد لمحمد ﷺ [من مارية القبطية] ابنه إبراهيم فمات طفلاً، فحزن عليه كثيراً، ولحده بيده وبكاه، ووافق موته كسوف الشمس، فقال المسلمون: إنها انكسفت لموته، ولكن محمداً ﷺ كان من سمو النفس ما رأى به ردّ ذلك فقال: (إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا تخسفان لموت أحد..) فقول مثل هذا مما لا يصدر عن كاذب دجال..» [٣].

٣ «.. تجلت بهذه الرحلة الباهرة [حجة الوداع] ما وصلت إليه من العظمة والسؤدد رسالة ذلك النبي؛ الذي نهكه اضطهاد عشر سنين، وحروب عشر سنين أخرى بلا انقطاع، هو النبي الذي جعل من مختلف القبائل المتقاتلة على الدوام أمة واحدة..»[٤].

٤ «[إن] محمداً ﷺ الذي خلق للقيادة يطالب معاصريه بغير ما يفرض عليهم من الطاعة لرجل يبلغهم رسالات الله، فهو بذلك واسطة بين الله رب العالمين والناس أجمعين.. وكان ينهى عن عده ملكاً.. ولقد نال السلطان والثراء والمجد، ولكنه لم يغتر بشيء من هذا كله، فكان يفضل إسلام رجل على أعظم الغنائم، ومما كان يمضّه عجز كثير من الناس عن إدراك كنه رسالته..» [٥].

٥ «.. الحق أن النبي ﷺ لم يعرف الراحة ولا السكون بعد أن أوحي إليه في غار حراء، فقضى حياة يعجب الإنسان بها، والحق أن عشرين سنة كفت

(١) نفسه، ص ٢٥٢.
(٢) حياة محمد، ص ٨.
(٣) نفسه، ص ٣١٨.
(٤) نفسه، ص ٣٥٩.
(٥) نفسه، ص ٣٦٠.

لإعداد ما يقلب الدنيا، فقد نبتت في رمال الحجاز الجديبة حبة سوف تجدد، عما قليل، بلاد العرب، وتمتد أغصانها إلى بلاد الهند والمحيط الأطلنطي. وليس لدينا ما نعرف به أن محمداً ﷺ أبصر، حين أفاض من جبل عرفات، مستقبل أمته، وانتشار دينه، وأنه أحس ببصيرته أن العرب الذين ألّف بينهم سيخرجون من جزيرتهم لفتح بلاد فارس والشام وإفريقية وأسبانية»[١].

دوراني[٢]

١ «أستطيع أن أقول بكل قوة أنه لا يوجد مسلم جديد واحد لا يحمل في نفسه العرفان بالجميل لسيدنا محمد ﷺ لما غمره به من حب وعون وهداية وإلهام، فهو القدوة الطيبة التي أرسلها الله رحمة لنا وحباً بنا حتى نقتفي أثره»[٣].

٢ «.. وأخيراً أخذت أدرس حياة النبي محمد ﷺ فأيقنت أن من أعظم الآثام أن نتنكر لذلك الرجل الرباني؛ الذي أقام مملكة لله بين أقوام كانوا من قبل متحاربين لا يحكمهم قانون، يعبدون الوثن، ويقترفون كل الأفعال المشينة، فغير طرق تفكيرهم، لا بل بدل عاداتهم وأخلاقهم، وجمعهم تحت راية واحدة وقانون واحد ودين واحد وثقافة واحدة وحضارة واحدة وحكومة واحدة، وأصبحت تلك الأمة، التي لم تنجب رجلاً عظيماً واحداً يستحق الذكر منذ عدة قرون، أصبحت تحت تأثيره تنجب ألوفاً من النفوس الكريمة التي انطلقت إلى أقصى أرجاء المعمورة تدعو إلى مبادئ الإسلام وأخلاقه ونظام الحياة الإسلامية، وتعلم الناس أمور الدين الجديد»[٤].

---

(١) نفسه، ص ٣٦٨ـ٣٦٩.

(٢) د. م.ح. دوراني Dr.M.H.Durrani

سليل أسرة مسلمة منذ القدم، أصبح نصرانياً في فترة مبكرة من حياته وتحت تأثير إحدى المدارس التبشيرية المسيحية، قضى ردحاً من حياته في كنيسة إنكلترا، حيث عمل قسيساً منذ عام ١٩٣٩ وحتى عام ١٩٦٣ حيث جاءه الإسلام «كما يأتي فصل الربيع»، فعاد إلى دين آبائه وأجداده.

(٣) رجال ونساء أسلموا، ٤/ ٢٧ـ٢٨.

(٤) نفسه، ٤/ ٢٨ـ٢٩.

[٣] «.. تحمل، ﷺ، ثلاثة عشر عاماً كاملة من المتاعب [في مكة] دون انقطاع، وثماني سنوات [في المدينة] دون توقف، فتحمل ذلك كله، فلم يتزحزح شعرة عن موقفه، وكان صامداً، رابط الجأش، صلباً في أهدافه وموقفه. عرضت عليه أمته أن تنصبه ملكاً عليها، وأن تضع عند قدميه كل ثروات البلاد إذا كف عن الدعوة إلى دينه ونشر رسالته، فرفض هذه الإغراءات كلها، فاختار بدلاً من ذلك أن يعاني من أجل دعوته. لماذا؟ لماذا لم يكترث أبداً للثروة والجاه والملك والمجد والراحة والدعة والرخاء؟ لا بد أن يفكر المرء في ذلك بعمق شديد إذا أراد أن يصل إلى جواب عليه»[(١)].

[٤] «هل بوسع المرء أن يتصور مثالاً للتضحية بالنفس وحب الغير والرأفة بالآخرين أسمى من هذا المثال، حيث نجد رجلاً يقضي على سعادته الشخصية لصالح الآخرين. بينما يقوم القوم أنفسهم الذين يعمل على تحسين أحوالهم ويبذل أقصى جهده في سبيل ذلك يقومون برميه بالحجارة والإساءة إليه ونفيه، وعدم إتاحة الفرصة له للحياة الهادئة حتى في منفاه، وإنه رغم كل ذلك يرفض أن يكف عن السعي لخيرهم؟ هل يمكن لأحد أن يتحمل كل هذا العناء والألم من أجل دعوة مزيفة؟ هل يستطيع أي مدخول غير مخلص.. أن يبدي هذا الثبات والتصميم على مبدئه والتمسك به حتى آخر رمق دون أدنى وجل أو تعثر أمام الأخطار وصنوف التعذيب التي يمكن تصورها، وقد قامت عليه البلاد بأكملها، وحملت السلاح ضده؟»[(٢)].

[٥] «إن هذا الإيمان، والسعي الحثيث، وهذا التصميم والعزم الذي قاد به محمد ﷺ حركته حتى النصر النهائي، إنما هو برهان بليغ على صدقه المطلق في دعوته. إذ لو كانت في نفسه أدنى لمسة من شك أو اضطراب لما استطاع أبداً أن يصمد أمام العاصفة التي استمر أُوارها أكثر من عشرين عاماً كاملة. هل بعد هذا من برهان على صدق كامل في الهدف واستقامة في الخلق وسمو في النفس، كل هذه العوامل تؤدي لا محالة إلى الاستنتاج الذي لا مفر منه وهو أن الرجل هو

---

(١) نفسه، ٤/٢٩-٣٠.
(٢) نفسه، ص ٤/ ٣٠.

رسول الله حقاً. هذا هو نبينا محمد ﷺ، إذ كان آية في صفاته النادرة، ونموذجاً كاملاً للفضيلة والخير، ورمزاً للصدق والإخلاص.. [إن] حياته وأفكاره وصدقه واستقامته، وتقواه وجوده، وعقيدته ومنجزاته، كل أولئك براهين فريدة على نبوته. فأي إنسان يدرس دون تحيز حياته ورسالته سوف يشهد أنه حقاً رسول من عند الله، وأن القرآن الذي جاء به للناس هو كتاب الله حقاً. وكل مفكر منصف جاد يبحث عن الحقيقة لا بد أن يصل إلى هذا الحكم»[1].

سانتيلانا[2]

١ «ما كان من محمد ﷺ إلّا أن يتناول المجتمع العربي هدماً من أصوله وجذوره، وشاد صرحاً اجتماعياً جديداً.. هذا العمل الباهر لم تخطئه عين (ابن خلدون) النافذة الثاقبة. أن محمداً ﷺ هدم شكل القبلية والأسرة المعروفين آنذاك، ومحا منه الشخصية الفردية Gents والموالاة والجماعات المتحالفة. من يعتنق دين الإسلام عليه أن ينسى روابطه كلها، ومنها رابطة قرباه وأسرته، إلّا إذا كانوا يعتنقون دينه (أخوته في الإيمان). فما داموا هم على دينهم القديم فإنه يقول لهم كما قال إبراهيم [عليه السلام] لأهله: (لقد تقطعت بيننا الأسباب)..»[3].

٢ «كان محمد ﷺ رسول الله إلى الشعوب الأخرى، كما كان رسول الله إلى العرب»[4].

---

(١) نفسه، ٤/ ٣٠-٣١.

(٢) دافيد دي سانتيلانا (١٨٤٥-١٩٣١) David de Santillana
ولد في تونس، ودرس في روما، أحرز الدكتوراه في القانون، فدعاه المقيم العام الفرنسي في تونس لدراسة وتدوين القوانين التونسية، فوضع القانون المدني والتجاري معتمداً بذلك على قواعد الشرعية الإسلامية، ومنسقاً إياها بحسب القوانين الأوربية. كان على معرفة واسعة بالمذهبين المالكي والشافعي، وفي سنة ١٩١٠ عين أستاذاً لتاريخ الفلسفة في الجامعة المصرية، وله محاضرات قيمة فيها، ثم استدعته جامعة روما لتدريس التاريخ الإسلامي.
من آثاره: (ترجمة وشرح الأحكام المالكية)، (الفقه الإسلامي ومقارنته بالمذهب الشافعي).. إلخ.

(٣) تراث الإسلام، ص ٤٠٥-٤٠٦.

(٤) نفسه، ص ٤٠٦.

هنري دي كاستري

[١] «إن أشد ما نتطلع إليه بالنظر إلى الديانة الإسلامية ما اختص منها بشخص النبي ﷺ؛ ولذلك قصدت أن يكون بحثي أولاً في تحقيق شخصيته وتقرير حقيقته الأدبية؛ علني أجد في هذا البحث دليلاً جديداً على صدقه وأمانته المتفق تقريباً عليها بين جميع مؤرخي الديانات، وأكبر المتشيعين للدين المسيحي»(١).

[٢] «ثبت إذاً أن محمداً ﷺ لم يقرأ كتاباً مقدساً، ولم يستشهد في دينه بمذهب متقدم عليه..»(٢).

[٣] «.. ولقد نعلم أن محمداً ﷺ مر بمتاعب كثيرة، وقاسى آلاماً نفسية كبرى قبل أن يخبر برسالته، فقد خلقه الله ذا نفس تمخضت للدين، ومن أجل ذلك احتاج إلى العزلة عن الناس لكي يهرب من عبادة الأوثان ومذهب تعدد الآلهة؛ الذي ابتدعه المسيحيون، وكان بغضهما متمكناً من قلبه، وكان وجود هذين المذهبين أشبه بإبرة في جسمه ﷺ. ولعمري فيم كان يفكر ذلك الرجل الذي بلغ الأربعين وهو في ريعان الذكاء، ومن أولئك الشرقيين الذين امتازوا في العقل بحدة التخيل وقوة الإدراك.. إلّا أن يقول مراراً، ويعيد تكراراً هذه الكلمات (الله أحد الله أحد). كلمات رددها المسلمون أجمعون من بعده، وغاب عنا معشر المسيحيين مغزاها لبعدنا عن فكرة التوحيد..»(٣).

[٤] «.. لو رجعنا إلى ما وضحه الحكماء عن النبوة، ولم يقبله المتكلمون من المسيحيين؛ لأمكننا الوقوف على حالة مشيد دعائم الإسلام، وجزمنا بأنه لم يكن من المبتدعين.. ومن الصعب أن تقف على حقيقة سماعه لصوت جبريل [عليه السلام].. إلّا أن معرفة هذه الحقيقة لا تغير موضوع المسألة؛ لأن الصدق حاصل في كل حال»(٤).

[٥] «لا يمكن أن ننكر على محمد ﷺ في الدور الأول من حياته كمال إيمانه، وإخلاص صدقه، فأما الإيمان فلم يتزعزع مثقال ذرة من قلبه في الدور الثاني

---

(١) الإسلام: خواطر وسوانح، ص ٦.
(٢) نفسه، ص ١٦.
(٣) نفسه، ص ١٦-١٧.
(٤) نفسه، ص ٢١.

[الدور المدني] وما أوتيه من نصر كان من شأنه أن يقويه على الإيمان؛ لولا أن الاعتقاد كله قد بلغ منه مبلغاً لا محل للزيادة فيه.. وما كان يميل إلى الزخارف ولم يكن شحيحاً.. وكان قنوعاً خرج من [الدنيا] ولم يشبع من خبز الشعير مرة في حياته.. تجرد من الطمع، وتمكن من نوال المقام الأعلى في بلاد العرب، ولكنه لم يجنح إلى الاستبداد فيها، فلم يكن له حاشية، ولم يتخذ وزيراً ولا حشماً، وقد احتقر المال..»[(١)].

آتيين دينيه

١ «إن الشخصية التي حملها محمد ﷺ بين برديه كانت خارقة للعادة، وكانت ذات أثر عظيم جداً، حتى إنها طبعت شريعته بطابع قوي جعل لها روح الإبداع، وأعطاها صفة الشيء الجديد..»[(٢)].

٢ «إن نبي الإسلام هو الوحيد من بين أصحاب الديانات الذي لم يعتمد في إتمام رسالته على المعجزات، وليست عمدته الكبرى إلّا بلاغة التنزيل الحكيم.»[(٣)].

٣ «.. إن سنة الرسول الغراء ﷺ باقية إلى يومنا هذا، يجلوها أعظم إخلاص ديني تفيض به نفوس [مئات الملايين] من أتباع سنته منتشرين على سطح الكرة»[(٤)].

٤ «كان النبي ﷺ يعنى بنفسه عناية تامة، إلى حد أن عرف له نمط من التأنق على غاية من البساطة، ولكن على جانب كبير من الذوق والجمال، وكان ينظر نفسه في المرآة.. ليمشط أو ليسوي طيات عمامته.. وهو في كل ذلك يريد من حسن منظره البشري أن يروق الخالق سبحانه وتعالى..»[(٥)].

٥ «لقد (دعا) عيسى [عليه السلام] إلى المساواة والأخوة، أما محمد ﷺ فوفق إلى (تحقيق) المساواة والأخوة بين المؤمنين أثناء حياته»[(٦)].

---

(١) نفسه، ص ٢٤.
(٢) أشعة خالصة بنور الإسلام، ص ١٥.
(٣) نفسه، ص ١٦.
(٤) محمد رسول الله، ص ٥١.
(٥) نفسه، ص ٣١٢.
(٦) نفسه، ص ٣٢٣.

ول ديورانت

١ «.. يبدو أن أحداً لم يعن بتعليم [محمد ﷺ] القراءة والكتابة.. ولم يعرف عنه أنه كتب شيئاً بنفسه.. ولكن هذا لم يحل بينه وبين قدرته على التعرف على شؤون الناس تعرفاً قلما يصل إليه أرقى الناس تعليماً»(١).

٢ «كان النبي ﷺ من مهرة القواد.. ولكنه كان إلى هذا سياسياً محنكاً، يعرف كيف يواصل الحرب بطريق السلم»(٢).

٣ «إذا ما حكمنا على العظمة بما كان للعظيم من أثر في الناس قلنا: إن محمداً ﷺ كان من أعظم عظماء التاريخ، فلقد أخذ على نفسه أن يرفع المستوى الروحي والأخلاقي لشعب ألقت به في دياجير الهمجية حرارة الجو وجدب الصحراء، وقد نجح في تحقيق هذا الغرض نجاحاً لم يدانه فيه أي مصلح آخر في التاريخ كله، وقلّ أن نجد إنساناً غيره حقق ما كان يحلم به.. ولم يكن ذلك لأنه هو نفسه كان شديد التمسك بالدين وكفى، بل لأنه لم يكن ثمة قوة غير قوة الدين تدفع العرب في أيامه إلى سلوك ذلك الطريق الذي سلكوه.. وكانت بلاد العرب لما بدأ الدعوة صحراء جدباء، تسكنها قبائل من عبدة الأوثان قليل عددها، متفرقة كلمتها، وكانت عند وفاته أمة موحدة متماسكة، وقد كبح جماح التعصب والخرافات، وأقام فوق اليهودية والمسيحية، ودين بلاده القديم، ديناً سهلاً واضحاً قوياً، وصرحاً خلقياً قوامه البسالة والعزة، واستطاع في جيل واحد أن ينتصر في مئة معركة، وفي قرن واحد أن ينشئ دولة عظيمة، وأن يبقى إلى يومنا هذا قوة ذات خطر عظيم في نصف العالم»(٣).

٤ «.. لسنا نجد في التاريخ كله مصلحاً فرض على الأغنياء من الضرائب ما فرضه عليهم محمد ﷺ لإعانة الفقراء..»(٤).

٥ «تدل الأحاديث النبوية على أن النبي ﷺ كان يحث على طلب العلم ويعجب به، فهو من هذه الناحية يختلف عن معظم المصلحين الدينيين..»(٥).

---

(١) قصة الحضارة، ١٣/ ٢١-٢٢.
(٢) نفسه، ١٣/ ٣٨.
(٣) نفسه، ١٣/ ٤٧.
(٤) نفسه، ١٣/ ٥٩.
(٥) نفسه، ١٣/ ١٦٧.

رودنسن[١]

(١) «.. [بظهور عدد من المؤرخين الأوربيين المستنيرين في القرن الثامن عشر] بدأت تتكامل معالم صورة هي صورة محمد ﷺ الحاكم المتسامح والحكيم والمشرع»[٢].

فرانز روزنثال

(١) «إن أفكار الرسول ﷺ التي تلقاها وحياً، والتي أدى إليها اجتهاده؛ نشطت دراسة التاريخ نشاطاً لا مزيد عليه، فقد أصبحت أعمال الأفراد وأحداث الماضي وحوادث كافة شعوب الأرض أموراً ذات أهمية دينية، كما أن شخصية الرسول ﷺ كانت خطاً فاصلاً واضحاً في كل مجرى التاريخ، ولم يتخط علم التاريخ الإسلامي هذا الخط قط..»[٣].

(٢) «تبقى حقيقة، هي أن الرسول ﷺ نفسه وضع البذور التي نجني منها اهتماماً واسعاً بالتاريخ.. لقد كان التاريخ يملأ تفكير الرسول ﷺ لدرجة كبيرة، وقد ساعد عمله من حيث العموم في تقدم نمو التاريخ الإسلامي في المستقبل، رغم أن الرسول ﷺ لم يتنبأ بالنمو الهائل للمعرفة والعلم الذي سيتم باسم دينه»[٤].

جاك ريسلر

(١) «القرآن يكمله الحديث الذي يعد سلسلة من الأقوال تتعلق بأعمال النبي ﷺ وإرشاداته. وفي الحديث يجد المرء ما كان يدور بخلد النبي ﷺ العنصر

---

(١) مكسيم رودنسن M.Rodinson

ولد عام ١٩١٥، من أساتذة مدرسة الدراسات العليا بباريس، ثم مديرها.

من آثاره: (مباحث في فن الطبخ عند العرب) (١٩٤٩). ونشر عدداً من الدراسات في المجالات المعروفة من مثل (دانتي والإسلام)، و(حياة محمد والمشكلة المتعلقة بأصول الإسلام)، و(دراسة الصلات بين الإسلام والشيوعية).

(٢) تراث الإسلام، (تصنيف شاخت وبوزوث)، ص ٤٠.

(٣) علم التاريخ عند المسلمين، ص ٤٠.

(٤) نفسه، ص ٤٥.

الأساسي في سلوكه أمام الحقائق المتغيرة في الحياة، هذه الأقوال، أو هذه الأحاديث التي يشكل مجموعها السنة دونت مما روي عن الصحابة [رضي الله عنهم] أو نقل عنهم مع التمحيص الشديد في اختيارها، وهكذا جمع عدد كبير من الأحاديث.. والسنة هي المبينة للقرآن التي لا غنى عنها للقرآن..»(١).

٢ «كان لزاماً على محمد ﷺ أن يبرز في أخصر وقت ممكن تفوق الشعب العربي عندما أنعم الله عليه بدين سام في بساطته ووضوحه، وكذلك بمذهبه الصارم في التوحيد في مواجهة التردد الدائم للعقائد الدينية، وإذا ما عرفنا أن هذا العمل العظيم أدرك وحقق في أقصر أجل أعظم أمل لحياة إنسانية؛ فإنه يجب أن نعترف أن محمداً ﷺ يظل في عداد أعظم الرجال الذين شرف بهم تاريخ الشعوب والأديان»(٢).

جورج سارتون

١ «صدع الرسول ﷺ بالدعوة عام ٦١٠م وعمره يوم ذاك أربعون سنة، وكان مثل إخوانه الأنبياء السابقين [عليهم السلام] ولكن كان أفضل منهم بما لا نسبة فيه.. وكان زاهداً وفقيهاً ومشرعاً ورجلاً عملياً..»(٣)

٢ «إنه لم يتح لنبي من قبل.. أن ينتصر انتصاراً تاماً كانتصار محمد ﷺ..»(٤).

٣ «.. لم يكن محمد ﷺ نبي الإسلام فحسب، بل نبي اللغة العربية والثقافة العربية، على اختلاف أجناس المتكلمين بها وأديانهم»(٥).

نصري سلهب

١ «في مكة.. أبصر النور طفل لم يمر ببال أمه، ساعة ولادته، أنه سيكون أحد أعظم الرجال في العالم بل في التاريخ، ولربما أعظمهم إطلاقاً..» (٦).

---

(١) الحضارة العربية، ص ٣٢.
(٢) نفسه، ص ٣٧.
(٣) الثقافة الغربية في رعاية الشرق الأوسط، ص ٣٠ـ٣١.
(٤) نفسه، ص ٤٣.
(٥) نفسه، ص ٤٣.
(٦) في خطى محمد، ص ٤٢.

٢ «هنا عظمة محمد ﷺ. لقد استطاع، خلال تلك الحقبة القصيرة من الزمن، أن يحدث شريعة خلقية وروحية واجتماعية لم يستطعها أحد في التاريخ بمثل هذه السرعة المذهلة»(١).

٣ «.. هذا الرجل الذي ما عرف الهدوء ولا الراحة ولا الاستقرار، استطاع وسط ذلك الخضم الهائج، أن يرسي قواعد الدولة، وأن يشترع قوانين، ويسن أنظمة، ويجود بالتفسير والاجتهاد، ولم ينس أنه أب وجد لأولاد وأحفاد، فلم يحرمهم عطفه وحنانه، فكان بشخصيته الفذة الغنية بالقيم والمعطيات والمؤهلات، المتعددة الأبعاد والجوانب، الفريدة بما أسبغ الله عليها من نعم وصفات، وبما حباها من إمكانات، كان بذلك كله عالماً قائماً بنفسه»(٢).

٤ «تراثك يابن عبد الله يجب أن يحيا، لا في القلوب والنفوس فحسب، بل في الواقع والحياة، فيما يعني البشر من أزمات، وما يعترضهم من عقبات، تراثك مدرسة يلقى على منابرها كل يوم عظة ودرس، كل سؤال له عندك جواب. كل مشكلة، مهما استعصت وتعقدت، نجد لها في آثارك حلاً»(٣).

٥ «.. لم يكن النبي ﷺ رسولاً وحسب، يهدي الناس إلى الإيمان، إنما كان زعيماً وقائد شعب، فعزم على أن يجعل من ذلك الشعب خير أمة أخرجت للناس، وكان له ما أراد»(٤).

أحمد سوسة

١ «.. أي غاية أسمى وأقرب إلى الإنسانية ودين الله من تلكم الغايات التي كانت يرمي إليها الرسول ﷺ في توحيد القلوب وإظهار الحقيقة؟ لنتصور محمداً ﷺ وهو يملي على أهل الكتاب وحي الله قائلاً: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤]..»(٥).

(١) نفسه، ص ١٩٦.
(٢) نفسه، ص ٢٧٤ـ٢٨٣.
(٣) نفسه، ص ٣٩٦.
(٤) نفسه، ص ٤٠٩.
(٥) في طريقي إلى الإسلام، ١/ ٧٢ـ٧٣.

[٢] «. . إن نبي الإسلام شخصية تاريخية مبجلة. وما حياة الرسول (سوى سلسلة وقائع تاريخية عظيمة الشأن، نبيلة المرمى، يتجلى فيها مقامه السامي من الحلقة الإنسانية. .»(١).

[٣] «. . كان محمد ﷺ أنموذجاً للحياة الإنسانية بسيرته وصدق إيمانه ورسوخ عقيدته القوية، بل مثالاً كاملاً للأمانة والاستقامة، وإن تضحياته في سبيل بث الرسالة الإلهية خير دليل على سمو ذاته، ونبل مقصده، وعظمة شخصيته، وقدسية نبوته»(٢).

[٤] «إن التاريخ ينبئنا أن محمداً ﷺ ضحى بكل شيء من أجل رسالته؛ إذ أتيح له مرات فرصة الاختيار بين أمرين أولهما حياة راحة وهناء وغنى على أن ينبذ [دعوته]، وثانيهما حياة عسر واضطهاد مقرونة بنشر رسالته، وقد فضل الأمر الثاني لأن إيمانه برسالته كان قوياً، وكان قد أوحي إليه بأنه قد اختاره ربه لبث هذه الرسالة إلى الإنسانية جمعاء؛ فكان ما أراد الله له»(٣).

لويس سيديو

[١] «لقد حل الوقت الذي توجه فيه الأنظار إلى تاريخ تلك الأمة التي كانت مجهولة الأمر في زاوية من آسية، فارتقت إلى أعلى مقام، فطبق اسمها آفاق الدنيا مدة سبعة قرون. ومصدر هذه المعجزة هو رجل واحد، هو محمد ﷺ. . .»(٤).

[٢] «. . لم يعد محمد ﷺ نفسه غير خاتم لأنبياء الله [عليهم السلام] وهو قد أعلن أن عيسى ابن مريم كان ذا موهبة في الإتيان بالمعجزات، مع أن محمداً ﷺ لم يعط مثل هذه الموهبة، وما أكثر ما كان يعترض محتجاً على بعض ما يعزوه إليه أشد أتباعه حماسة من الأعمال الخارقة للعادة»(٥).

[٣] «. . إن محمداً ﷺ أثبت خلود الروح. . وهو مبدأ من أقوم مبادئ الأخلاق، ومن مفاخر محمد ﷺ أن أظهره قوياً أكثر مما أظهره أي مشترع آخر. .»(٦).

---

(١) نفسه، ١/ ١٧٤.
(٢) نفسه، ١/ ١٧٤-١٧٥.
(٣) نفسه، ٢/ ١٣٠.
(٤) تاريخ العرب العام، ص ١٥.
(٥) نفسه، ص ٩٠.
(٦) نفسه، ص ٩٣.

٤ «.. ما أكثر ما عرض محمد ﷺ حياته للخطر انتصاراً لدعوته في عهده الأول بمكة، وهو لم ينفك عن القتال في واقعة أحد حتى بعد أن جرح جبينه وخده وسقطت ثنيتاه.. وهو قد أوجب النصر بصوته ومثاله في معركة حنين، وما الحق إن عرف العالم كيف يحيي قوت إرادته ومتانة خلقه وبساطته، ومن يجهل أنه لم يعدل، إلى آخر عمره، عما يفرضه فقر البادية على سكانها من طراز حياة وشظف عيش؟ وهو لم ينتحل أوضاع الأمراء قط مع ما ناله من غنى وجاه عريض.. وكان ﷺ حليماً معتدلاً، وكان يأتي بالفقراء إلى بيته ليقاسمهم طعامه، وكان يستقبل بلطف ورفق جميع من يودون سؤاله، فيسحر كلماءه بما يعلو وجهه الزين الزاهر من البشاشة، وكان لا يضجر من طول الحديث، وكان لا يتكلم إلّا قليلاً فلا ينم ما يقوله عن كبرياء أو استعلاء، وكان يوحي في كل مرة باحترام القوم له.. ودل ﷺ على أنه سياسي محنك..»[1].

٥ «بدت في بلاد العرب أيام محمد ﷺ حركة غير مألوفة من قبل، فقد خضعت لسلطان واحد قبائل العرب الغيرة على استقلالها، والفخورة بحياتها الفردية، وانضم بعض هذه القبائل إلى بعض فتآلفت أمة واحدة»[2].

هنري سيرويا

١ «ومحمد ﷺ لم يغرس في نفوس الأعراب مبدأ التوحيد فقط، بل غرس فيها أيضاً المدنية والأدب»[3].

٢ «محمد ﷺ شخصية تاريخية حقة، فلولاه ما استطاع الإسلام أن يمتد ويزداد، ولم يتوان في ترديد أنه بشر مثل الآخرين مآله الموت، وبأنه يطلب العفو والمغفرة من الله عز وجل، وقبل مماته أراد أن يطهر ضميره من كل هفوة أتاها فوقف على المنبر مخاطباً: أيها المسلمون، إذا كنت قد ضربت أحداً فهاكم ظهري فليأخذ ثأره، أو سلبته مالاً فمالي ملكه. فوقف رجل معلناً أنه يدينه بثلاثة دراهم، فرد الرسول ﷺ قائلاً: إن يشعر الإنسان بالخجل في دنياه خير من آخرته،

(١) نفسه، ص ١٠٢ـ١٠٣.
(٢) نفسه، ص ١٢٣.
(٣) فلسفة الفكر الإسلامي، ص ٨.

ودفع للرجل دينه في التو، وهذا التذوق والإحساس البالغ لفهم محمد ﷺ لدوره كنبي يرينا بأن (رينان) كان على غير حق في نعته العرب قبل الإسلام بأنها أمة كانت تحيا بين براثن الجهل والخرافات..»[1].

[٣] «إن المحاولة الإسلامية في التاريخ ذات أثر كبير، والعبقرية العربية تجد في محمد ﷺ منشئاً لحضارة التوحيد التي تعتبر ذات أهمية كبيرة، إذا فكرنا في القيمة الفلسفية للتوحيد، وفي تفوقها الكبير الذي جعل كل الشعوب الآرية تمارس أفكار تلكم الفلسفة. وهذه الثروة الروحية الغزيرة في الأمة العربية، راجعة إلى الغريزة النبوية والتي تعد واضحة لدى الشعوب السامية، فاليهود الذين يستطيعون الفخر بأنبيائهم الكبار، يقرّون بأن روح النبوة قد اختفت لديهم بعد هدم معبدهم الثاني، وهذا ما يفسر بمعنى أكيد العداوة العنيفة والكثيرة التكرار في القرآن بالنسبة إليهم»[2].

[٤] «.. إن الحضارة الفكرية الذهنية الحقيقية لم تظهر وتوجد لدى العرب؛ سوى لدى وصول محمد ﷺ»[3].

لورا فيشيا فاغليري

[١] «كانت حملة كبيرة على سورية.. رهن الإعداد، عندما أسكت الموت إلى الأبد صوت النبي ﷺ الذي كان قد أحدث هذه الهزة العميقة في تلك القلوب كلها، والذي كان مقدراً له أن يستهوي عما قريب شعوباً أخرى تقيم في مواطن أكثر إمعاناً في البعد. وكان ذلك في السنة الحادية عشرة من الهجرة»[4].

[٢] «كان محمد ﷺ المتمسك دائماً بالمبادئ الإلهية، شديد التسامح، وبخاصة نحو أتباع الأديان الموحدة. لقد عرف كيف يتذرع بالصبر مع الوثنيين، مصطنعاً الأناة دائماً؛ اعتقاداً منه بأن الزمن سوف يتم عمله الهادف إلى هدايتهم

(١) نفسه، ص ١٧.
(٢) نفسه، ص ٣١.
(٣) نفسه، ص ٧٣.
(٤) دفاع عن الإسلام، ص ٢٤.

وإخراجهم من الظلام إلى النور.. لقد عرف جيداً أن الله لا بد أن يدخل آخر الأمر إلى القلب البشري»[١].

٣ «حاول أقوى أعداء الإسلام، وقد أعماهم الحقد، أن يرموا نبي الله ﷺ ببعض التهم المفتراة، لقد نسوا أن محمداً كان قبل أن يستهل رسالته موضع الإجلال العظيم من مواطنيه بسبب أمانته وطهارة حياته. ومن عجب أن هؤلاء الناس لا يجشمون أنفسهم عناء التساؤل كيف جاز أن يقوى محمد ﷺ على تهديد الكاذبين والمرائين في بعض آيات القرآن اللاسعة بنار الجحيم الأبدية، لو كان هو قبل ذلك [وحاشاه] رجلاً كذاباً؟ كيف جرؤ على التبشير، على الرغم من إهانات مواطنيه، إذا لم تكن ثمة قوى داخلية تحثه، وهو الرجل ذو الفطرة البسيطة، حثاً موصولاً؟ كيف استطاع أن يستهل صراعاً كان يبدو يائساً؟ كيف وفق إلى أن يواصل هذا الصراع أكثر من عشر سنوات، في مكة، في نجاح قليل جداً، وفي أحزان لا تحصى، إذا لم يكن مؤمناً إيماناً عميقاً بصدق رسالته؟ كيف جاز أن يؤمن به هذا العدد الكبير من المسلمين النبلاء والأذكياء، وأن يؤازروه، ويدخلوا في الدين الجديد، ويشدوا أنفسهم بالتالي إلى مجتمع مؤلف في كثرته من الأرقاء، والعتقاء، والفقراء المعدمين إذا لم يلمسوا في كلمته حرارة الصدق؟ ولسنا في حاجة إلى أن نقول أكثر من ذلك، فحتى بين الغربيين يكاد ينعقد الإجماع على أن صدق محمد ﷺ كان عميقاً وأكيداً»[٢].

٤ «دعا الرسول العربي ﷺ بصوت ملهم باتصال عميق بربه، دعا عبدة الأوثان وأتباع نصرانية ويهودية محترفين إلى أصفى عقيدة توحيدية. وارتضى أن يخوض صراعاً مكشوفاً مع بعض نزعات البشر الرجعية؛ التي تقود المرء إلى أن يشرك بالخالق آلهة أخرى..»[٣].

٥ «إن [محمداً ﷺ] طوال سنيّ الشباب التي تكون فيها الغريزة الجنسية أقوى ما تكون، وعلى الرغم من أنه عاش في مجتمع كمجتمع العرب، حيث كان

---

(١) نفسه، ص ٣٣.
(٢) نفسه، ص ٣٧ ـ ٣٨.
(٣) نفسه، ص ٤٣.

الزواج، كمؤسسة اجتماعية مفقوداً أو يكاد، وحيث كان تعدد الزوجات هو القاعدة، وحيث كان الطلاق سهلاً إلى أبعد الحدود، لم يتزوج إلّا من امرأة واحدة ليس غير، هي خديجة [رضي الله عنها] التي كانت سنها أعلى من سنه بكثير، وإنه ظل طوال خمس وعشرين سنة زوجها المخلص المحب، ولم يتزوج كرة ثانية، وأكثر من مرة، إلا بعد أن توفيت خديجة، و إلّا بعد أن بلغ الخمسين من عمره. لقد كان لكل زواج من زواجاته هذه سبب اجتماعي أو سياسي، ذلك بأنه قصد من خلال النسوة اللاتي تزوجهن إلى تكريم النسوة المتصفات بالتقوى، أو إلى إنشاء علاقات زوجية مع بعض العشائر والقبائل الأخرى ابتغاء شق طريق جديد لانتشار الإسلام. وباستثناء عائشة [رضي الله عنها]، ليس غير، تزوج محمد ﷺ من نسوة لم يكن لا عذارى، ولا شابات، ولا جميلات، فهل كان ذلك شهوانية؟ لقد كان رجلاً لا إلهاً. وقد تكون الرغبة في الولد هي التي دفعته أيضاً إلى الزواج من جديد؛ لأن الأولاد الذين أنجبتهم خديجة [رضي الله عنها] له كانوا قد ماتوا. ومن غير أن تكون له موارد كثيرة أخذ على عاتقه النهوض بأعباء أسرة ضخمة، ولكن التزم دوماً سبيل المساواة الكاملة نحوهن جميعاً، ولم يلجأ قط إلى اصطناع حق التفارق مع أي منهن، لقد تصرف متأسياً بسنة الأنبياء القدامى [عليهم السلام]، مثل موسى وغيره، الذين لا يبدو أن أحداً من الناس يعترض على زواجهم المتعدد. فهل يكون مرد ذلك إلى أننا نجهل تفاصيل حياتهم اليومية، على حين نعرف كل شيء عن حياة محمد ﷺ العائلية»[١].

ليوبولد فايس

١ «.. إن العمل بسنة رسول الله ﷺ هو عمل على حفظ كيان الإسلام وعلى تقدمه، وإن ترك السنة هو انحلال الإسلام. لقد كانت السنة الهيكل الحديدي الذي قام عليه صرح الإسلام، وإنك إذا أزلت هيكل بناء ما، أفيدهشك أن يتقوض ذلك البناء، كأنه بيت من ورق؟»[٢]

(١) نفسه، ص ٩٩-١٠٠.
(٢) الإسلام على مفترق الطرق، ص ٨٧.

٢ «. . إن السنة هي المثال الذي أقامه لنا الرسول ﷺ من أعماله وأقواله. إن حياته العجيبة كانت تمثيلاً حياً وتفسيراً لما جاء في القرآن الكريم، ولا يمكننا أن نصف القرآن الكريم بأكثر من أن نتبع الذي قد بلغ الوحي»[١].

٣ «. .إنه على الرغم من جميع الجهود التي بذلت في سبيل تحدي الحديث على أنه نظام ما، فإن أولئك النقاد العصريين من الشرقيين والغربيين لم يستطيعوا أن يدعموا انتقادهم العاطفي الخالص بنتائج من البحث العلمي، وإنه من الصعب أن يفعل أحد ذلك؛ لأن الجامعين لكتب الحديث الأولى، وخصوصاً الإمامين البخاري ومسلم قد قاموا بكل ما في طاقة البشر عند عرض صحة كل حديث على قواعد التحديث عرضاً أشد كثيراً من ذلك الذي يلجأ إليه المؤرخون الأوربيون عادة عند النظر في مصادر التاريخ القديم»[٢].

٤ «. . إن رفض الأحاديث الصحيحة، جملة واحدة أو أقساماً، ليس حتى اليوم. . إلا قضية ذوق، قضية قصرت عن أن تجعل من نفسها بحثاً علمياً خالصاً من الأهواء. .» [٣].

٥ «إن العمل بالسنة [يجعل] كل شيء في حياتنا اليومية مبنياً على الاقتداء بما فعله الرسول ﷺ وهكذا نكون دائماً، إذا فعلنا أو تركنا ذلك، مجبرين على أن نفكر بأعمال الرسول وأقواله المماثلة لأعمالنا هذه، وعلى هذا تصبح شخصية أعظم رجل متغلغلة إلى حد بعيد في منهاج حياتنا اليومية نفسه، ويكون نفوذه الروحي قد أصبح العامل الحقيقي الذي يعتادنا طوال الحياة. .»[٤].

كارلايل[٥]

١ «هل رأيتم قط أن رجلاً كاذباً يستطيع أن يوجد ديناً عجباً. . إنه لا يقدر أن يبني بيتاً من الطوب! فهو إذا لم يكن عليماً بخصائص الجير والجص والتراب

(١) نفسه، ص ٨٨.
(٢) نفسه، ص ٩٢.
(٣) نفسه، ص ٩٧.
(٤) نفسه، ص ١٠٩.
(٥) توماس كارلايل(١٧٩٥-١٨٨١) Th.Carlyle الكاتب الإنكليزي المعروف.

وما شاكل ذلك، فما ذلك الذي يبنيه ببيت، وإنما هو تل من الأنقاض وكثيب من أخلاط المواد، وليس جديراً أن يبقى على دعائمه اثني عشر قرناً يسكنه مئتا مليون من الأنفس، ولكنه جدير أن تنهار أركانه فينهدم فكأنه لم يكن، وإني لأعلم أن على المرء أن يسير في جميع أموره طبق قوانين الطبيعة وإلا أبت أن تجيب طلبته.. كذب ما يذيعه أولئك الكفار وإن زخرفوه حتى تخيلوه حقاً.. ومحنة أن ينخدع الناس شعوباً وأمماً بهذه الأضاليل..»[1].

[٢] «.. إن [محمداً ﷺ] لم يتلق دروساً على أستاذ أبداً، وكانت صناعة الخط حديثة العهد آنذاك في بلاد العرب، ويظهر لي أن الحقيقة هي أن محمداً ﷺ لم يكن يعرف الخط والقراءة، وكل ما تعلم هو عيشة الصحراء وأحوالها وكل ما وفق إلى معرفته هو ما أمكنه أن يشاهده بعينيه، ويتلقى بفؤاده من هذا الكون العديم النهاية.. إنه لم يعرف من العالم ومن علومه إلّا ما تيسر له أن يبصره بنفسه أو يصل إلى سمعه في ظلمات صحراء العرب، ولم يضره.. إنه لم يعرف علوم العالم لا قديماً ولا حديثاً لأنه كان بنفسه غنياً عن كل ذلك. ولم يقتبس محمد ﷺ من نور أي إنسان آخر ولم يغترف من مناهل غيره ولم يك في جميع أشباهه من الأنبياء والعظماء ـ أولئك الذين أشبههم بالمصابيح الهادية في ظلمات الدهور ـ من كان بين محمد ﷺ وبينه أدنى صلة، وإنما عاش وحده في أحشاء الصحراء.. بين الطبيعة وبين أفكاره»[2].

[٣] «لوحظ على محمد ﷺ منذ [صباه] أنه كان شاباً مفكراً وقد سماه رفقاؤه الأمين ـ رجل الصدق والوفاء ـ الصدق في أفعاله وأقواله وأفكاره. وقد لاحظوا أنه ما من كلمة تخرج من فيه إلا وفيها حكمة بليغة. واني لأعرف عنه أنه كان كثير الصمت يسكت حيث لا موجب للكلام، فإذا نطق فما شئت من لب.. وقد رأيناه طول حياته رجلاً راسخ المبدأ صارم العزم بعيد الهم كريماً براً رؤوفاً تقياً فاضلاً حراً، رجلاً شديد الجد مخلصاً، وهو مع ذلك سهل الجانب لين

= من آثاره: (الأبطال) (١٩٤٠)، وقد عقد فيه فصلاً رائعاً عن النبي ﷺ، (الثورة الفرنسية)...إلخ.

(١) الأبطال، ص ٤٣.

(٢) نفسه، ص ٥٠.

العريكة، جم البشر والطلاقة، حميد العشرة، حلو الإيناس، بل ربما مازح وداعب، وكان على العموم تضيء وجهه ابتسامة مشرقة من فؤاد صادق.. وكان ذكي اللب، شهم الفؤاد.. عظيماً بفطرته، لم تثقفه مدرسة ولا هذبه معلم وهو غني عن ذلك.. فأدى عمله في الحياة وحده في أعماق الصحراء»[١].

٤ «.. ومما يبطل دعوى القائلين أن محمداً ﷺ لم يكن صادقاً في الرسالة.. إنه قضى عنفوان شبابه وحرارة صباه في تلك العيشة الهادئة المطمئنة [مع خديجة رضي الله عنها] لم يحاول أثناءها إحداث ضجة ولا دوي، مما يكون وراءه ذكر وشهرة وجاه وسلطة.. ولم يك إلّا بعد أن ذهب الشباب وأقبل المشيب أن فار بصدره ذلك البركان الذي كان هاجعاً وثار يريد أمراً جليلاً، وشأناً عظيماً»[٢].

٥ «لقد كان في فؤاد ذلك الرجل الكبير ﷺ ابن القفار والفلوات العظيم النفس، المملوء رحمة وخيراً وحناناً وبراً وحكمة وحجى ونهى أفكار غير الطمع الدنيوي، ونوايا خلاف طلب السلطة والجاه. وكيف وتلك نفس صامتة كبيرة ورجل من الذين لا يمكنهم إلّا أن يكونوا مخلصين جادين؟ فبينما نرى آخرين يرضون بالاصطلاحات الكاذبة، ويسيرون طبق اعتبارات باطلة، إذ ترى محمداً ﷺ لم يرض أن يلتفع بالأكاذيب والأباطيل. لقد كان منفرداً بنفسه العظيمة، وبحقائق الأمور والكائنات، لقد كان سرّ الوجود يسطع لعينيه بأهواله ومخاوفه ومباهره، ولم يك هناك من الأباطيل ما يحجب ذلك عنه، فكأنه لسان حال ذلك السر يناجيه: هاأنذا، فمثل هذا الإخلاص لا يخلو من معنى إلهي مقدس، وما كلمة مثل هذا الرجل إلّا صوت خارج من صميم قلب الطبيعة، فإذا تكلم فكل الآذان برغمها صاغية وكل القلوب واعية، وكل كلام ماعدا ذلك هباء وكل قول جفاء..»[٣].

٦ «إني أحب محمداً ﷺ لبراءة طبعه من الرياء والتصنع. ولقد كان ابن القفار هذا رجلاً مستقل الرأي لا يعول إلّا على نفسه، ولا يدعي ما ليس فيه ولم يك متكبراً ولكنه لم يك ذليلاً، فهو قائم في ثوبه المرقع كما أوجده الله وكما

(١) نفسه، ص ٥٠-٥١.
(٢) نفسه، ص ٥١.
(٣) نفسه، ص ٥١-٥٢.

أراده، يخاطب بقوله الحر المبين قياصرة الروم وأكاسرة العجم يرشدهم إلى ما يجب عليهم لهذه الحياة وللحياة الآخرة. وكان يعرف لنفسه قدرها.. وكان رجلاً ماضي العزم لا يؤخر عمل اليوم إلى غد..»[١].

كاهن[٢]

[١] «اصطبغت شخصية محمد ﷺ بصبغة تاريخية قد لا نجدها عند أي مؤسس آخر من مؤسسي الديانات الكبرى»[٣].

[٢] «يبدو للمؤرخ المنصف أن محمداً ﷺ كان في عداد الشخصيات النبيلة السامية؛ التي سعت في كثير من الحماس والإخلاص إلى النهوض بالبيئة التي عاش فيها أخلاقياً وفكرياً، كما استطاع في الوقت نفسه أن يكيف رسالته حسب طباع الناس وتقاليدهم بمزيد من الفهم والتنظيم؛ بحيث كفل البقاء والخلود للرسالة التي بشر بها. وحتم علينا أن نلقى محمداً ﷺ بعواطف الإجلال والاحترام لما تحلى به من سمو الإلهام ومن قدرة على تذليل العقبات الإنسانية عامة، والتغلب على مصاعبه الشخصية، خاصة وربما أثارت فينا بعض جوانب حياته شيئاً من الارتباك تبعاً لعقليتنا المعاصرة. فقد أكدت المهاترات على شهوات الرسول ﷺ الدنيوية وألمحت إلى زوجاته التسع اللائي اتخذهن بعد وفاة خديجة [رضي الله عنها]. لكن الثابت أن معظم هذه الصلات الزوجية قد طبعت بطابع سياسي، وأنها استهدفت الحصول على ولاء بعض الأشراف وبعض الأفخاذ. ثم إن العقلية العربية تقر الإنسان إذا استخدم طبيعته على نحو ما خلقها الله»[٤].

---

(١) نفسه، ص ٦٤.

(٢) كلود كاهن Cl. Cahen

ولد عام ١٩٠٩، تخرج باللغات الشرقية من السوربون ومدرسة اللغات الشرقية ومدرسة المعلمين العليا، وعين محاضراً في اللغات الشرقية في باريس (١٩٣٨)، وأستاذاً لتاريخ الإسلام في كلية الآداب بجامعة ستراسبرغ (١٩٤٥)، وفي جامعة باريس.

من آثاره: عدد كبير من الدراسات والأبحاث في المجلات الشهيرة، وحقق العديد من النصوص التاريخية المهمة، كما أنجز عدداً من المؤلفات عن الحروب الصليبية.

(٣) تاريخ العرب والشعوب الإسلامية، ١/ ١٤.

(٤) نفسه، ١/ ١٨.

٣ «. . الحق أننا نتجاوز النقد العلمي الصحيح إذا نحن أنكرنا على كل حديث صحته أو قدمه. ولقد باشر العلماء بمثل هذا التمحيص منذ عهد بعيد؛ فوجدوا أن التحريف أو التلفيق قد لا يكون على نسق واحد، واستندوا في ذلك إلى بعض الأحاديث التي يمكن اعتبارها سابقة أو حجة يعتد بها. بمعنى أن الموقف النقدي مفروض على الباحث المنصف. وفقهاء المسلمين أنفسهم هم قدوة لنا في هذا المضمار؛ لأنهم ـ على طريقتهم ـ قد التزموا بذلك الموقف منذ العصر الوسيط»[١].

هاملتون كب

١ «. . لقد اقتضى الأمر نشوء علم جديد غايته جمع الحديث ونقده وتصنيفه وتنسيقه، والحصول في النهاية ـ بقدر الإمكان ـ على مجموعة متفق عليها يتقبلها الجميع. وقد استأثرت هذه المهمة بالكثير من طاقات الفقهاء والعلماء في القرن الثالث، ولكن القائمين عليها أحرزوا نجاحاً؛ حتى أصبح حديث الرسول ﷺ يعتبر مرجعاً ثانياً معتمداً للفقه والعقيدة»[٢].

٢ « يكاد يكون من المؤكد أن الآراء التي تعبر عنها الأحاديث [التي تم جمعها في القرن الثالث] تمثل تعاليم القرآن، ومبادئه الخلقية تمثيلاً صادقاً»[٣].

٣ «إن بدايات التاريخ العلمي بالعربية تقترن بدراسة سيرة الرسول ﷺ ودراسة أعماله. وعليه فإننا نجد مصدر هذه الدراسة في جمع الحديث النبوي وبخاصة الأحاديث المتعلقة بمغازي الرسول ﷺ. وكان موطن هذه الدراسة هو المدينة، ويفسر لنا ارتباط المغازي بالحديث، هذا الارتباط الذي ترك طابعاً لا يمحى في المنهج التاريخي باستخدام هذا المنهج للإسناد، ما طرأ من تغيير هائل ظهر منذ هذه اللحظة في طبيعة الأخبار التاريخية عند العرب، ودقتها المؤسسة على النقد، ويمكننا أن نشعر لأول مرة بأننا نستند إلى أساس تاريخي قويم حتى وإن

(١) نفسه، ١/٩٥.
(٢) دراسات في حضارة الإسلام، ص ٢٠.
(٣) نفسه، ص ٢١.

اعترفنا بوجود بعض العناصر المشكوك فيها في أخبار الفترتين، المدنية والمكية، من حياة الرسول ﷺ »[١].

[٤] «ومهما نقل في قوة النزعة الإسلامية نحو محمد ﷺ وآثارها فإنا لا نوصف بالغلو، لقد كان إجلال الرسول ﷺ شعوراً طبيعياً محتوماً في عصره وفيما بعده، غير أن ما نومئ إليه شيء يتجاوز الإجلال، فإن العلاقات الشخصية من الإعجاب والحب اللذين بعثهما في نفوس صحابته ظل صداها يتردد خلال القرآن، والفضل في ذلك يعود إلى الوسائل التي أقرتها الأمة لتستثير بها مجددين في كل جيل»[٢].

[٥] «.. لولا الحديث لأصبح [لمحمد ﷺ] في أقل تقدير صورة معممة ـ إن لم نقل بعيدة ـ في أصولها التاريخية والدينية. أما الحديث فقد صور وجوده الإنساني في مجموعة وفيرة من التفصيلات الحية المحسوسة، وبذلك قدم للمسلمين حين ربط بين المسلمين وبين نبيهم بنفس الروابط الذاتية الوثيقة التي كانت تصله بأصحابه الأولين، وهي روابط نمت على مر القرون، وكانت أقوى من أن تصاب بالضعف. ولم يصبح شخص محمد ﷺ أبداً ذا صبغة مرسومة مقررة، ويكاد لا يكون من الغلو أن نقول: إن حرارة ذلك الشعور الشخصي نحو الرسول الحبيب ﷺ كانت أبداً أقوى عنصر حيوي في دين الجماهير الإسلامية، أو كانت كذلك بين أهل السنة، على الأقل»[٣].

«.. ما تزال الاحتفالات العائلية تختم بأدعية وأناشيد في تمجيد الرسول ﷺ وكل الأمة تراعيها وتشهدها بحماسة في ذلك اليوم المجيد، يوم مولد النبي ﷺ في الثاني عشر من شهر ربيع الأول، هناك ترى المجددين والمقلدين والصوفية والسلفية والعلماء وأفراد الجمهور يلتقون جميعاً معاً على بقعة واحدة، وقد يكون

(١) نفسه، ص ١٤٧.
(٢) نفسه، ص ٢٥٧.
(٣) نفسه، ص ٢٥٧ـ ٢٥٨.

بين نزعاتهم العقلية تنوع واسع متباين، ولكنهم جميعاً وحدة متآلفة في إخلاصهم وحبهم لمحمد ﷺ»[١].

إيفلين كوبولد

١ «.. هذه هي مدينة الرسول ﷺ.. تعيد إلى نفسي ذكرى جهاده في سبيل لا إله إلّا الله، وتلقي في روعي صبره على المكاره واحتماله الأذى في سبيل الوحدانية الإلهية»[٢].

٢ «وكان العرب قبل محمد ﷺ أمة لا شأن لها ولا أهمية لقبائلها ولا لجماعتها، فلما جاء محمد ﷺ بعث هذه الأمة بعثاً جديداً يصح أن يكون أقرب إلى المعجزات، فغلبت العالم، وحكمت فيه آجالاً وآجالاً..»[٣].

٣ «.. لعمري، ليجدن المرء في نفسه، ما تقدم إلى قبر [الرسول ﷺ] روعة ما يستطيع لها تفسيراً، وهي روعة تملأ النفس اضطراباً وذهولاً ورجاء وخوفاً وأملاً، ذلك أنه أمام نبي مرسل وعبقري عظيم لم تلد مثله البطون حتى اليوم.. إن العظمة والعبقرية يهزان القلوب، ويثيران الأفئدة، فما بالك بالعظمة إذا انتظمت مع النبوة، وما بالك بها وقد راحت تضحي بكل شيء في الحياة في سبيل الإنسانية وخير البشرية»[٤].

٤ «لقد استطاع النبي ﷺ القيام بالمعجزات والعجائب، لما تمكن من حمل هذه الأمة العربية الشديدة العنيدة على نبذ الأصنام، وقبول الوحدانية الإلهية.. لقد وفق إلى خلق العرب خلقاً جديداً، ونقلهم من الظلمات إلى النور»[٥].

٥ «مع أن محمداً ﷺ كان سيد الجزيرة العربية، فإنه لم يفكر في الألقاب، ولا راح يعمل لاستثمارها، بل ظل على حاله مكتفياً بأنه رسول الله، وأنه خادم المسلمين، ينظف بيته بنفسه، ويصلح حذاءه بيده، كريماً باراً كأنه الريح السارية،

---

(١) نفسه، ص ٢٥٩.
(٢) البحث عن الله، ص ٣٩ـ٤٠.
(٣) نفسه، ص٥١.
(٤) نفسه، ص ٥٢.
(٥) نفسه، ص ٦٦ـ٦٧.

لا يقصده فقير أو بائس إلّا تفضل عليه بما لديه، وما لديه كان في أكثر الأحيان قليلاً لا يكاد يكفيه»[(١)].

كولد تسيهر[(٢)]

[١] «.. إن محمداً قد بشر بمذهبه للمرة الأولى بحماس لم يفتر ولم تعوزه المثابرة، وبعقيدة ثابتة بأن هذا المذهب يحقق صالح الجماعة الخاصة، وقد كان في ذلك كله مظهراً لإنكار الذات برغم سخرية الجمهور»[(٣)].

[٢] «.. الحق أن محمداً ﷺ كان بلا شك أول مصلح في الشعب العربي من الوجهة التاريخية»[(٤)].

[٣] «في هذا العصر نرى النبي ﷺ يستخدم حنكته المفكرة ورويته الدقيقة وتبصره العلمي، في مقاومة خصومه؛ الذين شرعوا في معارضة مقاصده وغاياته في داخل موطنه وخارجه»[(٥)].

عبد الله كويليام

[١] «كان محمد ﷺ على أعظم ما يكون من كريم الطباع وشريف الأخلاق ومنتهى الحياء وشدة الإحساس. وكان حائزاً لقوة إدراك عجيبة وذكاء مفرط وعواطف رقيقة شريفة. وكان على خلق عظيم، وشيم مرضية، مطبوعاً على الإحسان...»[(٦)].

---

(١) نفسه، ص ٦٧.
(٢) كولد تسيهر (١٨٥٠ـ١٩٢١م). Goldziher.
تخرج باللغات السامية على كبار أساتذتها في بودابست وليبزج وبرلين وليدن. ولما نبه ذكره عين أستاذاً محاضراً في كلية العلوم بجامعة بودابست (١٨٧٣) ثم أستاذ كرسي (١٩٠٦). رحل إلى عدد من البلدان العربية وتضلع بالعربية على شيوخ الأزهر. انتخب عضواً في عدد من المجامع العلمية، وحضر عدداً من المؤتمرات الاستشراقية.
ومن آثاره: كتب سيلاً من المقالات والأبحاث في المجلات الآسيوية والغربية بأكثر من لغة. وكتاب (العقيدة والشريعة في الإسلام) (باريس، ١٩٢٠)، و(درس في الإسلام) في جزءين كبيرين. كما حقق العديد من النصوص القديمة.
(٣) العقيدة والشريعة في الإسلام، ص ١٢ـ١٣.
(٤) نفسه، ص ١٣.
(٥) نفسه، ص ٢١ـ٢٢.
(٦) العقيدة الإسلامية، ص ٩٦ـ٩٧.

٢ «.. إن بعض كتاب هذا العصر الحاضر كادوا أن يعرفوا بأن الطعن والقدح والشتم والسب ليس بالحجة ولا البرهان، فسلموا بذكر كثير من صفات النبي ﷺ السامية، وجليل أعماله الفاخرة..» [١].

٣ «.. ما اهتدى مئات الملايين إلى الإسلام إلّا ببركة محمد ﷺ الذي علمهم الركوع والسجود لله، وأبقى لهم دستوراً لن يضلوا بعده أبداً وهو القرآن الجامع لمصالح دنياهم ولخير أخراهم..» [٢].

٤ «لما شرف محمد (ساحة عالم الشهود بوجوده الذي هو الواسطة العظمى، والوسيلة الكبرى إلى اعتلاء النوع الإنساني وترقيه في درجات المدنية أكمل ما يحتاجه البشر من اللوازم الضرورية على نهج مشروع، وأوصل الخلق إلى أقصى مراتب السعادة بسرعة خارقة. ومن نظر بعين البصيرة في حال الأنام قبله وما كانوا عليه من الضلالة.. ونظر في حالهم بعد ذلك، وما حصل لهم في عصره من الترقي العظيم رأى بين الحالين فرقاً عظيماً كما بين الثريا والثرى» [٣].

٥ «.. امتدت أنوار المدينة بعد محمد ﷺ في قليل من الأزمان ساطعة في أقطار الأرض من المشرق إلى المغرب؛ حتى إن وصول أتباعه في ذلك الزمن اليسير إلى تلك المرتبة العلية من المدينة قد حير عقول أولي الألباب، وما السبب في ذلك إلّا كون أوامره ونواهيه موافقة لموجب العقل، ومطابقة لمقتضى الحكمة» [٤].

روم لاندو

١ «.. لم ينسب محمد ﷺ في أيما يوم من الأيام إلى نفسه صفة ألوهية أو قوى أعجوبية. على العكس، لقد كان حريصاً على النص على أنه مجرد رسول اصطنعه الله لإبلاغ الوحي للناس» [٥].

---

(١) نفسه، ص ١١٣ـ١١٤.
(٢) نفسه، ص ٣٨ (عن لوازون في خطبته المذكورة).
(٣) أحسن الأجوبة عن سؤال أحد علماء أوربة، ص ٢١ـ٢٢.
(٤) نفسه، ص ٢٢ـ٢٣.
(٥) الإسلام والعرب، ص ٣٢.

[٢] «كان محمد ﷺ تقياً بالفطرة، وكان من غير ريب مهيأً لحمل رسالة الإصلاح التي تلقاها . . وبالإضافة إلى طبيعته الروحية، كان في جوهره رجلاً عملياً عرف مواطن القوة في الخلق العربي، وأدرك أن الإصلاحات الضرورية ينبغي أن تقدم إلى البدو الذين لا يعرفون انضباطاً، و إلى المدنيين الوثنيين، في آن معاً، على نحو تدريجي. وفي الوقت نفسه كان محمد ﷺ يملك إيماناً لا يلين بفكرة الإله الواحد. . وعزماً راسخاً على استئصال كل أثر من آثار عبادة الأصنام التي كانت سائدة بين الوثنيين العرب»[١].

[٣] «كانت مهمة محمد ﷺ هائلة. كانت مهمة ليس في ميسور دجال تحدوه دوافع أنانية (وهو الوصف الذي رمى به بعض الكتاب الغربيين المبكرين الرسول العربي ﷺ) أن يرجو النجاح في تحقيقها بمجهوده الشخصي، إن الإخلاص الذي تكشف عنه محمد ﷺ في أداء رسالته، وما كان لأتباعه من إيمان كامل فيما أنزل عليه من وحي، واختبار الأجيال والقرون، كل أولئك يجعل من غير المعقول اتهام محمد ﷺ بأي ضرب من الخداع المتعمد. ولم يعرف التاريخ قط أي تلفيق (ديني) متعمد استطاع أن يعمر طويلاً. والإسلام لم يعمر حتى الآن ما ينوف على ألف وثلاثمئة سنة وحسب، بل إنه لا يزال يكتسب، في كل عام، أتباعاً جدداً. وصفحات التاريخ لا تقدم إلينا مثلاً واحداً على محتال كان لرسالته الفضل في خلق إمبراطورية من إمبراطوريات العالم، وحضارة من أكثر الحضارات نبلاً)»[٢].

[٤] «كانت مهمة محمد ﷺ هي القضاء على النظام القبلي القوي الذي كان مسؤولاً عن اندلاع نار الحرب، على نحو موصول تقريباً، بين العرب، والاستعاضة عنه بولاء لله يسمو على جميع الروابط الأسرية، والأحقاد الصغيرة. كان عليه أن يعطي الناس قانوناً كلياً يستطيع حتى العرب المتمردين قبوله والإذعان له، وكان عليه أن يفرض الانضباط على مجتمع عاش على العنف القبلي والاثئار الدموي لضروب من المظالم، بعضها واقعي وبعضها متوهم. كان عليه أن يحل الإنسانية محل الوحشية، والنظام محل الفوضى، والعدالة محل القوة الخالصة»[٣].

---

(١) نفسه، ص ٣٣.
(٢) نفسه، ص ٣٣ـ٣٤.
(٣) نفسه، ص ٣٤.

٥ «عندما توفي ﷺ عام ٦٣٢م كان في نجاح الإسلام ما زكى إيمان خديجة [رضي الله عنها] بالوحي الذي تلقاه زوجها، وكانت العقيدة التوحيدية الجديدة في سبيلها إلى القيام بفتح روحي ومادي لا يضارعه أي فتح في التاريخ البشري»[١].

لايتنر[٢]

١ «بقدر ما أعرف من ديني اليهود والنصارى أقول بأن ما عمله محمد ﷺ ليس اقتباساً بل قد (أوحي إليه به)، ولا ريب بذلك طالما نؤمن بأنه قد جاءنا وحي من لدن عزيز عليم. وإني بكل احترام وخشوع أقول: إذا كان تضحية الصالح الذاتي، وأمانة المقصد، والإيمان القوي الثابت، والنظر الصادق الثاقب بدقائق وخفايا الخطيئة والضلال، واستعمال أحسن الوسائط لإزالتها، فذلك من العلامات الظاهرة الدالة على نبوة محمد ﷺ وأنه قد أوحي إليه»[٣].

٢ «إن الديانة النصرانية التي ود محمد ﷺ إعادتها لأصلها النقي، كما بشر بها المسيح [عليه السلام]، تخالف التعاليم السرية التي أذاعها بولس، والأغلاط الفظيعة التي أدخلها عليها شيع النصارى. ولقد كانت آمال محمد ﷺ وأمانيه أن لا تخصص بركة دين إبراهيم [عليه السلام] لقومه خاصة، بل تعم الناس جميعاً، ولقد صار دينه الواسطة لإرشاد وتمدن الملايين من البشر، ولولا هذا الدين للبثوا غرقى في التوحش والهمجية، ولما كان لهم هذا الإخاء المعمول به في دين الإسلام»[٤].

٣ «.. لما بلغ ﷺ السنة الخامسة والعشرين من العمر تزوج امرأة عمرها أربعين عاماً، وهذه تشابه امرأة عمرها خمسين عاماً في أوربة، وهي أول من آمن برسالته المقدسة.. وبقيت خديجة (رضي الله عنها) معه عشرين عاماً حتى ماتت (رضي الله عنها). ولما بلغ من العمر خمساً وخمسين سنة صار يتزوج

---

(١) نفسه، ص ٣٥.

(٢) لا يتنر Lightner

باحث إنكليزي، حصل على أكثر من شهادة دكتوراه في الشريعة والفلسفة واللاهوت، وزار الآستانة عام ١٨٥٤، كما طوف بعدد من البلاد الإسلامية، والتقى برجالاتها وعلمائها.

(٣) دين الإسلام، ص ٤-٥

(٤) نفسه، ص ٥.

الواحدة بعد الأخرى. لكن ليس من الاستقامة والصدق أن ننسب ما لا يليق لرجل عظيم صرف كل ذلك العمر بالطهارة والعفاف، فلا ريب أن لزواجه بسن الكبر أسباباً حقيقية غير التي يتشدق بها كتاب النصارى بهذا الخصوص، وما هي تلك الأسباب يا ترى؟ ولا ريب هي شفقته على نساء أصحابه الذين قتلوا..»[١].

[٤] «مرة، أوحى الله تعالى إلى النبي ﷺ وحياً شديد المؤاخذة؛ لأنه أدار وجهه عن رجل فقير أعمى ليخاطب رجلاً غنياً من ذوي النفوذ، وقد نشر ذلك الوحي، فلو كان ﷺ كما يقول أغبياء النصارى بحقه لما كان لذلك الوحي من وجود»[٢].

[٥] «.. إني لأجهر برجائي بمجيء اليوم الذي يحترم به النصارى المسيح [عليه السلام] احتراماً عظيماً، وذلك باحترامهم محمداً ﷺ، ولا ريب في أن المسيحي المعترف برسالة محمد ﷺ، وبالحق الذي جاء به؛ هو المسيحي الصادق»[٣].

غوستاف لوبون

[١] «جمع محمد ﷺ قبل وفاته كلمة العرب، وبنى منهم أمة واحدة خاضعة لدين واحد، مطيعة لزعيم واحد، فكانت في ذلك آيته الكبرى.. ومما لا ريب فيه أن محمداً ﷺ أصاب في بلاد العرب نتائج لم تصب مثلها جميع الديانات التي ظهرت قبل الإسلام، ومنها اليهودية والنصرانية؛ ولذلك كان فضله على العرب عظيماً..»[٤].

[٢] «إذا ما قيست قيمة الرجال بجليل أعمالهم كان محمد ﷺ من أعظم من عرفهم التاريخ، وقد أخذ علماء الغرب ينصفون محمداً ﷺ؛ مع أن التعصب الديني أعمى بصائر مؤرخين كثيرين عن الاعتراف بفضله..»[٥].

---

(١) نفسه، ص ١٢-١٣.
(٢) نفسه، ص ٦.
(٣) نفسه، ص ١٦.
(٤) حضارة العرب، ص ١١٥.
(٥) نفسه، ص ١١٦.

٣ «استطاع محمد ﷺ أن يبدع مثلاً عالياً وقوياً للشعوب العربية التي لا عهد لها بالمثل العليا، وفي ذلك الإبداع تتجلى عظمة محمد ﷺ على الخصوص.. ولم يتردد أتباعه في التضحية بأنفسهم في سبيل هذا المثل الأعلى..»[(١)].

٤ «.. لا شيء أصوب من جمع محمد ﷺ لجميع السلطات المدنية والحربية والدينية في يد واحدة؛ أيام كانت جزيرة العرب مجزأة ما استطعنا أن نقدر قيمة ذلك بنتائجه، فقد فتح العرب العالم في قرن واحد؛ بعد أن كانوا قبائل من أشباه البررة المتحاربين قبل ظهور محمد ﷺ»[(٢)].

لوقا[(٣)]

١ «.. ما كان [محمد ﷺ] كآحاد الناس في خلاله ومزاياه، وهو الذي اجتمعت له آلاء الرسل [عليهم السلام] وهمة البطل، فكان حقاً على المنصف أن يكرم فيه المثل، ويحيّا فيه الرجل»[(٤)].

٢ «لا تأليه ولا شبهة تأليه في معنى النبوة الإسلامية.. وقد درجت شعوب الأرض على تأليه الملوك والأبطال والأجداد، فكان الرسل أيضاً معرضين لمثل ذلك الربط بينهم وبين الألوهية بسبب من الأسباب، فما أقرب الناس لو تركوا لأنفسهم أن يعتقدوا في الرسول أو النبي أنه ليس بشراً كسائر البشر، وأن له صفة من صفات الألوهية على نحو من الأنحاء. ولذا نجد توكيد هذا التنبيه متواتراً مكرراً في آيات القرآن، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ [الكهف: ١١٠] وفي تخير كلمة (مثلكم) معنى مقصود به التسوية

---

(١) نفسه، ص ١٣٢-١٣٣.

(٢) نفسه، ص ٣٩٣-٣٩٤.

(٣) د. نظمي لوقا Dr.N.Luka

مسيحي من مصر. يتميز بنظرته الموضوعية وإخلاصه العميق للحق. ورغم إلحاح أبويه على تنشئته على المسيحية منذ كان صبياً، فإنه كثيراً ما كان يحضر مجالس شيوخ المسلمين، ويستمع بشغف إلى كتاب الله وسيرة رسوله ﷺ. بل إنه حفظ القرآن الكريم ولم يتجاوز العاشرة من عمره. وألف عدداً من الكتب أبرزها (محمد الرسالة والرسول)، و (محمد في حياته الخاصة).

(٤) محمد الرسالة والرسول، ص ٢٨.

المطلقة، والحيلولة دون الارتفاع بفكرة النبوة أو الرسالة فوق مستوى البشرية بحال من الأحوال، بل نجد ما هو أصرح من هذا المعنى فيما جاء بسورة الشورى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ [الشورى: ٤٨]، وظاهر في هذه الآية تعمد تنبيه الرسول نفسه ﷺ إلى حقيقة مهمته، وحدود رسالته التي كلف بها، وليس له أن يعدوها، كما أنه ليس للناس أن يرفعوه فوقها»[١].

[٣] «رجل فرد هو لسان السماء. فوقه الله لا سواه، ومن تحته سائر عباد الله من المؤمنين. ولكن هذا الرجل يأبى أن يداخله من ذلك كبر. بل يشفق، بل يفرق من ذلك، ويحشد نفسه كلها لحرب الزهو في سريرته، قبل أن يحاربه في سرائر تابعيه. ولو أن هذا الرسول ﷺ بما أنعم من الهداية على الناس، وما تم له من العزة والأيادي، وما استقام له من السلطان، اعتد بذلك كله واعتز، لما كان عليه جناح من أحد؛ لأنه إنما يعتد بقيمة ماثلة، ويعتز بمزية طائلة. يطريه أصحابه بالحق الذي يعلمون عنه، فيقول لهم: لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد الله، فقولوا عبد الله ورسوله. ويخرج على جماعة من أصحابه فينهضون تعظيماً له، فينهاهم عن ذلك قائلاً: لا تقوموا كما يقوم الأعاجم يعظم بعضهم بعضاً»[٢].

[٤] «ماذا بقي من مزعم لزاعم؟ إيمان امتحنه البلاء طويلاً قبل أن يفاء عليه بالنصر وما كان النصر متوقعاً أو شبه متوقع لذلك الداعي إلى الله في عاصمة الأوثان والأزلام.. ونزاهة ترتفع فوق المنافع، وسمو يتعفف عن بهارج الحياة، وسماحة لا يداخلها زهو أو الاستطالة بسلطان مطاع. لم يفد. ولم يورث آله، ولم يجعل لذريته وعشيرته ميزة من ميزات الدنيا ونعيمها وسلطانها. وحرم على نفسه ما أحل لآحاد الناس من أتباع، وألغى ما كان لقبيلته من تقدم على الناس في الجاهلية حتى جعل العبدان والأحابيش سواسية وملوك قريش. لم يمكن لنفسه ولا لذويه. وكانت لذويه بحكم الجاهلية صدارة غير مدفوعة، فسوى ذلك كله بالأرض. أي قالت بعد هذا تنهض على القدمين لتطاول هذا المجد الشاهق، أو تدافع هذا

(١) محمد الرسالة الخالدة، ص ٨٥ـ٨٦.
(٢) نفسه، ص ٤٦.

الصدق الصادق؟ لا خيرة في الأمر، ما نطق هذا الرسول عن الهوى.. وما ضل وما غوى.. وما صدق بشر إن لم يكن هذا الرسول بالصادق الأمين..»[(١)].

٥ «أي الناس أولى بنفي الكيد عن سيرته من (أبي القاسم) ﷺ الذي حول الملايين من عبادة الأصنام الموبقة إلى عبادة الله رب العالمين، ومن الضياع والانحلال إلى السمو والإيمان، ولم يفد من جهاده لشخصه أو آله شيئاً مما يقتتل عليه طلاب الدنيا من زخارف الحطام؟»[(٢)].

٦ «كان [محمد ﷺ] يملك حيويته، ولا تملكه حيويته. ويستخدم وظائفه ولا تستخدمه وظائفه. فهي قوة له تحسب له في مزاياه، وليست ضعفاً يعد في نقائصه. ولم يكن ﷺ معطل النوازع، ولكنها لم تكن نوازع تعصف به؛ لأنه يسخرها في كيانه في المستوى الذي يكرم به الإنسان حين يطلب ما هو جميل وجليل في الصورة الجميلة الجليلة؛ التي لا تهدر من قدره، بل تضاعف من تساميه وعفته وطهره. وبيان ذلك في أمر بنائه بزوجاته التسع [رضي الله عنهن]..»[(٣)].

ماسيه[(٤)]

١ «بفضل [إصلاحات] محمد ﷺ الدينية والسياسية، وهي [إصلاحات] موحدة بشكل أساسي، فإن العرب وعوا أنفسهم، وخرجوا من ظلمات الجهل والفوضى ليعدّوا دخولهم النهائي إلى تاريخ المدنية»[(٥)].

---

(١) نفسه، ص ١٩٠-١٩١.
(٢) محمد في حياته الخاصة، ص ١٢.
(٣) نفسه، ص ٣٩-٤٠.، ويمكن للقارئ أن يرجع للكتاب نفسه (محمد في حياته الخاصة)، فهو بمجمله يمكن أن يعد شهادة قيمة على حياة الرسول ﷺ العائلية الخاصة.
(٤) هنري ماسيه H.Masse
ولد عام ١٨٨٦، عمل مديراً للمعهد الفرنسي بالقاهرة، وعين أستاذاً في جامعة الجزائر (١٩١٦-١٩٢٧) وعضواً في مجمع الكتابات والآداب وفي المجمع العلمي العربي بدمشق، وانتدبته الحكومة لعديد من المهام الثقافية، واختارته اليونسكو في لجنة المستشرقين.
ومن آثاره: نشر كتاباً عن الشاعر (سعدي) (١٩١٩)، وصنف كتاباً بعنوان: (الإسلام) (١٩٥٧)، كما ترجم وحقق العديد من النصوص العربية، ونشر العديد من الأبحاث في المجلات الاستشراقية الشهيرة.
(٥) الإسلام، ص ٥٥.

[٢] «.. كان محمد ﷺ هو المشرع الملهم والمحرك الأول للوحدة الدينية بين جميع الأقوام... وكان بسيطاً حازماً..»[١].

مونتيه[٢]

[١] «إن طبيعة محمد ﷺ الدينية تدهش كل باحث مدقق نزيه المقاصد بما يتجلى فيها من شدة الإخلاص. فقد كان محمد مصلحاً دينياً ذا عقيدة راسخة، ولم يقم إلّا بعد أن تألم كثيراً، وبلغ سن الكمال بهذه الدعوة العظيمة التي جعلته من أسطع الأنوار الإنسانية في الدين. وهو في قتاله الشرك والعادات القبيحة التي كانت عند أبناء زمنه كان في بلاد العرب أشبه بنبي من أنبياء إسرائيل؛ الذين نراهم كباراً جداً في تاريخ قومهم، ولقد جهل كثير من الناس محمداً ﷺ وبخسوه حقه، وذلك لأنه من المصلحين النادرين الذين عرف الناس أطوار حياتهم بدقائقها»[٣].

[٢] «كان محمد ﷺ كريم الأخلاق، حسن العشرة، عذب الحديث، صحيح الحكم، صادق اللفظ، وقد كانت الصفات الغالبة عليه هي صحة الحكم وصراحة اللفظ والاقتناع التام بما يعلمه ويقوله»[٤].

[٣] «.. ندر بين المصلحين من عرفت حياتهم بالتفصيل مثل [محمد ﷺ] وأن ما قام به من إصلاح الأخلاق وتطهير المجتمع يمكن أن يعد به من أعظم المحسنين للإنسانية»[٥].

[٤] «لا مجال للشك في إخلاص الرسول ﷺ وحماسته الدينية التي تشبعت بها نفسه وفكره..»[٦].

---

(١) نفسه، ص ٥٩.
(٢) مونتيه (١٨٥٦-١٩٢٧) Mntet
أستاذ اللغات الشرقية في جامعة جنيف، من كتبه (محمد والقرآن)، وترجمة جديدة للقرآن، و(حاضر الإسلام ومستقبله).
(٣) محمد والقرآن، ص ١٨ (عن ستودارد: حاضر العالم الإسلامي ١/ ٣٢).
(٤) نفسه، (عن ستودارد ١/ ٣٢).
(٥) حاضر العالم الإسلامي (عن محمد كرد علي: الإسلام والحضارة العربية ١/ ٦٨).
(٦) نفسه، ص ١/ ٦٧.

نهرو(١)

١ «.. لربما خامرت هؤلاء الملوك والحكام [الذين تسلموا كتب الرسول ﷺ] الدهشة من هذا الرجل البسيط الذي يدعوهم إلى الطاعة. ولكن إرسال هذه الكتب يعطينا صورة عن مقدار ثقة محمد ﷺ بنفسه ورسالته. وقد هيأ بهذه الثقة وهذا الإيمان لأمته أسباب القوة والعزة والمنعة وحولهم من سكان صحراء إلى سادة يفتحون نصف العالم المعروف في زمانهم. وقد توفي محمد ﷺ بعد أن جعل من القبائل العربية المتنافرة أمة واحدة تتقد غيرة وحماساً..»(٢).

هارت(٣)

١ «إن اختياري لمحمد ﷺ ليكون في رأس القائمة التي تضم الأشخاص الذين كان لهم أعظم تأثير عالمي في مختلف المجالات، ربما أدهش كثيراً من القراء،.. ولكن في اعتقادي أن محمداً ﷺ كان الرجل الوحيد في التاريخ الذي نجح بشكل أسمى وأبرز في كلا المستويين الديني والدنيوي»(٤).

٢ «لقد أسس محمد ﷺ ونشر أحد أعظم الأديان في العالم، وأصبح أحد الزعماء العالميين السياسيين العظام. في هذه الأيام وبعد مرور ثلاثة عشر قرناً تقريباً على وفاته، فإن تأثيره لا يزال قوياً وعارماً..» (٥).

---

(١) جواهر لال نهرو J. Lal Nehro
ولد في عام ١٨٨٩، في مدينة الله أباد، في الهند، والتقى بغاندي في أوائل عام ١٩١٩، اعتقل عدة مرات، وانتخب رئيساً لحزب المؤتمر الهندي الوطني عدة مرات، دخل الوزارة، وتولى الشؤون الخارجية، وأصبح نائباً لرئيس المجلس التنفيذي، تولى رئاسة الوزراء الهندية عدة مرات، له عدة مؤلفات في التاريخ والسياسة والشؤون الهندية، توفي عام ١٩٦٤م.

(٢) لمحات من تاريخ العالم، ص ٢٥-٢٦.

(٣) د. مايكل هارث DrÁ Michael Hart
أمريكي حصل على عدة شهادات في العلوم وعلى الدكتوراه في الفلك من جامعة برنستون، عام ١٩٢٧، عمل في مركز الأبحاث والمراصد، وهو أحد العلماء المعتمدين في الفيزياء التطبيقية.

(٤) دراسة في المئة الأوائل، ص ١٩.

(٥) نفسه، ص ١٩.

[٣] «.. من وجهة النظر الدينية الصرفة يبدو أن محمداً (ﷺ) كان له تأثير على البشرية عبر التاريخ كما كان للمسيح (عليه السلام)..»[١].

[٤] «.. أن محمداً ﷺ يختلف عن المسيح بأنه كان زعيماً دنيوياً فضلاً عن أنه زعيم ديني، وفي الحقيقة إذا أخذنا بعين الاعتبار القوى الدافعة وراء الفتوحات الإسلامية؛ فإن محمداً ﷺ يصبح أعظم قائد سياسي على مدى الأجيال»[٢].

[٥] «.. إن هذا الاتحاد الفريد الذي لا نظير له للتأثير الديني والدنيوي معاً يخول محمداً ﷺ أن يعتبر أعظم شخصية مفردة ذات تأثير في تاريخ البشرية»[٣].

مونتغمري وات

[١] ومنذ قام كارليل بدراسته عن محمد ﷺ في كتابه (الأبطال وعبادة البطل) أدرك الغرب أن هناك أسباباً وجيهة الإقناع بصدق محمد. إذ إن عزيمته في تحمل الاضطهادات من أجل عقيدته، والخلق السامي للرجال الذين آمنوا به، وكان لهم بمثابة القائد، وأخيراً عظمة عمله في المنجزات الأخيرة، كل ذلك يشهد باستقامته التي لا تتزعزع. فاتهام محمد ﷺ بأنه دجال Imposture يثير من المشاكل أكثر مما يحل، ومع ذلك فليس هناك شخصية كبيرة في التاريخ حط من قدرها في الغرب كمحمد ﷺ. فقد أظهر الكتاب الغربيون ميلهم لتصديق أسوأ الأمور عن محمد ﷺ، وكلما ظهر أي تفسير نقدي لواقعة من الوقائع ممكناً قبلوه. ولا يكفي، مع ذلك، في ذكر فضائل محمد أن نكتفي بأمانته وعزيمته إذا أردنا أن نفهم كل شيء عنه. وإذا أردنا أن نصحح الأغلاط المكتسبة من الماضي بصدده فيجب علينا في كل حالة من الحالات، لا يقوم الدليل القاطع على ضدها، أن نتمسك بصلابة بصدقه، ويجب علينا أن لا ننسى عندئذ أيضاً أن الدليل القاطع

---

(١) نفسه، ص ٢٣.
(٢) نفسه، ص ٢٤.
(٣) نفسه، ص ٢٥.

يتطلب لقبوله أكثر من كونه ممكناً، وأنه في مثل هذا الموضوع يصعب الحصول عليه..»[١].

[٢] «هناك ـ على العكس ـ أسباب قوية تؤكد صدق (محمد) ﷺ ونستطيع في مثل هذه الحالة الخاصة أن نبلغ درجة عالية من اليقين؛ لأن النقاش حول هذه المسألة.. يعتمد على وقائع ولا يمكن أن يتضمن خلافاً في التقدير حول الأخلاقية..» [٢].

[٣] «.. ليس توسع العرب شيئاً محتوماً أو آلياً، وكذلك إنشاء الأمة الإسلامية.

ولولا هذا المزيج الرائع من الصفات المختلفة الذي نجده عند محمد ﷺ لكان من غير الممكن أن يتم هذا التوسع، ولاستنفذت تلك القوى الجبارة في غارات على سورية والعراق دون أن تؤدي لنتائج دائمة. ونستطيع أن نميز ثلاث هبات مهمة أوتيها محمد ﷺ. وكانت كل واحدة منها ضرورية لإتمام عمل محمد ﷺ بأكمله. لقد أوتي أولاً موهبة خاصة على رؤية المستقبل. فكان للعالم العربي بفضله، أو بفضل الوحي الذي ينزل عليه حسب رأي المسلمين، أساس فكري (إيديولوجي) حلت به الصعوبات الاجتماعية، وكان تكوين هذا الأساس الفكري يتطلب في نفس الوقت حدساً ينظر في الأسباب السياسية للاضطراب الاجتماعي في ذلك العصر، والعبقرية الضرورية للتعبير عن هذا الحدس في صورة تستطيع إثارة العرب حتى أعمق كيانهم.. وكان محمد ﷺ ثانياً رجل دولة حكيم ولم يكن هدف البناء الأساسي الذي نجده في القرآن، سوى دعم التدابير السياسية الملموسة والمؤسسات الواقعية، ولقد ألححنا خلال هذا الكتاب غالباً على استراتيجية محمد ﷺ السياسية البعيدة النظر وعلى إصلاحاته الاجتماعية. ولقد دلّ على بعد نظره في هذه المسائل الانتشار السريع الذي جعل من دولته الصغيرة إمبراطورية، وتطبيق المؤسسات الاجتماعية على الظروف المجاورة واستمرارها خلال أكثر من ثلاثة عشر قرناً. وكان محمد ﷺ ثالثاً رجل إدارة بارعاً، فكان ذا بصيرة رائعة في اختيار الرجال الذين يندبهم للمسائل الإدارية. إذ لن يكون للمؤسسات المتينة والسياسة الحكيمة أثر إذا كان التطبيق خاطئاً متردداً. وكانت الدولة التي أسسها محمد ﷺ عند وفاته، مؤسسة مزدهرة تستطيع

(١) محمد في مكة، ص ٩٤.
(٢) محمد في المدينة، ص ٤٩٧ـ٤٩٨.

الصمود في وجه الصدمة التي أحدثها غياب مؤسسها، ثم إذا بها بعد فترة تتلاءم مع الوضع الجديد، وتتسع بسرعة خارقة اتساعاً رائعاً»[(١)].

[٤] «كلما فكرنا في تاريخ محمد ﷺ وتاريخ أوائل المسلمين، كلما تملكنا الذهول أمام عظمة مثل هذا العمل. ولا شك أن الظروف كانت مواتية لمحمد، فأتاحت له فرصاً للنجاح لم تتحها لسوى القليل من الرجال. غير أن الرجل كان على مستوى الظروف تماماً. فلو لم يكن نبياً ورجل دولة وإدارة، ولو لم يضع ثقته بالله، ويقتنع بشكل ثابت أن الله أرسله، لما كتب فصلاً مهماً في تاريخ الإنسانية. ولي أمل أن هذه الدراسة عن حياة محمد ﷺ يمكنها أن تساعد على إثارة الاهتمام، من جديد، برجل هو أعظم رجال أبناء آدم»[(٢)].

ولز[(٣)]

[١] «.. هل تراك علمت قط أن رجلاً غير كريم السجايا مستطيع أن يتخذك صديقاً؟ ذلك أن من عرفوا محمداً ﷺ أكثر من غيرهم، كانوا أشد الناس إيماناً به. وقد آمنت به خديجة [رضي الله عنها] كل حياته على أنها ربما كانت زوجة محبة. فأبو بكر [رضي الله عنه] شاهد أفضل وهو لم يتردد قط في إخلاصه. كان يؤمن بالنبي ﷺ ومن العسير على أي إنسان يقرأ تلك الأيام ألّا يؤمن بأبي بكر [رضي الله عنه] وكذلك علي [رضي الله عنه] فإنه خاطر بحياته من أجل النبي ﷺ في أحلك أيامه سواداً..»[(٤)].

---

(١) نفسه، ص ٥١٠-٥١١.

(٢) نفسه، ص ٥١٢.

(٣) هربرت جورج ولز(١٨٦٦-١٩٤٦) H.G.Wells
الكاتب والأديب البريطاني المعروف. حصل على بكالوريوس العلوم سنة ١٨٨٨، تولى التدريس بضع سنين، ثم انصرف للتأليف. اشتهر بقصصه الذي يعتمد الخيال العلمي من مثل (آلة الزمن) و (الرجل الخفي)، فضلاً عن رواياته النفسية والاجتماعية من مثل (ميكافيلي الجديدة) و(الزواج). ولم يغفل ولز البحث في التاريخ فأنجز عام ١٩٢٠ (معالم تاريخ الإنسانية) وأعقبه بـ(موجز تاريخ العالم). وكان آخر كتاب أصدره هو (العقل في أقصى توتراته)(١٩٤٤). ولولز كتاب في السيرة الذاتية بعنوان: (تجربة في كتابة السيرة الذاتية).

(٤) معالم تاريخ الإنسانية، ٣/ ٦٣٩.

[٢] «حج محمد ﷺ حجة الوداع في المدينة إلى مكة، قبل وفاته بعام، وعند ذلك ألقى على شعبه موعظة عظيمة.. إن أول فقرة فيها تجرف أمامها كل ما بين المسلمين من نهب وسلب ومن ثارات ودماء، وتجعل الفقرة الأخيرة منها، الزنجي المؤمن عدلاً للخليفة.. إنها أسست في العالم تقاليد عظيمة للتعامل العادل الكريم، وإنها لتنفخ في الناس روح الكرم والسماحة، كما أنها إنسانية السمة ممكنة التنفيذ، فإنها خلقت جماعة إنسانية يقل ما فيها مما يغمر الدنيا من قسوة وظلم اجتماعي، عما في أي جماعة أخرى سبقتها»(١).

[٣] «لقد منح [العرب] العالم ثقافة جديدة، وأقاموا عقيدة لا تزال إلى اليوم من أعظم القوى الحيوية في العالم، أما الرجل الذي أشعل ذلك القبس العربي فهو محمد ﷺ»(٢).




(١) نفسه، ٣/ ٦٤٠-٦٤١.
(٢) موجز تاريخ العالم، ص ٢٠٠-٢٠١.

الفصل الثالث

الإسلام

«إذا كان هذا هو الإسلام، أفلا نكون جميعنا مسلمين؟»

الأديب الألماني غوته

إبراهيم خليل أحمد

[١] «قرأت بتأمل وتفكر قوله تعالى ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣]. وقارنت بين هذه الآية وما ورد في الإنجيل عن الغفران: (بدون سفك دم لا تحصل مغفرة) بالقول: (هكذا أحب الله حتى بذل ابنه الحبيب لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية). قارنت بين العقيدتين الأولى: إن رحمة الله ومغفرته لعباده بدون قيد أو شرط مادي. الثانية: إنها مقيدة بقيود: من جانب الله ببذل ابنه الحبيب حسب ما يعتقدون، ومن جانب المرء بضرورة الإيمان بهذا الابن. ومن هذه العقيدة نشأت فرضية كنسية تعرف بسر الشكر، وفيها يؤمن المسيحي باستحالة الخبز إلى جسد المسيح، واستحالة الخمر إلى دم المسيح استحالة حقيقية، وبتناولهما تصير فيه حياة أبدية. ومن هذه العقيدة نشأت صكوك الغفران.. إنها بدعة وخروج عن الحق الإلهي الذي ندّد به زعماء الإصلاح في القرن الخامس عشر... فحمدت الله على رحمته الواسعة ومغفرته اليقينية بدون قيد ولا شرط مادي، بل بتوبة صادقة، وعزم على الحياة الطاهرة»(١).

[٢] «قرأت قول الله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]، وقرأت ما جاء بالإنجيل: (إذاً لسنا أولاد جارية، بل أولاد حرة) وزال عني العجب عن التفرقة العنصرية عند الأمريكيين في أيامنا هذه بين البيض والسود، وزاد إعجابي وإجلالي للمسلمين. إن سيد القوم يقف بجانب المواطن العامل والمزارع والتاجر والموظف كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً، راكعين ساجدين، يخشون ربهم ويرجونه الرضا والعفو، فأيقنت أن مجد الإسلام والمسلمين في هذا التساند الجميل، والتآخي الحبيب..»(٢).

[٣] «للمسلم أن يعتز بدينه، فهو كالشمس تشرق على المسلمين وغير المسلمين، وللمسلم أن يعتز بإسلامه، فهو كالهواء النقي لا يستغني عنه الخلق، ولا حياة لهم بدونه..»(٣).

---

(١) محمد في التوراة، ص ١٠-١١.
(٢) محمد في التوراة، ص ١١.
(٣) نفسه، ص ٣٢.

[٤] «.. إن الإسلام دين المنطق والعقل، لم يجعل وساطة بين الله والإنسان، ولم يترك مقادير الناس تحت رحمة نفر منهم، يلوحون لهم بسلطان الكنيسة..»[١].

[٥] «استوقفني كثيراً نظام التوحيد في الإسلام، وهو من أبرز معالم الإسلام.. إن التوحيد يجعلني عبداً لله وحده لست عبداً لأي إنسان، التوحيد في الإسلام يحرر الإنسان، ويجعله غير خاضع لأي إنسان، وتلك هي الحرية الحقيقية، فلا عبودية إلّا لله وحده»[٢].

أرشر[٣]

[١] «إن بحثي لنيل إجازة الدكتوراه كان عن التربية وبناء الأمة. من هنا عرفت ما تحتاج إليه الأمم لبنائها الاجتماعي والاقتصادي والسياسي، وكذلك البناء الروحي. واكتشف أن أركان الإسلام الأساسية تقدم أساساً عظيماً وقاعدة قيمة لإعادة بناء الأمة اجتماعياً واقتصادياً وروحياً. ولذلك فإذا سألتني لماذا اعتنقت الإسلام؟ سأقول لك؛ لأن الإسلام هو دين فريد من نوعه تشكل فيه أركانه الأساسية قاعدة للحكم تهدي كلاً من الضمير، وكذلك حياة المؤمنين به على حدّ سواء»[٤].

[٢] «إن تعاليم الإسلام هي تعاليم عملية تقدم نموذجاً لبناء الأمم، كما يمنح الإسلام للضالين إحساساً بالأمل والاتجاه. ويمكن الفرد المسلم من فهم واجباته نحو الله، ونحو بني الإنسان بصورة أفضل»[٥].

---

(١) نفسه، ص ٢٧٣.
(٢) رجال ونساء أسلموا، ٩٢/٤.
(٣) د. دوغلاس أرشر: عبد الله أرشر Dr.Douglas Archer
شاب من جامايكا، في منتصف العقد الخامس من العمر، يعمل مديراً للمعهد التربوي في منطقة الكاريبي، جامايكا، كان بروتستانتياً، وبعد أن انتمى للإسلام قدم استقالته من عمله كأستاذ لعلم النفس في الولايات المتحدة الأمريكية، حيث تخصص هناك، وعاد إلى بلاده لكي يسهم في دعوة أبناء وطنه إلى الإسلام.
(٤) رجال ونساء أسلموا، ٦٥/٥.
(٥) نفسه، ٥٦/٥.

٣ «في الوقت الذي تتحدث فيه الأديان الأخرى عن إله واحد، إلّا أنها تعبد ربين أو ثلاثة. أما المسلمون فيعبدون الله وحده ولا يشركون به شيئاً. وهنا شعور قوي بالأخوة الإسلامية في العالم الإسلامي، وخاصة بين أولئك الذين يؤمنون بالإسلام حقاً، ويطبقونه بصدق»[١].

سير توماس أرنولد

١ «.. نرى من أسباب الترحيب الحار الذي لقيه محمد ﷺ في المدينة أن الدخول في الإسلام، قد بدا للطبقة المستنيرة من أهالي المدينة علاجاً لهذه الفوضى التي كان المجتمع يقاسيها، وذلك لما وجدوه في الإسلام من تنظيم محكم للحياة، وإخضاع أهواء الناس الجامحة لقوانين منظمة قد شرعتها سلطة تسمو على الأهواء الفردية »[٢].

٢ «.. لا يغرب على البال كيف ظهر جلياً أن الإسلام حركة حديثة العهد في بلاد العرب الوثنية، وكيف كانت تتعارض المثل العليا في هذين المجتمعين تعارضاً تاماً. ذلك أن دخول الإسلام في المجتمع العربي لم يدل على مجرد القضاء على قليل من عادات بربرية وحشية فحسب، وإنما كان انقلاباً شاملاً لمثل الحياة التي كانت من قبل.. وأصبح النبي ﷺ بذلك رمزاً لأسلوب جديد..» [٣].

٣ «.. يعبّر الشرط الأول من هذه العقيدة [لا إله إلّا الله، محمد رسول الله] عن مبدأ يكاد يقبله جميع الناس على أنه فرض لا بد منه، على حين يقوم الشطر الثاني منها على فكرة علاقة الناس بالله، وهي مسألة تكاد تكون عامة شاملة كذلك بمعنى أن الله تعالى، في فترة من تاريخ العالم، قد وهب بعض تجليه على الخلق، على لسان أنبياء ملهمين. ولا يستطيع أي فرد أن يوضح الطابع العقلي للعقيدة الإسلامية، وما جنته من هذا الطابع من الفائدة من نشر الدعوة، توضيحاً يبعث على الإعجاب، بأكثر مما وضحه البروفيسور مونتيه في العبارة التالية: (الإسلام في جوهره دين عقلي، بأوسع معاني هذه الكلمة من الوجهتين الاشتقاقية

(١) نفسه، ٥/٥٦.

(٢) الدعوة إلى الإسلام، ص ٤٣ عن: Caetani(Leone): Annali dell'Islam 1/334-35 (Milano, 1905)

(٣) نفسه، ص ٦١.

والتاريخية. فإن تعريف الأسلوب العقلي Rationalism بأنه طريقة تقييم العقائد الدينية على أسس من المبادئ المستمدة من العقل والمنطق، ينطبق عليها تمام الانطباق.. إن [للإسلام] كل العلامات التي تدل على أنه مجموعة من العقائد التي قامت على أساس المنطق والعقل. وتتلخص العقيدة الإسلامية من وجهة نظر المؤمنين في الاعتقاد بوحدانية الله ورسالة نبيه ﷺ، أما وجهة نظرنا نحن الذين نحلل عقائده تحليلاً لا روح فيه، فنعتقد في الله وفي الحياة الآخرة، وهذان المبدآن هما أقل ما ينبغي للاعتقاد الديني، وهما أمران يستقران في نفس الرجل المتدين على أساس ثابت من العقل والمنطق، ويلخصان كل تعاليم العقيدة التي جاء بها القرآن، وإن بساطة هذه التعاليم ووضوحها لهي على وجه التحقيق من أظهر القوى الفعالة في الدين وفي نشاط الدعوة إلى الإسلام.. وعلى الرغم من التطور الخصب، بكل ما في هذه الكلمة من معنى، لتعاليم النبي ﷺ حفظ القرآن منزلته من غير أن يطرأ عليه تغيير أو تبديل، باعتباره النقطة الأساسية التي بدأ منها تعاليم هذه العقيدة، وقد جهر القرآن دائماً بمبدأ الوحدانية في عظمة وجلاء وصفاء لا يعتريه التحول، ومن العسير أن نجد في غير الإسلام ما يفوق تلك المزايا. وإن الإخلاص لمبدأ الدين الأساسي، والبساطة الجوهرية في الصورة التي يصاغ فيها هذا الدين والدليل الذي كسبه هذا الدين من اقتناع الدعاة الذين يقومون بنشره اقتناعاً يلتهب حماسة وغيرة، إن هذا كله يكون الأسباب الكثيرة التي تفسر لنا نجاح جهود الدعاة المسلمين. وكان من المتوقع لعقيدة محدّدة كل التحديد خالية كل الخلو من جميع التعقيدات الفلسفية، ثم هي تبعاً لذلك في متناول إدراك الشخص العادي، أن تمتلك، وإنها لتمتلك فعلاً، قوة عجيبة، لاكتساب طريقها إلى ضمائر الناس) »[١].

٤ «كذلك نجد أداء الصلوات الخمس كل يوم على جانب عظيم من التأثير سواء في جذب الناس، أو الاحتفاظ بالمسلمين منهم. وقد أحسن منتسيكيو في

---

(١) الدعوة إلى الإسلام، ص ٤٥٤-٤٥٦، أما عبارة (Montet) فيستمدها المؤلف من كتاب:

. La Propagande chretienne et ses adversaires musulmans, pp. 17-18 (Paris, 1890)

. Ernest Renan : L'islamisme et la Science, p.19 (Paris, 1883)

قوله: [في كتابه المعروف: روح القوانين]: (إن المرء لأشدّ ارتباطاً بالدين الحافل بكثير من الشعائر، منه بأي دين آخر أقل منه احتفالاً بالشعائر، وذلك لأن المرء شديد التعلق بالأمور التي تسيطر دائماً على تفكيره). إن دين المسلم يتمثل دائماً في مخيلته، وفي الصلوات اليومية، يتجلى هذا الدين في طريقة نسكيه خاشعة مؤثرة لا تستطيع أن تترك العابد والمشاهد كليهما غير متأثرين. . فإذا استطاع رينان أن يقول: (ما دخلت مسجداً قط، دون أن تهزني عاطفة حادة، أو بعبارة أخرى، دون أن يصيبني أسف محقق على أنني لم أكن مسلماً) [١]، كان من اليسير أن ندرك كيف أن منظر التاجر المسلم في صلاته، وسجداته الكثيرة، وعبادته للإله الذي لا يراه، في سكينة واستغراق، قد يؤثر في الإفريقي الوثني الذي وهب إدراكاً قوياً للقوى الخفية. . وقد يحفز حب الاستطلاع على البحث بطبيعة الحال. .»[٢].

٥ «إن هؤلاء المسلمين يعنون بتلك الفرائض وغيرها من الشعائر الدينية، ولكن من غير أن يثقلوا بها كواهلهم، أو تجعلهم مغمورين في الحياة، نجد أركان العقيدة الإسلامية تلقى دون انقطاع تعبيراً ظاهراً في حياة المؤمن، ومن ثم نجدها، بعد أن أصبحت متشابكة مع نظام حياته اليومية تشابكاً لا سبيل إلى الفكاك منه، تجعل المسلم الفرد إماماً ومعلماً لعقيدته، أكثر إلى حد بعيد مما هي الحال مع أنصار معظم الديانات الأخرى. إن تحدد هذه الطقوس وواقعيتها ودقتها ليدع المؤمن لا يتخالج في نفسه الشك فيما هو مكلف بأدائه، فإذا أدى هذه الواجبات، اطمأن وجدانه إلى أنه قد أنجز كل أوامر الشرع. وقد نجد إلى حد بعيد، في هذه الوحدة التي تربط بين النظامين العقلي والطقسي في هذا الدين، سر السيطرة التي أحدثها الإسلام على عقول الناس. (فإذا أردت أن تجتذب إليك جماهير كبيرة من الناس، لقنهم الحقيقة في صورة حاسمة، دقيقة واضحة، وفي أسلوب مرئي محسّن). . » [٣].

(١) الدعوة إلى الإسلام، ص ٤٥٨-٤٦٠.

(٢) نفسه، ص ٤٦٠، والعبارة الأخيرة التي ينقلها عن:

B.Kuenen: National Religions and universal Religions, p.25, (London, 1882).

وانظر: الدعوة إلى الإسلام، ص ٤٥٤، هامش رقم ٣.

(٣) نفسه، ص ٣٢.

إنجرام(١)

〔١〕 «إني أعتقد أن الإسلام هو الدين الذي يدخل السلام والسكينة إلى النفس، ويلهم الإنسان العزاء وراحة البال والسلوى في هذه الحياة. وقد تسرب روح الإسلام إلى نفسي، فشعرت بنعمة الإيمان بالقضاء الإلهي وعدم المبالاة بالمؤثرات المادية من لذة وألم.. لقد درست الدين الإسلامي مدة سنين، ولم أتخذه ديناً إلّا بعد بحث طويل، لم أغير ديني إلّا لكي أجد الراحة من ضجيج الحياة الجنوني، ولأنعم بالسكينة في ظلال الهدوء والتأمل بعيداً عن متاعب الهموم والمحن؛ التي يسببها التكالب على الكسب والتهالك على المال، الذي أصبح اليوم معبود البشر وإلههم، ولأخلص نفسي من براثين الإغراء وخدع الحياة الباطلة، والشراب والمخدرات وجنون فرقة الجاز. أسلمت لكي أنقذ ذهني وعقلي وحياتي من الهدم والتدمير»(٢).

〔٢〕 «أنا اليوم ابن الإسلام وإني سعيد أكثر مما كنت في أي يوم من أيام حياتي، وفي مدنيتي الغربية ومع ثيابي الغربية. سعيد كمؤمن يدين بالإسلام الخالد الذي هو أكمل دين سماوي ارتضاه الله للبشرية»(٣).

أوليفر(٤)

〔١〕 «بعد أن درست الأديان المختلفة في العالم توصلت إلى الاستنتاج بأن الإسلام هو الدين الوحيد؛ الذي يؤثر في أولئك الذين يؤمنون به، وكذلك

(١) ركس إنجرام R.Ingram
ولد في إسكتلندا، في أواخر القرن الماضي، وشارك في الحرب العالمية الأولى، ثم رحل إلى العديد من بلاد الشرق، ودرس لغتها وأديانها، وانتهى به المطاف مصوراً سينمائياً في هوليود، اعتنق الإسلام بعد أن وجد فيه ضالته المنشودة.

(٢) رجال ونساء أسلموا، ١/ ٣٢.

(٣) نفسه، ١/ ٣٤.

(٤) ماري أوليفر Mary Ollver
مسيحية لم تستطع عقيدتها أن تمنحها القناعة، فأخذت تدرس البوذية والهندوسية، وإذ لم تجد فيها ما كانت تبحث عنه، انتهى بها المطاف إلى الإسلام، حيث اعتنقته مؤمنة بأنه الدين الوحيد الذي يستجيب لمطالب الإنسان.

الذين لا يؤمنون به على حد سواء. فأعظم فضيلة للإسلام أنه يأسر قلوب البشر بصورة تلقائية، ومن أجل هذا نجد في الإسلام سحراً غريباً وجاذبية عظيمة تجتذب إليها ذوي العقليات المتفتحة من غير المسلمين»[١].

٢ «إن أهم الجوانب في الإسلام التي أثرت في نفسي هي بساطة تعاليمه وطريقة الحياة البسيطة المستقيمة التي يحياها المسلمون المتمسكون بتعاليم الإسلام [كما] أن الإسلام لا يعتبر أحد خاطئاً منذ ولادته. والإسلام هو دين يدعو إلى إشاعة السلام والانسجام بين المسلمين، وليس ذلك فحسب، بل يضع المسؤولية على عاتق المسلمين لإقامة السلام في العالم كله»[٢].

٣ «.. إن كل من يؤمن بصدق وإخلاص بهذا الدين يسعى إلى تحرير نفسه من الذنب والخطيئة، ويعمل على أن تكون حياته تجسيداً وتعبيراً صادقاً عن كافة الفضائل، وهذه الرغبة من جانب المسلم تورث الانسجام والاعتدال في المجتمع الإنساني، وهذا الاعتدال بدوره يمثل السبيل نحو تقدم الأفراد والمجتمع»[٣].

٤ «الإسلام، على عكس الهندوكية والنصرانية، لا يحتفظ بأي جزء من تعاليمه، ويجعله حكراً لطبقة خاصة من الناس. بمعنى أنه في الإسلام لا يوجد كهنوت ولا رجال دين كطبقة منفصلة متميزة لها امتيازاتها.. فالتعاليم الإسلامية موجهة إلى كافة البشر، وهي بسيطة وسهلة يستطيع كل إنسان أن يفهمها بكل يسر. فالإسلام يؤكد في تعاليمه أن على الناس أن يفكروا، وأن يستخدموا عقولهم في الأمور الدينية..»[٤].

واشنجتون إيرفنج

١ «ينهى الإسلام عن الوثنية تماماً في جميع صورها، فقد نهى الإسلام عن جميع الطقوس الدينية الجاهلية التي تتعلق بالوثنية، ودعا إلى توحيد الله،

(١) رجال ونساء أسلموا، ٤/١٤٢.
(٢) نفسه، ٤/١٤٢-١٤٣.
(٣) نفسه، ٤/١٤٤.
(٤) نفسه، ٤/١٤٤-١٤٥.

ولكنه احتفظ من بين هذه الطقوس بما هو بعيد عن الوثنية، مثل الحج إلى مكة والطواف بالكعبة..»[١].

[٢] «عند قدوم محمد ﷺ إلى المدينة اعتنق بعض أهلها من المسيحيين الإسلام.

فقد وجدوا تشابهاً بين التعاليم الإنسانية في كل من الإسلام والمسيحية، ولم يلمسوا أي تعارض بين الدينين، وبخاصة أن الإسلام يضع المسيح [عليه السلام] في مقدمة الأنبياء [عليهم السلام]، أما باقي المسيحيين فلم يَبْدُ أي عداء للإسلام فقد اعتبروه أفضل بكثير من الوثنية، ولا شك أن الخلافات العديدة التي كانت قد نشبت بين الطوائف المسيحية في الشرق قد مهدت الطريق أمام المسيحيين ليعتنقوا الإسلام»[٢].

باتيل[٣]

[١] «لقد أيقنت أن الإسلام هو المنهج الذي يحقق غاية [الوجود الإنساني] فهو يمتاز بالبساطة والواقعية والاستعلاء والحساسية والشمول. فالإسلام يحترم كافة الأديان ويقر جميع الأنبياء.. قال تعالى: ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٨٤]. فهل هناك أبلغ من هذا الدليل على شمول الإسلام وعقيدته وإيمانه بالله الواحد الأحد؟»[٤].

[٢] «.. إن قوة الإسلام في ذاته، في خصاله الروحية وشموله. وهذا سر غلبته في النهاية..» [٥].

---

(١) حياة محمد، ص ٧٥.

(٢) نفسه، ص ١٣٣-١٣٤.

(٣) بشير أحمد عبد الرحمن باتيل B.A.PatterL
ولد في الهند عام ١٩٢٩ م، في أسرة هندوكية عريقة، ولم يجد في دين آبائه ما يمنحه القناعة الكافية، فانقلب إلى الشيوعية، فلم تلب مطالبه هي الأخرى، فنقب بين الأديان، وأخيراً وجد مستقره في الإسلام، وهو الآن يعمل رئيساً لقسم اللغة الإنكليزية والتاريخ في إحدى المدارس الثانوية في دار السلام، عاصمة تنزانيا.

(٤) رجال ونساء أسلموا، ١/ ١٩.

(٥) نفسه، ١/ ٢١.

رودي بارت

١ «إن العالم الواسع المترامي الأطراف ما كان ليحس بالعرب لو لم يتحولوا بفضل صلتهم بالإسلام إلى عامل من عوامل القوة السياسية، ويصبحوا بذلك ذوي أهمية، إن صح هذا التعبير»[١].

٢ «إن الشريعة الإسلامية بمعناها الواسع الذي يشمل تنظيم الشعائر كذلك، هي المضمون الحقيقي للروح الإسلامية الأصيلة، وهي التعبير الحاسم عن التفكير الإسلامي، إنها النواة الجوهرية للإسلام على الإطلاق»[٢].

بالتودانو[٣]

١ «. . على العكس من الديانة الكاثوليكية التي تدعو إلى السمو الروحي عن طريق المعاناة؛ فإن الإسلام يحض الناس على مقاتلة الطغيان. إن النصرانية تجنح إلى اتخاذ موقف هارب تجاه الحياة، بينما يتصدى الإسلام لمشكلات الحياة بشجاعة»[٤].

٢ «. . الحضارة المادية عليلة مملة، فالمرء يدور فيها في شبه دوامة، والتحديات فيها قليلة، وحتى عند وقوعها لا يكاد يوجد صراع. فالحياة تنتهي بالتسويات وأنصاف الحلول. إنك لا تنمو، فالمرء لا ينمو إلّا في ظل التحدي، والإسلام هو أعظم تحدٍّ في حياة الإنسان! وهكذا قررت أن أكون مسلمة»[٥].

---

(١) الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية، ص ٢٠.

(٢) نفسه، ص ٤٩. والعبارة المذكورة وردت في مقدمة كتاب جوتهلف برجشتريسر (المميزات الأساسية للشريعة الإسلامية)، (برلين، ١٩٣٥م).

(٣) مرسيدس بالتودانو: فاطمة بالتودانو M.Paltodano

ولدت في مدينة ليوم، بنيكاراغوا، في أمريكا الوسطى، كان أملها أن تصبح راهبة، وعندما بلغت المرحلة الثانوية (١٩٧٦ـ١٩٧٧م) دفعها طغيان سموزا الفردي إلى الشيوعية، لكن اعتقال شقيقتها وضع حداً لنشاطها السياسي، فسافرت إلى الولايات المتحدة لإكمال دراستها في الهندسة المدنية، وهناك، ومن خلال ضغوط الحياة الأمريكية المادية، وبفضل اتحاد الطلبة المسلمين، أعلنت انتماءها للإسلام.

(٤) رجال ونساء أسلموا، ٨/ ٥٢.

(٥) نفسه، ٨/ ٥٣ـ٥٤.

بيرغ[(١)]

[١] «لا حاجة بنا إلى الإطناب بميزات الإسلام، ولا في بيان اختلافه العظيم عن الهندوكية.. إن نظام الطوائف الذي تحيا به الهندوكية أو تموت لا أثر له في الإسلام، دين الديمقراطية، وقد استمد قوته على الدوام من حب الجماهير له حباً حماسياً. إن الإسلام يعرف كيف يجعل له من قلوب الناس مكاناً وأن معتنقيه ليفخرون به.. وليس هناك كاهن يشرف على الحياة الدينية. وإن إجماع المسلمين على اختلاف الرأي رحمة من الله، هذا الإجماع الذي يستلفت النظر بلينه وتسامحه، ويبرهن لنا برهاناً جديراً بالذكر على حاجة المسلمين السائدة إلى توحيد الكلمة، يؤيده عدم وجود سلطة معينة ترغم الناس على رأيها»[(٢)].

[٢] «.. إن الحج المفروض على كل مسلم أن يقوم به مرة في حياته إن استطاع إليه السبيل.. وأثر اللغة العربية في العمل على الوحدة، وتشابه طرق التعليم في كل العالم الإسلامي، كل هذه العوامل جعلت فكرة الوحدة الإسلامية باقية في المكان الأول، حتى بعد أن تم تمزق إمبراطورية الخلفاء إلى ولايات مختلفة..»[(٣)].

[٣] «.. إن النزعة التي تصبغ كل شيء بصبغة الدين، والتي امتاز بها الإسلام منذ أيامه الأولى، جعلته مدة تزيد على اثني عشر قرناً ديناً متمكناً في إمبراطوريات انمحت فيها القوميات، وكان هو أكبر قوة تعمل على تماسكها.. لقد حاز الإسلام فضلاً لا سبيل لإنكاره بأنه عمل على حل مشكلة التفاهم بين الأمم، وهو فضل لا يجحده حتى غير المسلم ممن يتبع ديناً آخر، ويعتنق فكرة أخرى في الحياة..»[(٤)].

---

(١) ج. ك. بيرغ J.K.Birge
عمل أستاذاً في جامعة ليدن، وانصب اهتمامه على تاريخ الصوفية في الإسلام، وكتب أبحاثاً عديدة عن جلال الدين الرومي وغيره.
(٢) رجال ونساء أسلموا (بإشراف كب)، ص ١٦٠-١٦١.
(٣) نفسه، ص ١٦١.
(٤) نفسه، ص ١٩٩-٢٠٠.

بنكمرت[1]

١ «الإسلام دين السلام والمساواة والحرية، والإخاء والكرامة والعزة، يظهر ذلك جلياً في أحكامه ومبادئه وآدابه، فالصوم في الإسلام ليس كالصوم في الأديان الأخرى؛ لأن مشكلة الإنسان ليست في أن يكبت مطالب جسده، وأن يتخلى عنها حتى تكون أقرب إلى العدم منها إلى الوجود. فهذا أمر ممكن بالمران والتعود.. مثلما يفعل الرهبان حتى يصير جسد الواحد منهم أشبه بهيكل عظمي متحرك. ولكنهم مع ذلك لم يتركوا أي أثر لهم في الحياة كبشر درجوا على وجه هذه البسيطة، وعمروا ما أمكنهم عمرانه فيها، بل انصرفوا عن ذلك في عجز وحسرة. لذلك فالإسلام، الذي هو دين الفطرة، لم يرض للمؤمنين به هذا السلوك السلبي الانعزالي ولم يشرعه لهم، بل عدل مطالب الجسد وهذبها ولم يكبتها، ونمى الغريزة وعلاها ولم يستأصلها، ورسم الطريق السوي للسير بها نحو الكمال. فالصوم في الإسلام تعويد للنفس على الصبر والجهاد ضد الشهوات الآثمة المحرمة، ومراقبة الله في السر والعلن، واستشعار لطعم الحرمان والجوع كي يعطف الصائم على المحرومين. كما أن في الصوم فرصة لإعطاء الجسم راحة من التخمة. فالصوم مفيد للشخص في صحته وروحه وعقله، وللمجتمع في تقاربه وتعاونه واتحاده..»[2].

٢ «لم أجد ديناً وضع للزكاة تشريعاً شاملاً كالإسلام، والمجتمع الإسلامي الذي يحرص على إخراج الزكاة يخلو من الفقر والحرمان والتشرد.. إنني أتصور لو أن العالم كله اهتدى إلى الإسلام لما بقي على ظهر الأرض جائع أو محروم. والمجتمع المسلم الذي يلتزم بأحكام الإسلام وآدابه مجتمع نظيف سعيد تنعدم فيه الجرائم بكافة ألوانها..»[3].

---

(١) بريشا بنكمرت: عثمان عبد الله Berisha Bankmart
من رجال التربية والتعليم، بمملكة تايلاند، نشأ في أسرة بوذية، يتمسك أفرادها بتعاليم وفلسفة بوذا، لكنه لم يطمئن إليها، وراح يبحث، بعد إكمال دراسته، عن دين يجدر أن يكون ((دين البشرية ودين الحياة)) كما يصفه. وفي مطلع عام ١٩٧١ أعلن إسلامه، وغير اسمه إلى عثمان عبد الله.
(٢) رجال ونساء أسلموا، ٣/ ١١٤ـ١١٥.
(٣) نفسه، ٣/ ١١٥.

بنوا[١]

[١] «تمسكت بالإسلام، بادي ذي بدء، لأسباب وراء الطبيعة، ولكن أسباباً أخرى أيضاً دفعتني إلى ذلك. فعلى سبيل المثال، كنت أرفض ما يزعمه الرهبان لأنفسهم بأنهم يملكون صلاحية الغفران للذنوب نيابة عن الله سبحانه وتعالى..»[٢].

[٢] «.. إن أساس الصلاة والعبادة بصورة عامة في الدين الإسلامي النظافة أو الطهارة الحسية والمعنوية، وهذه في الحقيقة هي إحدى خصائص هذا الدين العظيم المميزة له عن سائر الأديان.. إن استخدام الماء في عملية الوضوء قبل الصلاة يجعل المسلم في قمة النشاط في جسمه وعقله.. فإذا تذكرنا أن المسلم يؤدي خمس صلوات كل يوم، نجد أنه يغسل يديه ووجهه وقدميه ضمن عملية الوضوء، خمس مرات يومياً، فهل هناك وسيلة أفضل من هذه التحقيق النظافة»[٣].

[٣] «إن السكوت عن طهارة الجسد نجده في الأديان الأخرى غير الإسلام، بل يخالطه كذلك شعور بالعداوة فيما يتعلق بالحياة الجسدية للإنسان، بينما أتضح لي، أن الإسلام هو الدين الوحيد الذي يتمشى مع الفطرة الإنسانية»[٤].

[٤] «إنني الآن سعيد جداً بديني الجديد، وإنني أعلن مرة أخرى: أشهد أن لا إله إلّا الله وأشهد أن محمداً رسول الله»[٥].

مارسيل بوازار

[١] «.. إن من حق المؤرخ أن يعرف أسس ثقافة دينية المرتكز؛ وسمت تطور الإنسانية بميسمها، ولم تزل حتى اليوم مرجعاً خلقياً وسياسياً لملايين البشر،

---

(١) د. علي سليمان بنوا Dr. Ali Selman Benoist
طبيب فرنسي من أسرة كاثوليكية، قرأ كثيراً عن الإسلام بعد اهتزاز قناعاته بمعطيات المسيحية، ثم أعلن إسلامه في شباط من عام ١٩٥٣م.

(٢) رجال ونساء أسلموا، ٦/٦.

(٣) نفسه، ٦/٧-٨.

(٤) نفسه، ٦/٩.

(٥) نفسه، ٦/١١.

ومن الأهمية بمكان تحليل أفكارها الأساسية، وتطور هذه الأفكار المحتمل، والكشف عن الطريق التي حدد بها ذلك الدين العالمي الطموح مكانة الفرد في المجتمع وتصور تنظيم العلاقات بين الشعوب.. إن تقديم الإسلام على أنه خصم متصارع من النظريات والبنى التشريعية المعاصرة، أمر غير معقول»[١].

٢ «.. لا تمييز في العقيدة الإسلامية بين الموجب القانوني والواجب الخلقي.. وهذا الجمع المحكم بين القانون والخلق يؤكد قوة النظام منذ البداية..» [٢].

٣ «أليس من الواقعية أن يؤمن المرء بقيمة الإنسان وحريته وإرادته، وأن يتخيل إنشاء قانون تستطيع كل الشعوب الانضواء تحت لوائه؟ لسوف يسهم الإسلام في إنشاء ذلك القانون»[٣].

٤ «.. إن القضية تتمثل في استرجاع فكرة صلاح الإسلام لكل حين؛ من خلال تجلياته الأبدية الماضية والمستقبلية»[٤].

٥ «لم يكن من ضمن رسالة [محمد ﷺ] أن يبطل ما أنزل من قبله، بل أن يصدقه ناقضاً ما لحق الكتب السماوية من تحريف وانتهاك. وكلف تطهير تعاليم الرسل السابقين [عليهم السلام] من كل مخالفة، والتوسع فيها وتنميتها لتغدو ملائمة للبشرية جمعاء في كل زمان ومكان..» [٥].

٦ «من نوافل الأمور رفض الادعاء المتكرر آلاف المرات في الغرب عن عجز الإسلام عن تنمية نظام سياسي دينامي. فالتاريخ يكذبه تكذيباً مراً وقاطعاً»[٦].

---

(١) إنسانية الإسلام، ص ١٤، ١٥.
(٢) نفسه، ص ١٨، ١٩.
(٣) نفسه، ص ٢٤.
(٤) نفسه، ص ٢٨.
(٥) نفسه، ص ٤٣.
(٦) نفسه، ص ٣٦٥، ونكتفي بهذا القدر من أقوال (بوازار) عن (الإسلام) تجاوزاً لتضخم المادة، فالكتاب كله (إنسانية الإسلام)، إذا أردنا الحق، يعد بمثابة واحدة من أكثر الشهادات الغربية عمقاً وموضوعية ووضوح رؤية للإسلام، ويستحسن أن نحيل القارئ إلى

=

ديبورا بوتر

[١] «لقد تعرضت في السنوات الأخيرة لفلسفات مختلفة، وخضت تجارب من الإيحاء الفردي كانت تكشف لي عن جزء من الحقيقة. أما الآن فقد تجلى لي بوضوح أن هذه التجارب هي جزء لا يتجزأ من النظام الشامل للكون، وإنها بعزلتها تصبح قطعاً متناثرة من اللغز الكبير. هذا اللغز المتكامل هو الإسلام الذي أحدث ثورة في العالم بما قدم له من نظام شامل للحياة الخلقية والاجتماعية ونظام الحكم والنظام الروحي للإنسان»[1].

[٢] «.. الإسلام الذي هو قانون الله، نجده واضحاً في الطبيعة من حولنا، فبأمر الله وحده تسير الجبال والبحار والكواكب والنجوم، وتهتدي في مساراتها، فهي خاضعة لأمر الله خالقها كما تخضع الشخصيات في رواية من الروايات، ولله المثل الأعلى، فهي لا تنطق ولا تفعل إلّا ما يقرره الكتاب. وهكذا فكل ذرة في هذا الكون ـ حتى الجماد منه ـ هو أيضاً مسلم. ولكن الإنسان مستثنى من هذه القاعدة، فقد منحه الله حرية الاختيار، فله أن يستسلم لأمر الله، أو يضع قانونه لنفسه ويسير على دينه الذي يرتضيه، وقد اختار مع الأسف الطريق الثاني في معظم الأحوال»[2].

[٣] «.. الإسلام ليس ديناً جديداً من عند محمد ﷺ ولكنه عندما انتشر في الأرض بعد مضي ستمئة عام على صعود المسيح [عليه السلام] إلى السماء، نشر ثانية الوحي الذي تجسد في الأديان السماوية السابقة، وأعاده إلى أصله النقي

= صفحات أخرى تضمنت المزيد من المعطيات (الإيجابية) بحق الإسلام وهي: ٢٥ـ٢٦، ٣٣، ٣٥، ٤٥ـ٤٦، ٥٦ـ٥٩، ٦٤ـ٦٦، ٦٨ـ٧١، ٧٤، ٨٦ـ٨٨، ٩٢ـ٩٩، ١٠١ـ١٠٤، ١٠٦، ١٠٧ـ ١٠٨، ١١٦ـ١١٧، ١١٩ـ١٢٣، ١٢٤ـ١٢٥، ١٢٧، ١٢٨ـ١٣٠، ١٣١ـ١٣٢، ١٣٣ـ١٤٢، ١٤٥ـ١٤٧، ١٥٠ـ١٥١، ١٥٣، ١٥٥ـ١٦٤، ١٦٧، ١٧٠ـ١٧٣، ١٧٨ـ١٨٣، ٢٠٥ـ٢٠٦، ٢٠٨ـ٢١٠، ٢١٧، ٢٢٠ـ٢٢٢، ٢٢٧ـ٢٣٠، ٢٣٢ـ٢٣٣، ٢٤٠، ٢٤٣، ٢٤٤ـ٢٤٧، ٢٥٠ـ٢٥١، ٢٥٦ـ٢٥٧، ٢٥٩ ـ٢٦٠، ٢٦٧، ٢٧٤ـ٢٧٥، ٢٨٧ـ٢٩٣، ٣٤٣، ٣٤٧، ٣١٦، ٣٦٣ـ٣٦٧، ٣٧٢ـ٣٧٣، ٤٢٢ـ٤٢٣، ٤٢٨ـ٤٢٩.

(١) رجال ونساء أسلموا، ٨/ ١٠٠.

(٢) نفسه، ٨/ ١٠٠ـ١٠١.

الصافي. فجميع الأنبياء الذين أرسلهم الله [عليه السلام] كانوا مسلمين، ورسالتهم كانت واحدة دائماً..»[١].

٤ «الإسلام نظام عالمي ودين كوني جاء لجميع الناس في كل عصر ومصر. وهذا هو سرّ قوة الإسلام»[٢].

٥ «.. [إن] الناس في أوربة وأمريكا يقبلون على اعتناق الإسلام بأعداد [كبيرة].. لأنهم متعطشون للراحة النفسية والاطمئنان الروحي، [بل] إن [عدداً] من المستشرقين والمبشرين النصارى الذين بدؤوا حملتهم مصممين على القضاء على الإسلام وإظهار عيوبه المزعومة، أصبحوا هم أنفسهم مسلمين، وما ذلك إلّا لأن الحق حجته دامغة لا سبيل إلى إنكارها»[٣].

تزفسكن[٤]

١ «لم يتبين لي الفرق الشاسع بين تعاليم الإسلام وبين كثير من العادات الشرقية إلّا عندما دخلت عالم الإسلام الروحي عن طريق القرآن والكتابات الإسلامية.. فشعرت ببطء كيف يجذبني الإسلام. وكانت تعاليمه تخاطب عقلي وفطرتي. وكان من أهم ما شدني إلى النظام الاجتماعي المثالي في الإسلام، تساوي جميع الأجناس، والتسامح الذي لا حدّ له، والحرية التامة في جميع المجالات الدنيوية والروحية، وكذلك الاعتراف بالحياة الدنيا من غير مبالغة، والاجتهاد في طلب العلم الذي يعتبر فريضة على كل مسلم ومسلمة.. وأخيراً وليس آخراً أعجبت بالعلاقة المباشرة بين العبد وربه»[٥].

---

(١) نفسه، ص ٨/ ١٠١.

(٢) نفسه، ص ٨/ ١٠٢.

(٣) نفسه، ص ٨/ ١١٤.

(٤) فاطمة تزفسكن Fatima Zuesken
فتاة من تشيكوسلوفاكيا كانت تحمل اسم (مونيكا)، ولدت عام ١٩٤٣م، وتخصصت في الرسم الهندسي. قرأت كثيراً واتصلت بعدد من المسلمين الألمان، وبعد أن اقتنعت بالإسلام ديناً، أعلنت انتماءها إليه عام ١٩٦٣م.

(٥) رجال ونساء أسلموا، ٢/ ٩٨-٩٩.

[٢] «.. لقد بدا لي، وأنا أتلو كتاب الله، أن الإسلام وحده هو الطريق الذي علمه الله للناس منذ بدأ الخليقة، وأنه هو الحق»[(١)].

[٣] «يصعب علي أن أحدد نواحي معينة أعجبت بها من بين تعاليم الإسلام. إذ من العسير على المرء أن يفهم تفصيلات الإسلام وجزئياته ما لم يكن قد أحاط به بصفة كلية. فكل شيء في الإسلام وثيق الصلة بالآخر. ولذا فإن المسلم المؤمن لا يمكن أن يركز كل اهتمامه في موضوع واحد فحسب..»[(٢)].

[٤] «.. أما ما يتعلق بي شخصياً فأكثر ما يهمني من تعاليم ديني هي تلك المعلومات والقواعد؛ التي تعينني على تحقيق التكامل الروحي والعقلي..»[(٣)].

أرنولد توينبي

[١] «ما هو سر قوة الإسلام على البقاء، بقاؤه بعد وفاة رسوله، ثم زوال بناة إمبراطوريته من العرب، وانهيار من حلوا محلهم من الإيرانيين، وانهزام الخلافة العباسية، وتداعي الدول التي قامت فترة ما على أنقاض الخلافة العباسية، ويكمن التفسير في التجربة الروحية التي مر بها المهتدون إلى الإسلام من رعايا الخلافة الأموية من غير العرب. لقد تأصلت جذور الإسلام في قلوبهم فأولوه أهمية تفوق نظرة العرب إليه، وإن كان منهم من أقبل على اعتناقه في بداية الأمر تحقيقاً لمنافع عاجلة. ولا جرم أن عقيدة دينية توفق التوفيق كله تحت تأثير فضائلها الذاتية في الفوز بولاء الناس لها، عقيدة لا يستند بناؤها (أو زوالها) على أهواء تلك النظم السياسية التي تنشد استغلال العقيدة لتحقيق غايات تجافي مبادئها، ليعتبر انتصارها الروحاني، أعجب مثال يبين أنه وإن حلت الكوارث بالأديان العالمية الأخرى التي سعت إلى تحقيق غايات سياسية، إلّا أن الإسلام ـ عكسها ـ لم يؤثر فيه هذا الاتجاه. وهذا ما يبديه استقراء اتجاهه السياسي منذ عهد الرسول ﷺ نفسه ثم في عهد خلفائه [رضي الله عنه] من بعده. فإن هجرة النبي العربي ﷺ

(١) نفسه، ٢/٩٩.
(٢) نفسه، ٢/٩٩.
(٣) نفسه، ٢/١٠٠.

من مكة إلى المدينة، قد جعلت منه سياسياً ناجحاً لامعاً، عوضاً عن بقائه بمكة.. قليل الحظ من الأتباع والأنصار»[١].

٢ «.. إن الإسلام قد أعاد توكيد وحدانية الله، في مقابل الضعف البادي في تمسك المسيحية بهذه الحقيقة الجوهرية..»[٢].

٣ «في غضون القرن السابع الميلادي، جدّ في النقاش عامل جديد، كأنه ممثل جديد ظهر على مسرح الأحداث التاريخية على نحو رائع ومثير. فقد نشأ حينئذ دين جديد مكتمل النموّ. كان الإسلام يتعصب للتوحيد، ويناهض التصوير مثلما يبتغي أي يهودي، وبفضل ما حققه أنصاره في الميدان الحربي من نجاح متوال ـ وبعد ذلك بقليل في المجال التبشيري كذلك ـ واجه المسيحيون أمراً خطيراً جديراً يشغل تفكيرهم.. إن انتصارات العرب المسلمين الأولين قد ألقت قيوداً جديدة على المجادلات التي ظلت تدور أمداً طويلاً حول (وثنية) المسيحية»[٣].

جابا[٤]

١ «.. [لقد] تأثرت على وجه الخصوص ببساطة المجتمع الإسلامي وإحساسه بكرامته، وبالحب الإنساني المتبادل بين أفراده، كما شدني إليه ذلك الاحترام ومبدأ المساواة المطبق فيه. وظلت شعلة الإيمان بالإسلام متقدة في قرارة نفسي بشكل مطرد وبطيء، وأخيراً نجحت هذه النار في كسبي نهائياً إلى الإسلام، وهكذا فإن كلاً من قلبي وعقلي اليوم بفضل الله يشرقان بحقيقة الإسلام»[٥].

٢ «..[كنت] كلما مررت بأحد المساجد للمسلمين في الهند أفعم قلبي بالإحساس بعظمة هذا المكان وقدسيته.. كان قلبي يريد الانضمام إلى

---

(١) مختصر دراسة للتاريخ، ٣/ ٥٤ـ٥٥.
(٢) نفسه، ٣/ ١٦٤.
(٣) نفسه، ٤/ ٦٤.
(٤) كوفهي لال جابا: خالد لطيف جابا، K.Lal Gaba
رجل سياسة ومؤلف وصحفي، ولد في مدينة لاهور، منحدراً من أسرة هندوكية عظيمة الثراء، عالية التعليم، لها مكانتها بين الهندوس، وبعد أن أعلن إسلامه انتقل للحياة في بومبي. ومن أشهر مؤلفاته كتاب: (الأصوات العامرة)، وآخر بعنوان: (رسول الصحراء).
(٥) رجال ونساء أسلموا، ٦/ ٩٥.

جماعة المؤمنين في المسجد، وكان النداء والدافع قوياً إلى درجة أنني لم أتمالك نفسي من الدخول إلى المسجد والوقوف في صف المصلين. والحقيقة أنني لم أستطع مقاومة ذلك، وظللت أفعله فترة طويلة من الزمن»[1].

[٣] «إذا أراد الناس أن يعرفوا لماذا فضلت الإسلام على سائر الأديان الأخرى بما فيها دين آبائي وأجدادي؛ فسوف أقول لهم: إن أول ما جذبني إلى الإسلام هو بساطته وصراحته التامة. ونحن بطبيعة الحال لا نستطيع أن نعدد على أصابعنا كافة المميزات والخصائص العظمى لهذا الدين الحنيف..»[2].

[٤] «..إن مبدأ المساواة في الإسلام لا يوجد له مثيل، لا في البلشفية ولا في أي من المبادئ الأخرى... كما أن المساواة الإسلامية تغاير تماماً الأديان الأخرى التي تجعل للسود أماكن مستقلة للعبادة.. أما في الإسلام فالناس جميعاً سواسية كأسنان المشط.. وهم يقفون كتفاً إلى كتف في صف واحد مستقيم بين يدي الله سبحانه وتعالى في المسجد.. يعبدون رباً واحداً لا شريك له..»[3].

جوبا[4]

[١] «إن أول شيء شدني إلى هذا الدين هو بساطته ووضوحه التام المطلق..

والصفة الثانية التي جذبتني إلى الإسلام العظيم تلك الروح الديمقراطية الأصلية التي يتميز بها. فالمساواة في الإسلام تختلف عنها في البلشفية التي تعمل على سحق الأغنياء لصالح الفقراء، ولا هي كالمساواة عند النصارى حيث يجلد الرجل الزنجي لا لشيء إلّا أنه وقع بصره على امرأة بيضاء. ويعبد الزنوج ربهم في كنائس خاصة بهم مستقلة عن كنائس البيض. أما في الإسلام فجميع المساجد

---

(١) نفسه، ٦/٩٦.

(٢) نفسه، ٦/٩٦.

(٣) نفسه، ٦/٩٧-٩٨.

(٤) ك. ل. جوبا K.L.Gauba

هندوكي مثقف، ومحامي كبير بالمحاكم العليا، درس الإسلام، ولم يرض أن يظل على دينه الذي ورثه عن آبائه وأجداده، وأخذ يقارن بين الأديان، وانتهى الأمر به إلى اعتناق الإسلام.

مفتحة أبوابها لكل مسلم غنياً كان أم فقيراً، أسود كان أم أبيض، ملكاً كان أو عبداً، وهذه الصفة تقيم صرح وحدة حقيقية راسخة بين المسلمين، ومن أجل ذلك فإن الدين الإسلامي لا يقيم مراسيم خاصة لكل داخل في الإسلام كما تفعل الأديان الأخرى، وإنما حسب المرء أن ينطق بالشهادتين حتى يغدو عضواً في أعظم أخوة عالمية يتساوى في ظلها الناس جميعاً في الواقع العملي الملموس إلى جانب الناحية النظرية المجردة.. وليس في العالم كله أشمل وأصدق من هذه الأخوة الإسلامية»[1].

٢ «.. إن الأمر [الآخر] الذي من أجله اخترت الإسلام هو قدرة الإسلام على التلاؤم والتكيف مع متطلبات الحياة الحاضرة، فليس هناك أي دين من الأديان المعاصرة يتمتع بمثل هذه القدرة على حل المشكلات الحاضرة التي تواجه الإنسان في هذا الزمان..»[2].

فيليب حتي

١ «الإسلام منهج حياة. وهو ـ بهذا النظر ـ يتألف من ثلاثة جوانب أساسية، الجانب الديني والجانب السياسي والجانب الثقافي. هذه الجوانب الثلاثة تتشابك وتتفاعل، وربما انقلب بعضها إلى بعض مرة بعد مرة من غير أن نلحظ ذلك»[3].

٢ «الإسلام ـ بما هو دولة ـ وحدة سياسية تضم مجموعاً من المؤسسات القائمة على الشريعة، على المبادئ القرآنية، أنشأها محمد ﷺ في المدينة، ثم تطورت في أيام خلفائه [رضي الله عنهم] على أنقاض الإمبراطورية الفارسية والإمبراطورية الرومانية الشرقية (البيزنطية) ثم بلغت هذه الدولة الإسلامية ذروة لم تبلغ إليها دولة في العصور الوسطى، ولا في العصور القديمة..»[4].

---

(١) رجال ونساء أسلموا، ٣/ ٨٣ـ٨٤.

(٢) نفسه، ٣/ ٨٥.

(٣) الإسلام منهج الحياة، ص٩.

(٤) نفسه، ص١٠.

[٣] «لا سبيل إلى الموازنة بين محمد رسول الإسلام ﷺ وبين عيسى مؤسس النصرانية [عليه السلام] (في رأي النصارى). إن محمداً لم يكن فيه صفة ذاتية غير طبيعية، ولا جاء مسيطراً على البشر بقوة خارقة، ولكنه كان مبلِّغاً لرسالة ربه. ويجب أن نذكر أن هذا الرأي هو الرأي الشرعي العلمي في الإسلام.. من أجل هذا كله نجد المسلمين يأبون أن يسموا (محمديين) بالمعنى الذي يسمى به النصارى (مسيحيين)، وهؤلاء المستشرقون المتأخرون الذين لا يزالوا يطلقون هذه التسمية غير المقبولة (الخاطئة) على المسلمين إطلاقاً هيناً يجب أن يعلموا أنه لا يحق لهم أن يسموا أمة باسم لا تحبه. إن المسلم، في اللغة، هو الذي (أسلم نفسه لله) (خضع لإرادة الله)، فالإسلام ـ من أجل ذلك ـ ليس ديناً محمدياً ولكنه دين التسليم بإرادة الله..»[١].

[٤] «الشريعة [الإسلامية] لا تفرق بين ما هو ديني وبين ما هو دنيوي. إنها تنص على صلات الإنسان بالله، وعلى واجباته نحو الله، وتنظمها كما تفعل في شأن صلات الإنسان بأخيه الإنسان. وجميع أوامر الله ونواهيه ـ فيما يتعلق بالأمور الدينية والمدنية وسواها ـ مثبتة في القرآن. وفي القرآن ستة آلاف آية أو تزيد يتعلق نحو ألف آية منها بالتشريع..»[٢].

[٥] «الفقه يمكن أن ينظر إليه على أنه علم إسلامي خالص. وهو ـ بخلاف عدد كبير من العلوم كالرياضيات والطب والفلسفة ـ كله نتاج البيئة الإسلامية نفسها. ثم إننا لا نكاد نلحظ في تطوره أثراً من الفكر الهندي الإيراني أو الفكر الهندي الأوروبي. ومؤسس علم الفقه في الإسلام لم يلتفت إلى الاستعانة بالقانون الروماني ولا بالفلسفة اليونانية..»[٣].

عامر علي داود

[١] «.. بفضل دراستي الحرة البعيدة عن كل تعصب مقيت أصبح إيماني بهذا الدين [الإسلام] قوياً راسخاً. لقد آمنت برسالة القرآن، وأحسست أن

---

(١) نفسه، ص ٥٣.
(٢) نفسه، ص ٩٥ـ٩٦.
(٣) نفسه، ص ١٠٠ـ١٠١.

الإسلام هو دين الفطرة والكمال، أنزله الله على آخر الأنبياء وخاتمهم محمد (ﷺ). لقد اكتشف أن الإسلام يخاطب الناس مباشرة ودون أي واسطة من أي نوع، من أجل ذلك كان هذا الدين متمشياً مع الفطرة البشرية»[(١)].

٢ «إن الإسلام يخاطب الإنسان الكامل. وهكذا أيقنت أن هذا الدين هو خير الأديان جميعاً. لقد شرعت في التحدث عن معتقداتي الجديدة، حول الإسلام والنصرانية وصارحت بها العديد من العلماء والمرموقين والقسس المعروفين، وكنت صريحاً وصادقاً في مناقشتي معهم. لقد سألت القسس: لماذا يخدعون الناس بإخفاء الحقيقة ولا يخبرونهم بوضوح وصدق أن محمداً ﷺ هو رسول الله؟ ولما سمعوا مني ذلك غضبوا، ولكنهم لم يستطيعوا أن يحيروا جواباً»[(٢)].

أميل درمنغم

١ «إن الذي أدى إلى تنافر الإسلام والنصرانية، وتغلب الإسلام على النصرانية؛ هو ما كانت عليه النصرانية من الفساد في القرن السابع من الميلاد، وفرق النصرانية الضالة هي التي كان محمد ﷺ شاهداً عليها، وهو الذي لم يعرف غيرها، والمسائل المشكوك فيها الكثيرة التي مصدرها ما أدخله اليهود إلى التلمود وغيره..»[(٣)].

٢ «كانت للدعوة المحمدية في جزيرة العرب أثر عظيم ثابت في تقدم الأسرة والمجتمع وفي تقدم الصحة أيضاً، فقد حسن بها مصير المرأة، وحرم بها الزنى والمتعة وحياة الغرام، ومنع بها إكراه القيان على البغاء لإثراء سادتهم. الإسلام، وإن أباح الرق، نظم أحكامه، فعد فك الرقاب من الحسنات ومكفراً لبعض السيئات..»[(٤)].

٣ «.. تعارض الآداب الإسلامية بالنسك النصراني أحياناً معارضة مصنوعة، فالإسلام وإن بدا أكثر تسامحاً في الميل الجنسي، لم يكلف نفساً إلّا وسعها،

(١) رجال ونساء أسلموا، ٧/١١٨.
(٢) نفسه، ٧/١١٨-١١٩.
(٣) حياة محمد، ص ١٣٧.
(٤) نفسه، ص ٢٩٠.

ورأى كمال العبادة في نيل الجسم حقه الشرعي، ولكن زهد الصوفية المسلمين يعادل زهد نساك جميع الأديان، ولكن المسلمات ملزمات بهندام وزي يبتعد بهن كثيراً عن الأزياء الأوربية العصرية، فمن العبث إذاً أن يزعم وجود فروق كبيرة بين الأدبين مع الاختلاف في النظر والعمل، وتباين في النظريات نفسها..»[(١)].

[٤] «كان كثير من المسلمين يكثرون من التوبة والاستغفار والصلاة والصوم، فرأى محمد ﷺ أن القصد أولى من الإفراط، فأشار بالاعتدال في التقشف وبترك كل ما يميت النفس، وحدث أن بعضهم قادوا أنفسهم إلى الحج بربط أنوفهم بأرسان الجمال، فقطع محمد ﷺ هذه الأرسان؛ لأن الله ليست له حاجة بجدع الأنوف»[(٢)].

[٥] «على ما تراه في دعوة النبي ﷺ من المبادئ الأخروية لم يأل النبي جهداً في تنظيم المجتمع الإسلامي تنظيماً علمياً، فكان القرآن كتاب شريعة كما كان مثل كتاب الزبور»[(٣)].

م. ح. دوراني

[١] «أكثر ما استهواني إلى الإسلام كان ولا يزال جوانبه العلمية، فإذا أردت أن تشهد علاقة الحب الحقيقية التي تقول (أحبب جارك مثلما تحب نفسك) فستجدها في أخوة الإسلام لا في الكنيسة، حيث يسعى البابا والمطارنة والأساقفة وغيرهم وراء السلطة مستخدمين اسم الله كمبرر لما يفعلون»[(٤)].

[٢] «الإسلام لديه كلاً من النظام والقانون، فالطقوس الدينية المفروضة على الأشخاص لها هدف خلقي.. فهي تهدف إلى تنظيم الفرد خلقياً وروحياً بطريقة معقولة، كما تهدف إلى تطهير عقله وتنقيته، وكذلك تقويته كي يؤدي واجباته تجاه الآخرين الذين يعيشون معه. فالإسلام هو الدين الوحيد من حيث إنه نظرياً وعملياً لا يطلب من المرء أن يؤمن بمبادئ هامدة، وأسرار غامضة كما هو الحال

(١) نفسه، ص٢٩٢.
(٢) نفسه، ص ٤٩٤.
(٣) نفسه، ص ٢٩٧-٢٩٨.
(٤) رجال ونساء أسلموا، ٤/ ٣١.

في الديانة النصرانية. إذ أن الإسلام يتقبل جوانب الحياة الروحية والمادية على حد سواء، ويضع كلاً موضعه اللائق به، ويقيم فلسفة على أساس أن تغطي كافة جوانب السلوك الإنساني»[1].

٣ «.. الإسلام، باديء ذي بدء، يركز أعظم تركيز على النظافة الشخصية والصحية لا نظافة المناسبات والمراسيم، فالاستحمام الإسلامي كما هو معروف، يختلف كثيراً عن الاستحمام لدى الآخرين، والمسلمون يمتنعون عن أطعمة معينة تبعاً لآثارها الضارة بأخلاق الناس، ويحرم الإسلام المشروبات المسكرة لأنها تحيل الإنسان إلى وحش. والصلوات الخمس اليومية تنأى بالمرء عن الخبث والآثام. ثم هناك شهر للصوم يمتنع فيه المسلم، عن الطعام والشراب وحتى عن التدخين طوال النهار، وهو دورة رائعة للنظام يتدرب فيه المسلم، ويقوي نفسه للصوم في وجه الشدائد.. ويصير سيداً لشهواته ونزواته، فالرجل الذي تعلم أن ينتصر على شهواته ورغباته، وأن يقود نفسه هو رجل قوي»[2].

٤ «على صعيد القانون، في مجال العدل والإنسانية، وفي مجال الحكمة والشفقة، فإن قانون الإسلام لا مثيل له بين أديان العالم، فهو يحدد واجبات الفرد تجاه أقاربه وذويه وجيرانه وعائلته، وتجاه المجتمع والأمة التي ينتمي إليها. والقانون في الإسلام واسع اتساعاً لا سبيل معه إلى شرحه في بضعة سطور. وسأكتفي بإبراز صفتين من صفاته تحققان الغرض المطلوب في هذه العجالة. فالدعامة الأولى في القانون الإسلامي تتمثل في أنه يقوم على أساس من المساواة والضمير الحي، وليس على أي اعتبارات عقلية غريبة عليه، وهذا يعني تناسبه وانسجامه مع تغير الزمان وصلاحيته لكل وقت. وهذه صفة كامنة فيه، وبذلك فهو جديد وحديث لا يبلى بمرور الزمان، ولا يمكن أن يصبح قديماً، أو أن يعفى عليه الدهر. وأما الصفة الثانية فهي أن القانون الإسلامي لا يقيم وزناً للأشخاص والذوات الشخصية، ولا يعترف بأية امتيازات أو طبقات أو تمييز بسبب المولد أو الغنى أو المكانة. فالملك والفلاح والسائل والعريض الثراء، كل هؤلاء يقفون على قدم المساواة أمام القانون الإسلامي. وهنا أيضاً لا يوجد

(١) نفسه، ٤/ ٣٣.
(٢) نفسه، ٤/ ٣٣-٣٤.

أي قانون حتى في القرن العشرين يمكن أن يضاهي القانون الإسلامي. فهناك مئات الشواهد التي يزخر بها التاريخ الإسلامي، والتي تذكر لنا كيف كان الملوك المسلمون يأتون مذعنين لأوامر القضاة، والوقوف مع خصومهم جنباً إلى جنب للدفاع عن أنفسهم في قضايا شتى. حتى إن النبي الكريم نفسه أعلنها ذات مرة بقوله: «لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها»(١).

دافيد دي سانتيلانا

[١] «ذلكم هو شكل النظام الجديد الذي دعا إليه محمد ﷺ.. ونحن نجد في ظله أن قيمة الفرد بدأت تتضح، وكينونته البشرية أخذت تبرز إلى عالم الوجود، فصار يستمد حقوقه وواجباته من إيمانه، ويستقيها من معين دينه لا من روابطه الاجتماعية والعرفية. فمن جماعة المؤمنين هؤلاء تكون المجتمع الإسلامي»(٢).

[٢] «.. إن أساس الوحدة الاجتماعية يمثله (الله) في الإسلام، فالله هو الاسم الذي يطلق على السلطة العامة في حقل المصلحة العامة. وعلى هذا المنوال يكون بيت المال هو (بيت مال الله)، والجند هم (جند الله)، حتى الموظفون العموميون هم (عمال الله) وليست العلاقة بين الله والمؤمن بأقل قوة من ذلك، ولا يوجد بين المؤمن وربه (وسيط)، ومادام الإسلام لا يقر بسلطان كنسي وكهنوتي، ولا يعترف بأسرار كنسية مقدسة، فأي فائدة ترتجى من الوسيط بين الإنسان وبين خالقه الذي كان يعرفه قبل أن يبدعه، والذي هو ﴿أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦]؟! إن الله بعد أن أرسل إلى البشر خاتم أنبيائه وكلمته النهائية، لم يعد ثم من ينطق بلسانه أو يعرب عن آرائه. الإنسان وحده ماثل أمام الله في حياته وموته، وله أن يخاطبه رأساً بلا وسيط، أو (إجراءات).. والإنسان من فجر حياته حتى موته تحت أنظار الله، وهو وحده يمثل أمام الله يوم الحشر.. إن أشد المذاهب البروتستانتية صرامة إنما تكاد تكون مذهباً كهنوتياً صرفاً إذا ما قورنت بعقيدة التوحيد الراسخة التي لا تلين ولا تتزعزع، ولا تسمح بالتدخل بين الخالق والمخلوق..»(٣).

(١) نفسه، ٤/ ٣٤-٣٥.
(٢) تراث الإسلام، (إشراف توماس أرنولد)، ص ٤٠٦.
(٣) تراث الإسلام، ص ٤٠٩-٤١٠.

٣ «إن مبادئ [الإسلام] القانونية على تعدد أشكالها، تؤول إلى غاية واحدة هي الرفاه العام (المصلحة)؛ لذلك فليس لهذا القانون الإلهي مصدر والبشري هدف، إلّا سعادة البشر ورفاهه. والعين النافذة لا يمكن أن تخطئ رؤية هذه الغاية وإن شق عليها أن تتوضحها لأول وهلة؛ لأن الله لا يمكن أن يعمل شيئاً لا تتجلى فيه الحكمة والرأفة اللتان هما باعثاه الأساسيان. لما كان البشر من روح وجسد فلابد وأن يكون للمرء اتجاهان في الحياة: اتجاه روحي واتجاه جسدي (مادي ومعنوي)، وعلى هذا الأساس صارت القواعد (الحدود) الإلهية التي وضعها الله لتدبير البشر منقسمة إلى قسمين: ما يتعلق منها بالروح، وما يختص منها بالجسد، فالدين والقانون هما نظامان متباينان، لكنهما متلاحمان، يتمم أحدهما الآخر باتحادهما في المصدر والغرض، وهو سعادة البشر ورفاهه..»[١].

٤ «عبثاً نحاول أن نجد أصولاً واحدة تلتقي فيها الشريعتان الشرقية والغربية (الإسلامية والرومانية) كما استقر الرأي على ذلك. إن الشريعة الإسلامية ذات الحدود المرسومة والمبادئ الثابتة لا يمكن إرجاعها أو نسبتها إلى شرائعنا وقوانيننا؛ لأنها شريعة دينية تغاير أفكارنا أصلاً..»[٢].

٥ «لما كان الشرع الإسلامي يستهدف منفعة المجموع، فهو بجوهره شريعة تطورية غير جامدة، خلافاً لشريعتنا في بعض الوجوه. ثم إنها علم ما دامت تعتمد على المنطق الجدلي.. وتستند إلى اللغة.. إنها ليست جامدة، ولا تستند إلى مجرد العرف والعادة، ومدارسها الفقهية العظيمة تتفق كلها على هذا الرأي. فيقول أتباع المذهب الحنفي: إن القاعدة القانونية ليست بالشيء الجامد الذي لا يقبل التغيير، إنها لا تشبه قواعد النحو والمنطق، ففيها يتمثل كل ما يحدث في المجتمع بصورة عامة.. إن المنفعة هي مبدأ الفقهاء والمشرعين، ولقد أدرك العرب بوضوح تام سر هذه المرونة، وهو الاستعمال بلا ريب.. إن هذا التفاعل المستمر [للفقه] في الحياة يمكن تتبعه في مسالك التاريخ الإسلامي..»[٣].

---

(١) تراث الإسلام، ص ٤١٣-٤١٤.
(٢) نفسه، ص ٤٣١.
(٣) نفسه، ص ٤٣٣-٤٣٤.

هنري دي كاستري

١ «.. وجعلت أشاهد حركات المصلين وأسمعهم يكررون بصوت مرتفع: الله أكبر الله أكبر، فكان هذا الاسم الإلهي يأخذ من ذهني مأخذاً لم يوجده فيه درس الموحدين، ومطالعة كتب المتكلمين.. وكنت أشعر بأنهم في صلاتهم [تلك] أرفع مني مقاماً، وأعز نفساً.. وهم يكررون إلى ربهم صلوات خاشعة تصدر عن قلوب ملئت صدقاً وإيماناً.. فأحسست أنني منجذب بحلاوة الإسلام كأنها أول مرة شاهدت في الصحراء قوماً يعبدون خالق الأكوان..»[١].

٢ «.. (لا إله إلّا الله) ذلك هو أصل الاعتقاد بإله فرد، ورب صمد منزه عن النقائص، يكاد العقل يتصوره، وهو اعتقاد قوي يؤمن به المسلمون على الدوام، ويمتازون به على غيرهم من القبائل والشعوب، أولئك حقاً هم المؤمنون.. ولقد يستحيل أن يكون هذا الاعتقاد وصل إلى النبي ﷺ من مطالعته التوراة والإنجيل، إذ لو قرأ تلك الكتب لردها لاحتوائها على مذهب التثليث، وهو مناقض لفطرته، مخالف لوجدانه، فظهور هذا الاعتقاد بواسطته دفعة واحدة هو أعظم مظهر في حياته، وهو بذاته أكبر دليل على صدقه في رسالته، وأمانته في نبوته»[٢].

٣ «إن دين الأنبياء [عليهم السلام] كان كله واحداً، فهم متحدون في المذهب منذ آدم إلى محمد [عليهما السلام]، وقد نزلت ثلاث كتب سماوية وهي الزبور والتوراة و القرآن. القرآن بالنسبة إلى التوراة كالتوراة بالنسبة إلى الزبور، وإن محمداً ﷺ بالنظر إلى عيسى كعيسى بالنظر إلى موسى [عليهما السلام]، ولكن الأمر الذي تهم معرفته هو أن القرآن آخر كتاب سماوي ينزل للناس وصاحبه خاتم الرسل، فلا كتاب بعد القرآن، ولا نبي بعد محمد ﷺ، ولن تجد بعده لكلمات الله تبديلاً. إذا تقرر هذا لم يعد هناك وجه للاستغراب من وجود بعض التشابه بين القرآن والتوراة، فمحمد ﷺ كعيسى [عليه السلام] قال: إنه بعث ليتم رسالة من قبله لا ليبيدها، فلم يكن من أمره الابتعاد عمن تقدمه؛ ولذلك كان يصرح على الدوام بأنه يعيد على الناس ما نزل على الأنبياء من قبله.. على أن بعض المشابهات لا تحتاج إلى مثل هذا التفسير؛ إذ نفس محمد ﷺ كانت متأثرة بما

(١) الإسلام: خواطر وسوانح، ص ٢-٣.
(٢) نفسه، ص ١٧ ـ ١٨.

تأثرت به نفوس الأنبياء من بني إسرائيل، وكان يعبد الله الذي عبدوه، فلا عجب أن تشابهت ألفاظ التضرعات، وتجانست أصوات الدعاء»[١].

٤ «لقد كان فكر النبي ﷺ في الألوهية من أرفع الأفكار وأسماها، ولكنه تسامح للناس كثيراً في رغباتهم وما كانوا إليه يميلون. نعم يجب على الرجل أن يعتقد ويعبد الله، ولكن يجب عليه أن يحارب نفسه ويعذبها العذاب الأليم ليقهرها.. ومع ذلك فمن الشهوات ما نهى النبي ﷺ عنه وأمر بمجاهدة النفس فيه. فقد حرم على المسلمين شرب الخمر وكل شراب يؤثر مثله، وقد بالغ المسلمون في العمل بهذا النهي، فكان من وراء ذلك أن نجت الأمم الإسلامية من مرض المسكرات، وهي الداهية التي تفجع اليوم أمماً كثيرة من المسيحيين، وكانت إحدى الأسباب في اضطراب المجتمع الإنساني، وظهور مذهب الفوضويين مما تجهله الأمم الإسلامية، هكذا جذب الإسلام قسماً عظيماً من العالم بما أودع فيه من إعلاء شأن النفس بتصور الذات الإلهية على صفات فوق صفات البشر تذكرها خمس مرات في كل يوم، وبما اشتمل عليه من الترفق بطبيعة البشر؛ حيث أتاح للناس شيئاً مما يشتهون»[٢].

٥ «إن الروابط عند المسلمين هي أشد قوة منها لدى غيرهم من الأمم التي تدين بدين واحد؛ لأن القرآن شريعة دينية، وقانون مدني وسياسي..»[٣].

آتيين دينيه

١ «.. إن الأمم الإسلامية على اختلاف جنسياتها وبلدانها قد طبعها الإسلام بطابعه الواضح المحسوس. بل إن آثاره لا تزال باقية في أهل إسبانيا، وإن كانوا قد ارتدوا عنه منذ خمسة قرون»[٤].

٢ «إن الإسلام [هو] عقيدة التوحيد الإلهية العليا، وله تلك المبادئ السامية التي تقوم عليها تلك العقيدة.. [ونحن نطلب] من خصومنا أن يدلونا عليها في الإنجيل، أو في كتاب مقدس آخر إن كانوا صادقين»[٥].

---

(١) نفسه، ص ٢٣-٢٤.
(٢) نفسه، ص ٩٣.
(٣) نفسه، ص١٠٥ - ١٠٦.
(٤) أشعة خاصة بنور الإسلام، ص ١٥.
(٥) نفسه، ص ١٥.

[٣] «.. إن الإسلام منذ البداية في أيامه الأولى قد أخذ في محاربة الخرافات والبدع، وهو نفس العمل الذي يقوم به العلم إلى يومنا هذا»[١].

[٤] «كما إن الإسلام قد صلح منذ نشأته لجميع الشعوب والأجناس، فهو صالح لكل أنواع العقليات، وجميع درجات المدنيات.. وبينما تجد الإسلام يهيج من نفس الرجل العملي في أسواق لندن حيث مبدأ القوم (الوقت من ذهب) إذ هو يأخذ بلب ذلك الفيلسوف الروحاني، وكما يتقبله عن رضا ذلك الشرقي ذي التأملات.. إذ يهواه ذلك الغربي الذي أفناه الفن، وتملكه الشعر»[٢].

[٥] «عندما رفع الله إليه مؤسس الإسلام ﷺ كان هذا الدين القويم قد تم تنظيمه نهائياً وبكل دقة، حتى في أقل تفاصيله شأناً»[٣].

ول ديورانت

[١] «تلك بلا مراء عقيدة نبيلة سامية ألفت بين الأمم المتباينة المنتشرة في قارات الأرض، فجعلت منها شعباً واحداً، وهي لعمري أعظم معجزة للمسيحية والإسلام»[٤].

[٢] «.. إن الذين يجهلون الإسلام هم وحدهم الذين يظنون أنه دين سهل من الوجهة الأخلاقية.. وليس في التاريخ دين غير دين الإسلام يدعو أتباعه على الدوام إلى أن يكونوا أقوياء، ولم يفلح في هذه الدعوة دين آخر بقدر ما أفلح فيها الإسلام..»[٥].

[٣] «.. كانت مبادئ [المسلمين] الأخلاقية، وشريعتهم، وحكومتهم قائمة كلها على أساس الدين. والإسلام أبسط الأديان كلها وأوضحها، وأساسه شهادة أن لا إله إلّا الله وأن محمداً رسول الله..»[٦].

---

(١) نفسه، ص ١٨.
(٢) نفسه، ص ٣٨.
(٣) نفسه، ص ٣١٥.
(٤) قصة الحضارة، ١٣/٦٦.
(٥) نفسه، ١٣/٦٧-٦٨.
(٦) نفسه، ١٣/١١٦.

٤ «.. أحل للمسلمين أن يستمتعوا بالحلال من طيبات الحياة على شريطة ألّا يسرفوا فيها. ولكن الإسلام كغيره من الأديان يدعو المسلمين إلى الصوم ليقوي بذلك إرادتهم من جهة، ولتصح به أجسامهم من جهة أخرى..»[1].

٥ « لفريضة [الحج] العظيمة أغراض وفوائد كثيرة، فهي تقوي إيمان المسلمين واستمساكهم بدينهم، وتمكن الصلة بهذا العمل العاطفي الجماعي بين المسلم ودينه وبينه وبين إخوانه المؤمنين.. فالحج وما ينطوي عليه من مناسك التقى والورع يجمع بين [أبناء] الشعوب الإسلامية كافة، يرتدون كلهم ثياباً بسيطة واحدة، ويتلون كلهم أدعية واحدة بلغة واحدة هي اللغة العربية، ولعل هذا هو السبب في ضعف حدة الفوارق العنصرية في الإسلام..»[2].

راموني[3]

١ «لم يكن لي خيار من المقارنة بين مبدأ توحيد الله في التصور القرآني وبين اعتقادي في الثالوث كمسيحي، فوجدت أن المبدأ الأخير أدنى بكثير من المبدأ الإسلامي. ومن تلك البقعة بالذات بدأت أفقد الثقة في الديانة المسيحية؛ على اعتبار أن الإيمان بالله وحده هو أول وأهم مبدأ في أي دين من الأديان، فإذا كان إيماني بالله خاطئاً بالمفهوم الديني الصحيح، فمعنى ذلك أن كل نشاط آخر يصبح عبثاً لا جدوى منه، ولا معنى له»[4].

٢ «.. إني على يقين تام من أن الإسلام يعزز مبادئه وتعاليمه بالحجج المنطقية على النقيض من الأديان الأخرى. وهكذا فعلى الرغم من الجهود الضخمة

---

(١) نفسه، ١٣/١٢٣.

(٢) نفسه، ١٣/١٢٢٧ ـ ١٢٢٨.

(٣) ناجيمو راموني Najimu Ramoni
من غانا، بإفريقية الغربية، ولد لأبوين مسيحيين، عضوين في كنيسة البعثة المعمدانية، وتلقى تعليمه في المدارس التبشيرية، ولما بلغ العشرين بدأ مهمته كمبشر متحمس، لكنه عثر يوماً على كتاب عن الإسلام قدمه إليه أحد أصدقائه، فاهتزت قناعته بالنصرانية أمام صدق الإسلام ووضوحه ودقته المعجزة، واستمر في طريق البحث عن الحق حتى خريف عام ١٩٦٣ م، حيث أعلن إسلامه.

(٤) رجال ونساء أسلموا، ٩/ ٥٤ـ٥٥.

التي تبذلها الأديان المختلفة الأخرى فقد عجزت تماماً عن منافسة الإسلام، ناهيك عن سبقه إلى قلوب الناس.. كما أن الملاحظ أن جميع الدعوات الأخرى في انحسار دائم أمام عظمة الإسلام»[١].

[٣] «الإسلام هو أعظم الأديان ملاءمة لجيلنا المتحضر ولكل جيل، فالإسلام لا يفصل بين الدين والدنيا بحيث تتحول الحياة إلى طريقين مختلفين تماماً، وهذا يشكل خلاصة الأزمة المعاصرة للإنسان، لقد اعتنقت الإسلام لأنه دين طبقات الناس جميعاً، كبيرها وصغيرها، غنيها وفقيرها، دين الأحرار والعبيد، والسادة والمسودين»[٢].

ركويل[٣]

[١] «لقد جذبني إلى الإسلام عوامل كثيرة لا أستطيع حصرها أو الوقوف عليها جميعاً، لأن منها الظاهر الجلي الذي لا يماري فيه إنسان، ومنها الباطن الخفي الذي يغوص في أعماق الروح ويكمن في خبايا الضمير. لقد قرأت عن الإسلام فلفت نظري الشيء الكثير. لفت نظري ببساطة العقيدة الإسلامية وسهولتها فليس هناك أسرار ولا ألغاز تؤمن بها ولا تناقشها، بل مرد الإيمان إلى العقل والنظر في ملكوت الله، وما في الكون من نظام بديع يهدي بالضرورة إلى وجود إله متصرّف له الخلق والأمر »[٤].

[٢] «إذا عرفت الله وآمنت بوجوده؛ فالإسلام يقول لك إن الله أقرب إليك من حبل الوريد.. فلا ضرورة إذاً للوسيط بينك وبين خالقك، ولا حاجة إلى كاهن تعترف له فيقبل التوبة منك، أو هيكل لا تتم العبادة إلّا فيه..»[٥].

---

(١) نفسه، ٩/ ٥٧.

(٢) نفسه، ٩/ ٥٧ ـ ٥٨.

(٣) دونالد ركويل: محمد عبد الله D.Rikwell
من مواليد تيلور فيل، بالولايات المتحدة الأمريكية، تلقى تعليمه في مدرسة سبرنج فيلد العليا بواشنطن، ثم أتم دراسته في جامعات واشنطن وكولمبيا، حيث نال جوائز علمية كثيرة. وهو شاعر، وناقد أدبي، وكاتب صحفي، اعتنق الإسلام بعد أن لم تقنعه عقيدته النصرانية.

(٤) رجال ونساء أسلموا، ٧/ ٩.

(٥) نفسه، ٧/ ٩ـ١٠.

٣ «.. إن الجانب الإنساني في الإسلام واضح ملموس، فالناس سواء أمام الله، وإن اختلفوا في حظوظ الدنيا ومتاعها، لا فضل لأحد على أحد إلّا بالتقوى..»(١).

رودريك(٢)

١ «.. لم يمض وقت طويل حتى أيقنت أن هذا الدين ـ الإسلام ـ هو الدين الحق بالمقارنة بكافة الأديان الأخرى»(٣).

٢ «.. الاعتقاد الإسلامي بوحدانية الله، وهو حجر الزاوية بالنسبة للإسلام، أقرب إلى العقل والمنطق من مبدأ التثليث مثلاً. إذ أن فطرتي استساغت الإيمان بالله الواحد..»(٤).

٣ «.. لقد أعجبني كثيراً موقف الإسلام من الأديان الأخرى [حيث] نجد أن الإسلام ينظر إلى الأديان الكبرى في العالم بأن لها أصل سماوي واحد، هذا نوع من الاعتراف والتقدير للأديان الأخرى، وهو أقرب إلى المنطق والتسامح من الموقف النصراني؛ الذي يصف كافة الديانات الأخرى غير النصرانية بالوثنية..»(٥).

٤ «إن تعاليم الإسلام الخلقية تحقق امتزاجاً تاماً بين المثالية والواقعية، فيستطيع الإنسان بفضلها أن يتعرف إلى الله، ويصبح ربانياً، بينما يكون منهمكاً في شؤون حياته اليومية.. وليس في الإسلام أي فصل بين الدين والسياسة، فمن واجب الدولة المسلمة أن تراعى في معاملاتها نفس المبادئ الخلقية المفروضة على الأفراد، فالسياسة في الإسلام أخلاق أولاً وقبل كل شيء. هذا ينعكس بالطبع

---

(١) نفسه، ٧/ ١٠.

(٢) بيجي رودريك Peggy Raderik
شاب هندي، نشأ في ظل الاستعمار البريطاني للهند، وكان نصرانياً فأسلم في منتصف الأربعينيات رغم التربية التبشيرية التي تلقاها على يد النصارى؛ الذين كانوا منتشرين في شبه القارة الهندية.

(٣) رجال ونساء أسلموا، ٦/ ١١٢.

(٤) نفسه، ٦/ ١١٢.

(٥) نفسه، ٦/ ١١٢-١١٣.

على موقف الدولة المسلمة الحقة من الناس جميعاً ومن الدول الأخرى من حولها، وهكذا فليس في الإسلام أي مجال للظلم أو الاستغلال من أي نوع، كما أنه لا سبيل إلى قيام شيء يشبه الاستعمار أو الرأسمالية أو الاغترار بالقوة الباغية، ولا مجال لقيام صراع طبقي أو حرب جائرة معتدية..»[١].

[٥] «لقد تأثرت أعظم التأثر بمبدأ الأخوة في الإسلام الذي يشمل كافة بني البشر؛ بصرف النظر عن اللون أو العنصر أو المعتقد. فالإسلام هو الدين الوحيد؛ الذي استطاع أن يحقق هذا المبدأ العظيم في الواقع العملي، فالناس جميعاً متساوون ومبدأ الأخوة مقدم على كل اعتبار آخر»[٢].

مكسيم رودنسن

[١] «أصبح الناس ـ في الوقت الذي نتكلم عنه ـ يستطيعون رؤية الدين الذي كان ينافس المسيحية بنظرة محايدة، بل بشيء من التعاطف، ولعلهم كانوا يبحثون فيه بصورة لا شعورية (ويجدون فيه بالطبع) نفس قيم الاتجاه العقلاني الجديد؛ الذي كان مخالفاً للمسيحية. ففي القرن السابع عشر انبرى كثير من الكتاب للدفاع عن الإسلام ضد الإجحاف الذي ناله في العصور الوسطى، وضد مجادلات المنتقصين من قدره، وأثبتوا قيمة وإخلاص التقوى الإسلامية.. وانتقل الجيل التالي من الموضوعية إلى مرحلة الإعجاب.. فكان ينظر إلى الإسلام كدين عقلاني بعيد كل البعد عن العقائد المسيحية المخالفة للعقل.. ثم إنه وفق بين الدعوة إلى حياة أخلاقية وبين حاجات الجسد والحواس والحياة في المجتمع. وخلاصة القول فهو كدين كان قريباً جداً من الدين الطبيعي الذي كان يعتقد به معظم (رجال عصر التنوير)..»[٣].

[٢] «.. ظهر الإسلام لبعض أولئك [اليساريين الأوربيين] على أنه في جوهره عامل (تقدمي) بطبيعته، بل اعتنق بعضهم ذلك الدين الإسلامي..»[٤].

---

(١) نفسه، ٦/ ١١٤.
(٢) نفسه، ٦/ ١١٦.
(٣) تراث الإسلام (تصنيف شاخت وبوزوث)، ١/ ٦٤ـ٦٦.
(٤) نفسه، ١/ ٩٤.

٣ «في أكتوبر ١٩٦٥ أشاد مجلس الفاتيكان المسكوني (بالحقائق) التي جاء بها الإسلام، والتي تتعلق بالله وقدرته ويسوع ومريم والأنبياء والمرسلين [عليهم السلام]. . ولقد أعجب بعض المسيحيين بالقيمة الروحية الدينية الإسلامية، وأزعجهم مواقف الظلم التاريخية التي وقفتها شعوبهم من الإسلام. . »[١].

فرانز روزنثال

١ «عندما ظهر الرسول ﷺ كانت اليهودية والنصرانية منتشرتين في الجزيرة، ولهما آراء متشابهة في التفسير التاريخي للحياة الإنسانية؛ غير أن الدين الإسلامي الذي بشر به الرسول ﷺ كان يتميز بالوضوح والقدرة على تفهم أسس هذا الوجود بصورة واضحة جداً ومن غير تعسف. والواقع أن مفاهيم الإسلام أوضح وأقل جموداً من ناحية العقيدة، من مفاهيم اليهود والنصارى الدينية »[٢].

جاك ريسلر

١ «. . إن هذا الكتاب يمكن أن يتيح لمن يتصفحونه أن يدركوا على أفضل وجه ما الروح الإسلامية، وكيف صيغت هذه الروح على مر العصور، لقد وقف الرجل الغربي تجاه العالم العربي في حيرة وكأنه أمام سر غامض، فلم يك مألوف له رد أي فعل من ردود الفعل الإسلامي، ولم يدرك كل نهج في وجود هذه الروح وفي الإحساس بها وفي قوتها الدافقة»[٣].

٢ «في سعي الإسلام إلى (المطلق) نبذ، لشدة عنايته بوحدة الله ووحدانيته، عقيدة الثالوث المقدس، مبتعداً في ذلك عن المسيحية التي كان يتهمها بنوع من الشرك لاعتقادها في ألوهية ثلاثة أشخاص. ولقد احترم الإسلام احتراماً نادر المثال تاريخ الأديان، فاعترف بأن الكتب المقدسة لليهود والنصارى منزلة [قبل أن يمسها التحريف]. . وقد أشار النبي ﷺ للدلالة على صدق رسالته إلى ما بين القرآن والكتاب المقدس من توافق، وحث بكل تسامح وقوة إدراك في الوقت

(١) نفسه، ١/ ٩٥.
(٢) علم التاريخ عند المسلمين، ص ٣٩.
(٣) الحضارة العربية، ص ١ (مقدمة الكتاب).

نفسه، اليهود على إطاعة شريعتهم، والمسيحيين على إطاعة أناجيلهم، وعلى أن يرتضوا القرآن، خاتم الكتب المقدسة، والدين الإسلامي خاتم الأديان المنزلة»[١].

[٣] «كانت الزكاة قبل كل شيء عملاً تعاونياً حراً وإدارياً ينظر إليه على أنه فضيلة كبرى. وفي تنظيم جماعة (المدينة) عَدَّ النبي ﷺ هذا العمل الخير كضريبة شرعية إجبارية لصالح الفقراء والمعوزين. وسيتحول فيما بعد هذا النظام وسيتولد عنه هيئة من الموظفين وبيت مال.. لكن إذا كانت الدولة قد صنعت من هذا العمل الخير مصدراً لمواردها، فإن مبدأ الزكاة ظل ـ بفضل القرآن ـ فضيلة مارسها المسلمون تلقائياً بوصفه واجباً دينياً. وينبغي أن نزجي الثناء لمحمد ﷺ فقد كان أول من شرع ضريبة تجبى من الأغنياء للفقراء، وهكذا أوجد القرآن الرحمة الإجبارية»[٢].

[٤] «.. الدين الإسلامي ليست له قرابين مقدسة ولا طقوس، والصلاة صلته المباشرة بين الله والمؤمنين.. وفي المسجد ينبض قلب الإسلام.. وفي أرجائه يحس المرء إحساساً حياً أنه بحضرة الله.. الحق أنه لا شيء في المسجد إلّا البساطة.. والجمال والتجانس..»[٣].

[٥] «على الرغم من تنوع الأجناس والشعوب التي تشكل الإسلام، كان المسلمون يبينون سلفاً عن خصائص متشابهة، وعلى الرغم من كل ما يمكن أن يفرق بين حضر وبدو، أغنياء وفقراء، كانوا يسلكون تقريباً مسلكاً واحداً، ذلك أن أية عقيدة تقوم على أسس ثابتة تحدث ردود فعل مماثلة عند أقوام متفاوتة، وقد وضع روح القرآن قواعد التصرفات اليومية للناس، وخلق الجو المعنوي للحياة، حتى تغلغل شيئاً فشيئاً في الأفكار، فانتهى بتشكيل متناسق للعقليات والأخلاق. كما كان تأثير الدين عظيماً بسبب انتشار اللغة، وبسبب نتائج السياسة الخارجية المشتركة، وكذلك بسبب نتائج نظام اجتماعي معمم»[٤].

[٦] «.. إن الإسلام يمكن أن يؤخذ على ثلاثة معان مختلفة: المعنى الأول دين، والثاني دولة، والثالث ثقافة، وبالاختصار حضارة فريدة»[٥].

---

(١) نفسه، ص ٧ ـ ٨.
(٢) نفسه، ص ٣٤.
(٣) نفسه، ص ٣٦.
(٤) نفسه، ص ٥٠.
(٥) نفسه، ص ٦٧

جورج سارتون

١ «.. [ثمة] حادثة واحدة من أخصب الحوادث نتائج في تاريخ الإنسانية، ألَا وهي ظهور الإسلام..»[(١)].

٢ «كانت الهجرة حداً فاصلاً في حياة الرسول ﷺ، وفي تاريخ الدين الجديد.. إنها البدء الرسمي للإسلام كدين ودولة معاً..»[(٢)].

٣ «ليس في أركان الإسلام [الخمسة] شيء ينفر منه غير المسلم، وعلى الرغم من بساطة هذه الفروض، وقلة عددها؛ فإنه لم يكن بالإمكان إدخال إصلاح ما عليها يقود إلى أن تثبت العقيدة الإسلامية في نفس كل مسلم، أو تقوى بعد ثبوتها؛ ثم يسهل انتشارها فوق ما ثبتت وقويت فعلاً. إن القيمة العملية للعقيدة الإسلامية لها دليل ذاتي من قوتها ورسوخها وانتشارها..»[(٣)].

٤ «.. إن فرض الصيام في كل نهار من مطلع الفجر إلى غياب الشمس شهراً كاملاً كان امتحاناً قاسياً لكل مسلم.. ولكنه كان وسيلة بارعة لسبر غور الإيمان في صدور كل مسلم، ولتثبيت ذلك الإيمان أيضاً.. ولقد أدرك الإسلام الحاجة إلى تنظيم شديد كيما يقوى إيمان المسلمين، وتتطهر قلوبهم، من أجل ذلك كان شهر الصيام والحج من التمارين التي تحمل على هذا التنظيم وتقوم به أحسن قيام، إن كثيراً من كنائسنا نحن قد ضعفت إلى درجة التفاهة لتساهلها، ولفقدان التنظيم فيها، ولقلة ما تفرضه على أتباعها. إن أتباع هذه الكنائس إذا دفعوا اشتراكهم (بدل جلوسهم على مقعد الكنيسة) عدوا من المؤمنين حقاً. إن مثل هذه الكنائس قد تكون غنية، ومع ذلك فإنها، من حيث التأثير، في حكم المفقودة. فإذا كنتم تريدون أتباع كنائس ذوي إيمان فعليكم أن تفرضوا عليهم نظاماً شديداً، وأن تطلبوا منهم تضحيات حقيقية، ولقد عرف محمد ﷺ ذلك جيداً، و هذه علامة [أخرى] من علامات عبقرية النبوة فيه»[(٤)].

---

(١) الثقافة الغربية في رعاية الشرق الأوسط، ص ٢٨.
(٢) نفسه، ص ٣٠.
(٣) نفسه، ص ٣٢.
(٤) نفسه، ص ٤٠-٤٢.

[٥] «.. [ما تميز به الإسلام] من السماحة والبساطة والاعتدال، يسر لأي إنسان في أي موطن، أن يتقبله، وينفذ إلى روحه وجوهره منذ اللحظة الأولى..»[(١)].

[٦] «.. كان محمد ﷺ أشمل في دعوته وأعمق من كل من سواه من الأنبياء»[(٢)].

[٧] «.. حرم الإسلام الخمر في مطلع دعوته، وها نحن اليوم بعد أن انتشرت الخمور، وزادت نسبة الكحول فيها إلى درجة فتاكة؛ ندرك حكمة الإسلام وبعد نظره..»[(٣)].

يوجينا ستشيجفسكا

[١] «ليس معنى الإيمان بالقضاء والقدر أن يترك المسلم العمل؛ لأن القرآن والنبي ﷺ أمر بالعمل والاجتهاد في كل شيء. قال الله تعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥]..»[(٤)].

[٢] «فرض الله سبحانه وتعالى على المسلم خمس صلوات في اليوم ليكون دائم الاتصال بالله، وقبل أن يدخل المسلم الصلاة لا بد أن يكون طاهراً ونظيفاً، فالإسلام دين النظافة»[(٥)].

[٣] «كان تاريخ التشريع في عهد الخلفاء الراشدين [رضي الله عنهم] يعتمد على الشورى، وأساسها قول الله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وكذلك فعل الرسول ﷺ مع أصحابه، فقد كان يستشيرهم في الأمور التي لم ينزل فيها عليه الوحي»[(٦)].

[٤] «كان الفقه مدار سياستهم وروح حياتهم وبه تدبير ملكهم. وكانت حركة الإسلام سريعة الانتشار حتى عمت المشارق والمغارب؛ لأن الإسلام يأمر أهله بالوقوف

---

(١) الشرق الأدنى: مجتمعه وثقافته (بإشراف كويلر يونغ)، ص ١٤٠.
(٢) نفسه، ص ١٤٠.
(٣) نفسه، ص ١٤٠.
(٤) تاريخ الدولة الإسلامية وتشريعاتها، ص ١٩.
(٥) نفسه، ص ٢٠.
(٦) تاريخ الدول الإسلامية وتشريعاتها، ص ٣٩.

عند حدود الشريعة، وبصيانة حقوق الخلق سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين. فكان للفقه (علم التشريع) زمان الخلفاء مكانة أعظم مما عليه علم الحقوق الآن عند الأمم المتمدنة، وكان الفقهاء هم أرباب الشريعة والشورى (نواب الأمة) وبيدهم تدبير كل أمر، ولا يصدر عمل عظيم أو حقير إلا وفقاً للتشريع، وعلى مقتضى الحق»[١].

٥ «كان للأمة الحرية المطلقة والرقابة على أعمال الخلفاء الراشدين [رضي الله عنهم] ومدى موافقتها لنصوص الشريعة وخضوعها لآراء الفقهاء، وسيرهم على الحق الواضح والحجة البيضاء. ولم ينقل أحد من المؤرخين سواء كانوا عرباً أم غيرهم انتقاداً للخلفاء بظلم أو سوء تصرف، بل اعترف الكل بأن عدلهم وحسن سلوكهم وصراحة طريقهم قد حببت فيهم غيرهم من الشعوب، حتى أسقطوا عروش ملوكهم، وحاربوا دولهم، وأسسوا بدلاً منها دولة الإسلام الذي عشقوه لعدل قوانينه، ونزاهة حكامه، وعفتهم ورفقهم، وسيرهم وراء شرعهم لا يتعدونه، وكانت نصوص الشريعة واضحة لم يدخلها تأويل ولا شبهات»[٢].

ستودارد[٣]

١ «كاد يكون نبأ نشوء الإسلام النبأ الأعجب الذي دون في تاريخ الإنسان. ظهر الإسلام في أمة كانت من قبل ذلك العهد متضعضعة الكيان، وبلاد منحطة الشأن، فلم يمض على ظهوره عشرة عقود حتى انتشر في نصف الأرض ممزقاً ممالك عالية الذرى، مترامية الأطراف، وهادماً أدياناً قديمة كرت عليها الحقب والأجيال، ومغيراً ما بنفوس الأمم والأقوام، وبانياً عالماً حديثاً متراص الأركان، هو عالم الإسلام»[٤].

---

(١) نفسه، ص ٦٧.

(٢) نفسه، ص ٦٨.

(٣) لوثروب ستودارد Lothrop Stoddard
مؤلف أمريكي يتميز بسعة اطلاعه على معطيات العالم الإسلامي الحديث. ويعد كتابه: (حاضر العالم الإسلامي) من أهم المؤلفات الحديثة التي عالجت قضايا هذا العالم ومجريات أحداثه عبر النصف الأول من هذا القرن. وقد زادته قيمة علمية: التعليقات والإضافات الخصبة التي ألحقها الأمير شكيب أرسلان بطبعته العربية.

(٤) حاضر العالم الإسلامي، ١/١.

[٢] «كلما زدنا استقصاء باحثين في سر تقدم الإسلام وتعاليه، زادنا ذلك العجب العجاب بهراً، فارتددنا عنه بأطراف حاسرة؛ عرفنا أن سائر الأديان العظمى إنما نشأت ثم أنشأت تسير في سبيلها سيراً بطيئاً ملاقية كل صعب، حتى كان أن قيض الله لكل دين منها ما أراده له من ملك ناصر وسلطان قاهر انتحل ذلك الدين، ثم أخذ في تأييده والذب عنه حتى رسخت أركانه.. إنما ليس الأمر كذلك في الإسلام الذي نشأ في بلاد صحراوية تجوب فيافيها شتى القبائل الرحالة التي لم تكن من قبل رفيعة المكانة والمنزلة في التاريخ، فلسرعان ما شرع يتدفق وينتشر وتتسع رقعته في جهات الأرض مجتازاً أفدح الخطوب، وأصعب العقبات دون أن يكون له من الأمم الأخرى عون يذكر ولا أزر مشدود. وعلى شدة هذه المكارة فقد نصر الإسلام نصراً مبيناً عجيباً، إذ لم يكد يمضي على ظهوره أكثر من قرنين، حتى باتت راية الإسلام خفاقة من (البرانس) حتى (هملايا) ومن صحاري أواسط آسيا حتى صحاري أواسط إفريقية»[1].

[٣] «الجامعة الإسلامية بمعناها الشامل ومفهومها العام إنما هي الشعور بالوحدة العامة، والعروة الوثقى لا انفصام لها بين جميع المؤمنين في المعمورة الإسلامية. وهي قديمة بأصلها ومنشئها منذ عهد صاحب الرسالة ﷺ أي منذ شرع الرسول يجاهد فالتف حوله المهاجرون والأنصار معتصمين معه بعصبة الإسلام لقتال المشركين، وقد أدرك محمد ﷺ خطورة الجامعة وعلو منزلتها في المسلمين حق الإدراك، وعلم كل العلم ما لها من عظم الشأن.. فغرس غرستها بيديه في نفوسهم، فنمت وتغلغلت وامتدت جذورها وبسقت أغصانها.. فقد كر عليها أكثر من ثلاثة عشر قرناً، فما أوهن كرور هذه القرون من الجامعة الإسلامية جانباً، ولا ضعضع لها كياناً، بل كلما تقدم عليها العهد ازدادت شدة وقوة ومنعة واعتزازاً. حقاً إن الجامعة اليوم بين المسلم والمسلم لأقوى منها بين النصراني والنصراني.. ومن أحب أن يقف حق الوقوف على ما أراده الإسلام من غرض الجامعة وغاياتها؛ فلينظر إلى حال المسلمين اليوم، وإلى تيار هذا التعاطف والتشاكي؛ يعلم سر الجامعة ومكانتها في نفوس المسلمين. وفي الواقع ليس من دين في الدنيا جامع لأبنائه بعضهم مع بعض موحد لشعورهم دافع بهم نحو الجامعة العامة والاستمساك بعروتها كدين الإسلام..»[2].

---

(١) نفسه، ١/ ١-٢.

(٢) نفسه، ١/ ٢٨٧ - ٢٨٨.

٤ «الإسلام في عهده الأول، إنما كان شمس الحرية مشرقة وهاجة، وديناً تجلب فيه المنازع الحرة الشريفة، وليس ما طرأ على العالم الإسلامي فيما بعد من الوهن والتدني بحاجب عن المنصف جوهر الإسلام وحقيقة صفائه، فالشريعة الإسلامية كما قال العلامة ليبار: (إنما هي ديمقراطية شورية جوهراً وأصلاً، وعدو شديد للاستبداد). وقد أجمل فامباري هذه الحقيقة في شأن الإسلام بقوله: (ليس الإسلام ولا تعاليمه السبب المفضي بآسية الغربية إلى هذه الحالة المشهودة من التضعضع واختلال الشؤون، ولكن السبب في ذلك إنما هو استبداد أمراء المسلمين وحكامهم الذين التووا عن الصراط المستقيم.. وتنكبوا عن طريق صاحب الرسالة والخلفاء الراشدين.. وناصبوا المذاهب الشورية والأصول الحرة العداء)»[١].

٥ «ليس الولادة في البلاد، ولا التجنس على الأصول الرسمية شرطاً لمن يريد أن يكون فرداً من أفراد الأمة الإسلامية في قطر من الأقطار، متمتعاً حق التمتع بحقوق الجنس الإسلامية، فوطن المسلم هو العالم الإسلامي من أقصاه إلى أقصاه، لذلك يستطيع الهابط أية بلاد إسلامية أن ينال للحال أي وقت شاء حقوق الوطني المكرم ذي المقام والمنزلة بين ظهراني القوم. فعبارة (مصر للمصريين) مثلاً لا تعني ذلك المعنى بعينه الذي نتصوره نحن في الجاري المعتاد. فإذا ما أقام مسلم جزائري أو دمشقي في القاهرة، فليس هناك من حائل يحول دون تصرفه وسلوكه واعتباره (مصرياً وطنياً حراً) بصحيح معنى العبارة. والسبب في ذلك أن من منازع الإسلام على الدوام صيانة الوحدة بين المسلمين، الوحدة الدينية والجغرافية والإقليمية، فجميع الأقطار والممالك والبلدان الإسلامية معروفة عند المسلمين (بدار الإسلام) وضدها (دار الحرب) وهي المواطن التي يقطنها مسلمون يجب عليهم باعتبارهم أمة واحدة متحدة، الذب عن سياجها والصَّدّ عن حياضها، وهذا هو السبب في أننا نرى أنه كلما أصاب اعتداء أجنبي طرفاً من العالم الإسلامي، هاج الطرف الآخر واضطرب وقام وقعد، على غير أن يكون هناك اشتراك في المصلحة المادية يحمله على ذلك، كأنما المعمور الإسلامي جسم واحد باعتلال واحد منه تتأثر وتعتل سائر الأعضاء»[٢].

---

(١) نفسه، ٤/٤٣-٤٤.
(٢) نفسه، ٤/١٢٢.

ستوك(١)

[١] «.. إن المبادئ الإسلامية التي استوقفت نظري، واستقطبت جل اهتمامي أكثر من غيرها.. حين أقبلت على الإسلام. هي أن المسيحية كثيراً ما تترك جوانب (باهتة) غامضة في التصور الاعتقادي يملؤها الشك والريب. نقاط سكت عنها الدين المسيحي، ولم أكن أدري ماذا أفعل تجاهها، أما الإسلام فكل شيء فيه واضح لا لبس فيه ولا غموض، وهو يستغرق كافة جوانب الحياة الإنسانية، ويشملها، فلا أحس بأدنى شك أو ارتياب، كما لا أشعر في ظله أنني تائه أو ضال، بل أعتقد من صميم قلبي أن الإسلام منهج كامل للحياة يغاير المسيحية. والحق أن الإسلام هو الدين الكامل الوحيد. كما أن الإسلام يستقطب العقل والقلب، فليس فيه أي أسرار أو طلاسم لا سبيل إلى استيعابها، بل كل شيء معروض للاستفسار والسؤال عن حكمته وعلة تحريمه أو تشريعه، وكل شيء يعتبر محلاً لإعمال الفكر وإنعام النظر قبل اعتناق الإسلام. كما أن فكرة الإسلام عن التوحيد أقرب إلى المنطق والفطرة السليمة من مبدأ التثليث عند النصارى؛ لأن مبدأ التثليث يسهل دحضه وإثبات بطلانه بقليل من التأمل وسعة الأفق. كما أن الإسلام لا يسمح بفصل الدين عن الدنيا، وإنما يزود المرء المسلم بهداية شاملة كاملة تملأ حياته الدنيا، وتعده بالأمان والفوز بالجنة في الدار الآخرة»(٢).

نصري سلهب

[١] «انطلاقاً من وجوب قول الحقيقة، أرى لزاماً عليّ أن أعلن أننا، نحن المسيحيين بصورة عامة، نجهل الإسلام كل الجهل، ديناً وحضارة»(٣).

---

(١) فرانك ستوك F.Stock
شاب كاثوليكي، أمريكي، من إنديانا، أتيح له الاحتكاك بأفراد الجالية الإسلامية، بنيويورك، وإنديانا، فشرح الله صدره للإسلام بعد أن استوعب مذاهب النصرانية استيعاباً جيداً، وكان كاثوليكياً متعصباً، وكان انتماؤه للإسلام عام ١٩٦٧ م، عمل على أثره أميناً لسر الدائرة الإسلامية في جامعة إنديانا.

(٢) رجال ونساء أسلموا، ٣/ ٧٩ـ٨٠.

(٣) لقاء المسيحية و الإسلام، ص ٢٠.

٢ «ليس كالإسلام دين يكرم الأنبياء والرسل الذين سبقوا النبي العربي ﷺ، وهو يفرض على المؤمنين به إكرام هؤلاء والإيمان بهم، وليس كالإسلام دين يحترم الأديان الأخرى المنزلة الموحى بها التي سبقته في النزول والوحي. .»(١).

٣ «أولى الآيات البينات. . كانت تلك الدعوة الرائعة إلى المعرفة، إلى العلم عبر القراءة. . (اقرأ). . وقول الله هذا لم يكن لمحمد ﷺ فحسب، بل لجميع الناس ليوضح لهم، منذ الخطوة الأولى، بل منذ الكلمة الأولى أن الإسلام جاء يمحو الجهل، وينشر العلم والمعرفة. »(٢).

٤ «الإسلام دين الأزمنة جميعها، وقد أعد لجميع الشعوب. فهو ليس للمسلمين فحسب، ولا لعرب الجزيرة الذين عايشوا النبي ﷺ وعاصروه فحسب، وليس النبي نفسه، ﷺ نبي العرب والمسلمين فحسب، بل هو نبي كل مؤمن بالله واليوم الآخر والنبيين والكتب المنزلة»(٣).

٥ «في الدين الإسلامي من الشمول والرحب ما يجعله يفتح ذراعيه لجميع البشر دون أن يؤثر في قوميتهم وولائهم لأمة إليها ينتسبون، ودون أن يؤثر في إيمانهم وولائهم لدين يعتنقون»(٤).

سميث(٥)

١ «. . كل إنسان ذو أخلاقية حرة، وهو المسؤول أمام الله عن أفكاره وأحكامه وأعماله. . والله يرشد الإنسان عن طريق الوحي إلى مبادئ أخلاقية عامة منبعثة عن إرادته الأبدية المقدسة. إلّا أن في الإنسان قوة كامنة، إذ أن في استطاعته أن يتقبل هدى الله أو يتحول عنه. وهناك آية هامة: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢].

(١) نفسه، ص ٢٨.
(٢) نفسه، ص ٩٢.
(٣) نفسه، ص ٤٠٣.
(٤) نفسه، ص ٤٠٣.
(٥) د. هارولد ب. ، سمث Harold B. Smith
أستاذ، ونائب رئيس قسم الديانات بكلية (ووستر)، بولاية أوهايو، وكان رئيساً لقسم الفلسفة والأخلاق (بالجامعة الأمريكية) بالقاهرة.

لا يتحقق معناها إلّا على أساس التسليم بالحرية الإنسانية، فقد عرض الله على جميع مخلوقاته مسؤولية المحافظة على الإيمان، وإدارة العالم باسم الله، فقبل الإنسان أن يحمل هذا العبء، على حين رفضته سائر المخلوقات خوفاً وإشفاقاً، ومع أن الإنسان لم يرع ذلك الإيمان، ولم يدر العالم إدارة ذات قيمة، وسلك مسلك الظلم والجهل، فإن في هذا سر عظمته وخطيئته جميعاً، فلو لم يكن الإنسان حراً ما ارتكب الخطيئة، ولو لم يكن حراً ما ساغ أن يحمل الأمانة»[١].

[٢] «. . لما تطور التشريع، وجد مبدأ يمكن أن يكون له القدرة على إخماد النزعات الاستبدادية لبعض الحكام والفقهاء، ذلك هو مبدأ الإجماع الذي يعتبر مظهراً للإرادة العامة. وعلى الرغم من أن الإجماع، في نظر الدقة الفقهية، مقصور على ذوي الدراية من الفقهاء، فإنه يحمل في طواياه بذرة مبدأ ديمقراطي، وكان له أحياناً عند التطبيق. .أثر كبير في التعبير عن إجماع أعم من إجماع صفوة قليلة. أما ما يقع في الأفراد من إساءة استعمال القوانين، أو من عثرات أخلاقية، فإن الإرادة العامة تقومه، أو من شأنها أن تقومه مع مرور الزمن»[٢].

[٣] «يعد الفرد [في الإسلام] مهماً لأنه وحدة من القوة الأخلاقية، وفي العرف الإسلامي تصور آخر يتعلق بالفرد في الجماعة، ويمنح الناس وسيلة للترابط، وإحساساً بالاتحاد لا يوجد أحياناً في التصورات الغربية الحديثة للإنسان. هذه الشخصية المتحدة يعمل على تكوينها التصور الخاص (بدار الإسلام) أي تآخي المؤمنين. وليس هذا التصور مجرد تفكير نظري. إنه واقع غير محسوس يضفي على كل مسلم شعوراً بالترابط الوجداني مع كل مسلم آخر، كما يهبه إحساساً بالأمن. فهو ينتمي إلى كل يعلو على فروق اللون، والطبقة، والجنسية (بالمعنى الغربي للكلمة)، ونظم الدولة. إنه يستطيع أن يحس بأنه في داره في أرض شاسعة متناثرة من الساحل الأطلنطي لأفريقية إلى قلب المحيط الهادي، حيثما كان الإسلام هو الدين السائد والثقافة الغالبة. كل هذا يخلق، أو هو قادر على أن يخلق، روحاً جماعية، ووحدة بين الشعوب لها أهمية بالغة. . وينبغي أن نذكر أن هذه الأخوة

(١) الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة، ص ٦٠ـ٦١.
(٢) نفسه، ص ٦٣.

تظهر أقوى ما تظهر عندما يهدد العالم الإسلامي، أو أي قسم من أقسامه، مصدر غير إسلامي، إن هذه الرابطة قوة حقيقية، وفي الإمكان أن تصبح عامل تقوية في العالم الإسلامي كله»[١].

٤ «إن الإسلام لا يمكن إطلاقاً أن يتفق والجبرية الاقتصادية أو التفسير المادي للتاريخ.. فالإنسان لا تتحكم فيه المادة أو القوى الاقتصادية، إذ أنه في جوهره موجود روحي، ذو صلة بالله، ومن ثم كان كائناً أخلاقياً حراً. وإن الله ـ لا المادة ـ هو المتصرف في الحركات التاريخية»[٢].

٥ «إن في التصور الإسلامي للإنسان اتجاهاً جمعياً. فإدراك الإنسان أنه ينتمي إلى كل أكبر، وارتباطه بغيره ممن ينتمون إلى نفس الجماعة التي تؤمن إيمانه، يهيئان للحياة الفردية وضعاً اجتماعياً ليس له في الغالب وجود في الغرب الذي ينزع إلى الفردية. فالأخوة في الإسلام تهب قوة، وأمناً، ومجالاً من الوعي المشترك قد ينتج عنها ذلك النوع من الترابط الذي يتجاوز حدود الأوطان والأجناس، والذي يعمل الناس متلهفين في سبيل تحقيقه في سائر بلاد العالم»[٣].

سميث[٤]

١ «.. إنه ما من دين استطاع أن يوحي إلى المتدين به شعوراً بالعزة كالشعور الذي يخامر المسلم في غير تكلف ولا اصطناع، وأن الفخر بالغربية قد يمازج هذا الشعور أحياناً.. ولكن اعتزاز المسلم بدينه يعم المسلمين على اختلاف القومية واللغة، وكون الإنسان مسلماً باعث من بواعث الحمد تسمعه من جميع المسلمين»[٥].

---

(١) نفسه، ص ٦٣ـ٦٤.
(٢) نفسه، ص ٧٥.
(٣) نفسه، ص ٧٥.
(٤) ولفريد كانتول سميث W.C. Smith
أستاذ الدراسات الإسلامية، بجامعة مونتريال، وقد أقام زمناً في باكستان، وساح في بلاد الشرق الأوسط، وبعض البلاد الإسلامية، في القارتين الآسيوية والإفريقية، ومن أشهر مؤلفاته: (الإسلام في التاريخ الحديث).
(٥) الإسلام في التاريخ الحديث، عن العقاد: مايقال عن الإسلام، ص ٧٨.

[٢] «.. إن الغربي لا يفهم الإسلام حق فهمه إلّا إذا أدرك أنه أسلوب حياة تصطبغ به معيشة المسلم ظاهراً وباطناً، وليس مجرد أفكار أو عقائد يناقشها بفكره، أو يتقبلها بغير مناقشة، فليس التفكير بنافع شيئاً إن لم يكن مصحوباً بتطور المعيشة، وتطور أسلوب الحياة الظاهرة في المجتمع الإسلامي..»(١).

سورديل(٢)

[١] «الإسلام، هو دين التوحيد الذي بشر به محمد بن عبد الله ﷺ في الجزيرة العربية في القرن السابع الميلادي، ثم انتشر عبر العصور في جميع أقطار المعمورة. والمسلمون هم الذين يدينون بهذا الدين، والحضارة الإسلامية هي الحضارة التي انبثقت عنه»(٣).

[٢] «الله واحد أزلي ليس كمثله شيء، وقادر على كل شيء. ويؤكد القرآن هذه الوحدانية في آيات عدة، لكنها تظهر بصورة أوضح في السورة (١١٢) الشهيرة التي كثيراً ما اعتبرت أقدم السور: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ١-٤]. والإيمان بإله واحد هو ما يميز في أعين المسلمين دينهم عن الديانات الأخرى تمييزاً جذرياً، حتى عن المسيحية؛ التي يعتبر اعتقادها بالثالوث مساً للوحدانية، ويصبغها بصبغة الشرك»(٤).

[٣] «لا سبيل إلى إنكار كون الإسلام قد مارس فضائل حقيقية، لا سيما الفضائل ذات القيمة الاجتماعية. وهي تتجاوب مع دعوة من القرآن نستطيع أن نجد فيما عناه (أوامر)، وتبدو امتداداً للتقوى كما تحددها الآية (١٧٧) من سورة البقرة.. فالتعاون وحسن الضيافة والكرم والوفاء بالعهود مع أفراد الأمة،

---

(١) نفسه، ص ٧٩.

(٢) دومينيك سورديل D.Sourdel
ولد عام ١٩٢١، حقق الكثير من النصوص العربية، كان أبرزها (الأعلاق الخطيرة)، لابن شداد، فضلاً عن عدد من الأبحاث في المجلات المعروفة.

(٣) الإسلام، ص ٥.

(٤) الإسلام، ص ٣٣-٣٤.

والاعتدال في الرغائب والقناعة، تلك هي الفضائل التي تميز المسلمين حتى يومنا هذا..»[١].

٤ «.. ظلت الشريعة دائماً المصدر الرئيسي لتنظيم الحياة الاجتماعية والسياسية والدينية، لذلك نستطيع القول بأن الإسلام، وإن كان ديناً، فهو في الآن ذاته أمة تحدد فيها الصلة الدينية لكل فرد، ولجميع الأفراد معاً، شروط الحياة وقواعدها، والخير المباشر للحياة الأرضية، والخير المباشر لكل مؤمن في الحياة الآخرة، كل ذلك يشكل وحدة، إن لم يكن الإسلام، لكل للحياة الأرضية، ولكل مؤمن في الحياة الآخرة. كل ذلك يشكل وحدة، إن لم يكن الإسلام قد أوجدها في جميع تفاصيلها، فإن الإسلام قد تسرب إليها، ونفخ الحياة في جميع تفاصيلها»[٢].

أحمد سوسة

١ «.. على المرء الذي وقف على حقيقة الإسلام أن يعترف بأن الإسلام هو في الحقيقة دين الحرية والفطرة؛ بعيداً عن قيود الكنيسة واستبدادها في المسيحية، وغريباً عن العصبية وتقاليدها الثقيلة في اليهود..»[٣].

٢ «.. إن المرء الذي تغلغل في أعماق الحضارة [الغربية]، وأدرك منطوياتها، ومحصها تمحيصاً دقيقاً نظرياً وعملياً؛ لا بد له من الانقياد بقوة نفسية كمينة إلى منهل العقيدة الإسلامية ليروي غليله منها..»[٤].

٣ «.. ما أعظم سروري الآن حين جاء الاستدلال العلمي الصحيح مؤيداً للميل الفطري، فانتميت إلى الدين الإسلامي بدافع طبيعي غريزي، وبتأييد علمي تمحيصي، فأصبحت بذلك مسلماً شعوراً وموطناً وديناً..»[٥].

٤ «جاء الإسلام بعد الديانتين التوحيديتين منقحاً موضحاً للحقيقة، معترفاً بجوهر الديانتين السابقتين، مشيراً إلى التحوير والأخطاء التي طرأت عليهما.. مضيفاً

---

(١) نفسه، ص ٥٤.
(٢) نفسه، ص ٦٨.
(٣) في طريقي إلى الإسلام، ١/ ٥٢.
(٤) نفسه، ١/ ٥٢-٥٣.
(٥) نفسه، ١/ ٥٥.

كثيراً من الإرشادات والتعاليم الروحية التي أرادها الله لعباده المؤمنين. [واضعاً] شريعة تحتوي على كل ما يتعلق بالمجتمع من أمور اجتماعية دينية اقتصادية سياسية. ومن ذلك يتضح أن الإسلام لم يظهر لهداية القبائل الوثنية فحسب، وإنما جاء أيضاً لتوحيد الأديان ورفع الشكوك والارتباك التي انطوت عليها الديانات اليهودية والمسيحية وإرشاد أتباعهما إلى الدين الجديد. ولكن تأصل جذور الديانتين، ونفوذ الأحبار والساسة والعصبية اليهودية بصورة خاصة، كل هذه كانت من العوامل التي حالت دون تحقيق التوحيد المنشود. ولو أن هؤلاء كانوا من المهتدين إلى [الإسلام] ـ دين الحقيقة ـ لكان انقشع ضباب الضلال والكراهية والارتباك، وانبثق نور السعادة على البشرية جمعاء، في جو مشبع بالصفاء والولاء»[١].

٥ «الواقع أنه ليس دين من أديان العالم البشري حافظ على جوهره وقاعدة تعاليمه كالدين الإسلامي، وهذا ما يمتاز به الإسلام عن الديانتين اليهودية والمسيحية..»[٢].

٦ «.. إذا كان يصح ما يقال بأن خير الأمور أوسطها، فإن الديانة الإسلامية هي التي تستحق أن تحتل المكانة السامية بين الديانات العالمية؛ لأنها جاءت مشبعة بروح الطبيعة والفطرة، معتدلة في طقوسها، متوسطة في مسلكها.. فهي الشريعة الوسط التي تدعو إلى العمل للدنيا والآخرة في آن واحد..»[٣].

٧ «.. إن الإسلام هو الدين الصافي الذي أراده الله إلى الإنسانية، صفي بمصفاة وحيه الإلهي ليكون ديناً صالحاً لكل إنسان، ولكل زمان ومكان..»[٤].

٨ «لو أدرك هذا العالم التائه جوهر المبادئ الإسلامية لوجد فيها خير كفيل لحل معظم الأدواء البشرية الحالية، ولما احتاج إلى عصبة أمم أو نظائرها من الاتجاهات لنشر مبادئ السلم والتعاون؛ لأن الإسلام يضم بين تعاليمه أنبل مبدأ، وأمتن أساس لتوطيد عرا العلاقات السلمية بين الأمم..»[٥].

---

(١) نفسه، ١/ ٧١ـ٧٢.
(٢) نفسه، ١/ ٧٤ـ٧٥.
(٣) نفسه، ١/ ٧٧.
(٤) نفسه، ١/ ٨٠.
(٥) نفسه، ١/ ١٦٩.

لويس سيديو

١ «من شأن مبدأ التوحيد الجليل، الذي بشر بين قوم وثنيين، أن يضرم الحمية في النفس المتحمسة العالية، ويسود هذا المبدأ القرآن، وإليه يعود إبداعه، ويجعل محمد ﷺ هذا المبدأ أساس دينه، واليه يرجع سبب سموه على جميع الأديان. ويبدو هذا التوحيد المحض جازماً تجاه علم اللاهوت؛ الذي تورط في الفرق النصرانية بعد أن زاد عددها بفعل البدع، ولا مراء في أن عظمة الله العلي وقدرته وحكمته وعدله وحلمه أمور تستوقف أنظار ذوي النفوس المثقلة بالأباطيل، و (أحد، أحد) كان وغى المسلمين ببدر، ولا تخلو سورة من القرآن من قولٍ بالتوحيد»[١].

٢ «.. إن المبدأ الذي يحتويه [القرآن] لم يكن من نوع قضاء القدماء، ولا من نوع قدر بعض المذاهب الحديثة، فليس في القدر الإسلامي ما يميت شجاعة المسلم، أو يؤدي إلى فتور همته، فهذا القدر مرادف لسنة الكون التي تهيمن على جميع الناس، وتضع حداً لأعمالنا.. وهناك من المبادئ ما يؤدي إلى أسوأ النتائج عند سوء فهمها، فما أعظم الفرق بين تأثير مبدأ القضاء والقدر في قوم حطهم الاستعباد، وتأثيره في قوم حمس مقاديم لا يبتغون غير الحرب والفتوح»[٢].

٣ «.. الصلاة تمسك الإسلام بغير هياكل، وتضمن دوامه بغير كهّان»[٣].

٤ «.. لا ترى [في الإسلام] سلسلة مراتب ولا طوائف كهنوتية، ولا طبقات ذات امتيازات»[٤].

٥ «.. اختار [المسلمون بعد وفاة محمد ﷺ] زعيماً ليحمل الناس على احترام الشريعة، فأبدعوا سلطاناً سامياً خضع له العرب بلا جدال. ولا يعني هذا أن العرب أحدثوا نظاماً استبدادياً يقوم به الفرد، وإنما أقاموا حكومة شعبية مستندة إلى شريعة إلهية، يديرها ولي أمر منتخب مقيد في سلطته، فحصر عمل ولي الأمر هذا

(١) تاريخ العرب العام، ص ٨٨.
(٢) نفسه، ص ٩٢.
(٣) نفسه، ص ١٠٤.
(٤) نفسه، ص ١١٧.

في وضع نظم للأمن ولوظائف الدولة وواجباتها ولشؤون الحرب دون سن القوانين؛ ما دام القرآن قد قيد أمراء المسلمين بربطه النظام الاجتماعي بالدين»[١].

شاخت[٢]

١ «من أهم ما أورثه الإسلام للعالم المتحضر قانونه الديني الذي يسمى (بالشريعة)، والشريعة الإسلامية تختلف اختلافاً واضحاً عن جميع أشكال القانون؛ إلى حد أن دراستها أمر لا غنى عنه لكي نقدر المدى الكامل للأمور القانونية تقديراً كافياً.. إن الشريعة الإسلامية شيء فريد في بابه، وهي جملة الأوامر الإلهية التي تنظم حياة كل مسلم من جميع وجوهها، وهي تشتمل على أحكام خاصة بالعبادات والشعائر الدينية، كما تشتمل على قواعد سياسية وقانونية..»[٣].

٢ «تعتبر الشريعة الإسلامية مثالاً له مغزاه على نحو خاص لما يمكن أن يسمى قانوناً دينياً. بل إن التشريعين المقدسين الآخرين اللذين يعتبران نماذج من القانون الديني، واللذين هما أقرب ما يكون إلى الشريعة الإسلامية من الناحيتين التاريخية والجغرافية، وهما الشريعة اليهودية والقانون الكنسي، يختلفان عن الشريعة الإسلامية اختلافاً ملموساً؛ ذلك لأن الشريعة الإسلامية أكثر تنوعاً في صورتها مما في التشريعين المذكورين؛ لأنها جاءت نتيجة نظر وتدقيق من الناحية الدينية في موضوعات للقانون كانت بعيدة عن أن تتخذ صورة واحدة..»[٤].

---

(١) نفسه، ص ١٢٣ـ١٢٤.

(٢) جوزيف شاخت J. S. Shacht

(٣) ولد عام ١٩٠٢، وتخرج من جامعتي برسلاو وليبزج، وعين أستاذاً في عدد من الجامعات الألمانية (١٩٢٧ـ١٩٣٤)، وفي الجامعة المصرية (١٩٣٤)، ومحاضراً للدراسات الإسلامية في جامعة إسكوفورد (١٩٤٨)، وليدن (١٩٥٤)، وكولومبيا (١٩٥٧ـ١٩٥٨)، وانتخب عضواً في عدد من المجامع والجمعيات العلمية. وقد اشتهر بدراسة التشريع الإسلامي وبيان نشأته وتطوره.

من آثاره: حقق العديد من النصوص الفقهية، وألف عدداً من المصنفات مثل: (دين الإسلام) (١٩١٣)، و (نشأة الفقه في الإسلام)(١٩٥٠)، و (خلاصة تاريخ الفقه الإسلامي) (١٩٥٢).

(٤) تراث الإسلام (تصنيف شاخت وبزورث)، ٣/ ٩.

٣ «.. في الطرف المقابل من البحر المتوسط نجد التشريع الإسلامي قد أثر تأثيراً عميقاً في جميع فروع القانون.. وهناك تأثير التشريع الإسلامي على قوانين أهل الديانات الأخرى من اليهود والنصارى؛ الذين شملهم تسامح الإسلام، وعاشوا في الدولة الإسلامية.. وليس هناك شك في أن الفرعين الكبيرين للكنيسة المسيحية الشرقية ـ وهما اليعاقبة والنسطوريون ـ لم يترددوا في الاقتباس بحرية عن قواعد التشريع الإسلامي، وهذا الاقتباس كان في كل تلك الموضوعات التي يمكن أن يتصور المرء أنها تدخل في نظر القاضي المسلم..»(١).

٤ «في منتصف القرن الثاني للهجرة تقريباً أخذ القانون الديني الإسلامي شكله الجوهري، وقد أصبح على ما هو عليه الآن ليس مجرد تلك الطريقة الآلية في إدخال اعتبارات مادية ذات صفة خلقية أو دينية في ميدان القانون، ولكن بعده عملية أخرى ألطف وأدق، وهي تنظيم هذا الميدان وترتيبه بعدّه جزءاً من الواجبات الدينية للمسلمين. وتحتوي الشريعة مبدأ موحداً فرض نظاماً تركيبياً عقلياً على مختلف المواد الأولية التي بني منها، غير أن هذا المبدأ غير شكلي أو مستقل، إنه هو مادي إسلامي»(٢).

صديق(٣)

١ «.. إن شكل الصلاة [الإسلامية] هي التي جعلتني أفكر في الإسلام، فقد أردت أن أعرف لماذا يقوم هؤلاء الناس بالصلاة بهذه الكيفية، فاستنتجت أنها خير سبيلٍ يختاره الإنسان لعبادة خالقه، فبدأت وأنا مازلت بروتستانتياً في أداء الصلاة بالكيفية الإسلامية.. كنت أبحث عن الحقيقة والمعرفة، فبدأت أدرس الأديان بصفة عامة، و الإسلام على وجه الخصوص، فأيقنت في غضون دراستي أن دنيا تفكيري وإحساسي أقرب إلى الإسلام منها للمسيحية، وبالتدريج اكتشفت

---

(١) نفسه، ٣/ ١٠.
(٢) نفسه، ٣/ ٢٧ ـ ٢٩.
(٣) الوحدة والتنوع في الحضارة الإسلامية، (تحرير كرونباوم)، ص ١٠٧.
(٤) محمد صدّيق M.Siddig
ولد عام ١٩٤٤، في برلين، بألمانيا الغربية، أنهى دراسته الثانوية، وعمل كاتباً في أحد المصارف، اعتنق الإسلام عام ١٩٦٢.

أن الإسلام كمنهج حياة كان ينسجم من كافة الوجوه مع فطرتي البشرية. وأستطيع هنا أن أضرب مثالاً نظرياً وآخر عملياً. فمثلاً عندما درست نصوص الشريعة الإسلامية حول النبي عيسى عليه السلام؛ عرفت أنني لم يحدث قط أن آمنت بأن عيسى عليه السلام ابن الله، كما عرفت فيما بعد من أستاذ بروتستانتي أن عدداً كبيراً من المسيحيين ـ حوالي ٨٠٪ منهم ـ أقرب إلى الإسلام منهم إلى المسيحية في هذه الناحية على الأقل من عقيدتهم. أما من الناحية العملية فحتى قبل إسلامي كنت أنفر من الخمور والرقص، وما شابه ذلك من الأمور التي عرفت فيما بعد أنها محرمة في الإسلام. وهكذا كان الإسلام بالنسبة لي كعملية اكتشافي لفطرتي ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٣٠]...»(١).

لورافيشيا فاغليري

[١] «نشأ الإسلام، مثل ينبوع من الماء الصافي النمير، وسط شعب همجي يحيا في بلاد منعزلة جرداء، بعيدة عن ملتقى طرق الحضارة والفكر الإنساني. وكان ذلك الينبوع غزيراً إلى درجة جعلته يتحول، وشيكاً، إلى جدول، ثم إلى نهر، ليفيض آخر الأمر فتتفرع منه آلاف القنوات تتدفق في البلاد، وفي تلك المواطن التي ذاق فيها القوم طعم تلك المياه الأعجوبة سويت المنازعات، وجمع شمل الجماعات المتناحرة، وبدلاً من الثأر الذي كان هو القانون الأعلى، والذي كان يشد العشائر المنحدرة من أصل واحد في رابطة متينة، ظهرت عاطفة جديدة، هي عاطفة الأخوة بين أناس تشد بعضهم إلى بعض مثل عليا مشتركة من الأخلاق والدين. وما أن أمسى هذا الينبوع نهراً لا سبيل إلى مقاومته حتى طوق تياره الصافي العنيف ممالك جبارة تمثل حضارات قديمة. وقبل أن توفق شعوب تلك الممالك إلى إدراك مغزى الحدث الحقيقي داهمها ذلك التيار، قاهراً الحواجز، موقظاً بصخبه عقولاً وسنى، منشئاً من أكبر عدد من الشعوب المتباينة مجتمعاً موحداً»(٢).

---

(١) رجال ونساء أسلموا، ١/ ٢٤ـ٢٥.

(٢) دفاع عن الإسلام، ص ٢١ـ٢٢.

٢ «إن الآية القرآنية التي تشير إلى عالمية الإسلام بوصفه الدين الذي أنزله الله على نبيه ﷺ ﴿رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧][١] هي نداء مباشر للعالم كله. وهذا دليل ساطع على أن الرسول ﷺ شعر في يقين كلي أن رسالته مقدر لها أن تعدو حدود الأمة العربية، وأن عليه أن يبلغ (الكلمة) الجديدة إلى شعوب تنتسب إلى أجناس مختلفة، وتتكلم لغات مختلفة..»[٢].

٣ «بفضل الإسلام هزمت الوثنية في مختلف أشكالها. لقد حرر مفهوم الكون، وشعائر الدين، وأعراف الحياة الاجتماعية من جميع الهولات أو المسوخ التي كانت تحط من قدرها، وحررت العقول الإنسانية من الهوى، وأطلقت إرادة الإنسان من القيود التي طالما أبقته موثوقاً إلى إرادة أناس آخرين، أو إلى إرادة قوة أخرى يدعونها خفية. لقد هوى الكهان، وحفظة الألغاز المقدسة الزائفون، وسماسرة الخلاص، وجميع أولئك الذين تظاهروا بأنهم وسطاء بين الله والإنسان، والذين اعتقدوا بالتالي أن سلطتهم فوق إرادات الآخرين، لقد هوى هؤلاء كلهم عن عروشهم. إن الإنسان أمسى خادم الله وحده، ولم تعد تشده إلى الآخرين من الناس غير التزامات الإنسان الحرّ. وبينا قاسى الناس فيما مضى مظالم الفروق الاجتماعية، أعلن الإسلام المساواة بين البشر، لقد جعل التفاضل بين المسلمين، لا على أساس من المحتد، أو أي عامل آخر غير شخصية المرء، ولكن على أساس من خوفه من الله، وأعماله الصالحات، وصفاته الخلقية والفكرية ليس غير..»[٣].

ليوبولد فايس

١ «.. إن أي إنسان لديه قسط من العلم ـ حتى ولو كان سطحياً يسيراً ـ عن تعاليم الإسلام، يعرف أن هذه التعاليم لا تقف عند حد تنظيم العلاقة بين الإنسان وخالقه، ولكنها تتعدى ذلك إلى وضع نظام محدد للسلوك الاجتماعي يجب على المسلم أتباعه كأثر من آثار تلك العلاقة، وكنتيجة لها..»[٤].

---

(١) وانظر سورة يوسف، الآية ١٠٤، سورة ص، الآية ٨٧، سورة القلم، الآية ٥٢، سورة التكوير، الآية ٢٧.
(٢) دفاع عن الإسلام، ص ٢٤ـ٢٥.
(٣) نفسه، ص ٤٥ـ٤٧.
(٤) منهاج الإسلام في الحكم، ص ١٧.

[٢] «إن علينا ألّا ننسى أبداً أن رسالة الإسلام رسالة خالدة، كما أننا كلما ازدادت ثقافتنا، وانزاحت دائرة علومنا؛ استطعنا أن نفهم بصورة أوضح من ذي قبل كنوز الحكمة التي ينطوي عليها القرآن الكريم وأسوة الرسول ﷺ. ولذلك فإن حقنا في الاجتهاد المستقل على ضوء القرآن والسنة ليس مسموحاً به فحسب، بل نحن منتدبون لأدائه في كل الأمور.. التي اكتفت الشريعة بوضع مبادئ عامة لها»[١].

[٣] «.. إن الإسلام دعوة خالدة إلى التقدم المطرد في كل نواحي الحياة الفكرية والروحية والسياسية على حد سواء..»[٢].

[٤] «إن دفع الظلم عن الناس، وإقامة معالم العدل في الأرض هي الغاية النهائية التي تستهدفها رسالة الإسلام الاجتماعية. وعلى هذا المثل الأعلى للعدالة - مع المسلمين وغير المسلمين على حد سواء - يتوقف قيام الدولة الإسلامية وسقوطها، هذه الدولة التي ليست هي في الحقيقة سوى الجهاز السياسي لتحقيق هذا المثل الأعلى»[٣].

[٥] «.. من الأرض اليباب الميتة، من وسط الوديان الرملية، والتلال الجرداء؛ انبثق أعظم دين مؤكد للحياة في تاريخ الانسان»[٤].

سيدني فيشر

[١] «إن الوحدانية المنزهة هي أجل مطالب الإيمان عند النبي ﷺ، ويوصف الإله مع الوحدانية بصفات العلم المحيط والقدرة المحيطة والرحمة والكرم

(١) نفسه، ص ٦٠-٦١.
(٢) نفسه، ص ٦٣-٦٤.
(٣) نفسه، ص ٧٢.
(٤) الطريق إلى مكة، ص ٤٠٠.
ونكتفي بهذا القدر من أقوال (ليوبولدفايس) عن الإسلام، تجاوزاً لتضخم المادة، فكتاب: (الطريق إلى مكة) كله يعد بمثابة واحد من أكثر الشهادات الغربية عمقاً وأصالة في إدراك الإسلام، ويستحسن أن نحيل القارئ إلى صفحات أخرى تضمنت المزيد من المعطيات عن الموضوع وهي: ١٩-٢٠، ١٢٣، ١٦٨، ١٧١، ١٧٨، ١٨٤-١٨٥، ٢٣٥-٢٣٦، ٣٠٦، ٣١٥-٣٢١، ٣١٨، ٣٢١ - ٣٢٣، ٣٢٥ - ٣٢٦، ٣٤٩-٣٥٠، ٣٨١-٣٨٢، ٣٩٦-٤٠٢.

والغفران.. إن توكيد صفات البأس والجبروت في كتاب الإسلام إنما تقدم في أوائل الدعوة التي واجه بها النبي ﷺ جماعة الكفار الملحدين من الملأ المكي المتغطرس المستطيل بالجاه والعزة، ولكن المسلم يعلم من صفات الله أنه واسع الرحمة، وأنه أقرب إلى الإنسان من حبل وريده، وأنه هو نور السموات والأرض، وهي الصفة.. التي كان لها أبعد الأثر في اجتذاب العقول إلى معانيه الخفية»[1].

٢ «.. إننا إذا نظرنا إلى مجال الإسلام الواسع في شؤون العقائد الدينية، والواجبات الدينية، والفضائل الدينية، لم يكن في وسع أحد إلّا أن يحب محمداً ﷺ نبياً مفلحاً جداً، ومصلحاً موفقاً؛ لأنه كما قال بعض الكتاب وجد مكة بلدة مادية تجارية تغلب عليها شهوة الكسب المباح وغير المباح، ويمتلئ فراغ أهلها بمعاقرة الخمر والمقامرة والفحشاء، ويعامل فيها الأرامل واليتامى وسائر الضعفاء كأنهم من سقط المتاع. فإذا بمحمد ـ عليه السلام ـ وهو فقير من كل ما يعتز به الملأ قد جاءهم بالهداية إلى الله، وإلى سبل الخلاص، وغير مقاييس الأخلاق والآداب في أرجاء البلاد العربية»[2].

فيلويز[3]

١ «.. الإسلام يحقق الانسجام التام مع الحياة في هذا العالم. فهو دين سهل لا التواء فيه ولا تعقيد، مباشر، مجرد من كافة الافتراضات التي لا سبيل إلى الإيمان بها. وأشكال العبادة في الإسلام تعكس كل صدق وإخلاص وأمانة»[4].

(١) الشرق الأوسط في العصر الإسلامي، عن العقاد: ما يقال عن الإسلام، ص ٥٤.
(٢) نفسه، ص ٥٤ـ٥٥.
(٣) ح. ف. فيلويز F.Filweas
ضابط بحرية بريطاني، شارك في الحربين العالميتين الأولى والثانية، نشأ في بيئة نصرانية، تأصلت فيها التقاليد المسيحية بشكل عميق، ومع ذلك فقد هداه الله إلى الإسلام بعد أن اطلع على القرآن الكريم، وقرأ عدداً من المؤلفات الإسلامية، وذلك عام ١٩٢٤.
(٤) رجال ونساء أسلموا، ٦/ ٥٤.

٢ «.. [إن] المنجزات العلمية تتفق تماماً مع مبادئ الإسلام؛ لأن الإسلام هو دين العلم»(١).

٣ «.. أصبحت مسلماً لأن الإسلام هو الدين الحق الوحيد نظرياً وعملياً ومن كافة الوجوه. وسرعان ما تتبدد الشكوك والشبهات دفعة واحدة عندما تجيش نفسي بشعور قوي يتملكها، وهو أن الإسلام هو الصراط المستقيم»(٢).

قرار(٣)

١ «.. تأثرت كثيراً بدافع المساواة بين المسلمين، كما أعجبني أن يكون الإسلام ديناً عالمياً، فقد وجدت في الإسلام ديناً يوحد جميع الأديان والألوان في ظل نظام ديني فريد. فهناك أخوة حقيقية بين المسلمين، ولم يعرف مثلها المجتمع المادي الغربي على الإطلاق، كما لا تستطيع العبارات الجوفاء كالشيوعية مثلاً أن تقدم مثلها أبداً »(٤).

٢ «.. شعرت أنني كمسلمة يمكنني أن أحيا حياة كاملة جديرة بالحياة، وأن الإسلام يجعل المرء يشبع حاجاته الروحية والمادية على حد سواء في توازن يضمن تطور عقلية ثقافية مبدعة، ويحقق اجتهاداً دائباً لتحسين الوضع المادي للإنسان؛ على أساس من العلاج لا للإنسان وحده، بل لجميع الخلائق»(٥).

٣ «.. إن الإسلام قد أحدث تغييراً في حياتي كلها، إذ حررني من اليأس العنيد والتذمر والاستسلام، وهي نتائج نجمت من النظرة المادية التي تهيمن على كثير من الناس في المجتمعات الغربية..»(٦).

---

(١) نفسه، ٦/ ٦١.
(٢) نفسه، ٦/ ٦٢.
(٣) جميلة قرار Jamila Qarar
ولدت في النمسا، عام ١٩٤٩، لأبوين ملحدين، وحاولت أن تكون مسيحية إلّا أن النصرانية لم تستطع إقناعها، فيممت شطر الإسلام وسمعت وقرأت عنه، وما لبثت أن اعتنقته وهي في العشرين من عمرها.
(٤) رجال ونساء أسلموا، ٤/ ١٠٦-١٠٧.
(٥) نفسه، ٤/ ١٠٧.
(٦) نفسه، ٤/ ١٠٧.

قرّة العين[١]

١ «.. كنت مهتمة بدراسة الأديان، فلمست السماحة والمنطق في الدين الإسلامي.. ووجدت أن اهتمامي بالإسلام تجاوز مرحلة مجرد الاطلاع أو القراءة أو الاستمتاع؛ إلى مرحلة الارتباط بهذا الدين. ووجدت نفسي سعيدة لأنني أخيراً وجدت الدين الذي يمكنني من التعامل مع نفسي وربي أولاً على أساس سليم؛ مما ينعكس في تعامل صحي وأخلاقي مع باقي أفراد المجتمع»[٢].

٢ «كنت أشعر أن شيئاً ما فيما أقرأ يقنعني عقلياً، ويملأ فراغاً روحياً من قلبي كذلك، كنت أشعر والحمد لله بأنني أقرأ عن دين جديد وليس بجديد على نفسي. كانت القراءة تجيب بالمنطق والحجة على تساؤلات كثيرة كانت تدور داخلي من قبل عندما كنت مسيحية أبحث عن الحقيقة، فلا أهتدي إليها»[٣].

٣ «.. الإسلام [هو] دين العقل والإقناع»[٤].

توماس كارلايل

١ «لقد أصبح من أكبر العار على أي فرد متمدين من أبناء العصر أن يصغي إلى ما يظن من أن دين الإسلام كذب، وأن محمداً [ﷺ، وحاشاه] خدّاع مزور، وأن لنا أن نحارب ما يشاع من مثل هذه الأقوال السخيفة المخجلة، فإن الرسالة التي أداها ذلك الرسول ﷺ ما زالت السراج المنير مدة اثني عشر قرناً لنحو مئتي مليون من الناس أمثالنا، خلقهم اللّه الذي خلقنا. أفكان أحدكم يظن أن هذه الرسالة التي عاش بها، ومات عليها هذه الملايين الفائقة الحصر والإحصاء، كذبة

---

(١) قرة العين Q.Al-Aine
سيدة أمريكية تنحدر من أسرة مسيحية متدينة، وفي نيويورك مدينة ناطحات السحاب والمادية والجريمة كان الردّ: هو الإسلام. وقد تسمت باسمها الجديد بعد إسلامها، تخرجت من جامعة بنسلفانيا، وكانت لديها رغبة جارفة للقراءة والبحث، وبخاصة في مجالات الأديان، حيث وجدت الجواب على تساؤلاتها كافة في الإسلام.

(٢) رجال ونساء أسلموا، ١٠/ ١١٠.

(٣) نفسه، ١٠/ ١١١.

(٤) نفسه، ١٠/ ١١٤.

وخدعة؟ أما أنا فلا أستطيع أن أرى هذا الرأي أبداً، ولو أن الكذب والغش يروجان عند خلق اللّه هذا الرواج، ويصادفان منهم مثل ذلك التصديق والقبول، فما الناس إلّا بله ومجانين، وما الحياة إلّا سخف وعبث وأضلولة كان أولى بها ألّا تخلق»[١].

[٢] «.. (لا إله إلّا الله، وحده لا شريك له) هو الحق، وكل ما خلاه باطل، خلقنا ويرزقنا.. إن الإسلام هو أن نسلم الأمر لله، ونذعن له، ونسكن إليه، ونتوكل عليه، وأن القوة كل القوة هي في الاستقامة لحكمته، والرضا بقسمته أياً كانت في هذه الدنيا وفي الآخرة، ومهما يصبنا به الله ولو كان الموت الزؤام فلنتلقه بوجه مبسوط، ونفس مغتبطة راضية، ونعلم أنه الخير، وأن لا خير إلّا هو. ولقد قال شاعر الألمان (غيته): (إذا كان ذلك الإسلام فكلنا إذاً مسلمون). نعم كل من كان فاضلاً شريف الخلق فهو متخلق بأخلاق الإسلام، وإن لم يكن مسلماً.. إن من السخف أن يجعل الإنسان من دماغه الضئيل ميزاناً للعالم وأحواله. بل عليه أن يعتقد أن للكون قانوناً عادلاً، وإن غاب عن إدراكه، وأن الخير هو أساس الكون، والصلاح روح الوجود.. عليه أن يعرف ذلك ويعتقده ويتبعه في سكون وتقوى..»[٢].

[٣] «في الإسلام خلّة أراها من أشرف الخلال، وأجلّها، وهي التسوية بين الناس، وهذا يدل على أصدق النظر وأصوب الرأي. فنفس المؤمن راجحة بجميع دول الأرض، والناس في الإسلام سواء. و الإسلام لا يكتفي بجعل الصدقة سنة محبوبة، بل يجعلها فرضاً حتماً على كل مسلم، وقاعدة من قواعد الإسلام، ثم يقدرها نسبة إلى ثروة الرجل.. جميل و الله هذا، وما هو إلّا صوت الإنسانية، صوت الرحمة والإخاء والمساواة..»[٣].

[٤] «.. هذا الدين [الإسلام] فيه للمبصرين أشرف معاني الروحانية وأعلاها، فاعرفوا له قدره، ولا تبخسوا حقه. ولقد مضى عليه مئتان وألف عام وهو

---

(١) الأبطال، ص ٤٢ـ٤٣.
(٢) نفسه، ص ٥٣ـ٥٤.
(٣) نفسه، ص ٥٦.

الدين القويم والصراط المستقيم لخمس العالم. وما زال فوق ذلك ديناً يؤمن به أهله من حبات أفئدتهم، ولا أحسب أن أمة من النصارى اعتصموا بدينهم اعتصام المسلمين بإسلامهم، إذ يوقنون به كل اليقين، ويواجهون به الدهر والأبد.. وإن كلمة التوحيد والتكبير والتهليل لترنّ آناء الليل وأطراف النهار في إرواء تلك الملايين الكثيفة. وإن الفقهاء ذوي الغيرة في الله والتفاني في حبه ليأتون شعوب الوثنية بالهند والصين والمالاي [ماليزيا] فيهدمون أضاليلهم، ويشيدون مكانها قواعد الإسلام، ونعم ما يفعلون»[1].

٥ «لقد أخرج الله العرب بالإسلام من الظلمات إلى النور، وأحيا به من العرب أمة هامدة.. وهل كانت إلّا فئة من جوالة الأعراب خاملة فقيرة تجوب الفلاة منذ بدء العالم لا يسمع لها صوت ولا تحس منها حركة، فأرسل الله لهم نبياً بكلمة من لدنه، ورسالة من قبله؛ فإذا الخمول قد استحال شهرة، والغموض نباهة، والضعة رفعة، والضعف قوة، والشرارة حريقاً، ووسع نوره الأنحاء.. وعقد شعاعه الشمال بالجنوب، والمشرق بالمغرب، وما هو إلّا قرن بعد هذا الحادث حتى أصبح لدولة العرب رجل في الهند ورجل في الأندلس، وأشرقت دولة الإسلام حقباً عديدة ودهوراً مديدة بنور الفضل والنبل والمروءة والبأس والنجدة، ورونق الحق والهدى على نصف المعمورة. وكذلك الإيمان عظيم، وهو مبعث الحياة، ومنبع القوة، ومازال للأمة رقي في درج الفضل.. ما دام مذهبها اليقين، ومنهجها الإيمان..»[2].

كارودي[3]

١ «إن الإسلام لم يعد ذلك (الكافر) في زمن الصليبيين أو الـ (إرهابي) في حرب التحرير الجزائرية، ولم يعد ذلك الأثر في المتحف الذي يتفحصه

(١) نفسه، ص ٦٦.
(٢) نفسه، ص ٦٦-٦٧.
(٣) روجيه كارودي Roger Garaudy
المفكر الفرنسي المعروف، وأحد كبار زعماء الحزب الشيوعي الفرنسي، سابقاً، تتميز ثقافته بالعمق والشمولية، والرغبة الجادة في البحث عن الحق مهما كان الثمن الذي يكلفه، أتيح له منذ مطلع الأربعينيات أن يحتك بالفكر الإسلامي والحياة الإسلامية. وازداد هذا
=

المستشرق بعين العالم الاختصاصي بعاديات الحضارات، انطلاقاً من الحكم السبقي بامتيازية الغرب. . بل لم يعد أكثر من هذا، ذلك الانفجار العلمي المذهل الذي كان عند الخروج من العصور الوسطى قد فتح الطريق ببساطة لعلومنا (الحديثة). . إنما الإسلام هو تلك الرؤية لله، وللعالم والإنسان التي تنيط بالعلوم وبالفنون وبكل إنسان وبكل مجتمع مشروع بناء عالم إلهي وإنساني لا انفصام فيه باقتضاء البعدين الأعظمين، المفارقة والجماعة، التسامي والأمة»[١].

٢ «إن الله أكبر من أعظم الملوك، وإليه وحده يدان بالإجلال المطلق، فها هنا المبدأ بحق لا يجوز التصرف فيه، بالصمود في وجه كل طغيان وبمعارضة كل سلطة، الأساس الإلهي للمساواة بين جميع الناس من وراء أي تسلسل في المراتب الاجتماعية. .»[٢].

٣ «سوف يكون غريباً اعتبار عقيدة قادت المسلمين في غضون ثلاثة أرباع القرن، إلى تجديد أربع حضارات كبرى، وإلى الإشعاع على نصف العالم، عقيدة قدرية، منقادة. هذه الديناميكية في الفكر والعمل هي عكس القدرية: لقد اقتاد ملايين الناس إلى التأكد من أنه كان يمكنهم أن يعيشوا على نحو آخر»[٣].

٤ «. . بفضل مبدأيْ الإسلام الأساسيين: مبدأ السلطة لله وحده وهو الذي يجعل كل سيادة اجتماعية نسبية، ومبدأ الشورى الذي يستبعد أية وساطة بين الله والشعب، يزال، في آن واحد، أي استبداد مطلق يضفي القداسة على السلطة، ويصبو إلى أن يجعل من القائد إلهاً على الأرض. .»[٤].

= الاحتكاك بمرور الوقت، وتمخض عن اهتزاز قناعاته المادية وتحوله بالتدريج إلى خط الإيمان، الأمر الذي انتهى به إلى فصله من الحزب الشيوعي الفرنسي، كما قاده في نهاية الأمر (أواخر السبعينيات) إلى اعتناق الإسلام، حيث تسمى بـ(رجاء كارودي).
كتب العديد من المؤلفات منها: (حوار الحضارات)، (منعطف الاشتراكية الكبير)، (البديل)، (واقعية بلا ضفاف)، ويعد إسلامه أنجز سيرة ذاتية خصبة وعدداً من المؤلفات، أبرزها: (وعود الإسلام)، فضلاً عن العديد من المحاضرات التي ألقاها في أكثر من بلد.

(١) وعود الإسلام، ص ٢٢.
(٢) نفسه، ص ٣١.
(٣) نفسه، ص ٣٢ـ٣٣.
(٤) نفسه، ص ٣٦.

٥ «إن الجهاد الأكبر [في الإسلام] هو كفاح ضد الذات، ضد الميول التي تجذب الإنسان بعيداً عن مركزه. وهو ما يقوده، باجتذابه نحو رغبات جزئية، إلى أن يصطنع لنفسه (أوثاناً) وبالنتيجة يمنعه عن الاعتراف بوحدانية الله. والانتصار على هذه (الوثنية) الداخلية أصعب كثيراً من الانتصار على المشركين في الخارج. وما نزال نجد اليوم في هذا درساً عظيماً لكثير من (الوثنيين) الذي يطمعون بتغيير كل شيء إلّا أنفسهم، كما كان، فيما مضى، شأن الكثير من (الصليبيين)؛ الذين كانوا في القدس وفي إسبانيا (المراد استردادها)، أو ضد هنود أمريكا، يريدون أن يفرضوا على الآخرين مسيحية يهزؤون منها بكل عمل من أعمالهم»[(١)].

كالفرلي[(٢)]

١ «يفصل كثير من الناس، بتأثير ميراثهم الثقافي وظروفهم الاجتماعية وتعليمهم، بين الدين والدولة، ويأخذ البروتستانت الغربيون هذا الفصل قضية مسلمة. ولكن الواقع أن هذا الفصل بين الدين والدولة أمرٌ جديد في المسيحية ابتدعته فيها أقلية مذهبية، ولم يعرف الإسلام أو سواه من الأديان العالمية مبدأ الفصل..»[(٣)].

٢ «لنضرب مثلاً على الدراسة [النزيهة] بمقال كتبه الأستاذ آرثر جيفري Arthur Jeffery في مجلة العالم الإسلامي، عدد يناير، سنة ١٩٤٠، يعرض فيه [إحدى] الترجمات الإنجليزية للقرآن.. فقد اعترف اعترافاً صريحاً بالقيم الروحية الممتازة في دين لا يدين هو به..»[(٤)].

---

(١) نفسه، ص ٤٥.

(٢) أدوين كالفرلي E.Calveroley

ولد عام ١٨٨٢م، تخرج باللغات الشرقية من جامعة برنستون، وعين عضواً في البعثة العربية التي نظمتها الكنيسة في الولايات المتحدة (١٩٠٩-١٩٣٠)، ومحاضراً في مدرسة كنيدي للبعثات (١٩٣٠-١٩٣٢) وأستاذاً للعربية والإسلاميات فيها (١٩٣٢-١٩٥١) ومحرراً لمجلة عالم الإسلام، (١٩٤٧-١٩٥٢) وأستاذاً زائراً في الجامعة الأمريكية بالقاهرة (١٩٤٤-١٩٤٥).
من آثاره: (القرآن) (١٩٢٤)، (العبادة في الإسلام) (١٩٢٥)، (محمد) (١٩٣٦)، (الإسلام)(١٩٣٨). إلخ.

(٣) الشرق الأدنى: مجتمعه وثقافته (بإشراف كويلر يونغ)، ص ١٧٣.

(٤) نفسه، ص ١٨٦.

كلود كاهن

١ «.. تملي شريعة الإسلام فرائض على الناس تجاه خالقهم، وتجاه بعضهم بعضاً، فهي إذاً ـ على حد تعبيرنا الحديث ـ شريعة دينية اجتماعية، والتمييز بين الدين والدنيا أمرٌ غريب على الإسلام. على أن أهم فريضة تجاه الخالق هي الإيمان به والإذعان لمشيئته وذلك هو المقصود من كلمة (الإسلام). والمسلم هو من يدين بالإسلام. كذلك أوجب على الناس أعمالاً محددة لا قيمة لها إلّا بالنية الحسنة..»[١].

٢ «من المقتضيات الأساسية للمجتمع الإسلامي إنشاء نظام اجتماعي يقوم على أساس مستمد من الشرعية الإلهية.. بمعنى أن الإسلام لم يعهد مبدئياً ذلك المفهوم الروماني ـ الذي قبلت به المسيحية ـ قبولاً جزئياً ـ والذي يعترف بشرعية دولة قائمة بحدّ ذاتها تملك القدرة على التشريع تشريعاً قيماً مقبولاً ـ ولو تحت إشراف من الإله ـ دون اللجوء في كل حالة من الحالات إلى توجيه إلهي. فالقاعدة الثابتة ـ من حيث المبدأ ـ هي الشرع الحنيف الذي أوحي به للناس دفعة واحدة ولا بد من وضعه موضع التنفيذ. بل إن الخليفة لا يملك سلطة معنوية إلّا بقصد تطبيق هذا الشرع..»[٢].

٣ «.. قد ندعو [علماء الكلام المسلمين] بعلماء الدين مع تحفظ واحد، وهو أن ندرك أن الإيمان عند المسلم ـ ومن الناحية المبدئية ـ أمرٌ عقلي صرف، فلم يوجد إذاً نظرياً انفصام يباعد بين الإيمان والعقل على نحو ما عهدته مثلاً الفلسفة المسيحية»[٣].

٤ «إن الإسلام لا يعترف بأي تمييز بين الأفراد. ولا يخص المدينة ـ بوصفها مجموعة ـ بأي خاصة نوعية، كما لا يقر أي نظام لسكانها (البورجوازيين)..»[٤].

---

(١) تاريخ العرب والشعوب الإسلامية، ١/١٩.
(٢) نفسه، ١/١٩.
(٣) نفسه، ١٠/١٠٤.
(٤) نفسه، ١/١٨٨.

٥ «نشأ الرسول ﷺ في مجتمع بلا دولة، فكان، على نحو لا تتبينه إلّا العقول العصرية مبشراً بدين، ومنظماً لمجتمع دنيوي. ونتج عن ذلك أن القانون الاجتماعي أصبح جزءاً متماسكاً مع القانون الديني، كما كان احترام القانون الاجتماعي جزءاً مكملاً لطاعة الله تعالى. كان الوحي بذاته ـ إذاً ـ هو الأساس المشترك للعقيدة وللتنظيم الزمني. فكان المجتمع نفسه هو الدولة والدين، ولم يتسن لأحدهما أن يبقى وحده نظاماً قائماً بذاته.. لقد كان هذا التوجيه حاسماً، ولم تستطع العقول أن تتخلى عنه إلى مدة غير قصيرة، وكان من نتائجه في العصور الآتية أن الرجل المسلم أصبح يطلب من نظامه السياسي أن يكون على جانب من الكمال، فإذا فقد ذلك فقد أيضاً مبدأ الطاعة المحتمة عليه إزاء هذا النظام..»[١].

هاملتون كب

١ «كانت التعاليم الاجتماعية التي جاء بها محمد ﷺ في أساسها، إعادة لإحقاق المبادئ الأخلاقية التي تشارك فيها ديانات التوحيد، فازداد ترسيخ معنى الأخوة بين جميع أفراد الجماعة الإسلامية، وإنهم سواسية من حيث القيمة الشخصية الفطرية، دون النظر إلى ما في مكانتهم الدنيوية ووظائفهم وثرواتهم من تباين واختلاف وتعمقت جميع العلائق والواجبات المتبادلة التي تستتبعها هذه المبادئ. وقد تم ترسيخ ذلك كله وتعميقه حين وضعه الإسلام على أساس من الولاء الخفي، والخضوع العلني لإله واحد.. وكانت لتعاليم الرسول ﷺ نتائج اجتماعية ملموسة تحددت صيغتها كما هو الحال في جميع الحركات الدينية؛ بما تركته من آثار في البيئة التاريخية الواقعية»[٢].

٢ «منذ البداية نشأ تيار [فقهي] يعارض بعض مظاهر المفهوم الرسمي، ويعارض سيطرة الدولة على الأمور الدينية، كما تجلى إصرار الفقهاء على أن الفقيه مسؤول تجاه نفسه فقط. فقد وقع النزاع علناً عندما قام المأمون وخلفاؤه يحاول فرض المبادئ ذات الصبغة اليونانية التي نادى بها فريق المعتزلة (مذهباً رسمياً)، ويضطهدون زعماء السنة المعارضين. وانتهى الصراع بانتصار السنة،

(١) الوحدة والتنوع في الحضارة الإسلامية (تحرير كرونباوم)، ص٢٠٠-٢٠١.
(٢) دراسات في حضارة الإسلام، ص ٦.

وكان برهاناً قاطعاً على استقلال النظام الديني الإسلامي عن الخلافة وغيرها من المؤسسات السياسية، وعلى أن الحكام السياسيين لا يستطيعون الإشراف على مصادر سلطان الدين؛ لأنها ملك للجماعة ولا علاقة لأحد بها، وأن الخلافة ذاتها نابعة من ذلك السلطان، وأنها رمز سياسي له. وكانت هذه الأحداث ذات أهمية أساسية في مستقبل الإسلام كله، ذلك أنها حالت دون أن يرتبط بأي نظام سياسي، وأمدت النظام الديني والجماعة معه بالحرية اللازمة للتطور على أسس ما يحويه الإسلام من طبيعة ومنطق ذاتيين..»[١].

[٣] «إن الفكر الإسلامي يأبى أن يقيد بقيود الصيغ الخارجية. ويظل هذا الفكر يحدث ضغطاً مستمراً يظهر أثره في تجديد التشكيل للنظرية على نحو هادئ، وهذا التشكيل المتجدد، تحت ذلك الظاهر المتشدد، هو الذي يميز كل ضروب النشاط التأملي في الإسلام، حيث ظل الإسلام بناء داينامياً حياً»[٢].

[٤] «ومظهر [آخر] بارز يميز التشريع الإسلامي، وهو أن مهمة التعريف والتصنيف استغرقت، خلال القرون الثلاثة الأولى، الطاقات الفكرية لدى الأمة الإسلامية، إلى حد لا نظير له. إذ لم يكن المسهمون في هذا الميدان هم علماء الكلام والمحدثين والإداريين فحسب، بل إن علماء اللغة والمؤرخين والأدباء أسهموا بأنصبة في هذه المجموعة من المؤلفات التشريعية، وفي مناقشة القضايا التشريعية، وقلما تغلغل التشريع في حياة أمة وفي فكرها هذا التغلغل العميق؛ مثلما فعل في الأدوار الأولى من المدنية الإسلامية»[٣].

[٥] «.. إن المبدأ المحوري في القرآن هو ـ يقيناً ـ مبدأ وحدة لا هوادة فيها، وهو يرفض فكرة وجود وسطاء بين الله والإنسان، على الأقل في هذا العالم. فالإسلام حين وضع الإنسان أمام الله دون عناصر وسائطية روحية كانت أو شخصية أكد بالضرورة مدى التباين بين الله والإنسان. وعلى الرغم من وجود آيات قرآنية ذات حدس روحي، فإن العنصر العقائدي المستمد من القرآن لا يستطيع إلّا

(١) نفسه، ص ١٥.
(٢) نفسه، ص ١٩٥.
(٣) نفسه، ص ٢٦٣.

أن يصدر من افتراض التعارض بين الألوهية والإنسانية، ومن تساوي الناس جميعاً (وهذه نتيجة ضرورية للموقف الأول) في علاقتهم بالله من حيث إنهم مخلوقات. وفي هذه المفارقات الكلية يقع التوتر الديني الذي يمثل - في الواقع - المظهر الأصيل المميز للإسلام»[١].

٦ «جدير بالقول أن الإسلام يتمتع بخاصية جوهرية هامة، وهي تسامحه في وجود وجهات مختلفة ضمن الطائفة، بل إنه يستمد من ذلك مجده وفخره. وأبرز مثل على هذا التسامح هو وجود المدارس المذهبية باسم فقهاء القرنين الثاني والثالث الهجريين..»[٢].

كرونباوم[٣]

١ «جعل [الإسلام] الفرد مسؤولاً عن مصيره في الدار الآخرة، فأكمل مجرى حركة الفردية الشرعية والخلقية، أو قدمها تقدماً خطيراً. وفضلاً عن ذلك فقد جعل الإسلام كل لحظة في حياة المؤمن ذات أهمية كبرى مستديمة، فالجهد الذي يبذله للفوز بالنجاة لا ينبغي أن يتراخى»[٤].

٢ «إن الإسلام بتأكيده: أن لا غنى عن الجماعة للقيام ببعض الفرائض الأساسية المطلوبة من الفرد المسلم أكد ضرورة التنظيم السياسي. وبينما كان العربي في الجاهلية يفكر بمفاهيم العشيرة والقبلية؛ فإن المسلم أصبح يفكر

(١) نفسه، ص ٢٧٠.
(٢) نفسه، ص ٤٠.
(٣) د. كوستاف فون كرونباوم Dr.G.E.Von Grunebaum
نمساوي الأصل، تخرج من جامعتي فينا، وبرلين، وعين أستاذاً مساعداً للدراسات العربية الإسلامية، في جامعة نيويورك (١٩٣٨-١٩٤٢)، وفي جامعة شيكاغو (١٩٤٣-١٩٤٩) وأستاذاً فيها (١٩٤٩-١٩٥٧)، وأستاذاً لتاريخ الشرق الأدنى في جامعة كاليفورنيا (١٩٥٧)، ثم رئيساً لقسم دراسات الشرق الأدنى فيها.
من آثاره: (الشعر العربي)(١٩٣٥)، (دراسات عربية)(١٩٣٧)، (التفسير الحديث للإسلام)(١٩٤٧)، (الإسلام في العصر الوسيط)(١٩٤٥)، والعديد من الأبحاث في المجلات المعروفة.
(٤) الوحدة والتنوع في الحضارة الإسلامية (تحرير كرونباوم)، ص ٣٥.

بمفاهيم المجتمع السياسي القائم من منطقة الإيمان، ولهذا كان مقدراً في آخر الأمر أن يسيطر على العالم. فلم يعد البشر منقسمين إلى قبائل مختلفة بل إلى مؤمنين وكفار، وكان لا بد لهذا الانقسام أن يستمر حتى بعد الموت»[١].

[٣] «إن النجاح المحدود الذي صادفته المحاولات السابقة للإسلام لتأسيس دولة يرجع في بعضه في الأقل إلى فقدان (الإيديولوجي) الذي ينبغي أن تمثله أو تحققه الدولة المقترحة. أما الدولة الإسلامية فكان عليها ـ مقابل ذلك ـ أن تطبق تعاليم الدين، وتسير الظروف الممكنة والضمانات الكافية للقيام بها في مواعيدها؛ ولذا كان تنظيمها وسياستها معتمدين على اعتبارات دينية في شكلها المثالي»[٢].

[٤] «إن ما حققه الإسلام من تغيير الثقافة العربية المتوارثة عن السلف يمكن تلخيصه في أربعة تغييرات أساسية:

أ ـ توسيع المشاعر الإنسانية وتنقيتها.

ب ـ توسيع نطاق العالم الفكري والوسائل التي تمكن الإنسان من السيطرة عليه.

جـ ـ إبداع نظام سياسي لم يسبق إليه في محل نشأته، مقبول من الوجهة الخلقية، وفعال في الوقت نفسه.

د ـ تصوير أسلوب جديد (مقرر) للحياة، ومعنى ذلك إيجاد مثل أعلى جديد للبشر، ونموذج مفصل لتحقيقه في حياة نموذجية تمتد من الحمل إلى ما بعد يوم القيامة..»[٣].

[٥] «.. إن الهوّة الموجودة في حضارتنا (الغربية) بين الميادين السياسية، والميادين الدينية؛ لا توجد إلى هذا الحدّ أبداً في العالم الإسلامي..»[٤].

---

(١) نفسه، ص ٣٥ـ٣٦.
(٢) نفسه، ص ٣٦.
(٣) نفسه، ص ٣٧.
(٤) نفسه، ص ٦٩ـ٧٠.

كلايتون(١)

١ «.. بعد أن نفهم حقيقة الإسلام يسهل علينا أن نعرف السبب الذي يجذب الإنسان للانضواء تحت لوائه. فكل مسلم يعرف أن الإسلام معناه الخضوع والإذعان الكامل لمشيئة الله. فعندما نولد نكون مسلمين. ولكننا بعد ذلك نترك سبيل الله ونتبع السبل المضلّة المفرقة، والإسلام دين الفطرة. وكل مولود يولد على الفطرة قبل أن يشب عن الطوق لنفرض عليه عقيدة أخرى تتنافى وإرادة الله. ويمكن القول بأن الصخور والشجر مسلمة لأنها تخضع لسنة الله في الخلق، ومن ذلك نعلم أننا إذا سعينا إلى صرف المسلم عن عقيدته ودينه وشده إلى أية ملة أخرى؛ فمعنى ذلك أننا نتدخل ضد سنة الله الفطرية. ولابد للفطرة أن تنتقم ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٣٠].. »(٢).

٢ «كان الناس يخلعون أحذيتهم أو نعالهم وينتظمون في صفوف طويلة الواحد منها وراء الآخر. وقد أثار دهشتنا ونحن نرقبهم في صمت أنه لا توجد فوارق من أي نوع بين أفراد هذا الاجتماع. فلقد كان البيض والصفر والسود، إلى جانب الفقراء والأغنياء والشحاذين والتجار يقفون جنباً إلى جنب دون أدنى التفات إلى العنصر، أو المكانة الاجتماعية في الحياة.. إن روح الأخوة التي تجلت في ذلك الجمع المتباين من الناس قد تركت انطباعاً لا يمكن أن يمحى من نفسي ما حييت.. »(٣).

إيفلين كوبولد

١ «سألني كثيرون: كيف ومتى أسلمت؟ وجوابي على ذلك أنه يصعب علي تعيين الوقت الذي سطعت فيه حقيقة الإسلام أمامي، فارتضيت الإسلام

---

(١) توماس محمد كلايتون Thomas M.Clayton
مسيحي أمريكي لم تمنحه المسيحية القناعات الكافية فانشق عليها، وحدث أن عثر يوماً على ترجمة لمعاني القرآن الكريم، ففتحت أمامه الطريق إلى الحقيقة، فازداد انكباباً على دراسة المؤلفات الإسلامية والاتصال بعدد من الدعاة، الأمر الذي انتهى به إلى اعتناق الإسلام عام ١٩٤٧.

(٢) رجال ونساء أسلموا، ٣/ ١٠١.

(٣) نفسه، ٣/ ١٠٣.

ديناً. ويغلب على ظني أنني مسلمة منذ نشأتي الأولى. وليس هذا غريباً إذا ما راح المرء يفكر بأن الإسلام هو الدين الطبيعي الذي يتقبله المرء فيما لو ترك لنفسه، ولم يفرض عليه أبواه الدين الذي يعتنقاه فرضاً. ألم يصفه أحد مشاهير النقاد في أوربة: (بأنه دين العقل والإنسانية)؟»[١].

[٢] «الإسلام كلمة تعني التسليم لله، وهي تعني السلام أيضاً، ويعرف المسلم بأنه الرجل الذي يسير في حياته وفقاً لمشيئة خالقه وأوامره، والذي يعيش بسلام مع الله وعباده. ولعل أجمل ما في الإسلام ما يضطرب فيه من وحدانية إلهية، وأخوة إنسانية، وخلوه عن التقاليد والبدع، والتصاقه اللصوق كله بما في الحياة من أمور عملية.. والإيمان في القرآن إنما يقوم على العمل الصالح، وليس هناك في الإسلام إيمان دونما عمل صالح أبداً..»[٢].

[٣] «من فوائد الحج أنه يوطد الوحدة الإسلامية، ويغذي الأخوة التي أنشأها محمد ﷺ وهو يدعو المسلمين في كل عام مرة واحدة إلى التعارف والتقارب والتحدث إلى بعضهم بعض.. فالحج والحالة هذه ليس فرضاً دينياً فحسب، وإنما هو إلى ذلك كله، جمعية أمم عظمى. ولقد أشار إلى هذه الظاهرة الخطيرة الأستاذ سنوك هيروغرنجه [المستشرق الهولندي] فقال: (لقد سبق الإسلام الحكومات الأوربية في التوحيد بين الأمم والتقارب بين الشعوب بما أقره من وجوب الحج على كل مسلم يستطيع إلى الحج سبيلاً، ولعمري إن هذه الديمقراطية والأخوة التي أقرها الإسلام، وجعلها عامة بين أتباعه لممّا يخجل الجماعة الأخرى؛ التي لم تفطن لها، ولا دعت إليها)»[٣].

[٤] «من المعلوم أنه لا كهنوت في الإسلام، وليس هناك واسطة بين المسلم وربه..»[٤].

[٥] «.. إذا لم يكن في الإسلام إلّا هذه الأخوة التي قتلت التفرقة، وجعلت من الإنسانية شخصاً واحداً لا يعلو واحدها على رفيقه إلّا بالتقوى والعمل

(١) البحث عن الله، ص ٩.
(٢) نفسه، ص ١٢.
(٣) نفسه، ص ١٤.
(٤) نفسه، ص ٢٣.

الصالح لكفى، ولكن الإسلام خير الأديان، وأقربها إلى الله، وأرفعها درجات. وقد أشار المستر بيكتول الكاتب الإنكليزي، إلى هذه الظاهرة الغريبة الفذة في تاريخ الإنسانية، وراح يضرب الأمثال بهذا الاختلاف العظيم الذي يعمّ الغرب من أقصاه إلى أقصاه، ويصل بين المرء وولده وشقيقه ونسيبه وجاره، وكيف أن الإسلام يقف وحيداً في هذه الظاهرة، حيث تقوم الأخوة الإسلامية فيه مقام العصبية والجوار وغيرها من الصلات..»[1].

٦ «.. إن الإسلام دين حي، حي في قلوب أتباعه ومريديه، وهو دين كلما تقدمت به الأيام زادت حيويته، وقوي أمره، وتبسط سلطانه، وفشت دعوته، ولولا ذلك لما أمكنه أن يعيش، وأن يظل محتفظاً بقوته وتأثيره وحب أتباعه له»[2].

٧ «إن روحانية الإسلام قوية شديدة، فهي أبداً تدفع المسلمين بعضهم إلى بعض، وتجعل منهم قوة إنسانية تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؛ مما لا يوجد مثله في العالم الحاضر»[3].

كولد تسيهر

١ «علينا إن أردنا أن نكون عادلين بالنسبة إلى الإسلام، أن نوافق على أنه يوجد في تعاليمه قوة فعالة متجهة نحو الخير، وأن الحياة طبقاً لتعاليم هذه القوة يمكن أن تكون حياة طيبة لا غبار عليها من الوجهة الأخلاقية. هذه التعاليم تتطلب رحمة جميع خلق الله، والأمانة في علاقات الناس بعضهم ببعض، والمحبة والإخلاص، وقمع غرائز الأثرة، كما تتطلب سائر الفضائل التي أخذها الإسلام عن الأديان السابقة، والتي يعترف محمد ﷺ بأنبيائها [عليهم السلام] أساتذة له، ونتيجة هذا كله إن المسلم الصالح يحيا حياة متفقة مع أدق ما تتطلبه الأخلاق»[4].

٢ «وقد اقتنع هؤلاء الرجال [الفقهاء] العمليون من أول الأمر بأنهم جميعاً على الحق، وأنهم يخدمون مبدأ واحداً، وعلى هذا الأساس كانوا يتبادلون

(١) نفسه، ص ٤٠-٤١.
(٢) نفسه، ص ١٠٤.
(٣) نفسه، ص ١١٥.
(٤) العقيدة والشريعة في الإسلام، ص ٢٩.

الاحترام الواجب. . ولم يظهر التعصب المذهبي إلّا عندما ازداد العجب عند الفقهاء، الأمر الذي كان موضع لوم أهل الجد منهم. . وقد بقي إلى يومنا هذا الاعتقاد السائد بأن الأعمال المتخالفة للمذاهب الفقهية؛ يجب الاعتراف بأنها كلها مستحقة للتصديق على التساوي ما دامت ترجع إلى تعاليم الأئمة وأعمالهم، أولئك الذين أجمع المسلمون على الاعتراف بإمامتهم وحدها. .»[١].

٣ «وسنلاحظ حقاً أن هذا المبدأ [الفقهي وهو الإجماع] بالنسبة للإسلام يحمل في طياته بذور التحرير والتطورات المستطاعة، فهو يقدم، ضد ديكتاتورية الجمود وقتل الشخصية، قوة للتعادل، وقد حقق على الأقل في الماضي كعامل مهم مطابقة الإسلام للعصر وقتئذ، فماذا عسى يمكن أن يكون باستعماله في المستقبل؟ وفي الحق أن هذا المبدأ المتبع ملحوظ عند مجددي الإسلام في عصرنا، فهو الباب الذي يجب بواسطته أن تنفذ إلى بناية الإسلام عوامل القوى الشابة»[٢].

٤ «والحياة في الفقه ليست مقصورة على أمور العبادات وحدها، فالفقه الإسلامي ضمّ فروع الحياة والحقوق المدنية والسياسية والعقوبات، ولا يفلت فصل من فصول الفقه من أن يدخل قاعدة مبنية على أساس ديني، وكل الأمور المتعلقة بالحياة الشخصية أو العامة داخلة في الواجبات الدينية، وبواسطة هذا يعتقد الفقهاء أن كل حياة المؤمنين موافقة لطلبات الدين»[٣].

٥ «ومعرفة الأقوال المتفرعة الكثيرة في دائرة الفقه الإسلامي، من الأدلة التي يسوقها أصحاب المذهب لتأييد مذاهبهم عند الاختلاف في الرأي أو العمل في مذهب آخر، وكذلك نقد هذه الأدلة من وجهة نظر المذهب نفسه، كل ذلك يصور لنا فرعاً عالياً من الفقه في الإسلام، ويقدم فرصة دائمة لمعرفة الذكاء العلمي في هذه الدائرة التي هي للإسلام في أوطانه ذات فائدة وأهمية خاصة، ونظراً

(١) نفسه، ص ٥٩.
(٢) نفسه، ص ٦٣.
(٣) نفسه، ص ٦٥.

لأهمية هذه الأبحاث، في هذه الدائرة، فقد ظهرت فيها منذ العصور القديمة للمدارس الفقهية كتب كثيرة»[١].

عبد الله كويليام

١ «..إنه ليس بين الأديان أقرب للفهم من الدين الإسلامي للذين يفقهون، كما أنه ليس بينها أثبت ولا أرفق منه. فهو بقاعدتيه: وحدانية الله والجزاء الآجل، يمنح القلوب حقوقها من السكينة والارتياح، ويذهب بالإرادة المذهب الذي يلائمها وتحتاج إليه بدون أن تسوم العقل قيود هو بالطبع يأباها. وليس في الاكتشافات العلمية الحديثة، ولا في المسائل التي انتهى حلها، والتي تحت الحل ما يغاير مثل هذه الحقائق الإسلامية الوضاءة والسهلة المأخذ. ولهذا فإن التوفيق الذي نبذل كل جهدنا معاشر المسيحيين لإيجاده بين العقل والاعتقاد في ديننا المسيحي هو سابق موجود في الديانة الإسلامية. وإنني بكلامي هذا عن الدين المسيحي إنما أشير إلى تلك الزيادات الموافقة وغير الموافقة التي أدخلت على نصرانية الإنجيل؛ التي هي في الحقيقة كإسلام القرآن»[٢].

٢ «.. إن الشريعة المحمدية تشمل الناس جميعاً في أحكامها، من أعظم ملك إلى أقل صعلوك، فهي شريعة حيكت بإحكام، وأعلم منوال شرعي لا يوجد مثله قط في العالم»[٣].

٣ «إن الأساس المهم والمبدأ العظيم في الإسلام هو الاعتقاد بإله واحد في وحدانيته، ونبذ الخرافات بأي وجه كانت..»[٤].

٤ «.. مهما ارتقى العقل في درجات الكمال فإنه لا يخرج عن حدّ تلك الأحكام الجليلة، أعني الأحكام التي انطوت عليها الشريعة الإسلامية، فاتباعها في كل زمان ضروري لا محيص للعقل عنه»[٥].

---

(١) نفسه، ص ٦٦.
(٢) العقيدة الإسلامية، ص ٦٢.
(٣) نفسه، ص ١٢٣، (عن كتاب شكوى وارن هاستنج، لادماند بورك).
(٤) نفسه، ص ١١٦.
(٥) نفسه، ص ١٢٩-١٣٠.

كوينج[1]

١ «يحدثنا القرآن الكريم عن الإنسان ومحاولته الوصول إلى خالقه في هذه الآيات البينات ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٤]، ويحدثنا الكتاب المقدس عن هذا المعنى في هذه العبارة: (أن قدرة الله الأزلية وألوهيته منذ خلق العالم، تتجلى في مخلوقاته بنور الفكر الإنساني). .»[2].

٢ «. . إن تاريخ الدين بوجه عام، وتاريخ التوحيد على وجه خاص، يظهرنا على أن الإيمان بالله وحده هو الجواب الشافي الوحيد عن كل سؤال عن أصل الكون والإنسانية والغاية من وجودهما، فلا يمكن أن يكون للحياة الإنسانية من هدف إلّا الله وحده، وكل تدين في الإنسان مرده في الأصل ـ عن إدراك أو بغير إدراك واع ـ إلى الإيمان بإله واحد، ولقد كان هناك توحيد حين ظهر الإسلام، واتخذ الإسلام التوحيد سبيلاً لأتباعه المؤمنين. ولاشك أن الغزالي على حق حين يقرر أن الإيمان بالله وحده هو المقصد الأسمى للقرآن الكريم. .»[3].

٣ «. . لنقلها إذاً في صراحة ووضوح: إن التوحيد عدو لكل من نصب نفسه معياراً للحياة الإنسانية في هذه الأرض، و هذه الحقيقة هي التي ترسم لنا حدود مسؤولياتنا. . وليكن همنا في هذه الأيام العصبية أن نعين الناس على أن يستجيبوا لأمر الله، فيقيسوا حياتهم وفق أمره ومشيئته، وفي هذه الاستجابة لنداء الفطرة (كما يدعوها المسلمون) المستكنة في قلب كل بشر، جوهر الإيمان بالله الحق المبين. ولعلنا بذلك نخطو الخطوة الحاسمة في إقرار التوحيد بين البشر»[4].

---

(١) الكاردينال كوينج Quenge
رئيس أساقفة النمسا.
(٢) عقيدة التوحيد في العالم المعاصر، ص ١٠.
(٣) نفسه، ص ١٥ـ١٦.
(٤) نفسه، ص ١٧.

كيبون[(١)]

١ «إن ما يثير دهشتنا هو ثبات الإسلام لا انتشاره، فإن نفس الطابع النقي الكامل؛ الذي كان له في مكة والمدينة، ما زالت تجيش به صدور المسلمين في الهند وإفريقية وتركيا»[(٢)].

٢ «إن في عبقرية النبي العربي ﷺ، وفي خلال أمته وفي روح دينه، أسباب انحلال الدولة [الرومانية] الشرقية وسقوطها، وإنَّ أبصارنا لتتجه دهشة إلى ثورة من أعظم الثورات التي طبعت أمم الأرض بطابع خالد»[(٣)].

كيمن[(٤)]

١ «.. حينما اكتشفت أوربة مرة أخرى فكرة الفصل بين الكنيسة والدولة وجدت قوتها، لم يستطع الإسلام أن يقوم بعمل من هذا القبيل؛ لأن ذلك غير معروف في تاريخه مطلقاً»[(٥)].

٢ «.. إن الفقهاء في العهد العباسي لم يكتبوا مؤلفاتهم وهم بمعزل تام عن محيطهم، ولا شك في أنهم اشتغلوا بتكوين الآراء النظرية، كما فعل المشرعون الأوربيون، ولكنها كانت نظريات دعا إليها الواقع؛ بحيث إن أصحاب المذاهب المختلفة استطاعوا مثلاً أن يؤلفوا رسائل في القانون العام تكاد تكون متطابقة تماماً»[(٦)].

---

(١) إدوارد كيبون (١٧٣٧ـ١٧٩٤) Edward Gibbon
ولد في بلدة بتني بجنوب إنكلترة، من أسرة غنية، كان أبوه عضواً في البرلمان الإنكليزي، درس في جامعة أكسفورد، وفي لوزان بسويسرا سافر إلى أكثر من بلد، وفاز بمقعد في مجلس العموم البريطاني. يعد كتابه: (اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها) الذي صدر في الربع الأخير من القرن الثامن عشر، واحداً من أهم الأسفار التاريخية. وقد أعيد طبعه مراراً، وترجم إلى معظم اللغات الأوربية.

(٢) اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها، (عن محمد عبد الله عنان: مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام، ص ١١).

(٣) نفسه، ص ١٢.

(٤) جاك دوشين كيمن J. Duchesne Gnillemin
ولد في عام ١٩١١ متخصص بالدراسات الإيرانية، وأستاذ في جامعة لييج، وله مباحث في أسماء الأعلام الإيرانية وفي دين زرادشت.

(٥) الوحدة والتنوع في الحضارة الإسلامية (تحرير كرونباوم)، ص ١٨.

(٦) نفسه، ص ١٨ ـ ١٩.

كين[1]

[١] «.. كنت أنطوي على نفسي، وأقرأ في شغف وفهم كل ما تصل إليه يدي من كتب الأديان المختلفة، وأتعمق في هذه القراءات التي استمرت عشر سنوات كاملة. وأخيراً وصلت إلى نتيجة هامة وبلغت الحقيقة التي ظللت أبحث عنها طويلاً، وهي أنني سأعتنق الإسلام وأكون مسلماً.. لقد انتهيت في يقين إلى أن الدين الإسلامي هو دين العقل والمنطق، وهو دين الحياة الدنيا والآخرة، وهو أيضاً دين المادة والروح معاً»[2].

[٢] «.. لقد بحثت طويلاً في سر الوجود، وتعمقت في أبحاثي بحكم دراساتي للفلسفة وعلم النفس، ورأيت أن الإسلام هو أقرب الأديان إلى السماء وإلى النفس الإنسانية، فتأكد يقيني بأنه الدين الكريم الذي أرتضيه وأؤمن به..»[3].

لامير[4]

[١] «لقد جاءني الإسلام كما يأتي النبع الدافئ إلى الأرض الباردة بعد الشتاء المظلم، فأدفأ روحي، وسربلني بثوب من تعاليمه القشيبة. فما أوضح تعاليم الإسلام وأعذبها، وما أعظم منطقها!»[5].

---

(١) د. آرثر كين: علي عمر كيم. Dr.A.Keen
فيلسوف أمريكي، اشتغل بالصحافة، ثم اتجه إلى الكتابات الاجتماعية، والفلسفة، ثم تفرغ للتأليف، فألف عدة كتب في علم النفس العلاجي، وشن هجمات مركزة ضد التدخين والخمور، قرأ كثيراً، وانتهى إلى أن الإسلام هو الطريق الوحيد، فأعلن إسلامه عام ١٩٦١م بمدينة نيويورك، وزار القاهرة، وأعلن شهادته مرة أخرى أمام شيخ الجامع الأزهر محمود شلتوت ـ رحمه الله ـ وحينذاك «امتلأت نفسه بالطمأنينة والراحة» و «أصبح الإسلام جزءاً لا يتجزأ من حياته».

(٢) رجال ونساء أسلموا، ٩/ ١٥٥.

(٣) نفسه، ٩/ ١٥٥ ـ ١٥٦.

(٤) فاطمة سي لامير F.Lamear
ألمانية، لم تقنعها الديانة النصرانية، فأخذت تتصل منذ مطلع عام ١٩٥١ م، عن طريق المراسلة، بعدد من المسلمين الذين شرحوا لها مبادئ الإسلام، فانشرح صدرها له، وانتمت إليه.

(٥) رجال ونساء أسلموا، ص ٣/ ٩٣.

٢ «لا أستطيع أن أسجل مدى فرحتي بهذا الدين الذي أخذ ينفرج أمام نظري، فقد أحسست أن هذا هو الدين الذي كنت أنتظره، وأنه الدين الذي آمنت به. ولقد كان إعلان دخولي في الإسلام ترجمة ظاهرة لصوت ضميري. فهل يمكن أن يكون هناك أي شيء أعظم حجة من العقيدة الإسلامية»[١].

٣ «إن الإسلام هو أقدم وأول الأديان جميعاً، وهو بتصوره الشامل للحياة قد أثر في ثقافة جل بلاد العالم بصورة مباشرة أو غير مباشرة، وبصفة كلية أو جزئية. وسبب ذلك أنه دين يساير الفطرة»[٢].

٤ «في الوقت الذي تهاوت فيه تعاليم الأديان الأخرى ومبادئها أمام جبروت العلم أخذ علماء الدنيا في الوقت الحاضر يتطلعون إلى الإسلام طالبين السلوى؛ لأن تعاليمه أقرب إلى العلم من أي دين آخر. بل إن الإسلام يحض على العلم. وهو دين تقدمي يناسب كافة المناخات والبلاد، كما يصلح لجميع العصور»[٣].

٥ «إنه دين زاخر بالحياة والحركة. وإنه من واجب جميع المثقفين أن يملؤوا الفراغ الروحي بالإسلام. .إن الإسلام لديه رسالة لا بد أن يقدمها للعالم. إنه نور بوسعه أن ينير العالم أجمع. .»[٤].

روم لاندو

١ «. . حين يكون صيام رمضان في البلاد العربية الحارة صيفاً، يصبح الامتناع عن الطعام والشراب خلال ساعات النهار الطويلة امتحاناً حقيقياً للإيمان. . إن الصوم ولد ضبطاً ذاتياً عند شعب كان بطبيعته انفعالياً شديد العناد»[٥].

٢ «. . إن التوكيد النصراني التاريخي على الألم وإماتة الجسد يكاد يكون مفقوداً بالكلية في الإسلام. والثنائية المسيحية، ثنائية الجسد والروح، هي في نظر المسلم شيء غير معقول، أو في أحسن الأحوال شيء غير واقعي. .»[٦].

(١) نفسه، ص ٣/ ٩٥.
(٢) نفسه، ص ٣/ ٩٥.
(٣) نفسه، ص ٣/ ٩٥ ـ ٩٦.
(٤) نفسه، ص ٩٦.
(٥) الإسلام والعرب، ص ٤٩.
(٦) نفسه، ص ٥١.

[٣] «الإسلام في أساسه دين علمي. فالقواعد والأنظمة التي ينص عليها القرآن ليست جامدة، ولقد كيفت وفقاً لما قضت به الأحوال والظروف. هذه السياسة إنما يؤيدها كثير من المسلمين عندما يستشهدون بالآية القرآنية التي مفادها أن اللّه يريد أن ييسر السبيل للناس. إن المسلم ليجد أن في ميسوره التزام أحكام دينه، وهكذا ينعم بالأمن وطمأنينة النفس.. إن هدف النصرانية الممعن في الروحية، ذلك الهدف الذي هو الانتصار على ضعف الجسد، يكاد يكون متعذر التحقيق في هذه الحياة، ولولا محبة الله إذاً لكان خليقاً بحياة المسيحي أن تكون سلسلة من ضروب الإخفاق والخيبة التي لا سبيل إلى التغلب عليها. إن في إمكان المسلم أن يبلغ مثل دينه الأعلى هنا على سطح الأرض، ولكن النصراني يتطلع إلى الاتحاد بالمسيح [عليه السلام] في المستقبل بوصفه غاية الغايات في حياته الدينية»[١].

[٤] «.. في الإسلام لم يول كل من الدين والعلم ظهره للآخر ويتخذ طريقاً معاكسة لا، وبالواقع إن الأول كان باعثاً من البواعث الرئيسية للثاني»[٢].

[٥] «العلم الإسلامي لم ينفصل عن الدين قط. والواقع أن الدين كان هو ملهمه وقوته الدافعة الرئيسية. ففي الإسلام ظهرت الفلسفة والعلم معاً إلى الوجود لا ليحلا محل ألوهية الدين (البدائية) ولكن لتفسيرها عقلياً، لإقامة الدليل عليها وتمجيدها.. إن المسلمين وفقوا، طوال خمسة قرون كاملة، إلى القيام بخطوات حاسمة في مختلف العلوم من غير أن يديروا ظهورهم للدين وحقائقه، وأنهم وجدوا في ذلك الانصهار عامل تسريع وإنجاح، لا عامل تعويق وإحباط»[٣].

لايتنز

[١] «كل مسلم قيم ومهيمن على دينه مباح له التكلم بخصوص الأمور الدينية، فليس هو رقيق للمشايخ. يعبد الله وحده، لا يحتاج إلى وسيط، وأينما كان متى أدركته أوقات الصلاة فهناك محل لعبادته، ولعلماء المسلمين الحرية التامة للاحتراف والاشتغال، ولكن أكثر علمائهم يتعاطون تعليم الدين للناس. وأي مسلم يستطيع أن

(١) نفسه، ص ٥٢.
(٢) نفسه، ص ٢٤٦.
(٣) نفسه، ص ٢٨٠-٢٨١.

يقول: (إني بتسليم نفسي لإرادة الله) نائب عن الدين الذي علمه محمد ﷺ. والحق يقال بأن كافة المسلمين في الدنيا مرشدون بهذا الهدى الاجتماعي..»[(١)].

٢ «.. الصلاة عمادها الطهارة والنظافة، ومعلوم أن النظافة من الإيمان، والوضوء والصلاة لهما أعمال دقيقة جداً، وليس بإمكان أحد القسيسين أن يقول بحق أحد النصارى بأننا نستطيع تعلمها من أي مسلم نصادفه. وأما الزكاة فيحق لها أن تدعى (الصلاة النقدية).. ولكي تكون مقبولة عند الله فمن الواجب على المزكين أن يبينوا ملكيتهم لما وهبوه شرعاً، ولا يجوز أن يكون فيه ما حرم كسبه.. وكل من يعطي فوق فريضة الزكاة فأجره على الله. والحج إلى مكة (المشرفة) مهم جداً؛ لأنه يتكون منه اجتماع المسلمين من كافة أقطار العالم ويتأتى عنه التعارف والاتحاد، وهذا شيء ليس للنصارى فيه من نصيب. وفوق هذا فإنه من أقوى العوامل والأسباب على نشر العلم والآداب.. أما الصوم فهو تمرين يعتاده الإنسان وله نفع عظيم، كما أن الطهارة والنظافة معقولان، كذلك الصوم المتمم للأحوال الصحية التي يطلبها الطبيب»[(٢)].

٣ «.. إنا نرى الأغبياء من النصارى يؤاخذون دين الإسلام كأنه هو الذي قد سنَّ الاسترقاق، مع أن محمداً ﷺ قد حث على عتق الرقاب، وهذه أسمى واسطة لإبطاله حقيقة»[(٣)].

٤ «الحق يقال: إن الامتناع عن أكل لحم الخنزير وشرب المسكر واللحم الذي لم يحسن ذبحه، وإزالة كل مضر، وغير ذلك من الأشياء التي نهى عنها الإسلام، لمن أعظم الأمور النافعة للعاملين بها، وليست لإتعابهم»[(٤)].

٥ «في المساجد ترى المساواة التامة بين المصلين، فلا يوجد فيها مقاعد خاصة بأحد، وأي أمام يمكنه أن يؤم المصلين. ولا منظر أبهج من منظر جماعة المسلمين يصلون وهم خاشعون صامتون»[(٥)].

---

(١) دين الإسلام، ص ٦.
(٢) نفسه، ص ٧ـ ٨.
(٣) نفسه، ص ٧.
(٤) نفسه، ص ٨.
(٥) نفسه، ص ٩.

كوستاف لوبون

[١] «إن الإسلام يختلف عن النصرانية في كثير من الأصول، ولا سيما في التوحيد المطلق الذي هو أصل أساسي، وذلك أن الإله الواحد الذي دعا إليه الإسلام مهيمن على كل شيء، ولا تحف به الملائكة والقديسون وغيرهم ممن يفرض تقديسه، وللإسلام وحده أن يباهي بأنه أول دين أدخل التوحيد إلى العالم. إن سهولة الإسلام العظيمة تشتق من التوحيد المحض، وفي هذه السهولة سر قوة الإسلام. والإسلام ـ وإدراكه سهل ـ خال مما نراه في الأديان الأخرى ويأباه الذوق السليم، غالباً، من المتناقضات والغوامض، ولا شيء أكثر وضوحاً وأقل غموضاً من أصول الإسلام القائلة بوجود إله واحد، وبمساواة جميع الناس أمام الله.. وأنك إذا ما اجتمعت بأي مسلم من أية طبقة، رأيته يعرف ما يجب عليه أن يعتقد، ويسرد لك أصول الإسلام في بضع كلمات بسهولة، وهو بذلك عكس النصراني الذي لا يستطيع حديثاً عن التثليث والاستحالة، وما ماثلهما من الغوامض من غير أن يكون من علماء اللاهوت..»[١].

[٢] «، الإسلام [يعد] من أشد الأديان تأثيراً في الناس، وهو مع مماثلته لأكبر الأديان في الأمر بالعدل والإحسان والصلاة.. إلخ، يعلم هذه الأمور بسهولة يستمرئها الجميع، وهو يعرف، فضلاً عن ذلك، أن يصب في النفوس إيماناً ثابتاً لا تزعزعه الشبهات»[٢].

[٣] «الإسلام من أكثر الأديان ملاءمة لاكتشافات العلم، ومن أعظمها تهذيباً للنفوس، وحملاً على العدل والإحسان والتسامح..»[٣].

[٤] «تأثير دين محمد ﷺ في النفوس أعظم من تأثير أي دين آخر، ولا تزال العروق المختلفة التي اتخذت القرآن مرشداً لها تعمل بأحكامه؛ كما كانت تفعل منذ ثلاثة عشر قرناً..»[٤].

---

(١) حضارة العرب، ص ١٢٥.
(٢) نفسه، ص ١٢٥ـ١٢٦.
(٣) نفسه، ص ١٢٦.
(٤) نفسه، ص ٤١٧.

٥ «ليس المسلمون أجانب في نظر بعضهم إلى بعض مهما اختلفت الشعوب التي ينتسبون إليها، ولا فرق في دار الإسلام بين الصيني المسلم والعربي المسلم في التمتع بجميع الحقوق، وبهذا تختلف الحقوق الإسلامية عن الحقوق الأوربية اختلافاً أساسياً»(١).

نظمي لوقا

١ «ما أرى شريعة أدعى للإنصاف، ولا أنفى للإجحاف والعصبية من شريعة تقول: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟﴾ [المائدة: ٨]، فأي إنسان بعد هذا يكرم نفسه وهو يدينها بمبدأ دون هذا المبدأ، أو يأخذها بدين أقل منه تسامياً واستقامة؟»(٢).

٢ «عقيدة [الإسلام] عقيدة واحدة بسيطة، يقطع الإيمان بها الطريق على كل حيرة وخوف، ويبعث الطمأنينة في كل نفس. وباب هذه العقيدة مفتوح لكل إنسان، ولا يصد عنها أحد بسبب جنسه أو لونه.. وهكذا يجد كل إنسان له مكاناً في ظل هذه العقيدة الإلهية على أساس من المساواة العادلة، التي لا تفاضل معها إلّا بالتقوى، تقوى الله رب (العالمين)..»(٣).

٣ «كان لا بد من عقيدة ترفع عن كاهل البشر لعنة [الخطيئة الأولى]، وتطمئنهم إلى العدالة التي لا تأخذ البريء بالمجرم، أو تزر الولد بوزر الوالد، وتجعل للبشرية كرامة مضمونة. ويحسم القرآن هذا الأمر حين يجعل المسؤولية أساس الكرامة الإنسانية، وأساس كل حرية، وكل أخلاق ممكنة. وهذا ما قطع به الإسلام ووضع به حجر الأساس لكرامة بني آدم.. والحق أنه لا يمكن أن يقدر قيمة عقيدة خالية من أعباء الخطيئة الأولى الموروثة إلّا من نشأ في ظل تلك الفكرة القاتمة؛ التي تصبغ بصبغة الخجل والتأثم كل أفعال المرء، فيمضي في حياته مضي المريب المتردد، ولا يقبل عليها إقبال الواثق بسبب ما أنقض ظهره من الوزر الموروث. إن تلك الفكرة القاسية تسمم ينابيع الحياة كلها. ورفعها عن كاهل الإنسان منة عظمى،

---

(١) نفسه، ص ٣٨٩.
(٢) محمد الرسالة والرسول، ص ٢٦.
(٣) نفسه، ص ٧٢-٧٣.

بمثابة نفخ حياة جديدة فيه، بل هو ولادة جديدة حقاً، ورد اعتبار لا شك فيه. إنه تمزيق صحيفة السوابق، ووضع زمام كل إنسان بيد نفسه..»[١].

[٤] «هكذا يكون الإنسان [في الإسلام] متكامل الجوانب، لا يشكو [فصام] الروح والجسد، ذلك الفصام الذي عانى منه الكثيرون. ولا يعرف (الفصم) إلّا من يكابده، وبهذا يكون الإنسان سيد الأرض حقاً، لا ينظر إلى طيباتها نظرة الحسير، ولا يمشي في جنباتها مشية الأسير، ولا يثقل كاهله الخزي من نوازعه، في يده زمام نفسه. وقد أحل له ما لم يرد فيه تحريم، تقر به عينه في غير حرج ولا غضاضة»[٢].

[٥] «نظام واحد يمسك الدين والدنيا، ويسلك المعاش والعبادة والمعاد، ولهذا قلما يرد ذكر الصلاة في القرآن من غير آثارها العملية.. إن الصلاة التي تتكرر في اليوم جملة مرات، لا يلهي عنها بيع ولا شراء، سبب قوي بين الإنسان والله.. ولكن أين تكون تلك الصلاة؟ هل لا بد فيها من وساطة رجال الدين؟ هنا خصوصية الإسلام.. فكل مكان في أرض الله الطاهرة يصلح مسجداً ومحراباً. لا هياكل ولا كهانة ولا وسطاء بين اللّه والإنسان بعد اليوم! ولا وصايا على ضمائر الناس! فكلهم أمام الرحمن سواء. والصلة بينهم وبين ربهم صلة مباشرة لا أمت فيها ولا التواء.. وليس من حق كائن من كان أن يتدخل بين المرء وربه، أو يدعي لنفسه القوامة على ضميره وعقيدته..»[٣].

لويس[٤]

[١] «لم تنشأ أمام محمد ﷺ وأصحابه مشكلة الاختيار بين الله وقيصر، أعني ذلك الفخّ الذي لم يقع المسيح [عليه السلام] به، وإن وقع في حبائله الكثير

---

(١) نفسه، ص ٧٦ ـ ٧٨.
(٢) نفسه، ص ٨٤.
(٣) نفسه، ص ١٤٧ ـ ١٤٩.
(٤) برنارد لويس B.Lewis
ولد عام ١٩١٦، وتخرج من جامعتي لندن وباريس، وعين معيداً للتاريخ الإسلامي في جامعة لندن (١٩٣٨)، والتحق بوزارة الخارجية (١٩١٤ـ١٩٥٤)، وعمل أستاذاً لتاريخ الشرقيين الأدنى والأوسط في جامعتي لندن (١٩٤٩)، وكاليفورنيا (١٩٥٥ـ١٩٥٦).
=

من المسيحيين. ففي الإسلام لا يوجد قيصر بل يوجد الله وحده، وكان محمد ﷺ رسوله الذي يعلم ويحكم باسمه. فكانت السلطة نفسها، الصادرة عن المصدر نفسه، تدعم الرسول ﷺ في كلا المهمتين (مهمة الدين والدولة)، وكان الوحي ذاته يقدم محتوى المهمة الأولى وأساس الثانية. وعندما توفي محمد ﷺ كانت مهمته الروحية والنبوية ـ وهي نشر رسالة الله ـ قد تمت، وبقي عمله الديني، ومعه العمل السياسي. وكان قوام هذا العمل هو نشر شريعة الله بين البشر، وذلك عن طريق توسيع عضوية وسلطة الجماعة التي تعترف بذلك القانون وتؤيده. وكان لابد من وكيل أو خَلَف للرسول ﷺ لقيادة هذه الجماعة. وتجمع الكلمة العربية (الخليفة) بين المعنيين»[1].

٢ «أصبح من التجديدات الشائعة حديثاً التمييز بين (نظام الحكم) و (النظام الديني) في الإسلام. ولكن مهما كان مدى انطباق هذا التمييز على الإمبراطورية الإسلامية اللاحقة ـ وحتى هذا كان موضع تساؤل ـ فإنه لم يكن على الإطلاق منطبقاً على صدر الإسلام. ففي عهد الخلفاء الراشدين [رضي الله عنهم] نجد أن الحكومة هي المؤسسة الدينية ولا يوجد غيرها.. والواقع أنه لم يكن يوجد في المفهوم الإسلامي مقابل حقيقي لمثل تلك الأضداد: ديني ودنيوي، روحي وزمني، كهنوتي وعلماني، وحتى المقدس والمدنس، ولم يظهر مثل هذا التضاد إلّا بعد وقت طويل جداً، حيث استحدثت كلمات جديدة للتعبير عن مفاهيم جديدة، أما في العهد الأول للإسلام فلم تكن الثنائية التي تدل عليها تلك الكلمات معروفة لذا لم يكن هنالك من كلمات للتعبير عنها. ولقد قيل إن الخليفة يجمع في آن واحد بين شخصيتي البابا والإمبراطور، على أن التشبيه مضلل، فلم تكن للخليفة وظائف بابوية أو حتى كهنوتية، ولم يكن يتلقى التعليم الرسمي لرجال الدين من العلماء. ولم يكن واجبه عرض الدين ولا تفسيره، بل كان واجبه هو دعمه وحمايته، وإيجاد الظروف التي من شأنها أن تمكن الناس من العيش حياة إسلامية صالحة في هذه

= من آثاره: (أصول الإسماعيليين والإسماعيلية) (١٩٤٠)، و (تاريخ اهتمام الإنكليز بالعلوم العربية) (١٩٤١)، و(العرب في التاريخ) (١٩٥٠)، و(الوثائق في المحفوظات التركية) (١٩٥٢). كما نشر العديد من الأبحاث في المجلات الاستشراقية المعروفة.

(١) تراث الإسلام، (تصنيف شاخت وبوزورث) ١/ ٢٣٠.

الدنيا، وبذلك يعدون أنفسهم ضمن حدود الإسلام، وأن يدافع عن هذه الحدود ضد الهجمات الخارجية. وكان من واجبه ـ ما أمكنه ذلك ـ توسيع تلك الحدود، حتى يصل العالم كله، عندما يحين الوقت، إلى اعتناق الإسلام»[١].

[٣] «رغم زوال الخلافة وتجزئة عالم الإسلام إلى عدد كبير من الكيانات السياسية المستقلة المنفصلة والمتحاربة في كثير من الأحيان، فقد بقي الشعور بالهوية والتماسك، وبأن المسلمين (أمة واحدة من دون الناس) قوياً وفعالاً..»[٢].

السن ليختنستادتر

[١] «.. إن تاريخ الحكم الإسلامي يدحض ظنون [بعض الغربيين من أن الإسلام لا يصلح لإقامة دولة تساس فيها الأمور على قواعد المصلحة الاجتماعية وحسن العشرة بين المسلمين وغير المسلمين]، وإن مفكري الإسلام في جميع العصور بحثوا قواعد الحكم والعرف من الوجهة الفلسفية وأخرجوا لأممهم مذاهب في السياسة والولاية تسمو إلى الطبقة العليا..»[٣].

ليون[٤]

[١] «إن روائع الإسلام أنه يقوم على العقل وإنه لا يطالب أتباعه أبداً بإلغاء هذه الملكة الربانية الحيوية. فهو على النقيض من الأديان الأخرى التي تصر على أتباعها أن يتقبلوا مبادئ معينة دون تفكير ولا تساؤل حر، و إنما تفرض هذه المبادئ فرضاً بسلطان الكنيسة، أما الإسلام فإنه يعشق البحث والاستفسار، ويدعو

(١) نفسه، ١/ ٢٣٢-٢٣٣.
(٢) نفسه، ١/ ٢٥٢.
(٣) الإسلام والعصر الحديث، عن العقاد: ما يقال عن الإسلام، ص ٢٣-٢٤.
(٤) البروفسور هارون مصطفى ليون P.H.M.Lyon
إنكليزي، اعتنق الإسلام عام ١٨٨٢، وكان زميلاً وعضواً فخرياً في العديد من الجمعيات الدينية في أوربة وأمريكا، وكان أستاذاً قديراً في علم اللغويات، وهو عالم جيولوجيا له مكانته، وقد تلقى العديد من الأوسمة الفخرية، أحدها من السلطان عبد الحميد الثاني ـ رحمه الله ـ.

أتباعه إلى الدراسة والتنقيب والنظر قبل الإيمان.. إن الإسلام يؤيد الحكمة القائلة: برهن على صحة كل شيء ثم تمسك بالخير. وليس هذا غريباً، إذ أن الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها. فالإسلام دين العقل والمنطق؛ لذلك نجد أن أول كلمة نزلت على النبي محمد ﷺ كلمة اقرأ، كما نجد أن شعار الإسلام هو الدعوة إلى النظر والتفكير قبل الإيمان.. فالإسلام هو الحق وسلاحه العلم، وعدوه اللدود هو الجهل..»[(١)].

٢ «.. إن كلمة الإسلام ترادف كلمة (حق) وكلمة (حقيقة)، وإنه في ظل شمس الإسلام الرائعة الإشراق، والتي تستضيء بنور العقل والمعرفة؛ يتم التوصل إلى الحق، ولكن لا بد لتحقيق ذلك من أن يستخدم الإنسان فكره ويقدح زناد عقله الذي وهبه الله إياه. [وهكذا] فإن من أهم مصادر التشريع في الإسلام: الاجتهاد الذي يعتمد على النظر والدراسة وأعمال الفكر..»[(٢)].

مارسيه[(٣)]

١ «.. إن الحج المتوجب على كل مسلم يستطيع إليه سبيلاً أن يؤديه مرة في حياته، لا يقل أهمية عن المبادلات التجارية في ترابط أبعد أجزاء العالم الإسلامي.. أما الصلاة، وهي فعل العبادة وخضوع الإنسان لخالقه، فيؤديها المؤمن خمس مرات يومياً وفي ساعات معينة بعد أن يطهر نفسه بالوضوء، متوجهاً نحو مكة المكرمة، حيث الكعبة المشرفة، مردداً الصيغ الدينية، وهو يقوم بحركات السجود والركوع المنتظمة بدقة. ويمكن تأدية الصلاة بصورة منفردة وفي أي مكان يجد المرء نفسه فيه، على أن تكون الأرض بعيدة عن كل نجاسة، على أن صلاة الجماعة هي المستحبة.. وتكون الصلاة المشتركة في المسجد، والمسجد أساساً

---

(١) رجال ونساء أسلموا، ٧/ ٦-٧.

(٢) نفسه، ٧/ ٨.

(٣) جورج مارسيه (١٩٠٥-١٩٤٦) G.Marcy

مستشرق فرنسي، كتب العديد من الدراسات والأبحاث في الشريعة واللغة، نشرها في عدد من المجلات الشهيرة مثل (المجلة الجزائرية)، و (المجلة الإفريقية)، و (حولية معهد الدراسات الشرقية)، وغيرها.

هو بيت الصلاة، ومخطط بنائه منسجم مع ممارسة العبادة، فمن أجل الصلاة يقف المسلمون جنباً إلى جنب يؤلفون جبهة عريضة، وتنتظم خلف هذا الصف صفوف أخرى بنفس النظام، ويقف الإمام الذي يؤم الصلاة في مقدمة المصلين، وقد أدار ظهره لهم ووجهته وجهة المصلين، الذين يقومون بنفس الحركات التي يقوم بها، ويرددون التلاوات نفسها، هي القبلة، أي اتجاه مكة، حيث الكعبة قطب الإسلام وبيت الله على الأرض»(١).

[٢] «.. على أية حال، يكاد لا يوجد في البلاد الإسلامية منشآت عامة أو خاصة لا تحمل طابع الدين. فلقد تغلغل الإسلام في الحياة البيتية، كما دخل حياة المجتمع، وصاغت الطبائع التي نشرها شكل البيوت والنفوس..»(٢).

[٣] «.. إن العقيدة الأساسية في الإسلام هي الوحدانية المطلقة، فلا إله إلّا الله ولقد ظهرت تعاليم الرسول محمد ﷺ كرد فعل قوي ضد تعدد الأرباب والأنصاب التي كان يقدسها العالم العربي، وضد الوثنية الإغريقية الرومانية، ولمجابهة الثالوث الذي يؤمن به المسيحيون... ليس لله شريك ولم يلد ولم يولد، لا يمكن أن يشبه بأي مظهر إنساني، ولئن كان القرآن قد حرم عبادة الأصنام بإجمال، فإن الحديث الشريف (السنّة) فصّل ذلك، وتوسع فيه.. وليس من الممكن أن ننكر أن هذا المنع احتفظ بكل قوته في تزيينات العمارة الدينية ولوازم العبادة، وإنه أثر على تطور الفن الإسلامي بأسره.. وهكذا فإن الإسلام وضع طابعه على إطار الحياة اليومية. وحتى عندما يكون الفن مطبقاً في أمور دنيوية فإن فنّ البلاد الإسلامية يبقى فناً مسلماً»(٣).

هنري ماسيه

[١] «في القرآن يظهر إبراهيم [عليه السلام] عدة مرات مع عنوان الحنيف، ويبدو أن هذه العبارة السابقة لعصر محمد ﷺ كانت تدل على أناس لا يعتنقون المسيحية ولا اليهودية، ويتطلعون بغموض إلى دين أكثر تجرداً من العقائد

(١) الفن الإسلامي، ص ١٢ـ١٣.
(٢) نفسه، ص ١٥.
(٣) نفسه، ص ١٦ـ١٧.

والمذاهب، إلى توحيد كامل.. [ولكن محمداً ﷺ] سينتهي إلى التوحيد، إلى دين أساسي وفطري ليست الأديان الأخرى سوى دلالات عليه، توحيد يبلور نهائياً أحلام الحنفاء الغامضين، بحيث يجب أن نرى بهم مبشرين بمحمد ﷺ»[(١)].

٢ «تضاعفت فجأة أهمية النصوص المقدسة؛ لأن دراستها لم تكن قضية تدين فقط بل قضية تطبيق عملي. وبدأ الفقه يتنظم ولكن بوفاق تام مع القانون السماوي..»[(٢)].

متز[(٣)]

١ «جرت العادة منذ العصر الأول للإسلام بألّا يسمى العبيد عبيداً، بل يسمى العبد فتى والأمة فتاة؛ وقد نسب هذا ـ كما نسب كثير غيره إلى أمر النبي ﷺ. وكان من التقوى وشرف النفس ألّا يضرب الرجل عبده، ويروى عن النبي ﷺ أنه قال: «شر الناس من أكل وحده ومنع رفده وضرب عبده». وهذا الشعور نبيل عبر عنه أبو الليث السمرقندي (المتوفى سنة ٣٧٨هـ ـ ٩٩٧م) بروايته هذا الحديث. وفي القرن الرابع الهجري اتخذ بعضهم من قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحُجرَات: ١٠] نقداً يوجهونه لمن يضرب عبده..»[(٤)].

٢ «كان في الإسلام مبدأ في مصلحة الرقيق، وذلك أن الواحد منهم كان يستطيع أن يشتري حريته بدفع قدر من المال، وقد كان للعبد أو الجارية الحق في أن يشتغل مستقلاً بالعمل الذي يريده.. وكذلك كان من البر والعادات المحمودة أن يوصي الإنسان قبل مماته بعتق العبيد الذين يملكهم»[(٥)].

---

(١) الإسلام، ص ٣٩ـ٤٠.
(٢) نفسه، ص ١٢٣.
(٣) آدم متز (١٨٦٩ـ١٩١٧) A.Metz
تخرج من جامعات ألمانيا، وعين أستاذاً للغات السامية، في جامعة بازل بسويسرا، وقد تخصص بالأدب العربي في العصر العباسي.
من آثاره: (أبو القاسم وتقاليد بغداد في عصره) (١٩٠٢)، (نهضة الإسلام في القرن الرابع الهجري) (١٩٢٢)، وقد ترجم إلى العربية بعنوان: (الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري).
(٤) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ١/ ٢٨٨ ـ ٢٨٩.
(٥) نفسه، ١/ ٢٩٠.

٣ «كان المسلم يستطيع أن يرتحل في داخل حدود المملكة (الإسلامية) في ظل دينه وتحت رايته، وفيها يجد الناس يعبدون الإله الواحد الذي يعبده، ويصلون كما يصلي، وكذلك يجد شريعة واحدة، و عرفاً واحداً، وعادات واحدة. وكان يوجد في هذه المملكة الإسلامية قانون عملي يضمن للمسلم حق المواطن، بحيث يكون آمناً على حريته الشخصية أن يمسها أحد، وبحيث لا يستطيع أحد أن يسترقّه على أي صورة من الصور. وقد طوف (الرحالة المعروف) ناصر خسرو في هذه البلاد كلها في القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) دون أن يلاقي من المضايقات ما كان يلاقيه الألماني الذي كان ينتقل في ألمانيا في القرن الثامن عشر للميلاد»[(١)].

فنساي مونتاي

١ «.. إذا اعتنق الإنسان الإسلام، فإنه يكون قد اختار ديناً، أعني اختار طريقاً فيه تجاوز للذات، أي أنه اتخذ لنفسه تصوراً للكون ومنهجاً للحياة، والتحق بصفة واضحة بأمة توحدها عقيدة..»[(٢)].

٢ «في الوقت الذي نرى فيه العالم المعاصر يجعل من التقنية غاية تبرر الواسطة، ويا للأسف، فإن الالتجاء إلى الإسلام يجعل المرء يرفض هذا المفهوم، ويتمسك بقيمة أسمى.. إن انتمائي للإسلام يمثل بالنسبة لي تحقيق ما في أعماق نفسي ونهاية المطاف المنطقية لوجودي..»[(٣)].

٣ «إن الإسلام لم ينادِ بالخطيئة الأولى.. وبناء عليه فإننا لا نجد في الإسلام أي شعور بالذنب في مفهومه الأنكلوسكسوني، وهو مصدر العصاب المسيحي حسب تعبير الدكتور صولينياك الطبيب الكاثوليكي. ومن جهة أخرى فإن العفة والزهد في نظر الإسلام ليسا مثلاً بعيدة المنال بالنسبة للبشر..»[(٤)].

٤ «.. تجولت في الأرض [الإسلامية] فوجدت نفس المنهج في الحياة ونفس العقيدة. وقد حق للكاتب الفرنسي لويس ماسنيون أن يسمي الإسلام

(١) نفسه، ١/ ٤.
(٢) رجال ونساء أسلموا، ٥/ ٤١.
(٣) نفسه، ٥/ ٤٦-٤٧.
(٤) نفسه، ٥/ ٥٠.

(تيوقراطية المساواة)، وكان يرى في المجتمع الإسلامي مجتمع الشجاعة والبساطة وعدم الكلفة دون إفراط في الزهد»[١].

٥ «. . . أركان الإسلام الخمسة تمثل، بالإضافة إلى الالتزام الشخصي، تضامناً في الشهادة والصلاة والصوم والزكاة والحج. .»[٢].

مونته

١ «إن الديانة الإسلامية كعقيدة توحيد، ليس فيها شيء مجهول في ديانات التوحيد الأخرى، إلّا أن ظهورها في جزيرة العرب بروح عربية عالية جعل لها طابعاً جديداً باهراً. وقد [سميت] الإسلام إشارة إلى تمام الانقياد لإرادة الله، وهي في هذه العقيدة مشابهة للمسيحية، إلّا أنها تتجلى في القرآن بقوة لا تعرفها النصرانية. . ولقد منع القرآن الذبائح البشرية، ووأد البنات والخمر والميسر، وكان لهذه الإصلاحات تأثير غير متناه في الخلق بحيث ينبغي أن يعد محمد ﷺ في صف أعاظم المحسنين للبشرية. إن حكمة الصلاة خمس مرات في اليوم هي إبقاء الإنسان من الصباح إلى المساء تحت تأثير الديانة، ليكون دائماً بعيداً عن الشر، وحكمة الصيام تعويد المؤمن غلبة شهوات الجسم وزيادة القوة الروحية في الإنسان، وحكمة الحج هي توطيد الإخاء بين المؤمنين وتمكين الوحدة العربية، فهذا هو البناء العظيم الذي وضع محمد ﷺ أساسه، وثبت، ولا يزال ثابتاً بإزاء عواصف الدهور»[٣].

٢ «لما كان الإسلام ديناً من الأديان أصبح قوة أدبية عظيمة جداً جديرة بالاحترام من وراء الغاية؛ ولذا تقضي الحال بأن تقوم الصلات مع أهله على أساس الإخاء والحب، وأهم الشروط في هذه الروابط الحسنة احترام الإسلام احتراماً مطلقاً. وإن هذا الدين بفضل ما نشره بعض الباحثين من العلماء المجردين عن الأغراض، وما وقف عليه بعض أرباب الرحلات قد أصبح معروفاً في أوربة معرفة تامة، وغدا يقدر قدره أكثر من قبل»[٤].

---

(١) نفسه، ٥/ ٥٠.
(٢) نفسه، ٥/ ٥٠.
(٣) محمد والقرآن، ص ٢٢، (عن ستودارد: حاضر العالم الإسلامي، ١/ ٢٣-٣٣).
(٤) الإسلام، (عن محمد كرد علي: الإسلام والحضارة العربية ١/ ٧٢).

ميليما[1]

[١] «.. إن الإسلام ليس فقط مجموعة من الشرائع والقوانين.. بل إن الفضائل الخلقية تأتي أولاً، وإن العلم لابد أن يؤدي إلى الإيمان»[2].

[٢] «ما هو جمال الإسلام في نظري، وما الذي شدني بالذات إلى هذا الدين؟ لقد أحببت الإسلام لأنه يؤمن بإله خالق واحد، من اليسير على كل إنسان الإيمان به. الله الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد. الله الحكيم، القوي، الجميل، الذي لاتحد إحسانه ورحمته حدود.. وهناك تلك العلاقة المباشرة بين خالق هذا الكون وبين مخلوقاته وخاصة الإنسان الذي سخر له الله كل ما في الأرض جميعاً منه، فالمؤمن ليس بحاجة إلى وسيط؛ لأن الإسلام لا يعترف بالقسس ورجال الدين، والاتصال بالله في الإسلام يعتمد على الإنسان نفسه.. وهو مسؤول عن عمله، ولا يمكن التكفير عن خطاياه بتضحية بديلة يتقدم بها إنسان آخر..»[3].

[٣] «.. المسلم مأمور أن يبحث عن الحقيقة في كل مكان، وحيثما وجدها فهو أحق الناس بها، وهو مدعو للإعراب عن تقديره واحترامه للخصائص الطيبة الخيرة في الأديان الأخرى»[4].

[٤] «.. إن مبدأ الأخوة الإسلامية الذي يضم تحت جناحه كافة البشر؛ بصرف النظر عن اللون أو الجنس أو المعتقد، هذا المبدأ هو الذي جعل الإسلام الدين الوحيد القادر على تطبيق الأخوة في حيز الواقع لا في المجال النظري فحسب، فالمسلمون في كل مكان من العالم يعرفون أنهم جميعاً أخوة في الله»[5].

[٥] «.. لقد أعجبني اهتمام الإسلام بالمادة والروح باعتبارهما قيمتين أساسيتين، فالتطور العقلي والروحي للإنسان مرتبط في الإسلام وفي الفطرة

---

(١) د. ر. ل. ميليما Dr.R.L.Mileama
رئيس القسم الإسلامي في المتحف الاستوائي بأمستردام في هولندا، وهو مؤلف عدد من الكتب الإسلامية بالهولندية، وتضلع في العديد من اللغات. انتمى للإسلام عام ١٩٥٥ خلال رحلة له إلى باكستان بعد تأمل وبحث طويلين.

(٢) رجال ونساء أسلموا، ٦/ ١٢١.

(٣) نفسه، ٦/ ١٢١.

(٤) نفسه، ٦/ ١٢٣.

(٥) نفسه، ٦/ ١٢٤.

على السواء ارتباطاً وثيقاً لا سبيل إلى فصله بحاجات الجسد، وعلى المرء أن يتصرف بطريقة تجعل المادة تحت سلطان الروح والعقل فيه.. إن أعظم العبادات في الإسلام هي ما يكون في خضم الحياة..»[١].

جواهر لال نهرو

١ «إن الإسلام هو الباعث والمفكر لليقظة العربية بما بثه من ثقة ونشاط.. [ولقد] كانت ثقة العرب وإيمانهم عظيمين. وقد أضاف الإسلام إليهما رسالة الأخوة والمساواة والعدل بين جميع المسلمين. وهكذا ولد في العالم مبدأ ديمقراطي جديد. و [أية] مقارنة بين رسالة الأخوة الإسلامية وحالة النصرانية المنحلة تجعل المرء [يدرك] مقدار سحر هذه الرسالة وتأثيرها لا على العرب وحدهم، ولكن على جميع شعوب البلدان التي وصل إليها العرب!»[٢].

٢ «.. كان للدين الذي بشر به محمد ﷺ، بما فيه من سهولة وصراحة وإخاء ومساواة، تجاوب لدى الناس في البلدان المجاورة؛ لأنهم ذاقوا الظلم على يد الملوك الأوتوقراطيين والقساوسة المستبدين. لقد تعب الناس من النظام القديم، وتاقوا إلى نظام جديد، فكان الإسلام فرصتهم الذهبية؛ لأنه أصلح الكثير من أحوالهم، ورفع عنهم كابوس الضيم والظلم»[٣].

هاريس[٤]

١ «إن المسيحية والإسلام في عالم العقيدة هما الديانتان الجديرتان بالعناية، وكل ما عداهما فهو بربرية»[٥].

---

(١) نفسه، ٦/ ١٢٤ـ١٢٥.
(٢) لمحات من تاريخ العالم، ص ٢٤، ٢٦.
(٣) نفسه، ص ٢٧.
(٤) د. ليندون هاريس L.Haris
علم من أعلام التبشير في القارة الإفريقية. مؤلف كتاب (الإسلام في إفريقية الشرقية) والذي يتناول فيه أحوال الإسلام والمسلمين في هذه المنطقة لغرض اطلاع العاملين في التبشير على حقيقة الموقف؛ للاستعداد لها بما يصلح من أساليب العمل.
(٥) الإسلام في إفريقية الشرقية، عن: العقاد: ما يقال عن الإسلام، ص ٦٥. والعبارة المذكورة اقتبسها المبشر هاريس عن الحكيم الإنكليزي الدكتور صمويل جونسون.

هاملتون[١]

[١] «لقد ظل جمال الإسلام ونقاؤه البسيط يشدني إليه دائماً منذ أن بلغت سن الرشد..»[٢].

[٢] «يعترف الإسلام بالعبقرية والنبوغ والتميز الشخصي. فهو دين بناء وعمارة لا دين تخريب. فإن كان هناك على سبيل المثال رجل يملك أرضاً وهو على جانب من الثراء، فلا يحتاج إلى فلاحة أرضه وقد تركها بواراً، فإذا انقضت مدة معينة على ذلك الحال تنتقل ملكيتها بصورة طبيعية إلى الأراضي العامة، وتنص الشريعة الإسلامية على أن ملكيتها تنتقل إلى يد أول رجل يقوم بزراعتها»[٣].

[٣] الإسلام يحظر على معتنقيه لعب الميسر والانخراط في أية صفقة من صفقات اليانصيب، كما يحرم كافة المشروبات الروحية ويمنع الربا الذي كان في حالات كثيرة سبباً في الشقاء الذي أصاب بني الإنسان، لذلك فالإسلام يحول دون أي نوع من الاستغلال الديني قد يقترفه أحد الناس ضد التعساء»[٤].

[٤] «بينما نجد أن الإسلام يهدي البشرية في حياتها العلمية اليومية، فإن ما يسمى بالنصرانية المعاصرة تعلم أتباعها بصفة غير مباشرة، وفي مجال الواقع، أن يعبدوا الله في أيام الآحاد فحسب، وأن يفترسوا عباده ومخلوقاته في بقية أيام الأسبوع»[٥].

هاو[٦]

[١] «لقد وجدت في الدين الإسلامي الإجابات الشافية [عن معضلة الروح والمادة]، فعلمت أن للجسد حقاً علينا، كما للروح تماماً. وإن الحاجات

---

(١) عبد الله أرشيبالد هاملتون A.A.Hamilton
عرف قبل إسلامه بلقب سير شارلز أدوارد أرشيبالد، اعتنق الإسلام عام ١٩٢٣، وكان سياسياً إنكليزياً معروفاً.
(٢) رجال ونساء أسلموا، ٢/ ٧٩.
(٣) نفسه، ٢/ ٨١.
(٤) نفسه، ٢/ ٨١.
(٥) نفسه، ٢/ ٨٢.
(٦) روز ماري: مريم هاو R.Mary Howe

الجسدية هي في نظر الإسلام غرائز طبيعية تستحق الإشباع، وليست أموراً شريرة مستقذرة، بل لا بد من إشباعها من أجل أن يعيش الإنسان قوياً منتجاً فعالاً، إلّا أن الإسلام قد وضع قواعد أساسية لإشباع هذه الحاجات على أسس سليمة تحقق الرضا للنفس، وتلتزم بأوامر الله. فالزواج في الإسلام مثلاً هو الطريقة الوحيدة المشروعة لإشباع الغريزة الجنسية، والصلاة والصوم والتعبد والإيمان بالله هي الأخرى وسائل لإشباع الجانب الروحي من الإنسان، وبذلك يتحقق التوازن الذي لابد منه لحياة إنسانية كريمة»[١].

٢ «. . [لقد] أردت أن أكون مسلمة بعد أن اقتنعت تماماً بالدين الإسلامي.

وأحب أن أضيف هنا أنه في ممارسة تعاليم الدين الإسلامي يكتشف الإنسان طبيعته البشرية، وشخصيته الإنسانية الحقيقية، ويعرف ذاته. إن الإسلام هو الدين الوحيد الذي قدم لي الإجابات المقنعة على أسئلتي الحائرة»[٢].

هونكه[٣]

١ «لقد أوصى محمد ﷺ كل مؤمن رجلاً كان أو امرأة بطلب العلم، وجعل ذلك واجباً دينياً. وكان يرى في تعمق أتباعه في دراسة المخلوقات وعجائبها

= صحفية إنكليزية، نشأت في عائلة نصرانية متدينة، لكنها مع بلوغها مرحلة الوعي بدأت تفقد قناعتها الدينية السابقة، وتتطلع إلى دين يمنحها الجواب المقبول. وفي عام ١٩٧٧ أعلنت إسلامها، وهي تعمل الآن في صحيفة (الأراب تايمز) اليومية الكويتية التي تصدر بالإنكليزية.

(١) رجال ونساء أسلموا، ٨/ ١٩ـ٢٠.

(٢) نفسه، ٨/ ٢٢.

(٣) د. زيغريد هونكه DrÁ Sigrid Hunke

مستشرقة ألمانية معاصرة، وهي زوجة الدكتور شولتز، المستشرق الألماني المعروف الذي تعمق في دراسة آداب العرب، والاطلاع على آثارهم ومآثرهم. وقد قضت هونكه مع زوجها عامين اثنين في مراكش، كما قامت بعدد من الزيارات للبلدان العربية دارسة فاحصة.

من آثارها: (أثر الأدب العربي في الآداب الأوربية) وهو أطروحة تقدمت بها لنيل الدكتوراه من جامعة برلين، و (الرجل والمرأة) وهو يتناول جانباً من الحضارة الإسلامية (١٩٥٥)، و(شمس الله تسطع على الغرب) الذي ترجم بعنوان: (شمس العرب تسطع على الغرب)، وهو ثمرة سنين طويلة من البحث والدراسة.

وسيلة للتعرف على قدرة الخالق. وكان يرى أن المعرفة تنير طريق الإيمان.. ويلفت أنظارهم إلى علوم كل الشعوب، فالعلم يخدم الدين، والمعرفة من الله وترجع إليه؛ لذلك فمن واجبهم أن يصلوا إليها، وينالوها أياً كان مصدرها ولو نطق بالعلم كافر. وعلى النقيض تماماً يتساءل بولس الرسول Paulus مقراً: (ألم يصف الرب المعرفة الدنيوية بالغباوة)؟ مفهومان مختلفان، بل عالمان منفصلان تماماً، حددا بهذا طريقين متناقضين للعلم والفكر في الشرق والغرب وبهذا اتسعت الهوة بين الحضارة العربية الشامخة والمعرفة السطحية المعاصرة في أوربة، حيث لا قيمة لمعرفة الدنيا كلها..»[1].

٢ «لم تلبث الديانة [الإسلامية] الفتية السائرة في طريقها بعزم وثبات، أن اصطدمت بالديانات الأخرى في كل مكان. فهنا يقف رجال المذاهب المسيحية وجهاً لوجه أمام المذاهب الإسلامية على أتم الاستعداد للمجادلة، وهنا تقسم هذه المجادلات واختلافات وجهات النظر، المسلمين أنفسهم إلى مدارس ومذاهب، وكان من الممكن أن يؤدي هذا إلى نهاية النهضة العربية الإسلامية وهي في مهدها، ولكن ما حدث كان على خلاف ذلك تماماً، فإن إكراه الإسلام للفتى على أن يجرب قواه الفكرية مع ديانات وفلسفات أخرى في محاجات فكرية وفلسفية قد أفاده أكبر إفادة، وأكسبه خبرة ومراناً»[2].

٣ «لا يعرف وسيطاً بين العبد والرب.. ولم يكن لديه طبقة من الكهنة وعلى العموم؛ فإن مجال حرية الرأي كان أوسع [مما هو عليه الحال في الديانات الأخرى..]..»[3].

٤ «.. لم تكن المساجد مجرد أماكن تؤدى فيها الصلوات فحسب، بل كانت منبراً للعلوم والمعارف، كما ارتفعت فيها كلمات الرسول ﷺ فوق مجد التدين الأعمى. ألم يقل ﷺ أقوالاً، كان يكفي أن يقولها في روما حتى يحاكم عليها بتهمة الهرطقة؟ أو ليس هو القائل بأن حبر الطالب أقدس من دم الشهيد؟»[4].

---

(١) شمس العرب تسطع على الغرب، ص ٣٦٩.
(٢) نفسه، ص ٣٧٢.
(٣) نفسه، ص ٣٧٣.
(٤) نفسه، ص ٣٩٦.

٥ «.. لم يكن المسجد تقليداً للكنيسة بالمرة، حتى لو ارتفعت سقوفه فوق عمد، كانت يوماً ما، تحمل سقف كنيسة فمفهوم المسجد يختلف عند المسلمين تمام الاختلاف منذ البداية عن مفهوم المسيحيين للكنيسة. فليس المسجد بيت الله المقدس الذي يقترب فيه المؤمن من الله عن طريق وساطة الكاهن. فمن قبيل التبرك، أصبح بناء الكنيسة يرمز حرفياً، وليس معنوياً، إلى مملكة السماء التي يحكمها المسيح [عليه السلام] وإلى البيت المقدس الذي هبط من السماء إلى الأرض. وضلت الكنيسة تحمل هذا المعنى على مر العصور.. أما المسجد فقد تحرر من تلك الأفكار، وكان هدفه بسيطاً واقعياً، فالعالم كله مسجد كبير بني لله.. ولم يفرض عليه الإسلام ضرورة الصلاة في مسجد أو معبد. وعبادته ليست مرتبطة بوجود كاهن مبارك يمثل دور الوسيط بينه وبين ربه، فكل إنسان في نظره عبد لله قادر على أن يؤم المصلين في المسجد.. فالجامع هو الذي يجمع المسلمين. وهو ليس بالمكان الخاص الذي يرتفع ببركاته وقدسيته، كالكنيسة، على بقية منازل الناس ومساكنهم. ولهذا لم يهتم المسلمون كثيراً بمظهر المساجد الخارجي. والصلاة للجميع على قدم المساواة فيقف العالم بجوار السقاء وقائد الجيش بجوار الجندي، والإمام بملابسه العادية لا يميزه شيء عن الآخرين.. فالكل سواسية كأسنان المشط، وقد كان هذا الأساس الديمقراطي للإسلام هو الذي جعل المساجد تتسع ولا ترتفع لتنتظم مزيداً من الأروقة للمؤمنين المتساوين في الحقوق والواجبات.. والمسجد لا يحاول التأثير على الفرد موضوعياً أو حسياً فهو بيت الله، و الله واحد، لا شريك له، ولم يكن له كفواً أحد»[1].

عائشة برجت هوني

١ «.. الإسلام في تصوري، وكما يراه أحد الأوربيين المسلمين كمثل نموذج هندسي بديع كامل، كل جزء من أجزائه يكمل بقية الأجزاء الأخرى، ويكمن سر جماله في انسجام هذه الأجزاء وتلاؤمها. و هذه الخاصية الإسلامية هي التي تمارس تأثيرها العميق في النفس الإنسانية. فإذا تأملنا تصور الإسلام العميق لعموم الأشياء والأهداف والدوافع والأفعال وتفسيراته للحكمة الإسلامية؛ فإن ذلك يثير

(١) نفسه، ص ٤٧٧ ـ ٤٧٩..

دهشتنا. وإذا نظرت إلى أحكام الإسلام وتفصيلاته وجدت فيها خير هاد لحياة اجتماعية نظيفة تنبثق من قيم خلقية صحيحة. فالمسلم مثلاً يذكر اسم الله في مبدأ كل عمل. ومن هنا يتم الترابط بين حياته اليومية ودينه، فتتزن الحياة، وتنسجم»[١].

هيمز[٢]

[١] «.. الحقيقة الأساسية في الإسلام هي الوحدانية، الله واحد ومحمد رسول الله، أما الشرك فقد وضع جانباً. فلا أب ولا ابن ولا فصل بين ما هو مقدس وما هو دنيوي، وما هو شرقي وما هو غربي. فهناك عالم واحد ودين واحد وإنسانية واحدة. لهذا تجد تركيزاً شديداً على أخوة الإنسان في الإسلام. وليس هذا من الأمثلة التي لم تحقق بعد، بل هو حقيقة واقعة مشهودة. ولا سبيل إلى التفرقة العنصرية في ظل هذه الأخوة، وسواء كانت بشرة الإنسان بيضاء أو صفراء أو حمراء أو برونزية أو سوداء، فليس لذلك أدنى اعتبار أو وزن..»[٣].

[٢] «.. المسؤولية الكاملة [في الإسلام] تقع على عاتق الفرد.. ودون أدنى وساطة من قسيس بينه وبين الله..»[٤].

[٣] «هذه بعض الأمور التي تجذبني إلى الإسلام: فهناك فكرة التوحيد بأن الله واحد لا يشبهه شيء، والاعتراف بالأنبياء كموسى وعيسى [عليهم السلام] الذين جاؤوا بالدين نفسه، وعدم وجود رجال الدين أو صور، وهي أمور تخلق فجوة مصطنعة بين السماء والأرض، وهناك توكيد على نظام محدد للأخلاق..»[٥].

[٤] «.. الإسلام يعلم الناس أن من واجبهم أن يجعلوا الدنيا مكاناً أفضل لحياتهم بدلاً من أن يطالبهم بهجر الدنيا، والانزواء في ركن منها، وفي عيونهم الدموع.

---

(١) رجال ونساء أسلموا، ١/ ٦٠.
(٢) ميخائيل هيمز Helmes
إنكليزي، قادته نقاط الجذب والإشعاع في الإسلام إلى انتمائه إليه بعد فترة طويلة مع انحرافات النصرانية.
(٣) رجال ونساء أسلموا، ٤/ ٥٥.
(٤) نفسه، ٤/ ٥٦.
(٥) نفسه، ٤/ ٥٦.

وهذا هو الجهاد الحق، ومعناه الحق ضد الأنانية والجهل والألم. فإذا قيل أن الإسلام ليس مجرد دين، بل هو بالإضافة إلى ذلك نظام اجتماعي وسياسي واقتصادي هذا القول ليس انتقاداً للإسلام، بل هو اعتراف بفكرة التوحيد فيه. فنحن نقرأ في القرآن الكريم أن الله حكيم عليم (له مقاليد السموات والأرض) فكيف إذاً نفصل جزءاً من الحياة عن الجزء الآخر ونقول: إن الدين يتعلق فقط بأزمنة وأمكنة»[١].

٥ «.. إن الإسلام يشدني إليه ـ كذلك ـ لأنه يقدم لنا فلسفة كاملة للحياة»[٢].

مونتكومري وات

١ «إن فكرة (الأمة) كما جاء بها الإسلام هي الفكرة البديعة التي لم يسبق إليها، ولم تزل إلى هذا الزمن ينبوعاً لكل فيض من فيوض الإيمان يدفع بالمسلمين إلى (الوحدة) في (أمة) واحدة تختفي فيها حواجز الأجناس واللغات وعصبيات النسب والسلالة. وقد تفرد الإسلام بخلق هذه الوحدة بين أتباعه، فاشتملت أمته على أقوام من العرب والفرس والهنود والصينيين والمغول والبربر والسود والبيض على تباعد الأقطار وتفاوت المصالح، ولم يخرج من حظيرة هذه الأمة أحد لينشق عليها، ويقطع الصلة بينه وبينها، بل كان المنشقون عنها يعتقدون أنهم أقرب ممن يخالفونهم إلى تعزيز وحدتها، ولم شملها، ونفي الغرباء عنها»[٣].

٢ «إن عقيدة الإسلام تزود أبناءه في كل عصر (بالصورة المحركة) التي ينظرون إليها ويترسمونها (Dynamic Image) أي الطيف أو المثال الذي يحفز السائر إلى الحركة والتقدم، ويهون عليه مشقة الطريق.. وسر هذه القوة في العقيدة الإسلامية أنها منحت الفرد مقياساً للحياة أرفع وأسلم من مقياس العصبية والمنعة، وهو مقياس الضمير المستقل عن أصحاب السيادة، وأنها ـ مع هذا الاستقلال الفردي ـ لم تترك الجماعة بغير وجهة تصمد عليها، فأبدعت لها فكرة (الأمة)، وحررت هذه الفكرة من ربقة العصبية وحدود الوراثة، فأصبح معنى (الأمة) قابلاً للتطور مع الحوادث و (الظروف)..»[٤].

(١) نفسه، ٤/ ٥٩ـ٦٠.
(٢) نفسه، ٤/ ٦٠ـ٦١.
(٣) الإسلام والجماعة المتحدة، عن: العقاد، ما يقال عن الإسلام، ص ١٨٣.
(٤) نفسه، ص ١٨٤.

واجنر[١]

١ «.. ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩]، ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ: ٢٨]، لقد تركت هذه الآيات العظيمة أثراً بالغاً في نفسي؛ لأن فيها دليلاً على ذلك الطابع العالمي الذي يتميز به الإسلام، فضلاً عما يمتاز به من النظم والتشريعات الأخرى، وبيانه الكامل لحقيقة سيدنا عيسى عليه السلام. فهل هناك أقوى وأصدق من تلك التعاليم المتحررة التي توصينا باحترام كل ما جاء به جميع الرسل والأنبياء؟ لا شك أن الدين الإسلامي هو الدين الحق والصدق والبرهان»[٢].

٢ «.. الإسلام دين العلم، ويكفي أن أول آية في القرآن أنزلت على محمد ﷺ، هي قوله تعالى: ﴿ٱقْرَأْ﴾ [العلق: ١].. وهذا اتجاه فريد يصعب وجوده في تاريخ الكنائس والأديان الأخرى. ولهذا تجدني وصلت من خلال الدراسات الإسلامية، وما قرأته في كتاب الله تعالى الذي لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلّا أحصاها، والذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وصلت إلى ما أبغيه لنفسي من الاستقرار والأمان..»[٣].

٣ «.. هل هناك أهدى من هذا الكتاب [القرآن الكريم] الذي يشمل على حل لكل مشاكل الحياة؛ بكل ما تشمل عليه من نظم دينية واجتماعية واقتصادية وسياسية؟ إن من يقف على تلك التعاليم السامية يجزم بأنها بمثابة روح الحياة ونعمتها، وأنها بعينها الحقيقة الخالدة التي لا مواربة فيها ولا التواء. ولهذا جاء اقتناعي بهذا الدين بعد الدراسة والبحث والتأمل والتفكير..»[٤].

---

(١) واجنر م. (فيصل محمد) Wagner M.(Faisal Muhammed)
شاب هولندي، أشهر إسلامه في كانون الأول من عام ١٩٥٢، بعد دراسة مستفيضة شغلت كل وقته وتفكيره. وهو دائم الاطلاع على المؤلفات الإسلامية، كما أنه يقوم بتأليف بعض الكتب التي تفند أضاليل الغربيين عن الإسلام، فضلاً عن المحاضرات التي يتحدث فيها عن مزايا الإسلام.

(٢) رجال ونساء أسلموا، ٥/٣٦.

(٣) نفسه، ٥/٣٧.

(٤) نفسه، ٥/٣٧ ـ ٣٨.

هـ. ج. ولز

١ «. . ناهض الإسلام مسيحية القرن السابع الفاسدة، وتقاليد المجوس الزرادشتية المنحلة. . فلا مجال لإنكار أن الإسلام يتميز بصفات كثيرة نبيلة»(١).

٢ «هذا الإلحاح على الرفق والرعاية في الحياة اليومية؛ إنما هو واحد من فضائل الإسلام الكبرى، بيد أنه ليس الفضيلة الوحيدة فيه. ويعادل هذا في الأهمية التوحيد الذي لا هوادة فيه، والذي يتجرد من كل اعتزال يهودي، وهو توحيد يدعمه القرآن الكريم. وكان الإسلام منذ البداية قوي المقاومة إلى حدّ بعيد لعمليات الصقل والتفاخر اللاهوتية التي أربكت المسيحية، وفرقت كلمتها، وقضت على روح عيسى [عليه السلام] وكان مصدر قوته الثالث في وصفه الدقيق لطرائق الصلاة والعبادة، وبيانه الصريح عن المغزى المحدود العرفي للأهمية المنسوبة إلى مكة. وأقفل دون المؤمنين باب كل قربان، ولم يترك سم خياط مفتوحاً ينفذ منه كاهن القربان في الغفران القديم إلى مسرح العقيدة الجديدة. . ولا يزال للإسلام حتى يومنا هذا فقهاء ومعلمون ووعاظ، ولكن ليس له كهنة ولا قساوسة»(٢).

٣ «كان [الإسلام] مليئاً بروح الرفق والسماحة والأخوة، وكان عقيدة سهلة يسيرة الفهم. . وقد وقفت ضده اليهودية وهي التي اتخذت من الرب كنزاً تكتنزه بيمينها، ثم المسيحية، وهي تتكلم وتبشر آنذاك وبلا نهاية بالتثليث والمبادئ والهرطقيات؛ التي لم يكن ليستطيع أي رجل عادي أن يميز فيها الرأس من الذنب، كما حاربته المزدكية نحلة المجوس الزرادشتيين الذين أوحوا بصلب ماني. ولم تكن كتلة الناس الذين جاءتهم دعوة الإسلام وتحديه، يهتمون إلّا بشيء واحد هو أن ذلك الرب (الله) [سبحانه]، الذي كان يبشر به الرسول ﷺ، كان بشهادة الضمير المنطوية عليه قلوبهم، رب صلاح وبرّ، وأن القبول الشريف لمبادئه وطريقته يفتح الباب على مصراعيه ـ في عالم تقلقل وخيانة وانقسامات لا تسامح فيها ـ على أخوة عظيمة متزايدة من رجال جديرين بالثقة في الأرض. . وقد أوصل محمد ﷺ مبادئه

(١) معالم تاريخ الإنسانية، ٣/ ٦٤٠.
(٢) نفسه، ٣/ ٦٤٢.

الجذابة إلى سويداء قلوب البشرية، دون أي رمزية مبهمة، ودون أي تعتيم للهياكل، ولا ترتيل للقسوس»[١].

٤ «يحتوي الإسلام.. الشيء الكثير من القوة والإلهام. فمن خصائصه التوحيد الذي لا هوادة فيه، وإيمانه البسيط المتحمس بحكم الله للناس.. وخلوه من التعقيدات اللاهوتية. من خصائصه كذلك أنه منفصل تمام الانفصال عن كاهن القرابين ومعبدها، وهو بمأمن حصين من كل انزلاق نحو القرابين الدموية. القرآن حين يذكر طبيعة الحج إلى مكة بصورة محددة واضحة الشعائر، إنما يجعلها بمأمن من كل احتمال للنزاع في شأنها. كما أن النبي ﷺ اتخذ كل احتياط ليحول دون تأليهه بعد مماته. وثمة عنصر ثالث للقوة يكمن في إصرار الإسلام على أن المؤمنين جميعاً متساوون تماماً أمام الله، مهما اختلفت ألوانهم أو أصولهم أو مراكزهم. هذه هي الأمور التي جعلت الإسلام قوة فعالة في الشؤون الإنسانية»[٢].

وليامز[٣]

١ «إن هذه التقاليد [الإسلامية] تشمل مبادئ المساواة بين الأرواح الإنسانية أمام الله، وتقرير أواصر الأخوة العالمية بين جميع المؤمنين بغير نظر إلى العنصر أو اللون، كما تقرر فريضة الدفاع عن الضعيف وحمايته ممن يجورون عليه، وإغاثة المعوزين والمحرومين، وبذل الحياة نفسها في سبيل الصراط المستقيم..»[٤].

٢ «.. إن النظريات [الإسلامية] لا تعارض نظاماً من الأنظمة الدستورية في الأمم الديمقراطية، على اختلاف هذه الأنظمة في أساليب الإدارة، وتوزيع

(١) نفسه، ٣/ ٦٤٢.
(٢) موجز تاريخ العالم، ص ٢٠٢.
(٣) البروفيسور رشبورك وليامز Rushboork Williams
صاحب الدراسات الواسعة في شؤون الشرق الأوسط وشؤون الهند والباكستان. من مؤلفاته (دولة الباكستان).
(٤) دولة الباكستان، عن العقاد: ما يقال عن الإسلام، ص ١٣٧.

السلطة على طريقة الجمهوريات الرئاسية أو النيابية، وأن الحاكم لا يملك أن يستأثر بالسلطة على أي وجه من الوجوه مستنداً إلى نصوص القرآن»(١).

وود(٢)

١ «.. إن الإسلام يحتم على سائر الحكام أن يفعلوا كل ما يدعو إلى حسن توزيع العدل والإنصاف في الحكم، والتجرد من شوائب الأغراض والحظوظ الشخصية، وفي الحديث النبوي ما يدل على أن في التحلي بهذه النعوت فخر الدين، ورسوخ الملك، وحفظ أمان الأمة.. وهذا شيء معروف وراسخ في الإسلام. وهذه سيرة الخلفاء الراشدين أبي بكر وعمر وعثمان وعلي [رضي الله عنهم] فإن زهدهم بالدنيا وإعراضهم عن إعراضها؛ دليل على أن العمل بالشرع الإسلامي يأتي بالنتائج الحسنة»(٣).

يول(٤)

١ «إن بساطة الإسلام والتأثير القوي للمساجد، وجدية المؤمنين المتمسكين به، هذه العوامل هي التي جذبت انتباهي منذ البداية. إلّا أنني عندما عزمت على الدخول في هذا الدين واتباع تعاليمه وجدت أسباباً أكثر عمقاً مما أكد عزمي وشدّ من أزري. فالنظرة الواقعية إلى الحياة، والمشورة الصادقة، والدعوة إلى الإحسان والرحمة والنزعة الإنسانية الخيرة العريقة ـ هذه وغيرها من العوامل كانت بالنسبة لي أعظم دليل على صدق هذا الدين..»(٥).

---

(١) نفسه، ص ١٣٧.

(٢) السر ريتشارد وودR.Wood
قائد عسكري، ورجل دبلوماسي بريطاني، عمل قنصلاً لدولته في دمشق في ستينيات القرن الماضي، ثم نقل إلى تونس لكي يكون وكيل بلاده السياسي هناك، كانت له صلات عديدة بعلماء المسلمين وشيوخهم.

(٣) الإسلام والإصلاح، ص ١٥ ـ ١٦، ١٦ـ١٧.

(٤) علي يول Ali Yol
شاب دانمركي، تعرف على الإسلام عام ١٩٧٣ خلال إحدى رحلاته إلى المغرب، وبعد عدد من اللقاءات مع بعض المسلمين هناك عبر أكثر من رحلة أعلن انتماءه للإسلام، وهو الآن يعيش في كوبنهاكن العاصمة.

(٥) رجال ونساء أسلموا، ٤/ ١٢٧.

٢ «جاءنا النبي محمد ﷺ بنظام ديني يصلح للتطبيق في الحياة العادية، ولم يقدم لنا عقيدة عمياء تحميها قوة غيبية بالرغم من إهمالنا الذاتي، فالثقة في الإسلام عبارة عن ثقة في أننا إذا فعلنا كل شيء على أحسن وجه ممكن؛ عندها يمكننا أن نثق فيما تأتي به الإرادة الإلهية»(١).

٣ «.. إن التسامح الواسع الأفق الذي يتسم به الإسلام في معاملته الأديان الأخرى يجعله محبباً لدى جميع من يحبون الحرية.. وهذا موقف كريم بكل تأكيد حقق سبقاً كبيراً على موقف الأديان الأخرى. كما أن تحرر الإسلام الكامل، وخلوه من عبادة الأوثان يعتبر علامة واضحة على قوة العقيدة الإسلامية ونقائها التام»(٢).

٤ «إن الاعتدال والتوسط في كل شيء هما الفكرة الأساسية للإسلام»(٣).

٥ «.. عندما وقفت في المساجد الرائعة في إسطنبول، دمشق، القدس، القاهرة، الجزائر، طنجة وفارس وغيرها من المدن؛ أحسست بشعور قوي بمدى الرفعة التي يحققها الإسلام للبشر دون الاستعانة بأي زخارف أو صور أو تماثيل أو موسيقا أو مراسم وتراتيل. فالمسجد عبارة عن مكان للتأمل الهادئ، وإنكار الذات أمام الحقيقة الأولى وهي الله الواحد.. والمسلم لا يقبل وساطة أي إنسان بينه وبين ربه مهما كان ذلك الإنسان»(٤).

يونغ(٥)

١ «.. إن الإسلام قد أسهم بصفة فعالة في تقدم الجماعة الإنسانية، وقد استبدل بالنظام القبلي الذي ورثه - والذي يقوم على رابطة الدم - نظام

---

(١) نفسه، ٤/١٢٧.
(٢) نفسه، ٤/١٢٧-١٢٨.
(٣) نفسه، ٤/١٢٧.
(٤) نفسه، ٤/١٢٨.
(٥) كويلر يونغ Prof.T.Guyler Young
أستاذ العلاقات الخارجية بجامعة برنستون، ورئيس قسم اللغات والآداب الشرقية بها، وكان مساعد أستاذ اللغات السامية بجامعة تورنتو. من أهم مؤلفاته: Near Eastern Culture and Society, 1951.

الجماعة المشتركة في العقيدة، والتي يقوم ترابطها الاجتماعي على أساس من الأخوة والمساواة..»[١].

٢ «إن النظرية القانونية الإسلامية، وما عليه جرى العمل في صدر الإسلام يستمد قاعدة الوحدة والنظام من الله لا من (المدينة) ولا من الدولة. والمسلم إلى اليوم يحسّ إحساساً واضحاً بحكم الله في الحياة اليومية..»[٢].

٣ «.. الإسلام يختلف عن المسيحية الرومانية في أنه لا يتخذ لنفسه نظم الكنيسة والقسيسين والقرابين. ولقد تبدو البروتستانتية الخالصة ديناً كهنوتياً إذا وازناها بالإسلام؛ الذي يحرص على التوحيد الخالص، والذي لا يحتمل أي تدخل بين الإنسان وخالقه»[٣].

٤ «.. إن المسلم [يملك] المقدرة على استعمال طريقة التجربة في كل الأوضاع الممكنة لنموذج ما، ليأخذ من الحياة أقصى ما تستطيع أن تعطيه..»[٤].

يونغ[٥]

١ «لقد كان ظهور الإسلام في الجزيرة العربية خيراً عظيماً، ساقه الله إلى العرب قاطبة، ولكنه لم يشكل انفصالاً عن ماضي هذه الجزيرة. لقد غير في ثقافة معاصريه بشكل فوري، ولكنه لم يطمس تماماً تلك الثقافة»[٦].

٢ «فجر الإسلام في العرب طاقات حماس كامنة، وجدت متنفسها في إقامة إحدى الإمبراطوريات العظمى في العالم»[٧].

---

(١) الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة، ٢٤٢-٢٤٣.
(٢) نفسه، ص ٢٤٣.
(٣) نفسه، ص ٢٤٣.
(٤) نفسه، ص ٢٥٧.
(٥) د. لويس يونغ DrÁ Lewis Young
باحث إنكليزي، معاصر، وأستاذ جامعي، له العديد من المؤلفات والأبحاث، أبرزها كتاب: (العرب وأوربة).
(٦) العرب وأوربة، ص ٢٩-٣٠.
(٧) نفسه، ص ٣٢.

[٣] «بدأ القانون كتطبيق عملي للدين وللعلاقات الاجتماعية التي سنها النبي محمد ﷺ، وهي لا تفرق بين موضوعي الدين والدنيا، ودراسة القانون عند المسلمين تعرف بالفقه (حرفياً: الفهم). وتعتمد هذه الدراسة أساساً على القرآن، ثم الحديث (كلام النبي محمد ﷺ وأفعاله) ويصف السير هاملتون جب[1] بنيان هذا القانون بأنه (أحد الأبحاث الفذة للفكر البشري)..»[2].

(١) Mohammedanism, P.90 (London, 1953).

(٢) العرب وأوربة، ص ٣٧ ـ ٣٨.

الفصل الرابع

انتشار الإسلام
ومعاملة غير المسلمين

«كان المثل الأعلى الذي يهدف إلى أخوة المؤمنين كافة في الإسلام، من العوامل القوية التي جذبت الناس بقوة نحو هذه العقيدة»

المؤرخ البريطاني توماس أرنولد

سير توماس أرنولد

١ «إن الذي دفع المسلمين إلى أن يحملوا رسالة الإسلام معهم إلى شعوب البلاد التي دخلوها، وجعلهم ينشدون لدينهم بحق مكاناً بين ما نسميه أديان الرسالة لهي حماسة من ذلك النوع، من أجل صدق عقيدتهم. وليس موضوع هذا الكتاب: (الدعوة إلى الإسلام)، إلّا صورة من تاريخ ظهور هذه الحماسة في تبليغ الدعوة ودواعي وألوان نشاطها. وإن انتشار مئتي مليون من المسلمين في الوقت الحاضر[١] لهو الشاهد على ما كان لهذه الحماسة من أثر خلال الثلاثة عشر قرناً التي تلت ظهور الإسلام»[٢].

٢ «يرجع انتشار هذا الدين في تلك الرقعة الفسيحة من الأرض إلى أسباب شتى: اجتماعية وسياسية ودينية، على أن هنالك عاملاً من أقوى العوامل الفعالة التي أدت إلى هذه النتيجة العظيمة، تلك هي الأعمال المطردة التي قام بها دعاة من المسلمين وقفوا حياتهم على الدعوة إلى الإسلام، متخذين من هدى الرسول ﷺ مثلاً أعلى وقدوة صالحة»[٣].

٣ «.. إن ما أحرزته سيوف المسلمين من نجاح واسع النطاق، منقطع النظير، قد زعزع عقيدة الشعوب المسيحية التي أصبحت تحت حكمهم، ورأت أن هذه الفتوح قد تمت بعون من الله، وأن المسلمين قد جمعوا بين النعيم في الدنيا وبين التوفيق الإلهي، وأن [الله] لم يجعل النصر إلّا في أيدي عباده المختارين. وهكذا ظهر نجاح المسلمين دليلاً على صدق دينهم»[٤].

٤ «كان المثل الأعلى الذي يهدف إلى أخوة المؤمنين كافة في الإسلام؛ من العوامل القوية التي جذبت الناس بقوة نحو هذه العقيدة..»[٥].

(١) كان ذلك زمن تأليف توماس أرنولد لكتابه (الدعوة إلى الإسلام) في أواخر القرن الماضي، أما الآن فقد زاد هذا العدد إلى خمسة أضعافه.
(٢) الدعوة إلى الإسلام، ص ٢٥.
(٣) نفسه، ص ٢٧.
(٤) نفسه، ص ٩٤.
(٥) نفسه، ص ٩٤.

[٥] «.. لم نسمع عن أية محاولة مدبرة لإرغام الطوائف من غير المسلمين على قبول الإسلام، أو عن أي اضطهاد منظم قصد منه استئصال الدين المسيحي. ولو اختار الخلفاء تنفيذ إحدى الخطتين لاكتسحوا المسيحيين بتلك السهولة التي أقصى بها فرديناند وإيزابلا دين الإسلام من إسبانيا، أو التي جعل بها لويس الرابع عشر المذهب البروتستانتي مذهباً يعاقب عليه متبعوه في فرنسا، أو بتلك السهولة التي ظل بها اليهود مبعدين عن إنكلترا مدة خمسين وثلاثمئة سنة. وكانت الكنائس الشرقية في آسيا قد انعزلت انعزالاً تاماً عن سائر العالم المسيحي؛ الذي لم يوجد في جميع أنحائه أحد يقف إلى جانبهم باعتبارهم طوائف خارجة عن الدين. ولهذا فإن مجرد بقاء هذه الكنائس حتى الآن ليحمل في طياته الدليل القوي على ما قامت عليه سياسة الحكومات الإسلامية بوجه عام من تسامح نحوهم»[١].

الدوميلي[٢]

[١] «في عصر الانحطاط العميق بالبلدان التي كانت من قبل تعد قسماً من إمبراطورية دقلديانوس القديمة، نهض فجأة في قلب الصحاري العربية خصم من ألد خصوم تلك الإمبراطورية العجوز المترنحة، كما هو من ألد خصوم الممالك الجديدة التي كانت ناشئة في الغرب. وظل هذا الخصم يزداد عظمة في مرأى العين، كما لو كانت عناية الله الدائمة هي التي تقود عساكره المخلصين إلى الجهاد والنصر المبين، حتى تلا فتح سورية ومصر بعد قليل تقوض إمبراطورية الساسانيين، وأصبح خلاف قسطنطين - الذين اقتطعت منهم فعلاً أقاليم كثيرة - مهددين بمثل ذلك المصير»[٣].

---

(١) نفسه، ص ٩٨ - ٩٩.

(٢) الدوميلي A.Miell

مستشرق فرنسي، تفرغ لتاريخ العلوم. تولى وكالة المجمع الدولي لتاريخ العلوم وأسس مجلة (أركيون) التي تسجل نشاطه.

من آثاره: (تاريخ العلوم) (باريس ١٩٣٥)، (العلم العربي وأثره في التطوير العلمي العالمي) (١٩٣٨)، (علم الفلك في العالم الإسلامي)(١٩٤١)، (علم النبات عند العرب)(١٩٤١)، (علم الجغرافيين العرب) (١٩٤١)، (العلم الإسلامي) (١٩٤٢)، (الرياضيات العربية) (١٩٤٢)، (التشريح العربي)(١٩٤٢) وغيرها.

(٣) العلم عند العرب، ص ٧٤.

٢ «.. باعث من تلك الدوافع القوية التي تشمل أحياناً جميع الناس، وتكاد تبدو متعذرة الفهم للمراقب الخارج عن دائرتها، أو الذي لم يشهد مثلها من قبل، فاض أولئك العرب.. من شبه الجزيرة، التي هي موطنهم الأول، فأسسوا الإسلام أو أقاموا سلطان الإسلام على قسم عظيم من العالم المتحضر القديم، تحدوهم رغبة جدّ عنيفة في الدعوة الدينية»[١].

٣ «.. إن السكان الساميين في سورية ومصر؛ الذين قاسوا كل صنوف الضغط والهول ـ على الأخص بسبب الضرائب ـ من قبل الحكومات الأجنبية التابعة للدولة البيزنطية، أو المملكة الساسانية، لم يستطيعوا أن يروا في العرب إلّا محررين مخلصين، كما أن المسيحيين القائلين بوحدة الطبيعية (طبيعة المسيح) [عليه السلام] في الشرق استطاعوا أن يعتمدوا على التسامح الإسلامي، بعد أن كانوا يخشون الاضطهاد من قبل نصارى القسطنطينية..»[٢].

٤ «.. كانت شروط الفتح الإسلامي تسمح ببقاء بذور الحضارات [القديمة] عند طوائف كبيرة من الأهالي؛ الذين واصلوا التمتع بعاداتهم، وقوانينهم، ولغاتهم، على شريطة أن يعطوا بانتظام قيم الجزية المفروضة على من لا يدخل في جماعة المسلمين. وكان طبيعياً مع ذلك أن تتأسس الروابط والعلاقات بين الفاتحين وأهل البلاد في وقت مبكر، سواء أكان ذلك بسبب الجوار، أم بسبب اعتناق الأهالي كثيراً أو قليلاً للإسلام بوجه خاص.. »[٣].

٥ «التسامح العظيم الذي تحلى به الخلفاء الأمويون، وملوك الطوائف لم يمتد لواؤه على ما حكموه من شعوب، أو على المسلمين القادمين من إفريقية والمشرق فحسب، بل انبسط ظله أيضاً على العلماء المسيحيين الذين أقبلوا مهطعين من أبعد الأقطار لتلقي العلوم في المدن المزدهرة التي لا تحصى، في ذلك القطر الساحر [الأندلس] الأخذ بمجامع الألباب»[٤].

---

(١) نفسه، ص ٧٥.
(٢) نفسه، ص ٨١.
(٣) نفسه، ص ١٢٣.
(٤) نفسه، ص ٤٥٤.

أندرسن[١]

(١) «لقد تكررت ملاحظة الآثار العميقة التي أحدثها مجيء الإسلام في حياة الزنوج في أفريقية وفي ثقافتهم. وهكذا يذهب (ميك) إلى حد القول: أنه (يعني الإسلام) لم يؤدّ إلى تغييرات عميقة في التركيب الجنسي لهذه الشعوب فحسب، وإنما أتى معه بحضارة جديدة، أعطت الأجناس الزنجية المولدة الطابع الثقافي المميز الذي يحملونه اليوم، ومازال مسيطراً على حياتهم السياسية ومؤسساتهم الاجتماعية.. إن الإسلام جاء بالحضارة إلى القبائل البربرية (الهمجية)، وحول جماعات منفصلة من الوثنيين إلى أمم أنه جعل الخطوة مع العالم الخارجي ممكنة، أنه وسع النظر، ورفع مستوى المعيشة بإنشائه جواً اجتماعياً راقياً، وأسبغ على أتباعه الوقار، واحترام النفس، واحترام الناس. إن الإسلام أدخل فن القراءة والكتابة، وبفضله تم تحريم تعاطي المسكرات.. والثأر والعادات البربرية الأخرى، وجعل من الزنجي السوداني مواطناً عالمياً»[٢].

(٢) «هناك مدارس في كل بلدة مسلمة [في نيجيريا الشمالية] يقوم بها المعلمون (المالام) خاصة فيرسل الو الدون أطفالهم في سن مبكرة جداً.. وفي المراكز الكبرى يحضر الأطفال إلى الصف ساعة في الصباح وساعة في المساء والإناث يتلقين التعليم أيضاً..»[٣].

بارتولد[٤]

(١) «كانت في بلاد الخلافة الممتدة من رأس سان فتسنت الواقعة جنوبي البرتغال إلى سمرقند مؤسسات مسيحية غنية، قد حافظت على أملاكها غير المنقولة

---

(١) س. ن. د. أندرسن S.N.D.Anderson
مستشرق بريطاني. من آثاره: (الشرع والفقه الإسلامي)، صحيفة القانون المقارن، (١٩٤٩)، و (جريمة القتل في الإسلام، ١٩٥١) وغيرها.

(٢) الوحدة والتنوع في الحضارة الإسلامية (تحرير كرونباوم)، ص ٤٠٥ـ٤٠٦ عن:
C.K.Meek : The Nothern Tribes of Nigeria 1/1, 4, 5 (London, 1925)

(٣) نفسه، ص ٤٠٧ ـ ٤٠٨، عن المرجع السابق ٨/٢.

(٤) ف بارتولد (١٨٦٩ـ١٩٣٠) V. Barothold

الموقوفة عليها. وكان نصارى بلاد الخلافة يتعاملون مع عالم النصرانية بدون مشقة، ويتمكنون من أن يتلقوا منهم إعانات لمؤسساتهم الدينية. وكان في المؤتمر الديني الذي انعقد في القسطنطينية سنة ٦٨٠ـ٦٨١م مندوب من القدس أيضاً. ثم إن المسيحيين المقيمين ببلاد الخلافة كانوا مرتبطين بعضهم ببعض ارتباطاً وثيقاً..»[(١)].

٢ «انتشر الدين الإسلامي في القرن الرابع للهجرة في قبائل الترك الرحل، وفي بعض مدن التركستان الصينية بواسطة التجارة، وبدون استخدام أي سلاح، فكان الأتراك الذين استولوا على البلاد الإسلامية في القرن الرابع الهجري مسلمين»[(٢)].

بروفنسال[(٣)]

١ «إن الهدف الذي نبتغيه هو إلقاء الضوء على تداخل Interpenetration الإسلام والمسيحية في شبه الجزيرة الأيبيرية، وهو تداخل حقيقي مستمر في

= تخرج من جامعة بطرسبرغ (١٨٩١)، وعين أستاذاً لتاريخ الشرق الإسلامي فيها (١٩٠١)، فكان أول من درس تاريخ آسيا الوسطى. وعني بالشرق الإسلامي، وحقق المصادر العربية المتعلقة به، وتخرج عليه عدد من المستشرقين. وقد انتخب عضواً في مجمع العلوم الروسي (١٩١٢) ورئيساً دائماً للجنة المستشرقين فيه بعد الثورة البلشفية حتى وفاته.

تربو آثاره على الأربعمئة، أشهرها: (تركستان عند غزو المغول لها) في مجلدين (١٨٩٨ - ١٩٠٩)، (تاريخ دراسة الشرق في أوربة وآسيا) (١٩١١)، (حضارة الإسلام)(١٩١٨)، (تاريخ تركستان)(١٩٢٢)، (مغول الهند)(١٩٢٨)، (تاريخ أتراك آسيا الوسطى)(١٩٣٤). وغيرها.

(١) تاريخ الحضارة الإسلامية، ص ٥٤.

(٢) نفسه، ص ١٢٢.

(٣) ليفي برفنسال(١٨٩٤ـ١٩٥٦)E.Levi-Provencal

(٤) ولد في الجزائر، ونال الليسانس من كلية الآداب فيها (١٩١٣) واشترك في الحرب. وفي سنة ١٩١٩ انتدب للعمل في معهد الدراسات العليا المغربية في الرباط، وعين أستاذاً فيه (١٩٢٠)، ثم مديراً له (١٩٢٦ـ١٩٣٥) وفي تلك الأثناء قدم رسالة دكتوراه. وفي سنة ١٩٢٨ انتدبته كلية الآداب بالجزائر أستاذاً لتاريخ العرب والحضارة الإسلامية. كما كان يحاضر في السوربون. وتقلب في الوظائف العلمية والإدارية والسياسية، وشارك في الحرب الثانية، وأنشأ مجلة أرابيكا Arabica للدراسات العربية ١٩٥٤. وقد عد المرجع الأول في الغرب لتاريخ الأندلس، وانتخب عضواً في عدد من المجامع العلمية.

=

إسبانيا في العصور الوسيطة سواء في داخل الحدود الإسلامية أم في خارجها. وكذلك هو في أن نظهر الأندلس، على أنها لم تكن حتى في ذات الوقت الذي تعرف بأنها لا تقهر، لتمتشق الحسام في وجه جيرانها، وإنما كانت هناك سنوات طويلة لهدنات حقيقية أعطت الأندلس خلالها أكثر مما أخذت، كما برهنت في أغلب الأحيان على عقل متسامح إزاء رعاياها المسيحيين لم يعد أحد يماري فيه اليوم»[١].

[٢] «ما من مكان كانت العلاقات الدائمة ضرورية فيه بين الإسلام والمسيحية. أكثر منها في إسبانيا العربية، فإن معظم سكانها قد احتفظوا، على الأقل في القرن الأول من حكم الإسلام، بالديانة القديمة في دولة الفيزيقوت [القوط الغربيون]، وفيما بعد، حتى عقب اعتناق أعداد غفيرة من الرعايا النصارى أهل الذمة للإسلام، للاستفادة من نظام مالي أفضل بقيت نسبة ضخمة من الرعايا المسيحيين تشكل في المدن الأندلسية وحدات مزدهرة، لها كنائسها وأديرتها ورئيسها المسؤول (Depensar) وجابيها الخاص (Censor) وقاضيها الذي يطبق في محكمته، تحت إشراف الإدارة الأموية، القانون القوطي القديم من Liber Judicum أما الاضطهادات التي عانتها، فقد كان يسببها دوماً مسيحيون متهوسون يرفضون أن يتراجعوا عن القدح في معتقد سادة البلاد. وكان أمراء الأندلس وخلفاؤها يقرون بصورة دائمة تقريباً اختيار أصحاب الرتب الكهنوتية: مطران طليطلة، وأسقف قرطبة. حتى إنهم كانوا يستعملون هؤلاء الأحبار في سفارات، أو مهمات سياسية سرية في الوقت المناسب. فلم تكن رؤية الإيكليريكيين الإسبان يتضلعون في معرفة اللغة العربية وآدابها من الأمور النادرة مطلقاً. وهذا ما يجعلنا نفترض وجود اختلاط ودّي، واثق ومتصل بين مختلف عناصر السكان. بل نملك على هذه الناحية شهادة معاصرة لا نستطيع الارتياب في قيمتها، ذلك لأنها صادرة عن واحد من أنشط أبطال المقاومة ضد الإسلام في شبه الجزيرة في القرن التاسع

= كتب المئات من الأبحاث والدراسات، نشر بعضها في مصنفات مستقلة، ونشر بعضها الآخر في أشهر المجلات والحوليات الاستشراقية، وانصبّ معظمها على تاريخ وحضارة المغرب والأندلس.

(١) حضارة العرب في الأندلس، ص ٧٠ـ٧١.

إلّا وهو الفارو القرطبي Le Cardouan Alvaro فبينما يحزن لفتور مسيحيّي إسبانيا، وجهلهم باللاتينية، نراه يمجد بفصاحة نادرة الثقافة الإسلامية الإسبانية التي كانت في طور التكوين..»[1].

إدوارد بروي

١ «بين أوربة الغربية الآخذة مدنيتها بالقهقرى، وبين العالم الآسيوي الذي لم يستجمع بعد نشاطه، ويسترجع عافيته.. ظهر الإسلام كالشهاب الساطع، فحير بفتوحاته السريعة القاصمة، وباتساع رقعة الإمبراطورية الجديدة التي أنشأتاها نحن أمام شعب كان للأمس الغابر مجهول الاسم مغمور الذكر، فإذا به يتحد ويتضام في بوتقة الإسلام، هذا الدين الجديد الذي انطلق من الجزيرة العربية اكتسحت جيوشه ببضع سنوات، الدولة الساسانية، وهدت منها الأركان، ورفرفت بنوده فوق الولايات التابعة للإمبراطورية البيزنطية في آسيا وإفريقية، ولم تلبث جيوشه أن استولت بعد قليل، على معظم إسبانيا وصقلية، وأن تقتطع لأمد من الزمن، يقصر أو يطول، بعض المقاطعات الواقعة في غربي أوربة وجنوبها. ودقت جيوشه بعنف شديد أبواب الهند والصين والحبشة والسودان الغربي، وهددت فرنسا والقسطنطينية.. وقد تهاوت الدول أمام الدفع العربي الإسلامي كالأكرم، وتدحرجت التيجان عن رؤوس الملوك كحبات سبحة انفرط عقدها التنظيم، وذابت الأديان التي سيطرت على الشعوب والأقوام؛ كما يذوب الشمع أمام النار بعد أن أطلّ على الدنيا دين جديد»[2].

٢ «قلما عرف التاريخ والحق يقال فتوحات كان لها، في المدى القريب، على الأهلين، مثل هذا النزر الصغير من الاضطراب يحدثه الفتح العربي لهذه الأقطار فمن لم يكن عربياً من الأهلين لم يشعر بأي اضطهاد قط. فاليهود والنصارى الذين هم أيضاً من أهل الكتاب، حق لهم أن يتمتعوا بالتساهل وأن لا يضاموا. وكان لا بدّ من الوقوف هذا الموقف نفسه من الزرادشتية والبوذية

(١) نفسه، ص ٧١-٧٢.
(٢) تاريخ الحضارة العام، ٣/١٠٩.

والصابئة. . وغيرها من الملل والنحل الأخرى. والمطلوب من هؤلاء السكان أن يظهروا الولاء للإسلام، ويعترفوا بسيادته وسلطانه، وأن يؤدوا له الرسوم المترتبة على أهل الذمة تأديتها. وفي نطاق هذه التحفظات التي لم تكن لتؤثر كثيراً على الحياة العادية، تمتع الذميون بكافة حرياتهم. .»[١].

٣ «انتظمت العلاقات بين الدولة وسكان البلاد الأصليين بسهولة كلية وفقاً لروح القانون المعمول به في البلاد. . وبقيت كل ملة أو طائفة محتفظة بقانونها الخاص، وبالموظفين الذين يسهرون على الشؤون الدينية عندها باستثناء ما كان منها تابعاً للحق العام. . ونلاحظ تطوراً ملحوظاً يطرأ على وضع النصارى بعد أن احتفظت بيعهم بجانب من ممارسة العدالة في الأمور الخاصة. . وهكذا برز البطاركة والأساقفة، الرؤساء الأعلين لطوائفهم تعلو سلطتهم سلطة الموظفين الإداريين المحليين، حتى إن اليهود أنفسهم لم يجدوا بأساً في الاحتفاظ برؤسائهم الدينين وبربابنتهم وبحاخامهم الأكبر»[٢].

٤ «. . انتشرت، حوالي السنة ١٠٠٠م، عادة القيام بالحج، تزايد السفر إلى الأرض المقدسة؛ لأنه اعتبر أعظم الممارسات [النصرانية] نفعاً للخلاص الأبدي، وقلما ضايقه العرب، الذين كانوا متساهلين جداً، كما يبدو. من جهة ثانية أن الغزو التركي لم يجعل الدخول إلى معابد فلسطين أكثر صعوبة، إلّا أن فرسان الغرب، وقد تمكنت منهم فكرة الحرب المقدسة، أخذوا في النصف الثاني من القرن الحادي عشر، يؤدون فريضة الحج جماعات صغيرة مسلحة، كما أخذوا بعد عودتهم يبسطون شعورهم بأن الفتح ليس أمراً مستحيلاً. . وجاء الاندفاع التركي أخيراً يهدد بيزنطية آنذاك تهديداً جدياً خطيراً، ففكر الغرب بوجوب وقاية المسيحية من جهة الشرق. . »[٣].

٥ «. . مما لا بدّ من التنويه به عالياً أن هؤلاء السلاطين [العثمانيين] لم يظهروا أي تحرج أو تعصب تجاه المسيحيين، في وقت كان فيه ديوان التفتيش يبطش بالناس

---

(١) نفسه، ٣/١١٦.
(٢) نفسه، ٣/١١٦.
(٣) نفسه، ٣/٣١٢.

بطشاً، وينزل بهم الهلع . . وفي عهد كان اليهود والمسلمون يطردون، دونما رحمة أو شفقة، من أسبانيا . . وبالرغم من إسكان عدد كبير من الجاليات الإسلامية في البلقان، واعتناق بعض الجماعات البلقانية الإسلام؛ فلم يأت العثمانيون شيئاً مهماً؛ ليمنعوا السواد الأكبر من سكان البلاد البلقانية من الاحتفاظ بنصرانيتهم . . »[١].

مارسيل بوازار

١ «ولقد أظهرت الرسالة القرآنية وتعاليم النبي ﷺ أنها تقدمية بشكل جوهري، وتفسر هذه الخصائص انتشار الإسلام السريع بصورة خارقة؛ خلال القرون الأولى من تاريخه»[٢].

٢ «فتح الإسلام الباب للتعايش على الصعيد الاجتماعي والعرقي؛ حين اعترف بصدق الرسالات الإلهية المنزلة من قبل على بعض الشعوب . . لكنه بدا أنه يرفض الحوار في الوقت ذاته على الصعيد اللاهوتي، حين أزال من العقيدة كل ما اعتبر زيفاً مخالفاً للتوحيد بالمعنى الدقيق للكلمة. وأتاح منطق تعاليمه القوي، وبساطة عقيدته وما يرافقها من تسامح، أتاح كل هذا للشعوب التي فتح بلادها حرية دينية؛ تفوق بكثير تلك التي أتاحتها الدول المسيحية نفسها . . »[٣].

٣ « . . . لقد تألفت (أمم) من نوع معين، واتحدت، وخضعت لنظامها الديني الخاص، وانخرطت في البنية الاجتماعية الفوقية للمجتمع الإسلامي الذي يحميها»[٤].

٤ « . . حاول الإسلام منذ القرن السابع للميلاد أن يقدم حلاً لمشكلة الأقليات فريداً من نوعه. وتستحق جماعة من غير المسلمين على أرض الإسلام أن تتناول بالتحليل؛ لأنه ثبت أنها نهج لا مثيل له، في الوقت الذي كان فيه الغرب على أهبة الخروج من العصور الوسطى، وإدراك ضرورة وضع الأنظمة المحدودة للعلاقات مع الغرباء»[٥].

---

(١) نفسه، ٣/٥٨٩-٥٩٠.
(٢) إنسانية الإسلام، ص ٧٤.
(٣) نفسه، ص ١٨٤.
(٤) نفسه، ص ١٨٠.
(٥) نفسه، ص ١٨٧.

[٥] «.. منذ بدء الفتح العربي الإسلامي، كان المحاربون المسلمون قد فرضوا على أنفسهم روحاً من التسامح مع غير المسلمين، ومع الشعوب المغلوبة. وفي زمن لم يكن فيه العنف يعرف شرعاً ولا عاطفة، أصدر أبو بكر [رضي الله عنه]: أول خليفة للنبي ﷺ إلى جنوده التعليمات المشهورة المرنة كثيراً؛ التي تختصر الروح الخلقي للقانون الإسلامي..»(١).

ترند(٢)

[١] «.. في القرن العاشر [الميلادي] تردى معظم أوربة في همجية ووحشية مريعة، على حين أن المسلمين في إسبانيا ضربوا مثلاً رائعاً بما كفلوه لغيرهم من ذوي العقائد المخالفة لمذهبهم من سعة العيش، والتسامح..»(٣).

[٢] «آثر الغزاة المسلمون أن يشتروا من السكان المسيحيين بقرطبة جانباً من الكاتدرائية القديمة، ورأوا أن ذلك خير لهم من أخذها عنوة واغتصاباً، وهذا شاهد ينطق بما اشتهروا به من التسامح مع أصحاب العقائد المخالفة لعقيدتهم»(٤).

[٣] «إن العرب المتنصرين التعساء المعروفين بالموريسكو Moriscos لقوا من المسيحيين من المعاملة السيئة مالا يقابله إلّا ما لقيه المسيحيون من المسلمين من التسامح في مرحلة سابقة من تاريخ إسبانيا الإسلامية، والمسؤول عن كل ذلك الأمر من بدايته إلى نهايته رجال الكنيسة..»(٥).

---

(١) نفسه، ص ٢٧٨.

(٢) جون براند ترند (١٨٨٧ـ١٩٥٨) J.Brand Trend
رائد من رواد تاريخ إسبانيا. أستاذ في جامعة كمبرج. قام بعد رحلات في إسبانيا والبرتغال ومراكش ومكسيكو، واشتغل في معهد الدراسات الشرقية بلندن.
من آثاره: (صورة لإسبانيا الحديثة)(١٩٢١)، (موسيقا تاريخ إسبانيا)(١٩٢٥)، (لغة إسبانيا وتاريخها)(١٩٥٣)، وكثير من الكتب الأخرى في هذا المجال.

(٣) تاريخ العالم (نشره السير جون. أ. هامرتن)، المجلد الخامس، ص ٧٢٩.

(٤) نفسه، ٥/ ٧٣٧.

(٥) نفسه، ٥/ ٧٥٥.

تريتون[١]

١ «أما النواحي الشرقية القصوى من الدولة الإسلامية؛ فإن الشعوب المحكومة كانت تعامل معاملة تنطوي على مثل هذا العطف [الذي حظيت به في النواحي الأخرى]..»[٢].

٢ «ولما تدانى أجل (عمر بن الخطاب) أوصى من بعده ـ وهو على فراش الموت ـ بقوله: (أوصي الخليفة من بعدي بأهل الذمة خيراً، وأن يوفي لهم بعهدهم، وأن يقاتل من ورائهم، وألّا يكلفهم فوق طاقتهم)[٣]. وفي الأخبار النصرانية شهادة تؤيد هذا القول، وهي شهادة (عيشو يابه) الذي تولى كرسي البطريركية من سنة ٦٤٧ إلى ٦٥٧ م إذ كتب يقول: (إن العرب الذين مكنهم الرب من السيطرة على العالم يعاملوننا كما تعرفون، إنهم ليسوا بأعداء للنصرانية، بل يمتدحون ملتنا، ويوقرون قسيسينا وقدّيسينا، ويمدون يد العون إلى كنائسنا وأديرتنا). والظاهر أن الاتفاق الذي تم بين (عيشو) وبين العرب كان من صالح النصارى، فقد نصّ على وجوب حمايتهم من أعدائهم، وألا يحملوا قسراً على الحرب من أجل العرب، وألّا يؤذوا من أجل الاحتفاظ بعاداتهم وممارسة شعائرهم، وألّا تزيد الجزية المجباة من الفقير على أربعة دراهم، وأن يؤخذ من التاجر والغني اثنا عشر درهماً، وإذا كانت أمة نصرانية في خدمة مسلم فإنه لا يحق لسيدها أن يجبرها على ترك دينها، أو إهمال صلاتها، والتخلي عن صيامها»[٤].

---

(١) آرثر ستانلي تريتون A.S. Tritton
ولد عام ١٨٨١ وتعلم في عدد من الكليات البريطانية، وعين مساعد أستاذ للعربية في أدنبرا (١٩١١) وكلاسكو (١٩١٩) وأستاذاً في عليكرة في الهند (١٩٢١) ومدرسة الدراسات الشرقية والإفريقية بلندن (١٩٣١ ـ ٣٨ ـ ٤٧) وقد وجه جل اهتمامه إلى الفقه، وطوف في عدد من البلدان العربية.
من آثاره: (أئمة الزيدية بصنعاء واليمن)(١٩٢٥)، (الخلفاء ورعاياهم من غير المسلمين)(١٩٣٠)، (علم الكلام في الإسلام)(١٩٤٧)، (الإسلام إيمان وشعائر)(١٩٥٠)، (مواد في التربية الإسلامية)(١٩٥٧). كما نشر عدداً من الأبحاث في المجلات الاستشراقية وبخاصة (مجلة الجمعية الملكية الآسيوية).

(٢) أهل الذمة في الإسلام، ص ٤٣.

(٣) يحيى بن آدم: كتاب الخراج، ص ٥٤.

(٤) أهل الذمة في الإسلام، ص ١٥٨ ـ ١٥٩.

[٣] «كان العرب في أيامهم الأولى يلتزمون جادة الصبر والأناة، إذ كثيراً ما نقرأ عن مدن استسلمت بشروط، ثم ثارت وتمردت على العرب، ثم استسلمت مرة أخرى، فأعادوا لها عهودها الأولى»(١).

[٤] «ومن الأدلة الطيبة على ما كانت تسترشد به الحكومة الإسلامية في معاملتها الذميين؛ ما جاء في الأمر الذي وجد بين أوراق البردي اليونانية المحفوظة في (المتحف البريطاني)، وعلى الرغم من فساد قسم منه، فقد جاء في الباقي خوفاً من الله، وحفظاً للعدالة والحق في توزيع القدر المفروض عليهم.. ولكن تجب معاملة الجميع بالعدل، وأخذ الشيء من كل منهم بقدر طاقته.. »(٢).

أرنولد توينبي

[١] «في القرن السابع الميلادي حررّ العرب المسلمون سلسلة من الدول الشرقية من سطوة إغريقية ـ رومانية مسيحية: من سورية شرقاً إلى إسبانيا غرباً عبر شمال إفريقية، وكانت هذه الدول تحت حكم يوناني أو روماني مدة ألف عام تقريباً.. بعد ذلك، وبالتحديد ما بين القرن الحادي عشر والسادس عشر [الميلاديين] استمر الفتح الإسلامي متدرجاً فشمل تقريباً جميع بلاد الهند، وانتشر الإسلام بصورة سلمية في مناطق أبعد وأوسع، في أندونيسيا والصين شرقاً، وفي إفريقية الاستوائية شرقاً وجنوباً، وكذلك روسيا خضعت، وقتياً، في أواخر القرون الوسطى للتتار الذين دخلوا في الإسلام، وكل ما تبقى من العالم المسيحي الأرثوذكسي الشرقي في آسيا الوسطى وجنوب شرقي أوربة خضع في القرنين الرابع والخامس عشر [الميلاديين] لحكم المسلمين العثمانيين، وحاصر الأتراك فينا للمرة الثانية في أواخر القرن السابع عشر (١٦٨٢ـ١٦٨٣م)، ورغماً عن أن فشل هذا الحصار أرخ بداية تحول في التيار لمصلحة الغرب ومواجهته للدولة العثمانية الغازية، فقد بقي علم (الهلال) يرفرف فوق السواحل الشرقية (لبحر الأدرياتيك) مقابل (كعب إيطاليا) حتى عام ١٩١٢م»(٣).

(١) نفسه، ص ١٦٠.
(٢) نفسه، ص ١٦٣ـ١٦٤.
(٣) الإسلام والغرب والمستقبل، ص ١٦ـ١٧.

٢ «. . أصبحت يثرب بعد انقضاء ثلاثين سنة على الهجرة، عاصمة إمبراطورية شملت لا مجرد الممتلكات الرومانية في سورية ومصر، بل ضمت كذلك أملاك الإمبراطورية الساسانية بأسرها. . وتستمد يثرب حقها في بقائها مقر الحكومة إلى كونها النواة التي انبثقت منها إمبراطورية العالم العربي في اندفاع جارف يوحي حقا بأنه من الأفعال الربانية. .»[١].

٣ «ثمة حالة. . نابهة الذكر لهذا التسامح المنشود، يفرضها نبي على أتباعه وهو في موضعه الجليل. فإن محمداً ﷺ قد أمر أتباعه بالتسامح الديني تجاه اليهود والمسيحيين الذين خضعوا سياسياً للحكم الإسلامي. فقدم محمد ﷺ بذلك لقاعدة التسامح، تفسيراً قوامه أن أفراد هاتين الجماعتين الدينيتين غير المسلمتين، هم أهل كتاب كالمسلمين أنفسهم. وليس أدل على روح التسامح التي بعثت الحياة في الإسلام منذ بدايته، من أن المسلمين قد طبقوا مبدأ التسامح الديني على أتباع زرادشت؛ الذين خضعوا للحكم الإسلامي، وإن لم يقل بذلك الرسول الكريم نفسه»[٢].

٤ «. . لم يكن الاختيار بين الإسلام أو القتل، ولكن بين الإسلام أو الجزية، وتلك سياسة مستنيرة، اجتمعت الآراء على امتداحها. . لقد [سلك] الإسلام طريقه بين رعايا الخلافة غير العرب، مستنداً على مزاياه وفضائله الذاتية، وكان انتشاره بطيئاً، لكنه كان مؤكداً. . ويحتمل أن الهداية إلى الإسلام بصورة جماعية لم تبدأ قبل القرن التاسع الميلادي ـ أو تصل نهايتها ـ حتى حلول فترة اضمحلال الإمبراطورية العباسية من القرن الثالث عشر. ويمكن القول بالتأكيد أن هذه الغلات التي حصدت من حقل التبشير الإسلامي، كانت حصيلة حركة شعبية تلقائية، ولم تنجم قط عن ضغط سياسي. .»[٣].

٥ «إن المسلمين قد سبقوا بناة الإمبراطورية من الإسبانية والبرتغالية في إظهار إخلاصهم لمعتقداتهم الدينية. فإن المسلمين قد تزاوجوا منذ البداية مع من تولوا هدايتهم إلى دينهم، دون اعتبار لاختلاف الجنس. بل إنهم ذهبوا إلى أبعد من

---

(١) مختصر دراسة التاريخ، ٣/ ٧٣ـ٧٤.
(٢) نفسه، ٣/ ٤٢.
(٣) نفسه، ٢/ ٣٥٥ـ٣٥٦ـ٣٥٧.

ذلك. فإن المجتمع الإسلامي قد ورث عن نص وارد في القرآن، إقراراً بطائفة من الأديان (عدا الإسلام) هي ـ رغم ما بها من قصور ـ أديان سماوية أصيلة، نزل بها الوحي، وهذا الإقرار، أسبغ على اليهود والمسيحيين أولاً، ثم اتسع فشمل بعد ذلك الزرادشتيين والهندوس..»(١).

فيليب حتي

[١] «.. من المدهش حقاً أن دولة تدعو إلى دين غريب تظهر في شبه جزيرة العرب؛ التي كانت مغمورة في التاريخ، استطاعت أن تجرد إحدى الإمبراطوريتين العالميتين من أغنى مقاطعاتها في آسية وإفريقية، وأن تقضي على الأخرى، قضاء مبرماً، في مدى عشر سنين.. أما كيف اتفق هذا الحدث المذهل ولماذا اتفق، فذلك لأن وراءه قصة من أروع القصص في العصور الوسطى كلها»(٢).

[٢] «[إن] أبرز ما يلفت النظر في الفتوح العربية ليس تلك السرعة وذلك النظام؛ اللذين تمت بهما ـ بغير دمار لا مبرر له إلّا قليلاً ـ ولكن تلك السهولة التي انتقلت بها البلاد المفتوحة من حال الحرب إلى حال السلم، ومن التغلب إلى الإدارة..»(٣).

جورج حنا

[١] «.. إن المسلمين العرب لم يعرف عنهم القسوة والجور في معاملتهم للمسيحيين، بل كانوا يتركون لأهل الكتاب حرية العبادة، وممارسة طقوسهم الدينية، مكتفين بأخذ الجزية منهم..»(٤).

[٢] «.. لم يرو المؤرخون المسيحيون أنفسهم مثل هذه الوحشية [التي مارسها الصليبيون] عن المسلمين. لم يكن هؤلاء وحشيين في معاملة الأسرى

(١) نفسه، ٣/٤١٨.
(٢) الإسلام منهج حياة، ص ١٥٣ـ١٥٤.
(٣) نفسه، ص ١٦٢.
(٤) قصة الإنسان، ص ٨٩ ـ ٩٠.

الأهلين المسيحيين. فعندما انتصروا كانوا يكتفون بضرب الجزية على أعدائهم، ولا يفظعون بهم. بعد معركة طبرية التي انتصر فيها صلاح الدين الأيوبي على خصمه الملك (غي ده لوسينيان).. عف صلاح الدين عن التفظيع بالأسرى الذين نجوا من الموت المريع أثناء المعركة، وجردهم من السلاح، وضرب عليهم الجزية، وأطلق سراحهم مع قائدهم الملك (غي). وليست هذه الحادثة وحدها هي الدليل على الفرق الكبير بين معاملة الغزاة لأعدائهم، وبين معاملة أعدائهم.. هي واحدة من المئات التي جاءت في كتب التاريخ عن الحروب الصليبية، ومعظمها لمؤرخين مسيحيين من الفرنج بالذات»[1].

إميل درمنغم

١ «.. كانت الفتوح الإسلامية جزاءً مقدراً وخزياً كبيراً على النصرانية الشرقية المتفرقة المنحطة.. وكان سلطان العرب غلاً أكرهت به أوربة على الصواب، فكان ظهور العرب ووعيدهم حافزين للنصرانية إلى سلوك سبيل الإصلاح والترقي»[2].

٢ «لم يشرع الجهاد لهداية الناس بالسيف، ففي القرآن: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٦]، و القرآن يأمر المسلمين بالاعتدال، وبألا يبدؤوا بالاعتداء..»[3].

٣ «كتب الفوز للعرب لأنهم كانوا أهلاً للفوز، وتم النصر للإسلام؛ لأنه عنوان رسالة كان الشرق كثير الاحتياج إليها، واحتمل المسلمون ضروب العذاب قبل الهجرة، ولم يستطيعوا لها رداً، فلما كانت الهجرة وكان ما أبدوه من المقاومة، والنصر، اتخذوا التسامح الواسع دستوراً لهم. أجل لم يبق للمشركين مقام في دار الإسلام، ولكنه أصبح لأهل الكتاب من اليهود والنصارى فيها حق الحماية وحرية العبادة وما إليهما، وصاروا من المجتمع إذا ما أعطوا الجزية. قال

(١) نفسه، ص ٩٢-٩٣.
(٢) حياة محمد، ص ٢٥٦.
(٣) حياة محمد، ص ١٩٦.

النبي ﷺ: (من آذى ذمياً فأنا خصمه)، وما أكثر ما في القرآن والحديث من الأمر بالتسامح، وما أكثر عمل فاتحي الإسلام بذلك، ولم يرو التاريخ أن المسلمين قتلوا شعباً، وما دخل الناس أفواجاً في الإسلام إلّا عن رغبة فيه، وهنا نذكر أن عمر بن الخطاب [رضي الله عنه] لما دخل القدس فاتحاً أمر بألّا يمسّ النصارى بسوء، وبأن تترك لهم كنائسهم، وشمل البطرك بكل رعاية، ورفض الصلاة في الكنيسة خوفاً من أن يتخذ المسلمون ذلك ذريعة لتحويلها إلى مسجد. وهنا نقول: ما أعظم الفرق بين دخول المسلمين القدس فاتحين ودخول الصليبيين الذي ضربوا رقاب المسلمين، فسار فرسانهم في نهر من الدماء التي كانت من الغزارة ما بلغت به ركبهم. وعقدوا النية على قتل المسلمين الذين تفلتوا من المذبحة الأولى»[(١)].

هنري دي كاستري

[١] «إن [أتباع] محمد ﷺ هم وحدهم الذين جمعوا بين المحاسنة ومحبة انتشار دينهم، وهذه المحبة هي التي دفعت العرب في طريق الفتح، وهو سبب لا حرج فيه، فنشر القرآن جناحيه خلف جيوشه المظفرة؛ إذ أغاروا على الشام، وساروا سير الصواعق إلى إفريقية الشمالية من البحر الأحمر إلى المحيط الأطلنطي ولم يتركوا أثراً للتعسف في طريقهم إلّا ما كان لا بد منه في كل حرب وقتال، فلم يقتلوا أمة أبت الإسلام.. فكلما التقى المسلمون بأمة خيروها بين واحد من ثلاث: الإسلام أو الجزية أو تحكم الحرب حتى تضع أوزارها. هكذا كانت الأوامر التي زود بها أبو بكر الصديق خالد بن الوليد [رضي الله عنهما] لما أنفذه إلى الشام»[(٢)].

[٢] «إذا انتقلنا من الفتح الأول للإسلام إلى استقرار حكومته استقراراً منظماً؛ رأيناه أكثر محاسنة، وأنعم ملمساً بين مسيحيي الشرق على الإطلاق. فما عارض العرب أبداً شعائر الدين المسيحي، بل بقيت روما نفسها حرة في المراسلات مع الأساقفة الذين مازالوا يرعون الأمة الخالية. وكان الوئام مستحكماً بين المسلمين والمسيحيين.. ومع هذه المسالمة العظيمة من جانب المنتصر مع المغلوب، ضعفت الديانة النصرانية جداً، ثم زالت بالمرة من شمال إفريقية. ولم

(١) نفسه، ص ٣٦٩-٣٧٠، وانظر المرجع نفسه ص ٣٧٠، هامش رقم ١.
(٢) الإسلام: خواطر وسوانح، ص ٣٥-٣٦.

يكره أحد على الإسلام بالسيف ولا باللسان، بل دخل القلوب عن شوق واختيار، وكان نتيجة ما أودع في القرآن من مواهب التأثير والأخذ بالألباب. نعم قد اعتنق الإسلام قوم مشوا وراء منافعهم، ولكنهم قليلون بجانب من أسلم عن اعتقاد صادق وميل صحيح.. وصار من اللازم أن يثبت الإسلام لمن أراده على يد القاضي، ويُحَرَّر بذلك محضر يذكر فيه أن المسيحي اعتنق الإسلام عن اعتقاد تام غير خائف ولا مكره، إذ لا يجوز أن يُكْرَهَ أحد على تغيير دينه»[١].

٣ «.. قرأت التاريخ، وكان رأيي بعد ذلك أن معاملة المسلمين للمسيحيين تدل على ترفع المعاشرة عن الغلظة، وعلى حسن مسايرة، ولطف مجاملة، وهو إحساس لم يشاهد في غير المسلمين آنذاك..»[٢].

٤ «.. إن الدين الإسلامي لم ينتشر بالعنف والقوة، بل الأقرب إلى الصواب أن يقال: إن كثرة مسالمة المسلمين ولين جانبهم كان سبباً في سقوط المملكة العربية. ومن المضمون أن المسلمين لو عاملوا الأندلسيين مثل ما فعل المسيحيون بالسكسونية، لأخلدت إلى الإسلام واستقرت عليه؛ لأنها مع تمتعها بحرية دينها المسيحي كانت كثيرة الانشقاق والأحزاب. وما لنا ولهذه الظنون والتخمينات؛ وأمامنا أمر واحد ينبغي الوقوف عنده، وهو أن ديانة القرآن تمكنت من قلوب جميع الأمم اليهودية والمسيحية والوثنية في إفريقية الشمالية، وفي قسم عظيم من آسيا، حتى أنه وجد في بلاد الأندلس من المسيحيين المتنورين من تركوا دينهم حباً في الإسلام. كل هذا بغير إكراه إلّا ما كان من لوازم الحروب، وسيادة حكومة الفاتحين، ومن دون أن يكون للإسلام دعاة وقوام مخصوصون، وهو ما يقنعنا بأن في الإسلام جاذبية وقوة انتشار.. لأنه لا يزال ينتشر حتى الآن..»[٣].

٥ «.. إننا نعتقد أن استطلاع حال هذا الدين في العصر الحاضر لا يبقى أثراً لما زعموه من أنه إنما انتشر بحد الحسام. ولو كان دين محمد ﷺ انتشر

(١) نفسه، ص ٣٩-٤٠.
(٢) نفسه، ص ٤٤.
(٣) نفسه، ص ٤٨-٥٠.

بالعنف والإجبار؛ للزم أن يقف سيره بانقضاء فتوحات المسلمين، مع أننا لا نزال نرى القرآن يبسط جناحيه في جميع أرجاء المسكونة»[١].

إتيين دينيه

[١] «.. من الحقائق التاريخية أن النبي ﷺ أعطى أهل (نجران) المسيحيين نصف مسجده ليقيموا فيه شعائرهم الدينية. وها نحن الآن نرى المسلمين إذا بشروا بدينهم؛ فإنهم لا يفعلون مثل ما يفعل المسيحيون في الدعوة إلى دينهم، ولا يتبعون تلك الطرق المستغربة التي لا تتحملها النفس، والتي يمجها الذوق السليم. وقد أنصف القس ميشون الحقيقة في كتابه (سياحة دينية في الشرق) حيث يقول: إنه لمن المحزن أن يتلقى المسيحيون عن المسلمين روح التسامح، وفضائل حسن المعاملة، وهما أقدس قواعد الرحمة والإحسان عند الشعوب والأمم..»[٢].

[٢] «ليس من فخار المسيحية أن تضم في تعدادها أولئك الذين يباعون لها من ولدان العبيد، ولا أولئك اليتامى الذين ينشؤون في مهادهم نشأة دينية مسيحية، أما الذين يعتنقون الإسلام في وقتنا هذا من المسيحيين وغيرهم؛ فإنما هم الخاصة، سواء كانوا من الهيئات الاجتماعية الأوربية أو الأمريكية، كما أن إخلاصهم في ذلك لا شك فيه؛ لأنهم أبعد ما يكونون عن الأغراض المادية»[٣].

[٣] «.. إن الإسلام بلغ من تماسك بنائه، ومن حرارة إيمان أهله، ما جعله يبهر العالم بوثبته الهائلة التي لا نظن أن لها في سجلات التاريخ مثيلاً، ففي أقل من مئة عام، ورغم قلة عددهم، استطاع العرب الأمجاد ـ وقد اندفعوا لأول مرة في تاريخهم خارج حدود جزيرتهم ـ أن يستولوا على أغلب بقاع العالم المتحضر القديم: من الهند إلى الأندلس»[٤].

[٤] «المسلمون، على عكس ما يعتقده الكثيرون، لم يستخدموا القوة أبداً خارج حدود الحجاز.. لإكراه غيرهم على الإسلام. وإن وجود المسيحيين في

(١) نفسه، ص ٨٦.
(٢) أشعة خاصة بنور الإسلام، ص ١٨ـ١٩.
(٣) نفسه، ص ٣٩.
(٤) محمد رسول الله، ص ٣١٥.

إسبانيا لدليل واضح على ذلك، فقد ظلوا آمنين على دينهم طوال القرون الثمانية التي ملك فيها المسلمون بلادهم، وكان لبعضهم مناصب رفيعة في بلاط قرطبة. ثم إذا بهؤلاء المسيحيين أنفسهم يصبحون أصحاب السلطان في هذه البلاد، فكان أول هَمٍّ لهم أن يقضوا قضاء تاماً على المسلمين»(١).

٥ «إن القدوة الحسنة التي لا تقترن بمحاولة التبشير المتعصبة، لهي أقوى أثراً في النفوس التقية من مضايقات القسس المبشرين. ولقد اضطر العالم (دوزي) - رغم تعصبه ضد الإسلام - إلى الاعتراف بأن الكثير من المسيحيين الذين كانوا في إسبانيا (اعتنقوا الإسلام عن عقيدة)..»(٢).

٦ «القاعدة التي يجري عليها المسلم في علاقاته بأصحاب الديانات الأخرى هي تلك التي حددها القرآن في الآية ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ٦] وكيف لا يكون المسلم متسامحاً؛ وهو يجل الأنبياء الذين يجلهم اليهود والنصارى، فموسى بالنسبة إليه (كليم الله) وعيسى (روح الله) يجب تبجيلهما كما يبجل محمد (حبيب الله): ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥]..»(٣).

ول ديورانت

١ «.. الحق أن حادث [الفتوحات] الجلل الذي تمخضت عنه جزيرة العرب، والذي أعقبه استيلاؤها على نصف عالم البحر المتوسط، ونشر دينها الجديد في ربوعه؛ لهو أعجب الظواهر الاجتماعية في العصور الوسطى»(٤).

٢ «.. كان أهل الذمة المسيحيون، والزرادشتيون، واليهود، والصابئون يستمتعون في عهد الخلافة الأموية بدرجة من التسامح لا نجد نظيراً لها في المسيحية في هذه الأيام، فلقد كانوا أحراراً في ممارسة شعائر دينهم، واحتفظوا بكنائسهم ومعابدهم.. وكانوا يتمتعون بحكم ذاتي، يخضعون فيه لزعمائهم وقضاتهم وقوانينهم..»(٥).

---

(١) نفسه، ص ٣٣٢.
(٢) نفسه، ص ٣٣٣.
(٣) محمد رسول الله، ٣٣٣.
(٤) قصة الحضارة، ١٣/ ١٧.
(٥) نفسه، ٣/ ١٣٠-١٣١.

[٣] «على الرغم من خطة التسامح التي كان ينتهجها المسلمون الأولون أو بسبب هذه الخطة، اعتنق الدين الجديد معظم المسيحيين، جميع الزرادشتيين والوثنيين إلّا عدداً قليلاً جداً منهم، وكثيرون من اليهود. وحيث عجزت الهلينية عن أن تثبت قواعدها بعد سيادة دامت ألف عام، وحيث تركت الجيوش الرومانية الآلهة الوطنية، ولم تغلبها على أمرها، وفي البلاد التي نشأت فيها مذاهب مسيحية خارجة على مذهب الدولة البيزنطية الرسمي، في هذه الأقاليم كلها انتشرت العقائد والعبادات الإسلامية، وآمن السكان بالدين الجديد، وأخلصوا له، واستمسكوا بأصوله إخلاصاً واستمساكاً أنساهم بعد وقت قصير آلهتهم القديمة، واستحوذ الدين الإسلامي على قلوب مئات الشعوب في البلاد الممتدة من الصين وحتى الأندلس، وتملك خيالهم، وسيطر على أخلاقهم، وصاغ حياتهم، وبعث فيهم آمالاً تخفف عنهم بؤس الحياة ومتاعبها، وأوحى إليهم العزة والأنفة، حتى بلغ عدد من يعتنقونه ويعتزون به في هذه الأيام [مئات الملايين] من الأنفس، يوحد هذا الدين بينهم، ويؤلف قلوبهم مهما يكن بينهم من الاختلافات والفروق السياسية»[١].

[٤] «.. في وسعنا أن نحكم على ما كان للدين الإسلامي من جاذبية للمسيحيين من رسالة كتبت في عام ١٣١١م تقدّر عدد سكان غرناطة المسلمين في ذلك الوقت بمئتي ألف، كلهم ماعدا ٥٠٠ منهم من أبناء المسيحيين الذين اعتنقوا الإسلام. وكثيراً ما كان المسيحيون يفضلون حكم المسلمين على حكم المسيحيين»[٢].

[٥] «.. إن المسلمين ـ كما يلوح ـ كانوا رجالاً أكمل من المسيحيين، فقد كانوا أحفظ منهم للعهد، وأكثر منهم رحمة بالمغلوبين، وقلما ارتكبوا في تاريخهم من الوحشية ما ارتكبه المسيحيون عندما استولوا على بيت المقدس في عام ١٠٩٩م..»[٣].

---

(١) نفسه، ١٣/١٣٣.
(٢) نفسه، ١٣/٢٩٧.
(٣) نفسه، ١٣/٣٨٣.

بيجي رودريك

١ «.. انظر إلى أي مدى يحترم الإسلام، ويوقر الأديان الأخرى، ويسمح في ظل الدولة المسلمة بممارسة كافة الشعائر الدينية.. فالنصارى واليهود هم أهل ذمة عند المسلمين ما لم يحاربوهم، وقد تمتعوا عبر التاريخ الإسلامي الطويل بكافة امتيازات المواطنين، ولم يحدث أن سمعوا كلمة تسيء إليهم»(١).

٢ «.. ما أن كان الإسلام يدخل بلداً من البلدان المفتوحة حتى يقبل أهلها جميعاً على اعتناقه، ويعاملون معاملة الفاتحين سواء بسواء، ومن احتفظ منهم بدينه لقي أكرم معاملة. فمصر وشمال إفريقية والصومال وبلاد أخرى كثيرة هي أمثلة على البلاد التي فتحها المسلمون العرب، فأسلم أهلها، وحملوا الإسلام إلى غيرهم، وعاشوا أعزة مكرمين في ظل دولة إسلامية مئات من السنين. فلا مجال إذاً للمقارنة بين الفتوحات الإسلامية وبين الاستعمار البغيض الذي يسلب الشعوب كل شيء..»(٢).

٣ «.. قوانين الحرب في الإسلام أكثر القوانين إنسانية ورأفة، فهي تضمن السلامة التامة للنساء والولدان والشيوخ وجميع غير المحاربين، فليس هناك في نظر الإسلام أبشع من جريمة قصف المستشفيات والمدارس وأماكن العبادة ومساكن المدنيين في المنطقة المعادية. وإنما يجعل الإسلام لهذه المرافق الإنسانية قدسيتها، ويحذر من المساس بها، فهذه هي الوصية التي كان يوصي بها رسول الله ﷺ قادة المسلمين، وكذلك كان موقف الخلفاء الراشدين من بعده [رضي الله عنهم] بل لقد ظلت هذه سمة بارزة في جميع الحروب الإسلامية على مر العصور..»(٣).

٤ «الإسلام أذن لرسوله بالجهاد لرفع الظلم والاضطهاد.. ولإزالة العقبات التي تقف في وجه الدعوة للإسلام، تلك الدعوة التي لا تكره أحداً على الدخول في هذا الدين، وإنما تدعو الناس إليه، وتترك لهم الحرية الكاملة للاختيار. ولذلك ما أن يدخل الناس في الإسلام حتى يتمسكوا به، ويستميتوا في الدفاع عنه.. إن الإسلام هو دين السلام، السلام مع الله، والسلام مع الناس جميعاً»(٤).

---

(١) رجال ونساء أسلموا، ٦/ ١١٣ـ١١٤.

(٢) نفسه، ٦/ ١١٤ـ١١٥.

(٣) نفسه، ٦/ ١١٥.

(٤) نفسه، ٦/ ١١٦.

جاك ريسلر

[١] «قامت الانتصارات المدوية للعرب على أسباب متنوعة، يتجلى أهمها في الخلق السامي الذي كان قد تشربه العرب عن الدين الجديد، فقد طبعهم هذا الخلق على جرأة واحتقار للموت، جعلهم لا يُغْلَبُون. .»[١].

[٢] «. . كان الفتح العربي يملك الرضا الضمني من السكان الذين كانوا يكرهون الإغريق والفرس، ويكرهون استبدادهم الديني والسياسي، ونظام ضرائبهم الفادحة، ولم يعد الوطنيون قادرين على أن يتحملوا أخيراً هذا الاستبداد المتغطرس من حكام أصبح تفوقهم ضرباً من الذكريات. تلك هي الأسباب التي من أجلها استقبلت هذه الشعوب المتاخمة جيرانها ذوي التاريخ الطويل؛ كأنهم ذوو قربى قد أقبلوا لتحريرهم من ظلم الغاصبين الأجانب الممقوت. .»[٢].

[٣] «لا نزاع في أن اللغة والدين ـ اللذين انتشرا معاً ـ قاما بدور خطير في هذا العمل الضخم لتقريب هذه الإمبراطورية الشاسعة، وتحويل أبنائها إلى الإسلام. وحطمت هاتان القوتان الحواجز التي كانت تفرق بين الفاتحين وأهل البلاد، وحولا بعض الأجانب إلى عقيدتهم أكثر مما كان لروما في العصر القديم في هذا الميدان، والأنجلو ساكسون في الفترة المعاصرة. فالذي كان يدين بالإسلام، وكان يتحدث ويكتب اللغة، ويسمح له أن يعد عربياً، وهذا حدث خطير في تاريخ الحضارة الإسلامية. ولقد ألغت تلك القوة الموحدة بهذا الأسلوب الحدود السياسية، ومنحت بنحو ما شكلاً موحداً لبلاد مترامية الأطراف في ثلاث قارات، وأصبحت فيما بعد خالية من القيود. وكان المسلم يجد في كل مكان نفس الدين، ونفس الصلوات، ونفس الشرائع»[٣].

[٤] «. . إن المنتصرين سيعتنقون دين المغلوبين الذين أنهكوهم، وسوف يجعلون من أنفسهم مدافعين بحماسة عن هذا الدين. وتثير هذه الظاهرة العجب، ولكنها ليست من الندرة في تاريخ العالم الإسلامي. لقد كان هذا بالنسبة للأتراك

---

(١) الحضارة العربية، ص ٣٩.
(٢) نفسه، ص ٣٩ـ٤٠.
(٣) نفسه، ص ٤٧.

السلجوقيين، ثم بالنسبة لأبناء عمومتهم المغول بعد ذلك في القرن الثالث عشر [الميلادي]، وأخيراً بالنسبة للأتراك العثمانيين في القرن الرابع عشر، وسيظفر الدين الإسلامي بألمع انتصار طيلة الأزمنة الممعنة في ظلال الفشل والغزو..»[١].

٥ «كانت جميع الأديان لها حق الممارسة المطلقة في عبادتها، وكان اليهود المطاردون لديهم مطلق الحرية في اقتناء الثروات، ووصلوا أحياناً إلى مراكز سامية، واختلط المسيحيون مع المسلمين.. وحدث أنهم احتفلوا بأعيادهم معاً في المسجد وفي الكنيسة، ونتيجة لهذه الحرية البالغة أقصى حد شوهد بعض المسيحيين يتخذون لأنفسهم أكثر من زوج على الرغم من تحريم الكنيسة..»[٢].

جورج سارتون

١ «.. إن الفاتحين العرب كانوا بلا ريب أميين، ولكنهم كانوا موحدين تماماً، وكان يعمر قلوبهم إيمان وطيد. وفي هذه أيضاً انتصر النبي ﷺ انتصاراً بيناً.

إن الفتوح العربية لم تكن نتيجة صراع بين برابرة جياع وبين سكان مدن أخذوا يتقهقرون في سُلّم المدنية، بل كان في الأكثر صراعاً بين دين جديد وثقافة جديدة ناشئة في المحل الأول، ثم بين ثقافات منحلة متعادية قلقة في المحل الثاني..»[٣].

٢ «إن تفصيل الجهود المدهشة في الفتح الإسلامي تهم المؤرخين السياسيين ولكن الحالة النفسية للأسس التي تقوم عليها تلك الفتوح فيما يتعلق بالجانبين (العرب ثم بالروم والفرس) هي ذات أهمية كبرى لمؤرخي العلم. لقد سبق للإيمان المسيحي أن تزلزل بالمنازعات اللاهوتية التي امتدت قروناً عديدة، والحرمانات المتبادلة، فقاد ذلك إلى أن استقبل النصارى في الشرق الأوسط جيوش الفاتحين المسلمين على أنها منقذة لهم من استبداد الكنيسة الأرثوذكسية، ثم إن الإسلام كان لا يزال غضاً موحداً، كما أن المجاهدين المسلمين كانت تملك عليهم لبهم آمال عظام. وكان الإيمان في الإسلام بسيطاً، كريماً، ومعتدلاً، ومن ذلك فقد كان

(١) نفسه، ص ٢٤١.
(٢) نفسه، ص ١٥٤.
(٣) الثقافة الغربية في رعاية الشرق الأوسط، ص ٤٦.

بالإمكان أن تشيع فيه الحماسة حين البأس إلى حد بعيد، فينقلب المجاهدون حينئذ ذوي حمية إما أن يبلغوا بها الظفر، أو أن يسقطوا دونه شهداء. لقد كان الظفر والاستشهاد عندهم سيّان..»(١).

لوثروب ستودارد

١ «كان لنصر الإسلام هذا النصر الخارق عوامل ساعدت عليه، أكبرها أخلاق العرب، وماهية تعاليم صاحب الرسالة ﷺ وشريعته، والحالة العامة التي كان عليها الشرق المعاصر في ذلك العهد.. لقد استطاع محمد ﷺ، وهو يبشر بالوحدانية تبشيراً عارياً عن زخارف الطقوس والأباطيل؛ أن يستثير حق الاستثارة من نفوس العرب الغيرة الدينية الكامنة. وإذ هبوا لنصرة دعوة ابن عبد الله، من بعد ما ذهبت من صدورهم الإحن المزمنة، والعداوات الشديدة التي كان من شأنها مِنْ قَبْلُ الذهاب بحولهم وقوتهم، وانضم بعضهم إلى بعض كالبنيان المرصوص تحت لواء الرسالة، في رأسها نور للناس وهدى للعالمين، أخذوا يتدفقون تدفق السيل من صحاريهم في شبه الجزيرة ليفتحوا بلاد الإله الواحد..»(٢).

٢ «لم يمض سوى اليسير من الزمن حتى كان السواد الأعظم من الأمم المغلوبة قد دخل في دين النبي العربي أفواجاً، إيثاراً له.. على ذينك الدينين اللذين صارا غاية في الانحطاط والتدني.. ولم يكن العرب قط أمة تحب إراقة الدماء، وترغب في الاستلاب والتدمير، بل كانوا، على الضد من ذلك، أمة موهوبة جليلة الأخلاق والسجايا..»(٣).

٣ «.. كان الخليفة عمر [رضي الله عنه] يرعى حرمة الأماكن المقدسة النصرانية أيما رعاية، وقد سار خلفاؤه من بعده على آثاره، فلا ضيقوا على النصارى، ولا نالوا بمساءة طوائف الحجاج الوافدين كل عام إلى بيت المقدس من كل فج من أفجاج العالم النصراني»(٤).

---

(١) نفسه، ص ٤٧.
(٢) حاضر العالم الإسلامي، ١/ ٢.
(٣) نفسه، ١/ ٣-٤.
(٤) نفسه، ١/ ١٣-١٤.

٤ «لا شيء أدل على هذه النهضة الإسلامية الحديثة الكبرى من هذه اليقظة الروحانية الدينية التبشيرية، الناشئة والمنتشرة خلال مئة السنة الأخيرة، ولا غرابة في ذلك؛ فقد كان الإسلام على الدوام دين هداية الناس وإخراجهم من ظلمات الشرك إلى نور التوحيد، هذا التاريخ شاهد حق على ما قام به المبشرون المسلمون في أول عهد الإسلام من الأعمال الجليلة؛ التي لم يقم بمثلها غيرهم من المبشرين. ولا ننسى أن روح التبشير، ونشر الدعوة في سبيل الرسالة؛ لم تبرح حية على الدوام، على انحطاط الممالك الإسلامية وتدنيها، فلذلك ما انفك الإسلام طيلة القرون الوسطى ينتشر في الهند والصين، وبينما كانت الرسالة المحمدية تنتشر في تلك الأصقاع، كان الترك ينشرونها ويرفعون أعلامها في شبه جزيرة البلقان، وبين القرن الرابع عشر والسادس عشر كان المبشرون المسلمون يفتحون بلاد غربي إفريقية، وجزائر الهند الهولندية، وجزائر الفيليبين فتحاً دينياً مبيناً»[1].

٥ «.. عند اعتبار شأن انتشار الإسلام هذا الانتشار يجب أن تعلم العلم اليقين أن كل مسلم هو بغريزته وفطرته مبشر بدينه، ناشر له بين الشعوب غير المسلمة ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، وعلى ذلك إن نشر الرسالة المحمدية لم يقم به رجال التبشير وحدهم. بل شاركهم فيه جماعات عديدة من السياح والتجار والحجاج على اختلاف الأجناس. ولا يؤخذن من هذا أن لم يقم في المسلمين مبشرون ارتشفوا كؤوس الحمام في سبيل الدعوة الإسلامية، فعديد المبشرين الذين هم على هذا الطراز كثير، وذلك ظاهر بين في أمر الطرق الدينية مما لا يحتاج إلى برهان.. وهذه الأعمال التي قام بها المبشرون المسلمون في غربي إفريقية وأوسطها خلال القرن التاسع عشر إلى اليوم لعجيبة من العجائب الكبرى، وقد اعترف عدد كبير من الغربيين بهذا الأمر. فقد قال أحد الإنكليز في هذا الصدد منذ عشرين سنة: (إن الإسلام ليفوز في أواسط إفريقية فوزاً عظيماً، حيث الوثنية تختفي من أمامه اختفاء الظلام من فلول الصباح، وحيث الدعوة النصرانية باتت كأنها خرافة من الخرافات). وقال مبشر بروتستنتي فرنسي: (ما برح الإسلام [يتقدم] منذ نشوئه حتى اليوم، فلم يتعثر في سبيله إلّا القليل، وما زال يسير في جهات الأرض

(١) نفسه، ١/ ٣٠٠-٣٠١.

حتى بلغ قلب إفريقية؛ مذلّلاً أشق المصاعب، ومجتازاً أشد الصعاب، غير واهن العزم، فالإسلام حقاً لا يرهب في سبيله شيئاً، وهو لا ينظر إلى النصرانية ـ منازعته الشديدة ـ نظر المقت والازدراء، فلهذا هو حقيق بالظفر والنصر، إذ بينما كان النصارى يحلمون بفتح إفريقية في نومهم، فتح المسلمون جميع بقاع القارة في يقظتهم) . . »[1].

نصري سلهب

[١] « . . إن المسيح [عليه السلام] وأمه والمسيحيين يحتلون في آيات القرآن الكريم منزلة فريدة، [وبالتالي] في نفوس المسلمين وقلوبهم. ذلك أن المسلمين يحفظون كلام الله في كتابه، ويؤمنون به كل الإيمان، وربما كانوا في إيمانهم العميق هذا أكثر تكريماً للمسيح ولأمه من بعض المسيحيين أنفسهم، وإذا كان التاريخ قد سجل في صفحاته نزعات وحروباً مؤسفة وقعت بين مسيحيين ومسلمين، فليس من المحتوم أن تكون الأسباب العميقة والخفية لتلك الحروب ذوات طابع ديني. . ومهما يكن من أمر فإن حروباً أخرى أوسع نطاقاً، وأعمق أثراً، وأكثر عدداً، وأبلغ ضرراً قد وقعت بين مسيحيين ومسيحيين، وهي ـ كما لا نجهل ـ أفظع الحروب على إطلاقها، وأكثرها هولاً . . »[2].

[٢] « . . خاضت المسيحية الحروب الصليبية ضد الإسلام لإنقاذ الأماكن المقدسة، كما يحلو للمؤرخين أن يرددوا، والحروب الصليبية هذه كانت إحدى الأخطاء التاريخية العظمى . . فالأماكن المقدسة لم تكن في خطر، ولم يحاول واحد من الحكام المسلمين أن يمحوها، أو أن يزيلها من الوجود. بل على العكس من ذلك فقد تجنب الخليفة عمر [رضي الله عنه]، في فجر الإسلام، الصلاة في كنيسة القيامة بغية الحفاظ على طابعها المسيحي. وكذلك فعل الآخرون، على مرّ الزمن»[3].

---

(١) نفسه، ١/٣٠١ـ٣٠٢.
(٢) لقاء المسيحية والإسلام، ص ٤١.
(٣) نفسه، ص ٩٦.

[٣] «العهدة العمرية [التي منحها ابن الخطاب رضي الله عنه لأهل بيت مقدس] هل تعدلها عهدة في التاريخ نبلاً وعدلاً وتسامحاً: (بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما أعطى عبد اللّه عمر أمير المؤمنين أهل القدس من أمان: أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم.. لا يكرهون على دينهم، ولا يضار أحد منهم..). أيّ خاسر حرباً من حروب التاريخ حظي بمثل هذه العهدة من غالب منتصر؟.. ويبقى المسلمون في الشرق، وفي فلسطين بالذات، ثلاثمئة سنة وألفاً، فلا يمس فيها للمسيحي أثر، بل تستمر الكنائس والأماكن المقدسة في حرمة ومنعة..»(١).

أحمد سوسة

[١] «.. يحسن بأتباع موسى وعيسى [عليهما السلام] أن يراجعوا التاريخ الإسلامي ليقفوا على ما يأمر به الإسلام بشأن الرفق بالأطفال والنساء والشيوخ وغير المقاتلين بصورة عامة. ويثبت لنا التاريخ عدا ذلك أن المسلمين ساروا وفق شريعتهم القاضية بوجوب عدم مس الأطفال والنساء والشيوخ بكل أمانة وحرص؛ حتى في الظروف التي كان فيها العدو المقابل يقتل الأطفال والنساء وغير المحاربين من المسلمين..»(٢).

[٢] «.. وجد اليهود تحت راية الإسلام أمناً وعدلاً اتقوا به شر الاضطهاد والاعتداء، وقد مضت عليهم قرون عديدة وهم في خير وثراء..»(٣).

[٣] «.. من جملة ما حمله [الصليبيون إلى بلادهم] تلك الخلة [الإسلامية] الشريفة، خلة احترام الأديان، وإطلاق الحرية لأهل الدين في تأدية فرائضهم، مع احترام ما يجلبونه من العادات والتعاليم الروحية. »(٤).

[٤] «.. إن الإسلام شريعة العدل والإنسانية، وإنه ينطوي على مبادئ تفوق السيف في قوتها واستقامتها، وإن منهج اللطف في دعوته إلى حقيقة التوحيد يجتذب القلوب، ويسحر العقول، ويأسر الناس بلا سيف ولا قتال»(٥).

(١) نفسه، ص ٣٣١.
(٢) في طريقي إلى الإسلام، ١/ ٩٤.
(٣) نفسه، ١/ ١٣٠.
(٤) نفسه، ١/ ١٣٣.
(٥) نفسه، ٢/ ٣٨.

بشير أحمد شاد

[١] «.. السؤال الذي كان يقلقني هو أننا نحن النصارى نزعم أن الإسلام انتشر بحد السيف. فقلت لنفسي: فلماذا تقبَّل الناس الإسلام، ولا يزالون يعتنقونه في كل ركن من العالم؟ لماذا يهتدي الناس في كل بلد إلى هذا الدين كل يوم دون إكراه أو جبر من أي نوع؟»[(١)].

[٢] «لم يحدث قط في حياتي أن لقيت أو سمعت عن رجل واحد من غير المسلمين أكره على الدخول في الإسلام قسراً. وهذا ينطبق على الناس في الهند وباكستان وفي بقية أجزاء العالم. ففي الهند مثلاً ظل الحكام المسلمون سادة القارة وحكامها لعدة قرون، ورغم ذلك بقي الهندوس دائماً يشكلون أغلبية السكان. فقد سمح لهم، كما سمح لكافة الطوائف الأخرى بممارسة شعائرها الدينية بكل حرية في ظل الحكم الإسلامي. كما لم يحدث قط أن نزل جندي مسلم واحد على أرض أندونيسيا أو ماليزيا. ومع ذلك فالغالبية العظمى من الشعب الأندونيسي هم من المسلمين. وأكثر من نصف سكان [ماليزيا] مسلمون. فكيف يزعمون أن الإسلام قد انتشر بالسيف؟ لقد وجدت، على العكس من ذلك، أن الإسلام هو دين الرحمة والحب والتعاطف الإنساني. وهذه كلها اتهامات جائرة ومفتريات لا أساس لها من الصحة، وهذه نقطة أخرى من أجلها اعتنقت الإسلام»[(٢)].

شبولر[(٣)]

[١] «إن المسيحية و الإسلام يقفان موقف مختلفين في موضوع الأقليات الدينية. إن المسيحية لم تسمح بوجود الأديان الغريبة في أراضيها (باستثناء الدين اليهودي)

---

(١) رجال ونساء أسلموا، ٧/ ١٧ـ١٨.

(٢) نفسه، ٧/ ٢١ـ٢٢.

(٣) بارتر شبولر B.Spuler

تخرج من الجامعة الألمانية، وعين معيداً للدراسات الإسلامية وفقه لغات الشرق الأدنى (١٩٣٩) في جامعة جوتنجن، وأستاذ كرسي في جامعة ميونخ (١٩٤٢) وعدد من الجامعات الأخرى، كما عمل أستاذاً زائراً في جامعتي أنقرة وإستانبول (١٩٥٥ـ١٩٥٦) يجيد العديد من اللغات، وتخرج عليه عدد من المتخصصين من البلدان الإسلامية.

=

أما في الإسلام فكان يوجد تبادل ثقافي بين المسلمين وغير المسلمين . . وهذا الفرق الملحوظ يمكن تفسيره بأن المسيحية شهدت قيام دين منافس لها (وهو الإسلام الذي كان ظهوره، إذا تكلمنا من الناحية الواقعية مناقضاً لادعاء المسيحية بأنها آخر وحي منزل). أما الإسلام فقد اعترف نظامه الديني منذ البداية بالعقائد الأخرى التي كانت تعيش معه جنباً إلى جنب . . وبهذه الطريقة أصبح من الممكن أن ينقل النساطرة الثقافة الكلاسيكية، وأن يقوم اليهود بدورهم في بلاد الأندلس الإسلامية»[1].

لورافيشيا فاغليري

١ «إن التاريخ لم يشهد قط، ظاهرة مثل [ظاهرة الفتوحات] هذه من قبل، ومن العسير على المرء أن يقدر السرعة التي حقق بها الإسلام فتوحه، والتي تحول بها من دين يعتنقه بضعة نفر من المتحمسين إلى دين يؤمن به ملايين الناس. ولا يزال العقل البشري يقف ذاهلاً ـ دون اكتشاف القوى السرية التي مكنت جماعة من المحاربين ـ من الانتصار على شعوب متفوقة عليه تفوقاً كبيراً في الحضارة، والثروة، والخبرة والقدرة على شن الحرب، ومِنْ أدعى الأمور إلى الدهشة أن نلاحظ كيف استطاع أولئك الناس أن يحتلوا تلك المناطق كلها، وأن يثبتوا بعد ذلك فتوحهم؛ على نحو جعل حتى الحروب المتعاقبة قرناً بعد قرن عاجزة عن إخراجهم منها، وكيف استطاعوا أن يلهبوا نفوس أتباعهم بتلك الحماسة الفائقة لمثلهم العليا، وأن يحتفظوا بحيوية نابضة لم تعرفها الأديان الأخرى حتى بعد انقضاء عشرة قرون على وفاة محمد ﷺ، وأن يفرغوا في عقول أتباعهم ـ على الرغم من انتسابهم إلى عصر وثقافة مختلفتين كل الاختلاف عن عصر المسلمين الأولين وثقافتهم ـ إيماناً متقداً لا يحجم عن القيام بإيمان وتضحية مهما غلت»[2].

٢ «. . لقد تحرك الجيش [الإسلامي] في سرعة، وتتابعت المعارك، وبدا النجاح وكأنه قد جعل لأقدام الفاتحين أجنحة: فقد ترددت في خلافة أبي بكر وعمر

= من آثاره: (مغول إيران) (١٩٣٩) و (المغول في روسيا)(١٩٤٣) و(تاريخ البلدان الإسلامية) (١٩٥٢ـ١٩٥٣).

(١) الوحدة والتنوع في الحضارة الإسلامية (تحرير كرونباوم)، ص ٢٣٩.

(٢) دفاع عن الإسلام، ص ٢٢.

وعثمان [رضي الله عنهم] أصداء الأنباء البهيجة الحاملة بشائر الانتصار الرائعة. وقد اتبعت هذه الانتصارات بتنظيم البلدان المفتوحة، وتوطيد أقدام العرب فيها. ولم يكن هذا الصنيع أقل إعجازاً من الفتوح نفسها. لقد قوضت حضارتان، وزعزع دينان، فإذا بفيض جديد من حياة عارمة يتدفق في عروق تلك الشعوب الحائرة القوى. لقد تجلى أمام عيون العالم المندهش دين جديد، بسيط، سهل، يخاطب القلب والعقل جميعاً، وأقيم شكل جديد من أشكال الحكومة كان أسمى إلى حد بعيد ـ في خصائصه ومبادئه الأخلاقية ـ من تلك المعروفة في ذلك العصر. وبدأ الذهب الذي كان مخبوءاً في صناديق السراة ينتقل إلى أيدي الفقراء، مستهلاً نظاماً من التداول السليم كرة أخرى، وفي ظل من حكومة ـ تسيرها مثل عليا ديمقراطية أمنية ـ وجد الرجال المثقفون البارعون، الأذكياء؛ تشجيعاً من النظام الجديد، فاستطاعوا أن يبلغوا أسمى المناصب العامة. ومن الممكن القول، في اطمئنان: إن البلاد المفتوحة عرفت ـ على الرغم من بعض الحالات المحتومة النادرة التي تجاوز فيها الجند حدودهم أثناء الفتح ـ عهداً من الرخاء والازدهار، وشهدت غنى لم تشهده آسية منذ قرون طويلة. وإلى هذا فقد نعمت حياة الشعوب المغلوبة بالرخاء، وحقوقها المدنية وأموالها بدرجة من الحماية تقارب تلك التي نعم بها المسلمون أنفسهم»[1].

[٣] «أزعج التحول السياسي والديني العميق [الذي أحدثته الفتوحات] طائفة من الناس، فراحوا يتساءلون: ما الذي أدى إلى حدوثه؟ ولكن كثيراً منهم كان عمياً، أو كانوا يغمضون أعينهم عمداً هائمين طويلاً، وعلى نحو يائس في متاهة التخمينات الخاطئة. إنهم لم يستطيعوا أن يدركوا أن القوة الإلهية وحدها كان في ميسورها أن تقدم الحافز الأول لمثل هذه الحركة الواسعة. إنهم لم يريدوا أن يعتقدوا أن حكمة الله وحدها كانت مسؤولة عن رسالة محمد ﷺ، آخر الأنبياء الكبار حملة الشرائع [عليهم السلام] والنبي الذي ختم سلسلتهم إلى الأبد. إن مثل هذه الرسالة كان يتعين عليها أن تكون رسالة عالمية لجميع أفراد الجنس البشري من غير تمييز، وعلى اختلاف الجنسيات والأوطان والأعراق. لقد كان أولئك إما عمياً، وإما غير راغبين في أن يروا..»[2].

(١) نفسه، ص ٢٦ ـ ٢٨.
(٢) نفسه، ص ٢٨.

[٤] «.. كان العرب المنتصرون مستعدين دائماً ـ حتى وهم في أوج قوتهم وانتصارهم ـ لأن يقولوا لأعدائهم: (ألقوا السلاح وادفعوا جزية يسيرة نسبغ عليكم حماية كاملة. أو اتخذوا الإسلام ديناً وادخلوا في ملتنا تتمتعوا بالحقوق نفسها التي نتمتع بها نحن). وإذا نظرنا إلى ما أوحي إلى محمد ﷺ، أو إلى الفتوح الإسلامية الأولى؛ علينا أن نرى مدى الخطأ الذي ينطوي عليه الاتهام القائل بأن الإسلام فرض بالسيف، وأن انتشاره السريع لا يمكن تفسيره إلّا بهذه الوسيلة»[١].

[٥] «كان المسلمون لا يكادون يعقدون الاتفاقات مع الشعوب حتى يتركوا لها حرية المعتقد، وحتى يحجموا على إكراه أحد من أبنائها على الدخول في الدين الجديد. والجيوش الإسلامية ما كنت تتبع بحشد من المبشرين الملحاحين غير المرغوب فيهم، وما كانت تضع المبشرين تتبع بحشد في مراكز محاطة بضروب الامتياز لكي ينشروا عقيدتهم، أو يدافعوا عنها. ليس هذا فحسب. بل لقد فرض المسلمون، في فترة من الفترات، على كل راغب في الدخول في الإسلام، أن يسلك مسلكاً لا يساعد من غير ريب على تيسير انتشار الإسلام، ذلك أنهم طلبوا إلى الراغبين في اعتناق الدين الجديد أن يمثلوا أمام القاضي، ويعلنوا أن إسلامهم لم يكن نتيجة لأي ضغط، وأنهم لا يهدفون من وراء ذلك إلى أي كسب دنيوي، والواقع أن اليهود والنصارى لم يمنحوا حرية المعتقد الديني فحسب، بل عهد إليهم في تولي المناصب الحكومية حين كانت مؤهلاتهم الشخصية من القوة بحيث تلفت انتباه الحاكمين..»[٢].

روجيه كارودي

[١] «أسطورة أخرى ينبغي القضاء عليها: تلك التي أراد الاستعمار الفرنسي فرضها حين صور التوسع العربي ـ بدءاً من القرن الميلادي الثامن ـ على أنه تدفق (الهمجية الآسيوية) على الغرب»[٣].

[٢] «إن ما يطلقون عليه اسم (غزو إسبانيا) لم يكن غزواً عسكرياً. لقد كان عدد سكان إسبانيا في ذلك الحين زهاء عشرة ملايين نسمة، ولم يزد عدد الفرسان

---

(١) نفسه، ص ٣٢.
(٢) نفسه، ص ٣٥ـ٣٦.
(٣) حوار الحضارات، ص ٢ـ٣.

العرب في الأراضي الإسبانية ألبتة على سبعين ألفاً، وإنما لعب التفوق الحضاري دوراً حاسماً»[١].

[٣] «إن ما حققه العرب في إسبانية يجعلنا نفكر في الحرب الثورية التي نهض بها ماو [في الصين]، فقد جلبوا معهم نظاماً اجتماعياً أعلى جداً من النظام الراهن، وسرعان ما ظهروا بمظهر محررين، أولاً بإنقاد الأقانين من وصايا ملوك [القوط] في عصر انحطاطهم، ثم بعدم امتلاكهم الأراضي ـ القرآن يمنع ذلك ـ ولكن بالاكتفاء بالخراج»[٢].

[٤] «.. لماذا هب هذا «الإعصار» القادم من الشرق، وانتشر بمثل هذه السرعة العظمى من بحر الصين إلى المحيط الأطلسي؟ إن العامل الحاسم هو أن (العربي) قد جلب معه أشكالاً أعلى في مجالات التنظيم الاجتماعي وحتى الاقتصادي، ولذا نجده يحظى بقبول في عالم يقر نظام الرق وهو في حالة تفسخ تام»[٣].

[٥] «.. حدثني مبشر في [كميرون] وهو يائس فقال: (إن بعثاتنا تقدم المسيحية علة نحو كما لو أن اللّه لم يظهر في صورة إنسان، وإنما ظهر في صورة غربي). فكيف ندهش أمام تقدم الإسلام المذهل في إفريقية السوداء في عصر الاستقلال إعراباً عن رفض المستعمر؟»[٤].

إدوين كالفري

[١] «.. لم يحمل المسلمون أثناء غزواتهم المنتصرة أحداً من المسيحيين أو اليهود على اعتناق الإسلام، فقد أقر الإسلام لأهل الكتاب بحرية ممارسة شعائر دينهم بشرط دفع الجزية، وكل ما طالبهم به هو أن يسلموا للدين الجديد بالسيادة المدنية والسياسية التي تمثلت في الدولة الإسلامية..»[٥].

---

(١) نفسه، ص ٩٧.
(٢) نفسه، ص ٩٧.
(٣) نفسه، ص ١٠١.
(٤) نفسه، ص ٢٦٧.
(٥) الشرق الأدنى: مجتمعه وثقافته (بإشراف كويلر يونغ)، ص ١٦٣-١٦٤.

[٢] «.. احتفظ المسلمون للأقليات غير المسلمة في البلاد [التي فتحوها] بحقوقهم، وامتيازاتهم الدينية..»(١).

[٣] «.. في القرآن آية كريمة تفيض بالصدق والحكمة، يعرفها المسلمون جميعاً، ويجب أن يعرفها غيرهم، وهي تقول بأن: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ [البقرة: ٢٥٦]..»(٢).

كلود كاهن

[١] «يبدو لنا نشوء الإسلام مع فتوحاته الخاطفة وكأنها من الأمور الخارقة. ثمة شعب خامل الذكر ـ حتى تلك الفترة من الزمن ـ استطاع أن يجمع كلمته بدافع عقيدة جديدة. وما هي إلّا سنوات حتى بسط سلطانه على الإمبراطوية الساسانية قاطبة، وكذلك على جميع الأقاليم الآسيوية والإفريقية التابعة للدولة البيزنطية باستثناء غربي آسيا الصغرى، ثم لم يلبث أن ضم إليه الجزء الأكبر من إسبانيا، بالإضافة إلى جزيرة صقلية، واستولى مؤقتاً على مواقع أخرى في قارة أوربة. وهو في الوقت نفسه قد طرقت أبواب الهند والصين والحبشة والسودان الغربي وبلاد غالية ومدينة القسطنطينية. فتداعت أمامه أعرق الدول، وخضعت لهذا الدين الجديد جميع الديانات التي استقرت في البلاد المترامية الأطراف من نهر سيحون حتى السنغال»(٣).

[٢] «.. حافظت الأقوام المغلوبة على حرية إقامة شعائرها، لا يحدها في ذلك سوى الامتناع عن تلك التظاهرات العامة التي تؤذي المسلمين في المناطق الآهلة بهم. كما حافظت تلك الأقوام على شرائعها الخاصة.. ورأى المسلمون في أداء الضريبة لهم اعترافاً بالسيادة العليا للأمة الإسلامية ولقاء ذلك استبقى الأهالي ما يملكون من عقارات، ونزل العرب خارج ممتلكاتهم.. وكان على المغلوبين أيضاً واجب الوفاء والإخلاص للفاتحين، وبخاصة في فترات الحروب كإيواء المسلمين، وتزويدهم بالأخبار، والامتناع عن إفشاء المعلومات للعدو»(٤).

---

(١) نفسه، ص ١٦٤.
(٢) الشرق الأدنى، ص ١٨٢.
(٣) تاريخ العرب والشعوب الإسلامية، ١/ ٥ ـ ٦.
(٤) نفسه، ١/ ٢٨.

[٣] «حقيق بنا أن نبدد بعض الأخطاء التي دامت قروناً عديدة. فقد قاتل الصليبيون الأتراك في العهود اللاحقة، ونظمت في الغرب الدعوة لمكافحتها، فاستنتجوا من ذلك أن النظام السياسي [السلجوقي] الجديد قد وصم بتعصب من نوع خاص، وهذا أمر باطل.. [لأن] الاضطهاد الوحيد الذي سجله التاريخ وقتئذ هو ذلك الذي أمر به الخليفة (الحاكم) في مصر. وهو حادث شاذ تم خارج الإمبراطورية التركية وقبل قيامها. ولم يميز المؤرخون الغربيون بين آسيا الصغرى (وفيها كان التركمان سبباً في قيم الاضطراب..) وبين كافة العالم السلجوقي. وبين أيدينا كانوا على العكس من ذلك قد هللوا فرحاً لحكومة السادة الجدد عقب عودة النظام [بمجيء السلاجقة]، ولم يخطر لهم مطلقاً أن يستنجوا بالغرب لينقذوهم»[1].

[٤] «لا تعني السمة الإسلامية الواضحة للدول السلجوقية أنها تضم فقط الرعايا المسلمين، كما لا تعني أن الذميين قد ضاقوا بها ذرعاً. وحقيق ـ بنا ـ هنا أيضاً أن نبدد كثيراً من الأخطاء الصادرة أحياناً عن نية حسنة. قلنا: إن الفتح التركماني كان قاسياً، وإنه أدى في بعض الظروف إلى كوارث فاجعة. لكن الوضع القانوني للنصارى الملحيين لم يختلف عما كان عليه في الدول الإسلامية العريقة بعد أن استقر النظام السياسي في البلاد، ولو أن المناوشات استمرت على الحدود بصورة متقطعة، بل غالباً ما كان وضعهم في آسيا الصغرى أفضل من الناحية الفعلية بحكم غالبيتهم العددية الثابتة. وهكذا تقدم لنا الدولة السلجوقية تداخلاً لعناصر متباينة جداً، ولا نرى فيها أناساً متذمرين حقاً، أو أناساً يعاودهم الحنين فعلاً إلى استرجاع الماضي، أو استعادة السيادة البيزنطية مثلاً، وهي لم تترك في أذهان الناس ذكريات سعيدة فقط في مجال الضرائب، والمنازعات الطائفية..»[2].

[٥] «استطاع الإسلام أن يعوض عن الخسائر التي تكبدها في البحر المتوسط بمكاسب حصل عليها في إفريقية السوداء وآسيا الجنوبية. ففي السودان كانت القوافل المغربية قد نشرت الإسلام منذ زمن بعيد.. أما الزعماء الزنوج المحليون فقد وجدوا في الإسلام مبادئ وتعاليم تساعدهم على إنشاء مؤسسات سياسية؛ أرسخ بنياناً من تلك التي عهدوها قديماً في بلادهم. وامتدت سيادة إمبراطورية (مالي)

(١) نفسه، ١/ ٣٥٥.
(٢) نفسه، ١/ ٣٨٦.

(القرن الرابع عشر) مع حاضرتها (تومبوكتو) في المركز، وكذلك سيادة إمبراطورية (غاو) التي خلفتها في القرن الخامس عشر من الغابات العذراء حتى الواحات الصحراوية المغربية. وانتشرت الثقافة الإسلامية في تلك البقاع على يد العلماء المغاربة ومختلف النازحين (الأندلسيين). وفي بلاد (تشاد) التقت تأثيرات مغربية ومصرية. ثم لم يلبث أن قدم النخاسون الأوربيون، فأوقفوا هذا التقدم الثقافي الذي أحدثه الإسلام ـ ولو من بعض الوجوه ـ قبل مجيء الغربيين بأمد بعيد»[1].

هاملتون كب

[١] «انبثق الإسلام انبثاقاً مفاجئاً في بلاد العرب، وأقام بسرعة تكاد تعز على التصديق، في أقل من الزمن، إمبراطورية جديدة في غربي آسيا، وشواطئ البحر المتوسط الجنوبية والغربية»[2].

[٢] «لقد تمت الفتوحات [الإسلامية] دون أن تزعزع اقتصادياً البلاد المفتوحة، وعلى أثرها أقام الفاتحون تواً سلطة مركزية منظمة»[3].

[٣] «في التاريخ أمثلة توسع الدول لا سبيل إلى تعاليلها، لكن ليست هناك سوى أمثلة قليلة جداً على دولة تكونت على هذا النحو، واستطاعت أن تبلغ ما بلغته الدولة الإسلامية من استمرار واستقرار نسبيين»[4].

[٤] «لنأخذ بعين الاعتبار المظاهر الخارجية للحيلولة التي برهن عليها الإسلام خلال الحقبة [التالية] من الزمن مثل قيام الإمبراطورية العثمانية في الشرق الأدنى وإمبراطورية المغول في الهند. . ازدهار أندونيسيا، ماليزيا، ازدياد عدد المسلمين في الصين، طرد الأسبانيين والبرتغال من مراكش، امتداد المنطقة الإسلامية في إفريقيا الغربية والشرقية. كان من السهل واليسير على المؤرخين القدامى أن ينظروا إلى جميع هذه الأحداث أو أغلبها نظرتهم إلى حركات عسكرية صرفة. ولا يمكن بالطبع أن يغيب عن الذهن هذا العنصر المتعلق بالقوة العسكرية الغازية؛ التي وضعها الإسلام بتلك

(١) نفسه، ١/ ٤٠٤.
(٢) دراسات في حضارة الإسلام، ص ٤.
(٣) نفسه، ص ٨.
(٤) نفسه، ص ٤٥.

الفترة. ومع ذلك فإن أية عقيدة غازية تنمو وتمتد هي عقيدة حية. إنها تبين منذ ذلك الوقت أنها أكثر من مجموعة من المعتقدات والتطبيقات الجافة. ونحن كذلك نعرف في الوقت الحاضر أكثر من أي وقت مضى الإيمان الذي تلعبه هذه العقيدة الحية التي مهدت الطريق قبل كل شيء لهذه القوة العسكرية، وساعدتها بعد ذلك على التشكل وتكييف التركيب الداخلي، وتنظيم الإمبراطورية، كما ساعدت على ترميم التخريبات الناتجة عن الحروب، وإعادة تنظيم التركيب الاجتماعي..»[1].

كرامرز[2]

[١] «لو رسمنا خريطة تبين الأحوال السياسية الأوربية والإفريقية وغربي آسيا في حوالي منتصف القرن العاشر [الميلادي] لوجدنا أن القسم الأعظم من العالم المسكون. كان مسكوناً بأمم تخضع للحكم الإسلامي، وتسودها الحضارة الإسلامية. إنها لم تكن في ذلك الزمن وحدة سياسية متينة العرا. بل كانت مرتبطة فيما بينها برباط قوي من الدين والحضارة، حتى إن سكانها ـ مع أنهم لم يكونوا من المسلمين فقط ـ كانوا يشعرون بأنهم رعايا دولة إسلامية مترامية الأطراف مركزها الديني مكة، ومحورها السياسي بغداد. هذه الإمبراطورية العظيمة نمت وبلغت أشدها في القرون الثلاثة الأولى من تاريخ الإسلام، وبسلسلة من الفتوحات ابتدأت بالمدينة المنورة، وكان ميدانها ومركز ثقلها شبه جزيرة العرب.. مع أن الأقاليم [التي فتحها الإسلام] تختلف إذا قورنت بالبلاد التي يسكنها المسلمون الآن، فضلاً عن أنها أوسع رقعة، فالحقيقة التي لا يمكن دحضها أنها كانت تؤلف كتلة دينية واحدة، فضلاً عن وحدة سياسية متينة العرا متراصة البنيان جمعت بينها قوة السلاح، وجعلت سكانها يقفون في العالم كأعظم قوة مركبة متحدة عرفها البشر..»[3].

---

(١) الاتجاهات الحديثة في الإسلام، ص ٢٨ـ٢٩.

(٢) البروفسور جي. ج. كرامرز Prof.J.H.Krmers
ولد بهولندة، سنة ١٨١٩، وكان أستاذ للتركية والفارسية في جامعة ليدن سنة ١٩٣٩، اشتغل من ١٩١٥ حتى ١٩١٢ مترجماً للسفارة الهولندية في الآستانة. كان أحد المساهمين في كتابة كثير من الموضوعات في دائرة المعارف الإسلامية، وألف كتاب: (في التاريخ عند الأتراك العثمانيين) (١٩٤٤).

(٣) تراث الإسلام، (إشراف سير توماس أرنولد)، ص ١٢٧ ـ ١٢٨.

٢ «. . إن أورشليم [القدس] المركز الديني الأسمى لأوربة النصرانية دخلت منذ السنة ٦٣٨م في حوزة الإسلام. إلّا أن الفتح الإسلامي لم يمنع من زيارة القبر المقدس، أو يحل بين الأوربيين المسيحيين وبين إنجاز هذه الفريضة الدينية. .»(١).

جوليفيه كستلو

١ «. . ما كان الحكم الذي امتد ظله إلى المجر ظالماً ولا قاسياً، فقد كان العثمانيون يرعون أديان الشعوب المحكومة، ويحترمون، وظلت تركية متمسكة بهذه القاعدة إلى القرن العشرين، وما تعمدت قط أن تتمثل العناصر، بل اكتفت بفرض الضرائب عليهم. وقد رأينا الشعوب التي خضعت لحكم السلطنة أضاعت قوميتها، وكانت مع هذا أيام استعبادها أسعد حالاً من العصور المضطربة المحاربة أيام استقلالها، وربما لم تربح إلى اليوم من هذا التبدل في الحكم. .»(٢).

كمبل(٣)

١ «. . لا يقتصر نفور [الإفريقي] من السير على المنهاج الغربي، بل يتعداه إلى وجوب البحث عن منهاج آخر أوفق للعقل الإفريقي والظروف الإفريقية، مع تفضيل الإسلام ـ لتسليمه بمواطن الضعف الإنساني وإغضائه عن فوارق الأوان ـ على المسيحية بما تدعو إليه من الدقة، وتشتمل عليه من الكهنوتية المعقدة والاعترافات بالفوارق الكثيرة، فضلاً عن الارتباط بين وجودها الطبقات الحاكمة. .»(٤).

إيفلين كوبولد

١ «. . إن الإسلام لا يعرض لمعتنقي الأديان الأخرى بسوء، وهو لا يحملهم على قبول دينه والنزول تحت شرعته. . كما أنه لم يحارب الذين لم يعتنقوا دينه، ولا عمل على قتلهم وحروقهم وتعذيبهم كما فعل غيره و سواه، وآية القرآن الكريم ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ [البقرة: ٢٥٦]. .»(٥).

---

(١) نفسه، ص ١٢٩.
(٢) قانون التاريخ، (عن محمد كرد علي: الإسلام والحضارة العربية)، ٢/٤٩٦ـ٤٩٧.
(٣) جورج كمبل G.Kimble
رئيس قسم الجغرافية بجامعة إنديانا الأمريكية، مؤلفا كتاب (إفريقية الاستوائية) في مجلدين.
(٤) إفريقية الاستوائية، عن العقاد: ما يقال عن الإسلام، ص ١١٢ـ١١٣.
(٥) البحث عن الله، ص ٩٣.

[٢] «هذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما دخل بيت المقدس فاتحاً ظافراً.. أدركته الصلاة، وكان في داخل كنيسة القيامة، فخرج منها وصلى خارجها. ولما سأله البطريك عن سبب ذلك قال له: أخشى أن يتخذ المسلمون بعدي من صلاتي هذه في الكنيسة حجة لقلبها إلى مسجد، فيخرقون المعاهدة بذلك.. وبذلك حفظ الفاروق للمسيحية كنيستهم الأولى..»(١).

[٣] «لما استرجع السلطان صلاح الدين بين المقدس بعد معارك عديدة، وطرد الصليبيين من البلاد؛ أظهر في حروبه ومعاركه كل ألوان الرفق والرحمة والعطف والعفو عند المقدرة، وحفظ له كثير من كتاب الغرب هذه الصفات، ولم يتأخروا من المجاهرة بها، والإقرار بأنه كان أشرف الأعداء وأطهر الفاتحين»(٢).

[٤] «مما يجدر ذكره أن صلاح الدين لما افتتح القدس، وكانت أفعال الصليبيين الدامية بأهلها لا تزال ملء السمع والبصر، أبى أن يعامل المغلوبين إلّا بالحسنى والرفق، ورفض الانتقام من الذين أساؤوا وأحرقوا ودمروا، وزاد ندىً فسمح لجميع المسيحيين بمغادرة المدينة، ورعاية رجالهم والمحافظة على قوادهم»(٣).

كولدتسيهر

[١] «.. إنه مما لا يمكن إنكاره أن الأوامر القديمة التي وضعت للمسلمين الفاتحين إزاء أهل الكتاب الخاضعين لهم، أثناء هذه المرحلة الأولى من التطور الفقهي كانت قائمة على روح (التسامح) وعدم التعصب. وإن ما يشاهد اليوم مما يشبه أن يكون تسامحاً دينياً في علاقات الحكومات الإسلامية، ونجد ظواهر هذا التشريع في الإسلام في كتب الرحالة في القرن الثامن عشر، يرجع إلى ما كان في النصف الأول من القرن السابع من مبادئ الحرية الدينية التي منحت لأهل الكتاب في مباشرة أعمالهم الدينية»(٤).

[٢] «روح التسامح في الإسلام قديماً، تلك الروح التي اعترف بها المسيحيون المعاصرون أيضاً، كان لها أصلها في القرآن: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ [البقرة:

---

(١) نفسه، ص ٩٤.
(٢) نفسه، ص ٩٥.
(٣) نفسه، ص ٩٥-٩٦.
(٤) العقيدة والشريعة في الإسلام، ص ٤٥.

٢٥٦]. . . وقد جاءت الأخبار عن السنين العشر الأولى للإسلام بمثل للتسامح الديني للخلفاء، إزاء أهل الأديان القديمة، وكثيراً ما كانوا يوصون في وصاياهم للفاتحين بالتعاليم الحكيمة، ومن المثل لذلك عهد النبي ﷺ مع نصارى نجران؛ الذي حوى احترام منشآت النصارى، ثم هذه القواعد التي أعطاها لمعاذ بن جبل عند ذهابه إلى اليمن (لا يزعج يهودي في يهوديته). وفي هذه الدائرة العالية كانت أيضاً عهود الصلح التي أعطيت للنصارى الخاضعين للدولة البيزنطية التي اندمجت في الإسلام، وبموجبها كانوا ـ في مقابل دفع الجزية ـ يستطيعون مباشرة شؤونهم الدينية من غير إزعاج لهم. . »[١].

٣ «وكما أن مبدأ التسامح كان جارياً في الأعمال الدينية، كذلك من جهة أخرى كان يراعى فقهياً، فيما يتعلق بالمعاملات المدنية والاقتصادية بالنسبة لأهل الكتاب مبدأ الرعاية والتساهل، فظلم أهل الذمة، وهم أولئك المحتمون بحمى الإسلام من غير المسلمين، كان يحكم عليه بالمعصية وتعدي الشريعة. ففي بعض المرات عامل حاكم إقليم لبنان الشعب بقسوة؛ عندما ثار ضد ظلم أحد عمال الضرائب، فحكم عليه بما قاله الرسول ﷺ: (من ظلم معاهداً، وكلفه فوق طاقته فأنا حجيجه يوم القيامة) وفي عصر أحدث من هذا ما رواه بورتر Porter في كتابه (خمس سنين في دمشق) من أنه رأى بالقرب من بصرى (بيت اليهود) وحكى أنه كان في هذا الموضع مسجد هدمه عمر [رضي الله عنه] لأن الحاكم قد اغتصبه من يهودي ليبني عليه هذا المسجد»[٢].

عبد الله كويليام

١ «إن سرعة انتشار الإسلام [في العصر الحديث] يرجع لعدم الخلط في أصوله وبنيانه؛ الأمر الذي جعل له مكاناً ثابتاً في قلوب أهله، وكل من تدين به؛ بخلاف النصرانية فإنها مزعزعة الأركان قل ما يكون لها ثبات عند الإنسان لما فيها من التبديل والتغيير والتحريف والتحوير. . لقد أفاد الإسلام التمدن أكثر من النصرانية، ونشر راية المساواة والأخوة، وهذه الأدلة نذكرها نقلاً عن تقارير الموظفين من الإنكليز. وعما كتبه أغلب السواح عن النتائج الحسنة التي نتجت من

(١) العقيدة والشريعة في الإسلام، ص ٤٦.
(٢) نفسه، ص ٤٦-٤٧.

الدين الإسلامي، فإنه عندما تتدين به أمة من الأمم السودانية [الإفريقية] تختفي من بينها في الحال عبادة الأوثان، وأتباع الشيطان والشرك، وتحرم أكل لحم الإنسان وقتل الرجال ووأد الأطفال، وتضرب عن الكهانة، ويأخذ أهلها في أسباب الإصلاح وحب الطهارة واجتناب الخبائث والرجس، والسعي نحو إحراز المعالي وشرف النفس، ويصبح عندهم قرى الضيف من الواجبات الدينية، وشرب الخمر ولعب الميسر محرمة، والرقص القبيح، ومخالطة النساء دون تمييز منعدمة، ويحسبون عفة المرأة من الفضائل، ويتمسكون بحس الشمائل»[(١)].

٢ «[زعم عدد من الكتاب الغربيين] أن الإسلام في شرقي إفريقية قائمة قواعده الأساسية على التجارة في الرقيق، وجميع وسائل القسوة والانحطاط. إن روايات كهذه مجردة بالمرة عن الحقيقة، لا يمكن تصديقها وتصور وقوعها، وإني بدون تردد أثبت وأقول عن سعة خبرة واطلاع عن شرقي إفريقية وأواسطها بما ليس في إمكان [أولئك الكتاب] أن يأتوا بمثله: أنه لو كان للنخاسة وجود في هذه البقاع فما ذلك إلّا لأن الإسلام لم يدخل فيها، وبرهان ذلك أن الإسلام من خصائصه إبطال النخاسة إبطالاً دائماً»[(٢)].

٣ «لنزدلف الآن إلى غربي إفريقية والسودان الأوسط ـ حيث أتاحت لي الفرص زيارة هذه الجهات ـ فأقول: إننا إذا قلبنا الطرف، وأجلنا النظر نجد الإسلام كجسم قوي تدب فيه روح الحياة والنشاط، وتتحرك فيه عوامل الحماسة والإقدام كما كان في أيامه الأولى. فترى الناس تدخل فيه أفواجاً أفواجاً، وتقبل عليه بإقبال عجيب يشبه أيامه السالفة.. وإن دعاة الدين المسيحي يحاولون قلب الحقائق وإلقاء تبعة آثام النخاسة على عاتق الإسلام.. وتراهم عن إدراك مزايا هذا الدين المبين يصفون انتشاره بداهية دهماء على الإفريقيين، ويقولون ـ كما لقن إليهم في حداثتهم ـ بأن دين محمد الإسلام لم تقم له قائمة إلّا بقوة النار [والسيف].. هذه هي

(١) العقيدة الإسلامية، ص ١٥ـ١٧ عن: (كانن إسحاق يتلر في خطبة له بمؤتمر الكنيسة الإنكليزية بتاريخ ٧ أكتوبر سنة ١٨٨٧، ونشر بجريدة التايمس في اليوم التالي).

(٢) نفسه، ص ٢٦ـ٢٧ عن: (المستر جوزيف تومبس J.Tompson الرحالة الإنكليزي الشهير، جريدة التايمس، ١٤ نوفمبر ١٨٨٧).

التخيلات المطبوعة في أذهانهم، والتي يشيعونها عن انتشار الإسلام، وهي على ما أظن تصورات توارثوها جيلاً فجيل»(١).

٤ «.. على هذا المنوال انغرست بذور المدنية عدة قبائل همجية [في إفريقية] ونما فيها الإسلام نمواً هائلاً؛ إلى حد رنّ فيه صدى هذه البلاد، وملأ الآفاق، وها هو يقام فيها في الصباح والظهر، وما يلي ذلك من الأوقات كلمة المناداة في الإسلام ـ الأذان ـ فبعد ما كان الناس يسجدون للأشجار، ويعبدون الأحجار؛ صاروا يسجدون الآن لله الواحد القهار..»(٢).

جاك كيمن

١ «إن الشريعة الإسلامية امتزجت بعناصر وطنية إفريقية، تؤلف عاملاً من عوامل التوحيد. ولما كانت الوثنية بين زنوج إفريقية تتميز في جوهرها بالشعور الإقليمي الضيق؛ كان لا بد من اتساع نطاق الإسلام في هذا العصر الذي تزايدت فيه المواصلات، وتضاعفت الاتصالات. وقد احتفظ الإسلام في المناطق التي نفذ إليها قبل المسيحية والأوربيين، بتأثيره الموحد. أما في غير ذلك من الأماكن فقد ظل منافساً للمسيحية؛ لأنه أسهل اعتناقاً. إن الإسلام قد رفع مستوى الحضارة لدى الزنوج..»(٣).

روم لاندو

١ «في عصر كان (السلب والنهب) هو القاعدة التي يتبعها كل جيش منتصر لدن دخوله مدينة ما، ويبدو العهد الذي أعطاه خالد بن الوليد [رضي الله عنه] لأهل دمشق إنسانياً إلى أبعد الحدود، ومتعادلاً إلى أبعد الحدود. ويبدو جلياً، في الواقع، أن الكتائب العربية اعتبرت نفسها محررة للشعب المضطهد وحاملة رسالة الإسلام إليه في آن معاً. وقد اتخذ شروطَ الاستسلام هذه نموذجٌ احتذي فيما بعد عند فتح المدن السورية والفلسطينية الأخرى»(٤).

(١) نفسه، ص ٢٩ـ٣٠ (عن مقال تومبسن المذكور).
(٢) نفسه، ص ٣٢ـ٣٣ (عن مقال تومبسن المذكور).
(٣) الوحدة والتنوع في الحضارة الإسلامية (تحرير كروناباوم)، ص ٢٦.
(٤) الإسلام والعرب، ص ٦٠.

٢ «إذا اعتبرت القرون الوسطى عصر إيمان وحرب، فالحروب الصليبية هي أكمل تعبير عنها وأشنعه. والذي لا ريب فيه أن العقل الأوربي الوسيطي Medieval قد اعتبر الحروب الصليبية حروباً مقدسة من أجل قضية مقدسة. ففي الإسلام لم يعلن أي (جهاد) عام ضد الصليبيين، ولم يوجه الخليفة دفة هذه الحروب، أما في الغرب فقد فني البابا في تلك القضية، واعتبرها قضيته الذاتية. والواقع أن الحروب الصليبية ـ كحركة دينية ـ كشفت ـ من طريق التعصب والتطرف الدينيين ـ عن أسوأ مظاهر النصرانية الوسيطية كلها. لقد نجحت الحروب المقدسة في خلق شقة واسعة تفصل ما بين الشرق والغرب؛ بدلاً من أن تعيد تدعيم الجسر الرابط ما بين ثقافتين تجمع ما بينهما في نهاية المطاف مفاهيم إيمانية مشتركة، ومصالح ثقافية تمتنع على الإحصاء..»[1].

٣ «على نقيض الإمبراطورية النصرانية التي حاولت أن ترفض المسيحية على جميع رعاياها فرضاً، اعترف العرب بالأقليات الدينية، وقبلوا بوجودها. كان النصارى واليهود والزرادشتيون يعرفون عندهم بـ (أهل الذمة)، أو الشعوب المتمتعة بالحماية. لقد ضمنت حرية العبادة لهم من طريق الجزية.. التي أمست تدافع بدلاً من الخدمة العسكرية. وكانت هذه الضريبة مضافاً إليها الخراج، أقل في مجموعها من الضرائب التي كانت مفروضة في ظل الحكم البيزنطي. كانت كل فرقة من الفرق الدينية تعامل كملة، أي: كطائفة نصف مستقلة استقلالاً ذاتياً ضمن الدولة. وكانت كل ملة تخضع لرئيسها الديني..»[2].

٤ «من وجهة نظر منطقية وعقلانية نستطيع أن نفترض أنه كان خليقاً بالنصارى أن يتحالفوا مع المسلمين النزاعين إلى الوفاء بالمعاهدات؛ لكي يدافعوا عن الإنسانية بلاء المغول. والواقع أنه كان في ميسورهم أن ينهجوا هذا النهج، ومع ذلك فنحن نجد أن ما حدث كان هو العكس تقريباً. فقد وجه زعيم العالم المسيحي، البابا أنوسنت الرابع، بعثتين إلى منغوليا. وكان القديس لويس الورع، قد أبى على نحو موصول أن يتفاوض مع المسلمين بأية حال، ومع ذلك فإنه لم

(١) نفسه، ص ١١٥.
(٢) نفسه، ص ١١٩.

يجد أية غضاضة على معتقداته الدينية أن يوجه موفدين لمفاوضات المغول الوثنيين»(١).

٥ «كان الأسبان قد نعموا، في ظل الحكم الإسلامي، بمعاملة متسامحة تحررية، ولكنهم لم يكونوا الآن [بعد انتصارهم النهائي] في وضع نفسي يساعدهم على تبني السياسة المتمدنة نفسها، فراحوا يحنثون، في حرارة دينية متعصبة، بالعهود الغليظة التي أخذوا على أنفسهم باحترام الدين الإسلامي والممتلكات الإسلامية، فإذا بهم يحرقون الكتب العربية، ويتلفون معظم الآثار التي كانت عنوان تفوق الثقافة الإسلامية. وفي عام ١٤٩٩ م دشن الكاردينال كزمينز برنامجاً للتنصير الإجباري شعاره: إما المعمودية وإما الإخراج من البلاد، ونشطت محاكم التفتيش نشاطاً رهيباً. وأكره كثير من المسلمين واليهود على مغادرة إسبانية. وعام ١٥٥٦م أجبر الملك فيليب الثاني من بقي من المسلمين في البلاد على التخلي عن لغتهم ودينهم ومؤسساتهم. حتى إذا كانت سنة ١٦٠٩م أفضى مرسوم ملكي نهائي إلى ترحيلهم ترحيلاً كاملاً. ويقدر المؤرخون عدد المسلمين الذين أبعدوا أو قتلوا، ما بين سقوط غرناطة ومطلع القرن السابع الهجري، بثلاثة ملايين ونيف»(٢).

كوستاف لوبون

١ «ثبتت أصول شريعة الرسول ﷺ وفنون العرب ولغتهم أينما حلت، ولم يدر في خلد أحد من الفاتحين الكثيرين الذين قهروا العرب إقامة حضارة مقام حضارة العرب، وانتحلوا كلهم دين العرب وفنونهم، واتخذ أكثرهم العربية لغة له، وتقهقرت أمام الإسلام في الهند ديانات قديمة، وجعل الإسلام مصر الفراعنة القديمة، التي لم يكن للفرس واليونان فيها سوى نفوذ قليل، عربية تامة العروبة، وعرفت أقوام الهند والفرس ومصر وإفريقية لهم سادة غير أتباع محمد ﷺ فيما مضى ولم يعرفوا لهم سادة غير المسلمين بعد أن رضوا بالإسلام ديناً»(٣).

(١) نفسه، ص ١٣٠.
(٢) نفسه، ص ١٨٠.
(٣) حضارة العرب، ص ٢٧.

[٢] «ساعد وضوح الإسلام البالغ وما أمر به من العدل والإحسان كل المساعدة على انتشاره في العالم، ونفسر بهذه المزايا سبب اعتناق كثير من الشعوب النصرانية للإسلام، كالمصريين الذين كانوا نصارى أيام حكم قياصرة القسطنطينية، فأصبحوا مسلمين حين عرفوا أصول الإسلام، كما نفسر السبب في عدم تنصر أية أمة بعد أن رضيت بالإسلام ديناً، سواء أكانت هذه الأمة غالبة أم مغلوبة»[(١)].

[٣] «.. إن القوة لم تكن عاملاً في انتشار القرآن، فقد ترك العرب المغلوبين أحراراً في أديانهم، فإذا حدث أن اعتنق بعض الأقوام النصرانية الإسلام، واتخذوا العربية لغة لهم؛ فذلك لما رأوا من عدل العرب الغالبين ما لم يروا مثله من سادتها السابقين، ولما كان عليه الإسلام من السهولة التي لم يعرفوها من قبل»[(٢)].

[٤] «. لو وفق موسى بن نصير [في اجتياز أوربة] لجعل أوربة مسلمة، ولحقق للأمم المتمدنة وحدتها الدينية، ولأنقذ أوربة، على ما يتحمل، من دور القرون الوسطى الذي لم تعرفه إسبانية بفضل العرب»[(٣)].

برنارد لويس

[١] «الواقع أن الذي غزا أتراك آسيا الوسطى، لم يكن المسلمون، بل كان الإسلام ذاته. فقد كان المتصوفون والمبشرون المتجولون.. يتنقلون بين القبائل التي لم يتم إخضاعها فيما وراء النهر ينشرون الدين البسيط، دين الكفاح الذي ازدهر على الحدود بين الإسلام والوثنية»[(٤)].

[٢] «.. هروب اليهود الأسبان إلى تركيا معروف للجميع، ولكنه ليس الحالة على الإطلاق. وعندما انتهى الحكم العثماني في أوربة، كانت الأمم المسيحية التي حكمها العثمانيون خلال عدة قرون لا تزال هناك، بلغاتها وثقافاتها ودياناتها ـ وإلى حد ما ـ بمؤسساتها.. أما إسبانيا وصقلية فليس فيها اليوم مسلمون أو ناطقون باللغة العربية..»[(٥)].

---

(١) نفسه، ص ١٢٥.
(٢) نفسه، ص ١٢٧ـ١٢٨.
(٣) نفسه، ص ٢٦٧.
(٤) تراث الإسلام (تصنيف شاخت وبوزورث ١/ ٢٧٩).
(٥) نفسه، ١/ ٢٨٦ـ٢٨٧.

٣ «لم يكن اللاجئون المسلمون واليهود، ولا المسيحيون من ذوي الآراء الدينية والسياسية المنشقة، هم الأوربيين الوحيدين الذين استفادوا من الحكم العثماني، إذ إن الفلاحين في المناطق التي غزيت قد تمتعوا ـ بدورهم ـ بتحسن كبير في أوضاعهم. فقد جلبت الحكومة الإمبراطورية العثمانية الوحدة والأمن مكان الصراع والفوضى.. و[أصبح] الفلاحون يتمتعون بقدر من الحرية في حقولهم أكبر بكثير من ذي قبل، وكانت الضرائب التي يدفعونها تقدر بصورة مخففة، وتجمع بطريقة إنسانية، وذلك بالمقارنة بما كان يجري في أنظمة الحكم السابقة والمجاورة.. فحتى القرن التاسع عشر كان الأوربيون الذي يزورون البلقان يعلقون على أوضاع فلاحي البلقان الحسنة، وعلى رضاهم عن هذه الأوضاع، وكانوا يجدونها أفضل من الأوضاع السائدة في بعض أنحاء أوربة المسيحية. وكان الفرق أوضح بكثير في القرنين الخامس عشر والسادس عشر، في عصر التمرد الكبير الذي كان يقوم به الفلاحون في أوربة. وحتى عملية الدوشرمة Deushrime وهي عملية الجمع القسري للأولاد من بين الفلاحين المسيحيين من أجل تجنيدهم في الجيش العثماني، وفي خدمة الدولة؛ لم تخل من نواح إيجابية. فبهذه الوسيلة كان أقل القرويين شأناً يستطيع أن يرتقي إلى أعلى المراكز وأكثرهم نفوذاً، وقد ارتقى الكثيرون بالفعل، وأحضروا أسرهم معهم، وهو شكل من أشكال المرونة الاجتماعية كان مستحيلاً في المجتمعات الأرستقراطية للعالم المسيحي المعاصر للعثمانيين»[1].

السر ليختنستادتر

١ «لقد جسمت العداوة المسيحية خطر الحرب المقدسة في إخضاع البلاد التي لا تدين بالإسلام للسيطرة الإسلامية، إذ إن القتال لم يكن له كل هذا العمل في انتشار الفتوح حتى في إبان القرن الأول بعد الدعوة، وإنما تم معظم هذه الفتوح بالتسليم ومعاهدات الصلح، ووردت في هذه المعاهدات فقرات تبيح لأهل الكتاب من أبناء البلاد المفتوحة أن يحتفظوا بعقائدهم وشعائرهم بشروط ليست على الجملة بالمرهقة. فليست فكرة النار والحديد بالفكرة الصحيحة التي يؤيدها الواقع،

(١) نفسه، ١/ ٢٨٧-٢٨٨، وانظر المرجع نفسه ١/ ٢٨٨-٢٨٩.

ومن الميسور كما يقول المؤرخ توينبي أن نسقط الدعوة الإسلامية التي شاعت بين جوانب العالم المسيحي غلواً في تجسيم أثر الإكراه في الدعوة الإسلامية، إذ لم يكن التخيير ببلاد الروم والفرس بين الإسلام والسيف، وإنما كان تخييراً بين الإسلام والجزية، وهي الخطة التي استحقت الثناء؛ لاستنارتها؛ حين اتبعت بعد ذلك في البلاد الإنجليزية على عهد الملكة اليصابات..»[(١)].

آدم متز

[١] «إن أكبر فرق بين الإمبراطورية الإسلامية وبين أوربة التي كانت كلها المسيحية في العصور الوسطى؛ وجود عدد من أهل الديانات الأخرى، بين المسلمين وأولئك هم (أهل الذمة) الذين كان وجودهم من أول الأمر حائلاً بين شعوب الإسلام وبين تكوين وحدة سياسية.. واستند أهل الذمة إلى ما كان بينهم وبين المسلمين من عهود وما منحوه من حقوق، فلم يرضوا بالاندماج في المسلمين، وقد كان وجودهم سبباً لظهور مبادئ التسامح التي ينادي بها المصلحون المحدثون، وكانت الحاجة إلى المعيشة المشتركة، وما ينبغي أن يكون معروفاً في أوربة في العصور الوسطى، ومظهر هذا التسامح نشوء علم مقارنة الأديان، أي: دراسة الملل والنحل على اختلافها، والإقبال على هذا العلم بشغف عظيم»[(٢)].

[٢] «ولم يكن في التشريع الإسلامي ما يغلق دون أهل الذمة أي باب من أبواب الأعمال، وكان قدمهم راسخاً في الصنائع التي تدر الأرباح الوافرة، فكانوا صيارفة وتجاراً وأصحاب ضياع وأطباء. بل إن أهل الذمة نظموا أنفسهم بحيث كان معظم الصيارفة في الشام مثلاً يهوداً، على حين كان أكثر الأطباء والكتبة نصارى. وكان رئيس النصارى في بغداد هو طبيب الخليفة، وكان رؤساء المسلمين وجهابذتهم عنده..»[(٣)].

[٣] «كانت حياة الذمي عند أبي حنيفة وابن حنبل تكافئ حياة المسلم، ودية المسلم، وهي مسألة مهمة جداً من حيث المبدأ. ولم تكن الحكومة

(١) الإسلام والعصر الحديث، عن العقاد: ما يقال عن الإسلام، ص٢٢-٢٣.
(٢) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع، ١/ ٥٧.
(٣) نفسه، ١/ ٦٨-٦٩.

الإسلامية تتدخل في الشعائر الدينية لأهل الذمة، بل كان يبلغ من بعض الخلفاء أن يحرض مواكبهم وأعيادهم، ويأمر بصيانتهم.. وكذلك ازدهرت الأديرة بهدوء..»[1].

٤ «ومن الأمور التي نعجب لها كثرة عدد العمال والمتصرفين غير المسلمين في الدولة الإسلامية..»[2].

٥ «كان تسامح المسلمين في حياتهم مع اليهود والنصارى، وهو التسامح الذي لم يسمع بمثله في العصور الوسطى، سبباً في أن لحق بمباحث علم الكلام شيء لم يكن قط من مظاهر العصور الوسطى، وهو علم مقارنة الملل..»[3].

جواهر لال نهرو

١ «المدهش حقاً أن نلاحظ هذا الشعب العربي الذي ظل منسياً أجيالاً عديدة بعيداً عما يجري حوله قد استيقظ فجأة، ووثب بنشاط فائق أدهش العالم، وقلبه رأساً على عقب. وإن قصة انتشار العرب في آسيا وأوربة وإفريقية، والحضارة الراقية المدنية الزاهرة التي قدموها للعالم هي أعجوبة من أعجوبات التاريخ»[4].

٢ «سار العرب من فتح إلى فتح، وكثيراً ما ربحوا الحروب بدون قتال. وفي غضون خمسة وعشرين عاماً من وفاة الرسول ﷺ، فتح العرب جميع بلاد فارس وسورية وأرمينية وجزءاً من أواسط آسيا الشرقية ومصر وجزءاً من شمال إفريقية. وقد سلمت لهم مصر بسهولة؛ لأنها كانت قد قاست كثيراً من استبداد الإمبراطورية الرومانية ومن الحروب الطائفية..»[5].

٣ «.. إن العرب كانوا في بداية يقظتهم متقدمين حماساً لعقيدتهم، وإنهم كانوا مع ذلك قوماً متسامحين؛ لأن دينهم يأمر في موضع عديدة بالتسامح والصفح. وكان عمر بن الخطاب [رضي الله عنه] شديد الحرص على التسامح

(١) نفسه، ص ١/ ٦٩-٧٠.
(٢) نفسه، ١/ ٨٧.
(٣) نفسه، ص ١/ ٣٦٦.
(٤) لمحات، ص ٢٣.
(٥) نفسه، ص ٢٧.

عندما دخل بيت المقدس، أما مسلمو إسبانية فإنهم تركوا للجالية المسيحية الكبيرة هناك حرية العبادة.. الواقع أن أبرز ما يميز هذه الفترة من التاريخ هو الفرق الشاسع بين العرب المسلمين وتعصب النصارى الأوربيين!»[١].

[٤] «.. كانت حياة العرب في زمن محمد ﷺ غريبة، وكانت عزيمتهم تختلف عن عزيمة الجنود والجيوش التي كان يعتمد عليها الملوك. لقد برز هؤلاء العرب بعقيدة متوقدة قهرت الجبال، ونشرت الإسلام في الآفاق؛ كما تنتشر النار في الهشيم.. برزوا شامخين في عالمهم، فدانت أمام زحفهم المظفر الجيوش الجرارة. كانت الشعوب الأخرى متململة من أمرائها، فلاح العرب كبارقة الأمل لهذه القوة التي كانت ترقب الفرج والثورة الاجتماعية»[٢].

[٥] «إذا عدت النظافة عيباً في العرب، فقد أسند إليهم عيب آخر ألا وهو التسامح الديني، ويكاد المرء لا يصدق أن ذلك هي التهمة الرئيسية الموجهة للعرب في كتاب رئيس أساقفة فالنسيا الذي وضعه في عام ١٦٠٢ بعنوان (إلحاد العرب وخياناتهم) وطالب فيه بإقصاء العرب عن إسبانيا. وقد قال: (إن العرب يحبذون جداً حرية الضمير في الشؤون المتعلقة بالدين، شأنهم في ذلك شأن الأتراك والمسلمين الذين تركوا لأتباعهم الحرية الدينية). ولعمري ما أجمل هذا المدح الذي قصد به ذم مسلمي إسبانيا الذين يمتازون بتسامحهم الديني؛ في الوقت الذي استرسل فيه المسيحيون الأوربيون في التعصب والغلظة»[٣].

ليندون هاريس

[١] «إن ابن القبيلة الإفريقي يلمح نظافة المسلم شخصاً وبزة، كما يلمح المكانة التي يكسبها بأدب (الحشمة) الاجتماعية. وتتعلق مكانة الرجل الإفريقي بهذه الحشمة المصطلح عليها، وهي مكانة ذات شأن، حيث يعيش الناس على مرأى بعضهم من بعض في حيزهم المحدود، فلا جرم أن يعتز المسلم بهذه الحشمة فوق

(١) نفسه، ص ٣١.
(٢) نفسه، ص ٣٣.
(٣) نفسه، ص ٤٨.

اعتزازه بكل شيء؛ لأنها مقياس خلقه وحياته، وبها يستدعي المناظرة ومحاولة التشبه به من أبناء البلاد الأصلاء»[١].

زيغريد هونكه

١ «لعل من أهم عوامل انتصار العرب ما فوجئت به الشعوب من سماحتهم، فما يدعيه بعضهم من اتهامهم بالتعصب والوحشية إن هو إلّا مجرد أسطورة من نسيج الخيال؛ تكذبها آلاف من الأدلة القاطعة عن تسامحهم وإنسانيتهم في معاملاتهم مع الشعوب المغلوبة. والتاريخ لا يقدم لنا في صفحاته الطوال إلّا عدداً ضئيلاً من الشعوب التي عاملت خصومها والمخالفين لها في العقيدة بمثل ما فعل العرب. وكان لمسلكهم هذا أطيب الأثر؛ مما أتاح للحضارة العربية أن تتغلغل بين تلك الشعوب بنجاح لم تحظ به الحضارة الإغريقية ببريقها الزائف، ولا الحضارة الرومانية بعنفها في فرض إرادتها بالقوة»[٢].

٢ «﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٦] هذا ما أمر به القرآن الكريم، وبناء على ذلك فإن العرب لم يفرضوا على الشعوب المغولية الدخول في الإسلام. فالمسيحيون والزرادشتيون واليهود الذين لاقوا قبل الإسلام أبشع أمثلة للتعصب الديني وأفظعها، سمح لهم جميعاً دون أي عائق يمنعهم، بممارسة شعائر دينهم. وترك لهم المسلمون بيوت عبادتهم وأديرتهم وكهنتهم وأحبارهم دون أن يمسوهم بأدنى أذى. أو ليس هذا منتهى التسامح؟ أين روى التاريخ مثل تلك الأعمال ومتى؟ ومن ذا الذي لم يتنفس الصعداء بعد الاضطهاد البيزنطي الصارخ، وبعد فظائع الأسبان، واضطهادات اليهود؟ إن السادة والحكام المسلمين الجدد لم يزجوا بأنفسهم في شؤون تلك الشعوب الداخلية. فبطريك بيت المقدس يكتب في القرن التاسع [الميلادي] لأخيه بطريك القسطنطينية عن العرب: (إنهم يمتازون بالعدل ولا يظلموننا، وهم لا يستخدمون معنا أي عنف)»[٣].

٣ «. إن الإنسانية والتسامح العربي اللذان دفعا الشعوب ذات الديانة المختلفة إلى أن تعيش في انسجام مدهش.. وأن تبدأ نموها وتوسعها وازدهارها.

(١) الإسلام في إفريقية الشرقية، عن العقاد: ما يقال عن الإسلام، ص ٦٩ـ٧٠.
(٢) شمس العرب تسطع على الغرب، ص ٣٥٧ـ٣٥٨.
(٣) شمس العرب تسطع على الغرب، ص ٣٦٤.

ولأول مرة يتحرر أصحاب المذاهب المسيحية.. من اضطهاد كنيسة الدولة، فتنتشر مذاهبهم بحرية ويسر.. واستطاع العربي بإيمانه العميق أن يكون أبلغ سفير وداعية لديانته، لا بالتبشير وإيفاد البعثات، وإنما بخلقه الكريم وسلوكه الحميد. فكسب بذلك لدينه عدداً وفياً لم تكن آية دعوة مهما بلغ شأنها لتستطيع أن تكسب مثله»[١].

٤ «إن الأديرة المسيحية في سورية؛ التي كادت أن تنمحي في عصر الحكم المسيحي وصلت إلى ذروة عظمتها في الدولة الإسلامية، أو ليس هذا بغيب»[٢].

٥ «أوليس من العجيب أن نتساءل: لماذا نفسر كما يحلو لنا، والعرب المسلمون قد فتحوا فعلاً جزءاً من أوربة هو الأندلس، فلم يقضوا على المسيحية التي يزعمون أن شارل مارتل قد حماها، ولم يقضوا على المدينة الغربية التي لم يكن لها وجود؟!..»[٣].

مونتكمري وات

١ «لا يعني التأكيد ـ على إخضاع مشتركي الجزيرة للإسلام ـ إن الإسلام قد انتشر بحد السيف ـ حقاً إن القبائل الوثنية في الجزيرة العربية كان عليها أن تختار بين الإسلام، إلّا أن تعامل المسلمين كان مختلفاً تجاه اليهود والمسيحيين والزرادشتيين وغيرهم ممن اعتبرت دياناتهم شقيقة للإسلام، رغم الدعوى القائلة بأن الأتباع المعاصرة لتلك الديانات قد ابتعدوا عن جوهرها، ومهما كان الأمر فقد كان بالإمكان قبولهم نوعاً من الحلفاء للمسلمين في معظم الأقطار التي فتحتها العرب؛ لذلك فإن غرض الجهاد لم يكن يهدف إلى تحويل أولئك السكان نحو الإسلام بقدر ما كان يهدف إلى اعترافهم بالحكم الإسلامي، وبمنزلتهم أناساً يحميهم الإسلام. وبعامة فإنهم (أهل الذمة)، وكانت الطائفة الذمية مجموعة من الناس تعتنق ديانة واحدة لها استقلالها الداخلي برعاية رئيس ديني كالبطريك أو الرابي، وكان على كل فرد من إفراد المجموعة الذمية دفع ضريبة شخصية إلى

(١) نفسه، ص ٣٦٦ـ٣٦٧.
(٢) نفسه، ص ٣٦٨.
(٣) نفسه، ص ٥٤٠ـ٥٤١.

الحاكم المسلم، إضافة إلى مبالغ مختلفة أخرى تحدد استناداً إلى شروط الاتفاقية مع المجموعة. وكانت تلك الضرائب أحياناً أقل وطأة من الضرائب التي كانت تدفع للحكام السابقين. وكانت حمايتهم بصورة فعالة بالنسبة للدولة الإسلامية تمثل كلمة شرف تلتزم بها الدولة وتنفذها، ثم إن وضع أهل الذمة لم يكن سيئاً رغم بعض القيود المفروضة عليهم..»(١).

٢ «.. كانت هناك مناطق مثل شرق إفريقية وجنوب آسيا انتشر الإسلام فيها نتيجة نشاط رجال الأعمال إذ لم يكن للمسلمين في تلك المناطق الوثنية أية سرية في ممارسة الصلاة خمس مرات يومياً، وأن إخلاص هؤلاء المسلمين والتزامهم المتزن بالإسلام الحنيف أذهل الوثنيين الذين كانت لهم علاقات تجارية مع المسلمين مما أدى إلى اعتناق الإسلام والاختلاط عن طريق الزواج إلى تكوين مجتمعات إسلامية صغيرة وسط المناطق الوثنية، ونمت تلك المجتمعات بصورة تدريجية..»(٢).

هـ. ج. ولز

١ «.. أنشأ أبو بكر [رضي الله عنه]، بذلك الإيمان الراسخ الذي يزحزح الجبال ينصب نفسه في بساطة وحسن تبصر؛ لتنظيم إخضاع العالم بأسره لله، بجيوش صغيرة من ثلاثة آلاف أو أربعة آلاف عربي، وبناء على تلك الرسائل التي بعث بها النبي ﷺ من المدينة لكل ملوك العالم.. والحملات العسكرية التي بدأت عند ذاك من ألمع ما خلد تاريخ العالم.. وكان [المسلمون] في كل مكان يخيرون الناس بين أشياء ثلاثة: فإما أن تدفع الجزية، وإما أن تسلم بالله الحق وتنضم إلينا، وإما أن تقاتل.. ولم يحدث في أي مكان شيء اسمه المقاومة الشعبية.. فإن فاضل الناس بين البلاط الفارسي وبين العرب، كان العرب أعني عرب السنين العظيمة، أنظف الطرفين وأطهرها بشكل ظاهر، وكانوا أكثر عدالة وأوسع رحمة. وانضم العرب المسيحيون دون تردد إلى الغزاة، كذلك انضم إليهم كثير من اليهود.

(١) تأثير الإسلام على أوربة في العصور الوسطى، ص ١٣-١٤.
(٢) نفسه، ص ٣٠.

وكما كان الحال في الغرب كان كذلك في الشرق إذ استمر الجهاد الإسلامي لنشر الإسلام»[١].

٢ «.. استطاع الجنس السامي في بضع سنين باسم اللّه ورسوله ﷺ أن يسترد تقريباً كل الأملاك التي خسرها الفرس الآريين قبل ذلك بألف سنة، وسقطت بيت المقدس مبكراً. وكان النصارى ينعتون بالتسامح في مقابل دفع الجزية فقط، وتركت الكنائس بأسرها والآثار المقدسة بجامعها في حوزتهم»[٢].

٣ «.. لقد ساد الإسلام؛ لأنه كان خير نظام اجتماعي وسياسي استطاعت الأيام تقديمه. وهو قد انتشر لأنه كان يجد في كل مكان شعوباً بليدة سياسياً، تسلب وتظلم وتخوف ولا تعلم ولا تنظم، كذلك وجد حكومات أنانية سقيمة لا اتصال بينها وبين أي شعب أصالة. كان أوسع وأحدث وأنظف فكرة سياسية اتخذت سمة النشاط الفعلي في العالم حتى ذلك اليوم، وكان يهب بني الإنسان نظاما أفضل من أي نظام آخر. وكان النظام الرأسمالي الاسترقاقي في الإمبراطورية الرومانية، والأدب والثقافة والتقاليد الاجتماعية في أوربة قد انحلت انحلالاً تاماً، وانهارت قبل أن ينشأ الإسلام..»[٣].

ريشار وود

١ «ميز صاحب الشريعة الإسلامية ﷺ بين أهل الكتاب ـ وهم النصارى واليهود ـ وبين المشركين من العرب الذين تعرضوا لما أنزل الله على رسوله ﷺ. وقد وقع بين الخليفة الثاني عمر بن الخطاب [رضي الله عنه] وبين بطريق بيت المقدس اتفاقاً يضمن حماية النصارى ومنحهم امتيازات، وفى بها. ثم تولى الأمر بعده خلفاؤه إلى زمن السلاطين الآن. وبهذا بقيت طوائف نصرانية متعددة آمنة نامية مترفهه تحت حكم المسلمين، بل كانت في بعض الأحيان تمتاز حالتها الاجتماعية على حالة مواطنيها من المسلمين»[٤].

---

(١) معالم تاريخ الإنسانية، ٣/ ٦٤٣، ٦٤٤ـ٦٤٥.
(٢) نفسه، ٣/ ٦٤٧.
(٣) نفسه، ٣/ ٦٤٩.
(٤) الإسلام والإصلاح، ص ١٩ـ٢٠.

٢ «إن الذي يبحث بحثاً دقيقاً عن أسباب الفتن التي سفكت فيها الدماء في الشرق يعلم أن الباعث الوحيد على حدوثها هو إصبع السياسة الأجنبية؛ التي تنتهز الفرص لإيقاد نار الفتنة بين ذوي الأحقاد، ولم يكن أولئك المفسدون يحسبون أن هذه الفتن تجر إلى القتل والفظائع، ومن هذا القبيل واقعة الدروز والموارنة، وواقعة الصقالبة والبلغاريين، فقد تبين أن الاعتداء إنما كان يبتدئ من جانب النصارى»[1].

٣ «.. إن القرآن قد سمح للذميين بحرية ممارسة شعائر دينهم، وأوجب مساواتهم في الحقوق [المدنية والجنائية] مع سائر الأهالي، ولم يمنع من استشارتهم في مصالح الوطن»[2].

٤ «.. إن النصارى [في الدولة العثمانية] متمتعون بالحرية التامة.. ونحن لم نفرد بهذا القول فإن كثيرين من علماء الإنكليز والروس ألفوا كتباً أكدوا فيها أن أرباب الفلاحة خارج البلاد العثمانية يحسدون البلغار العثمانيين على حسن حالهم، وأمنهم في منازلهم، وبساتينهم الخصبة، وما تحت يدهم من الأطيان والمواشي، وصوامع كنائسهم مشرفة على كل الجهات. بل يقول هؤلاء المؤلفون: إن البلغار العثمانيين أحسن حظاً من المسلمين العثمانيين»[3].

٥ «.. للرؤساء الروحيين والأساقفة [في الدولة العثمانية] أن يتوسطوا لدى الحكومة في حماية أبناء طوائفهم، وهذا زيادة في الاحتياط لكيلا ينال غير المسلمين حيف أو ظلم.. وقد زالت تماماً الموانع التي كانت موجودة في سبيل تشييد الكنائس المجامع اليهودية، وأبيح لغير المسلمين من عثمانيين وأجانب إنشاء ما يشاؤون من المعابد. والواقع أن الكنائس كثر عددها جداً، وقد اعترف بذلك القسس الأمريكيون. ومما يبرهن على تساهل الحكومة العثمانية في ذلك إعفاؤها كل ما يجيء برسم الكنائس والأديار والمستشفيات وغيرها من الضريبة الجمركية.. وهذا أمر لا نعلم أنه يوجد في بلاد أخرى. وزيادة في عناية الدولة العثمانية بحماية غير المسلمين صدر أمر سلطاني ينذر بالعقاب كل من يصدهم عن عبادتهم، ولا ريب في

(١) نفسه، ص ٢٠.
(٢) نفسه، ص ٢١.
(٣) نفسه، ص ٢٢.

أن الدولة العثمانية قد صرفت جهد الطاقة لإرضاء رعاياها النصارى واليهود، وإزالة الفروق التي كانت موجودة بينه وبين المسلمين، ومشاركتهم في الإدارة العامة، وتقليدهم المناصب الرفيعة، وإعلاء شأنهم، وإثبات حقوقهم، وفوق ذلك فهي قد أذنت لهم بعقد جمعيات تتفاوض فيما تراه صالحاً لدينهم ودنياهم. . حتى صار النصارى يتعلمون من دولة الإسلامية ما يرمي إليه الدين من الحض على الرفق واللين والتساهل والصبر. . أما اعتراض المعترضين بأن المساواة بين الطوائف غير كاملة - مادام النصارى لم يشتركوا في الجندية العثمانية - فجوابنا عليه أن الذنب في ذلك على النصارى أنفسهم لا على الباب العالي، إذ النصارى مع حرصهم على نوال كل الحقوق لم يقبلوا أن يدخلوا تحت ما يقابلها من الواجبات»[١].

لويس يونغ

١ «على الرغم من سجل أوربة الطافح بالتزمت الفكري، والتسامح الديني، على النقيض من المسلمين، فإنها ظلت ترفض الاعتراف بما للعرب من يد طولى على حضارتها، وتتجاهل دورهم الحضاري، وتقلل من شأنه»[٢].

٢ «. . إن التسامح الديني الذي مارسه الإسلام في القرون الوسطى، يفوق التسامح الديني الذي مارسته المسيحية في القرون الوسطى، حيث كاد ألّا يكون هناك أي تساهل ديني مع اليهود أو المسلمين والآخرين الذين خضعوا لسلطان المسيحية»[٣].

٣ «في القرنين الحادي عشر والثاني عشر [الميلاديين] نشأ مظهر آخر للتمثيل الدبلوماسي بين العرب وأوربة تجلى في منح الامتيازات وحق السكن للأجانب، وليس هذا بغريب على العرب. وكان هؤلاء الأجانب يستثنون من الأنظمة والقوانين المعمول بها محلياً. كما يسمح لهم بالعيش وفق أنظمتهم في بلادهم. فالعرب يقولون: إن القانون يطبق على الإفراد، وليس بحسب وجودهم، وإنما بحسب انتمائهم القومي والديني. فالشريعة الإسلامية تطبق على المسلمين.

---

(١) نفسه، ص ٢٥-٢٧.

(٢) العرب وأوربة، ص ٩.

(٣) نفسه، ص ٥١.

وهذا ما يفسر التسامح الديني للمسلمين تجاه الأقلية المسيحية واليهودية؛ التي سمح لها بممارسة حياتها الخاصة»[١].

٤ «إن أشياء كثيرة لا يزال على الغرب أن يتعلمها من الحضارة الإسلامية، منها نظرة العرب المتسامحة، وعدم تمييزهم فروق الدين والعرق واللون»[٢].

(١) نفسه، ص ١٦١.
(٢) نفسه، ص ١٠.

الفصل الخامس

الحضارة الإسلامية

«حضارة الإسلام ـ التي سيطر على العالم مئات خمساً من السنين ـ كانت وليدة الإيمان، والإيمان وحده»

الباحث والأديب العربي اللبناني نصري سلهب

إبراهيم خليل أحمد

١ «كان للفتوحات الإسلامية الأثر البعيد في البلاد التي دخلت تحت لواء الإسلام، وظهر هذا الأثر بوضوح في شمال إفريقية، إذ تحول ومصر بأكملها من الحضارة اللاتينية إلى الحضارة العربية..»(١).

٢ «إن أثر العرب و الإسلام في تاريخ العصور الوسطى لا يقف عند حد التغييرات السياسية التي أحدثوها في أوضاع العالم المعروف، بل يبدو هذا الأثر أشد ما يكون وضوحاً في الميدان الحضاري»(٢).

٣ «إن العرب لم يفرقوا في نشاطهم الحضاري بين المسلمين وغير المسلمين، بل سمحوا للنصارى واليهود بالتلمذ عليه، والاستفادة منهم، فأقبل الأوربيون في الأندلس وصقلية، والآسيويون في الشام وغيرها، على دراسة المعارف الإسلامية وترجمتها، مما ساعد على نهضة أوربة في العصور الوسطى»(٣).

سير توماس أرنولد

١ «أدخل العرب الظافرون الإسلام في إسبانيا سنة ٧١١م، وفي سنة ١٥٠٢م أصدر فرناند وإيزابيلا مرسوماً يقضي بإلغاء شعائر الدين الإسلامي في جميع أنحاء البلاد. ولقد كتبت إسبانيا الإسلامية في القرون التي تقع بين هذين التاريخين، صفحة من أنقى الصفحات وأسطعها في تاريخ أوربة في العصور الوسطى. وقد امتد تأثيرها من ولاية بروفانس Provance إلى الممالك الأوربية الأخرى، وأتت بنهضة جديدة في الشعر والثقافة، ومنها تلقى طلاب العلم المسيحيون من الفلسفة اليونانية والعلوم؛ أثار في نفوسهم النشاط العقلي حتى عصر النهضة الحديثة..»(٤).

---

(١) محمد في التوراة والإنجيل والقرآن، ص ٢٠٥.
(٢) نفسه، ص ٢٠٧.
(٣) نفسه، ص ٢١١.
(٤) الدعوة إلى الإسلام، ص ١٥٤.
وعن إنجاز المسلمين في ميدان الفنون، انظر: تراث الإسلام (إشراف سير توماس أرنولد)، ص ٢٢٣ـ٢٢٦.

الدومييلي

[١] «إن مقام العلم العربي.. لهو بالمكانة الأولى من الأهمية في تاريخ العلوم؛ لأن هذا العلم العربي يكون حلقة اتصال والاستمرار بين الحضارة القديمة وبين العالم الجديد. وإذا نحن لم نواجه ذلك العلم العربي، ولم نتفهمه؛ فسنجد فراغاً يتعذر تفسيره بين الحضارات القديمة وبين حضارتنا الحديثة. وإذاً ينبغي أن نجتهد في دراسته بعناية..»[١].

[٢] «ينبغي ألا نظن أن العرب لم يضيفوا شيئاً جديداً إلى العلم الذي كانوا أوصياء عليه. بل على النقيض من ذلك، فإذا كانت خطوات التنمية والإنتاج التي خطوها في هذه السبيل، كثيراً ما ضاعت وتفرقت في الحشد الكبير من الكتب التي تركوها، فليست تلك الخطوات أقل أصالة وابعد عن الواقع من أجل ذلك. وليس لأحد أن يقول ـ كما يقرر ذلك بعض المؤلفين ـ أن دور العرب ينحصر ببساطة في المزج والنقل لمعارف الأقدمين؛ التي لولاها لذهبت أدراج الرياح (الأمر الذي هو في ذاته عنوان فخر عظيم، وشرف لا يستهان به»[٢].

[٣] «ترك كتاب (المناظير) لابن الهيثم تأثيراً عميقاً، بل كان ـ فيما بعد ـ باعثاً إلى البحوث والأعمال التي قام بها روجير بيكون ..Roger Bacon ولعل الأثر الذي تركته المؤلفات هذا العالم العربي في البصريات، والذي يبدو في أعمال بيكون.. هو السبب في أن كتب ابن الهيثم لم تنشر مبكرة في عصر النهضة، كما أنها بعد ذلك لم تنشر كثيراً..»[٣].

[٤] «على الرغم من أن البناء على أسس بالمعارف اليونانية واللاتينية القديمة؛ لم يكن أمراً مستحيلاً، وأنه قد حصلت [في الغرب] فعلاً محاولات في هذه النواحي فإن هذا البناء لم يتحقق مع ذلك؛ لأن العالم الغربي كان في ذلك العصر على اتصال بالعالم العربي بوساطة طرق كثيرة الاختلاف، وكان يستطيع أن يغترف منه المادة العملية، ويستمد النواة الروحية التي سرعان ما حملت عجيب الثمار»[٤].

---

(١) العلم عند العرب، ص ١٠ـ١١.
(٢) نفسه، ص ١٤٤.
(٣) نفسه، ص ٢٠٦ـ٢٠٧.
(٤) نفسه، ص ٤٢٤.

[٥] «إن ذلك العمل، [أي: الترجمة عن العربية] الذي يعد بحق نتاجاً عظيماً بالغ الأهمية من قبل المترجمين [الأوربيين] جعل أصول العلم العربي تنفذ إلى أوساط العالم المسيحي في الغرب، كما لقح العلم الحديث الذي أخذ في التولد والنشوء»(١).

ف بارتولد

[١] «حضارة الإسلام، أو حضارة العرب، اسم لحضارة الشرق في القرون الوسطى، ولم يكن العرب وحدهم مبتكري هذه الحضارة، ولكن جميع سكان الشرق الأدنى، وقسم من إفريقية، الذين ظلوا منفصلين عن الحضارة الأوربية، آخى بينهم الإسلام، دين الدولة، واللغة العربية، لغة العلم والأدب»(٢).

[٢] «مما هو جدير بالملاحظة أن ابن خلدون وهو عربي، يدعي بأن الحضارة الإسلامية نتيجة مشتركة لجميع العالم الإسلامي، ويجعل الحضارة الإسلامية، وهو جد محق في هذا، فوق ما سبقتها من الحضارات»(٣).

[٣] «إن القول بأن العالم الإسلامي (كان في نوم عميق) قبل أن يأخذ في النهوض بتأثير أوربة في القرن التاسع عشر، مبالغ فيه كثيراً. وحتى إن الظروف الملائمة التي أنتجت الحضارة الإسلامية لم تبق»(٤).

---

(١) نفسه، ص ٤٧٩، وعن الترجمة من العربية والتأثيرات العميقة التي أحدثتها في الغرب انظر: المرجع نفسه، الصفحات: ٤٥٧ـ٤٦٤، ٤٦٨ـ٤٦٩، ٤٧٧، ٤٧٩ ـ٤٨٤. وعن إنجازات المسلمين في ميادين العلوم الصرفة والتطبيقية والإنسانية، انظر: المرجع نفسه: الرياضيات والفلك، ص ١٥٣ـ١٥٨، ١٦٠ـ١٦١، ١٦٧ـ١٧٠، ١٨٩، ١٩٣ـ١٩٤، ٢٠٩ـ٢١٥، ٢١٧ـ٢٢٣، ٢٩٧، ٢٩٩ـ٣٠٠، ٣٥١، ٣٦٥، ٣٦٧، ٣٨٣ـ٣٨٥، ٤١٠، ٤١٢ـ٤١٣، ٤٥٤ـ٤٥٥، الكيمياء ص ٢٦٣ـ٢٦٥، ٢٧١، الطبيعيات ص ١٩٤ـ١٩٥، ٢٠٦ـ٢٠٩، الميكانيك ص ٢٩٧ـ٢٩٨، ٣٠١، ٣٠٤ـ٣٠٦، ٣٠٩، ٣١١ـ٣١٢، ٣١٤ـ٣١٥، ٣١٧ـ٣١٨، ٣٥١، ٣٥٩، ٣٦٢، الطب والصيدلة والنبات والجغرافية ص ١٥١، ١٦٥، ١٧١ ـ١٧٧، ١٨٩، ٢٠٠، ٢٣٣ ـ٢٣٤، ٢٣٦، ٢٣٨ـ٢٤٦، ٢٥٠ـ٢٥٤، ٢٩٩، ٣٢٠، ٣٢٢ـ٣٢٣، ٣٢٥ـ٣٢٦، ٣٥٣ـ٣٥٤، ٣٦٠، ٣٦٧، ٣٨٦ـ٣٩٠، ٣٩٢ـ٣٩٤، ٤٠١، ٤١٤ـ٤١٦، ٤١٨، ٤٢٩، ٤٣٢ـ٤٣٥، الملاحة ص ٥٣٢ـ٥٣٣، ٥٤٠ـ٥٤٢، الآداب والفنون ص ٤٠٥، ٤٠٧، ٤٣٨، ٤٤٦ـ٤٤٧، ٤٥٣ـ٤٥٤.

(٢) تاريخ الحضارة الإسلامية، ص ٣٥.

(٣) نفسه، ص ٩٤.

(٤) نفسه، ص ١٥٢ـ١٥٣.

باركر[1]

[١] «.. وصلت حضارة [المسلمين] درجة متقدمة في إسبانيا وصقلية، لا بل تسامت إلى الجوزاء، حتى انتقل تأثيرها منهما إلى فرنسا وإيطاليا. وامتدت فلسفة قرطبة وعلى رأسها معلمها الأعظم (ابن رشد) حتى دخلت جامعة باريس، وازيّنت بالرمز بمغانٍ عربية وحفلت بجغرافيين وشعراء عرب إبان حكم ملوكها النورمان.. فصدق القائل أن ثمار الثقافة التي كسبها الغرب من العناصر الإسلامية التي لم تبق طويلاً كانت، على الأقل، تعادل بأهميتها التأثير الذي خلفه الشرق في الغرب أثناء الحروب الصليبية..»[2].

[٢] «.. علينا أن نذكر ونعيد القول بأن الإسلام قد سبق، فثبتت أصوله في الغرب واستطاع أن يخلف آثاره في إسبانية وصقلية.. وبالإمكان أن نرى أن تأثير الإسلام في الغرب المسيحي في قاعدتيه [هاتين] كان أشد مما هو في مراكزه (الموصل وبغداد والقاهرة)..»[3].

[٣] «الحق يقال: إن الغرب ما زال يستخدم مصطلحات عربية في عالم التجارة.. وكذلك ثبتت مصطلحات بحرية ملاحية [وأخرى] منزلية.. هذه الكلمات ما زالت تستعمل، أو أنها كانت دارجة الاستعمال فيما مضى..»[4].

[٤] «كان عرب أسبانيا.. هم الذين أهدوا إلى الغرب اللاتيني هباتهم النفسية في ميادين العلم والفلسفة.. وكان الطب كالرياضيات من مفاخر العلوم العربية، وأركانها الوطيدة..»[5].

---

(١) سرارنست باركر (١٨١٤-١٩٦٠) Frof. sir Ernest Barker
من كبار الباحثين، كان أستاذاً للعلوم السياسية في كمبرنج ١٩٢٨ - ١٩٣٩، وأستاذاً لنفس المادة في جامعة كولون ١٩٢٧ - ١٩٢٨.
من آثاره: (الفكر السياسي لأفلاطون وأرسطو) (١٩٠٦)، (الفكر السياسي في إنكلترا منذ أيام هربرت سبنسر حتى الآن) (١٩١٥)، (نظرات في الحكم)(١٩٤٢)، (مبادئ النظرية الاجتماعية والسياسية)(١٩١٥)، (التراث الأوربي).. إلخ.
(٢) تراث الإسلام (إشراف سير توماس أرنولد)، ص ٧٩.
(٣) نفسه، ص ٩١.
(٤) نفسه، ص ٩٧- ٩٨.
(٥) نفسه، ص ١٠٥.

بانرث[١]

[١] «إن العرب لم يخربوا ما وجدوه من عناصر ثقافية، بل اهتموا بها، وبذلوا جهدهم لهضمها، ومن ثم تطويرها. ونرى هنا أن العرب فتحوا باب التعرف على الحضارة اليونانية منذ عصر الأمويين والعباسيين بواسطة المترجمين، وعلى هذه الطريقة تطورت الثقافة تحت حماية الإسلام بالعربية؛ التي هي واسطة ممتازة للتعبير عن الأفكار العليا، والتي لا تفوقها في هذا لغة من لغات الدنيا. ولا أراني بحاجة إلى ذكر أسماء الفلاسفة الذين فتحوا آفاقاً جديدة لفهم أسرار الطبيعة والوجود، وما يهمنا هنا هو استعداد العرب لاستعمال الطرق العلمية التي تعلموها من أرسطو طاليس. والتي أولاها كانت: مراقبة الطبيعة والتجربة، وثانيتها: قواعد المنطق الشديدة. ولاشك أن الحضارة الإسلامية ارتفعت في القرون الوسطى إلى علو لم ينته إليه قوم آخرون. ولا يخفى أن هذا الاعتلاء كان ثمرة الاجتهاد في كل نواحي الثقافة وتطبيق الطرق العلمية. وأما الغرب الأوربي فلم يستطع حينئذ فهم الثقافة وتطويرها. وكذلك دولة بيزنطية فقد تجمدت، والآن نرى كيف تعجبت الأقوام الأوربية من جمال الثقافة العربية؛ التي امتدت من حدود الصين والهند إلى جبال البرانس»[٢].

[٢] «. . كان أول من قلد العرب في التجربة الراهب (روجر بيكون) في إنكلترا. حتى الآن يشكر علماء الطبيعة في أوربة العرب على إدخال طريقة التجربة العلمية؛ التي دلت على التطور الحديث في جميع الميادين. .»[٣].

---

(١) أرنست بانرث E.Bannerth.

ولد في مدينة ليبزخ، سنة ١٨٩٥، ودرس اللاتينية واليونانية ثم العربية، كما تعلم الفارسية والتركية، أسره الإنكليز في الجبهة سنة ١٩١٧، وانتقل إلى الهند، فاستقر فيها حتى عام ١٩٢٥. وتعلم الأردية، ثم عاد إلى ألمانيا، فتابع دروسه، ونال الدكتوراه في اللغات الإسلامية من جامعة فينا. عين أستاذاً للفلسفة والتاريخ والآداب الألمانية. وقد تولى مناصب عديدة، وطاف في عدد من البلدان.

من آثاره: (الإسلام اليوم وغداً) (١٩٨٥)، (التفاهم بين الشرق والغرب) بتكليف من اليونسكو، وله دراسات عن الفلاسفة المسلمين، كما حقق العديد من النصوص، وكتب العديد من الأبحاث في المجالات المختلفة.

(٢) تأثير الفلسفة الإسلامية في تطور الفكر الأوربي، ص ٨ ـ ٩.

(٣) نفسه، ص ١٠-١١.

[٣] «لم يزل العلماء يواصلون الكشف عن العناصر العربية المؤثرة في الفكر الأوربي خلال القرون الوسطى، وفي كل سنة تظهر آثار منظورة تشهد بأننا لا نقدر الآن ما أخذه الأوربيون من العرب»[١].

[٤] «[انتشرت] في أوربة الرغبة العظيمة لدراسة اللغة اليونانية منذ تعرفوا على الفلسفة اليونانية بواسطة العرب، وأدى هذا الاهتمام الجديد بالتدريج إلى تلك الحركة الثقافية في أوربة في القرن الخامس عشر المسماة بحركة إحياء العلوم القديمة (Renaissance) ولم يزل الاهتمام في أوربة بعلوم العرب خلال تلك الدولة، بل لقد أدى إلى الاشتغال بالعربية من جديد في القرن السابع عشر. .»[٢].

برنشفك[٣]

[١] «. . إن تأثير الدين الإسلامي تتجلى قوته. . في عدد كبير من عناصر الثقافة الإنسانية: في اللغة والفنون والأدب والأخلاق والسياسة والتركيب الاجتماعي ونشاطه والقانون، بحيث لا نستطيع إذا أخذنا الوضعية كلاً، أن نرفض ملاحظة مدنية مستقلة فيها، لا تتميز (بالعنصر الإسلامي) فحسب، بل (بالعامل) الإسلامي أيضاً»[٤].

[٢] «أصبحت العقيدة الإسلامية خلال القرنين الثاني والثالث [الهجريين] نظاماً نما بصورة واسعة في نواح مختلفة، وكان شديد الرغبة في إظهار تماسكه في كل مدرسة، أو نزعة تتضح في نطاقه. . وهكذا أخذ الإسلام مكانة علمية قدرت له

(١) نفسه، ص ١١.
(٢) نفسه، ص ١١.
(٣) روبرت برنشفيك R. Brunschvig
ولد عام ١٩٠١، أستاذ اللغة والحضارة العربيتين بجامعة بوردو ثم في كلية الآداب بجامعة باريس (١٩٥٥)، وتولى مع شاخت الإشراف على مجلة الدراسات الإسلامية Studia Islamica.
نشر عدداً من الأبحاث في المجالات الاستشراقية الشهيرة، كما ألف كتاب (بلاد البربر الشرقية تحت حكم الحفصيين) في جزءين (باريس ١٩٤٠).
(٤) الوحدة والتنوع في الحضارة الإسلامية، (تحرير كرونباوم)، ص ٧٤.

في عدة ميادين ثقافية، وهو دور المؤثر والتأثر، وهو مظهر مزدوج لا يصح الفصل بين جزئيه غالباً إلّا بطريقة مصطنعة»[١].

٣ «.. من الأصح دون ريب أن نعتبر العقيدة الإسلامية عاملاً، لا في الحالات التي يحدث أن تستمد منها حلاً جديداً من مواردها الخاص بها فحسب، أو تأتي بحل جديد بطريقة مباشرة أو غير مباشر. ولكن في كل حالة تستوعب فيها حلاً داخلياً أو أجنبياً في نظامه، ويلونه بطريقته الخاصة، وبذلك تساعد على اقتباسه أو الاحتفاظ به. فكم من عمل لم تكن به من ناحية المبدأ صبغة إسلامية، طبعه الإسلام بطابعه إلى الحد الذي أصبح فيه عملاً مميزاً للإسلام، وذلك بفضل إسناد التربية الإسلامية المأثورة.. من الممكن أن الصفة الإسلامية الخاصة لعنصر ثقافي في أكثر من حالة واحدة، لا يدين بشيء إلى الأصل الذي نشأت عنه، بل يعبر فقط عن الحقيقة: أن الإسلام باقتباسه العنصر المذكور طبعه، أو أراد اقتباسه وتمثيله»[٢].

ميلر بروز

١ «في العصر الذهبي للثقافة الإسلامية حينما كان علماء المسلمين يفهمون أسس العلم الحديث، كان المفكرون من المسلمين والمسيحيين يبحثون معاً معضلاتهم الفلسفية واللاهوتية المشتركة، ويفيد بعضهم من بعض كثيراً من ضروب المعرفة..»[٣].

٢ «.. هل يستطيع العلم حقيقة أن يخدم أغراض الدين؟ صحيح أن العلم قد قام بنصيب كبير في إسعاد الإنسان، ويظهر هذا أكثر ما يظهر في ذلك العلم الذي خدمه علماء الإسلام خدمة ظاهرة، وهو علم الطب..»[٤].

ليفي بروفانسال

١ «إن تعبير (الغرب الإسلامي) قد لا يجد خصوماً له من أجل تعريفه الخاص فحسب، بل إن له خصوماً آخرين، مازالوا كثيرين جداً في أوربة، حتى بين

---

(١) نفسه، ص ٧٩ـ٨٠.
(٢) نفسه، ص ٨٠ـ٨١.
(٣) الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة، ص ٤٢.
(٤) نفسه، ص ٥١.

الأخصائيين المرموقين في دراسات العصور الوسطى. يرون أن إفريقية الصغرى واسبانيا، كليهما، لا يشكلان مطلقاً سوى امتدادات شاسعة وظلال شاحبة للشرق الإسلامي، هذا الشرق الذي يجب الاعتراف بأنهم لا يزالون يجهلونه تمام الجهل، ولا يقدرون حق التقدير الدور الراجح الذي لعبه خلال العصور في اقتصاد حوض البحر الأبيض المتوسط منذ انهيار العالم القديم حتى الفترة التي شهدت غروب القرون الوسطى، وأولى تباشير النزعة الإنسانية الناشئة. ونرى أن الحكم السابق نفسه الذي كان يجعل مؤرخين كثيرين جداً يقدرون بيزنطة (بالمقارنة بذكريات روما المظفرة) يدفع هؤلاء المؤرخين إلى ألا يروا في المغرب والأندلس، في العصر الوسيط، سوى استمرار هزيل، في انحطاط سياسي عميق، لعصر الإسلام الذهبي في الشرق الذي دونت وقائعه في سورية ومصر وبلاد ما بين النهرين. ولا يخطر لهؤلاء المؤرخين لحظة واحدة، لا سيما فيما يتعلق بإسبانيا، أن يحاولوا إظهار قسطها الهائل في تطور العالم الأوربي الغربي، منذ القرون الحادي عشر، وفي تحسين بعض نواحي الحياة المادية، وبخاصة فيما فرضت عليه رويداً رويداً، من شعور بجمال للحياة جديدة، هذه الحياة التي كانت تسيطر عليها حتى ذلك الحين، وفي رهبة المجهول، صوفية ثقيلة التشاؤم»[(١)].

[٢] «إن دراسة الاستعارات (اللغوية) التي تنفح القشتالية والبرتغالية والقطالونية، وهي اللغات القومية الحالية في شبه الجزيرة عبيراً عن العربية جد نفاذ ومدعاة للبحث، هذه الدراسة لا تقدم لنا قيمة في فقه اللغة فحسب، بل إنها تكتسي طابع الأهمية الخاصة حالما نتوسع فيها لتشمل وقائع الحضارة التي بررت هذه الاستعارات اللغوية، فهي تقدم الدليل الضمني، ولكن الذي لا جدال فيه، على الأثر العميق الذي مارسته الثقافة العربية الأندلسية على السكان المسيحيين في الكتلة الأيبيرية بكاملها. . لقد وجد هؤلاء أنفسهم مضطرين لأن يأخذوا عن العربية كل ما كان ينقصهم حتى ذلك الوقت للتعبير عن المفاهيم الجديدة، وبخاصة في مضمار المؤسسات والحياة الخاصة. وهذا التحقق هو غني بالمعلومات بصورة فريدة»[(٢)].

---

(١) حضارة العرب في الأندلس: ص ٨ ـ ٩.

(٢) نفسه، ص ٨٠ـ٨١، وعن حشود المفردات العربية التي اقتبسها الأسبان في مجالات النظم العسكرية والمدنية وأسماء الأمكنة، والأنشطة الزراعية والصناعية وغيرها، انظر المرجع =

[٣] «على الرغم من أن فرنسا كانت في العصور الوسطى في عزلة عميقة بسبب من وضعها الجغرافي، إلّا أن هذا، مع ذلك، لم يحل دون معاناتها من بعض النواحي، عاقبة تلك المؤثرات التي أثرتها حضارة الإسلام في الأندلس على الممالك المسيحية في شمال إسبانيا. وقد رأينا بأن غالبية الكلمات المشتقة من العربية في اللغة الفرنسية قد دخلت إليها عن طريق الإسبانية. ومن المحتمل أن يكون هذا هو شأن كثير من المؤثرات؛ التي قدرت فرنسا على تقبلها من الإسلام قبل زمن من الحملات الصليبية إلى الشرق، أو حتى أثناء هذه الحملات. وقد أخذ ذهاب [الرهبان الفرنسيين] وإيابهم المتواتر بين أديرتهم وبين طليطلة، يزيد أيضاً في تسهيل التبادل الثقافي بين البلدين»[(١)].

[٤] «يجب أن نبادر في الحال إلى استبعاد بعض الإثباتات؛ لأنها نفسها تستحق ذلك؛ إذ أنها لا تعتمد فيما تزعم على مستندات خالية الغرض دائماً، لا سيما وأن لهجاتها الخشنة، الحاقدة معاً، تجعلها في محل شبهة إلى حد بعيد منذ البداية.. وهي تصدر من ناحية أخرى عن كتاب ليسوا من الأسبان، كما أنهم ليسوا مؤرخين أو مختصين بإسبانيا، وأكثر من هذا كله فإنهم غير مختصين بالإسلام، فإنهم يلقون على المسلمين تبعة (إجداب) إسبانيا و(إخلائها) من السكان، وإنهم جعلوها (صحراء مثل إفريقية الشمالية). ويقسم المرء قراءته ما كتبوا على أنهم يسمعوا أبداً خرير نوافير الماء في قصر الحمراء، ولم يستنشقوا أبداً العبير الرقيق، المعطر في الكزار إشبيلية. وهم يرون، وأنا أنقل هنا حرفياً رأيهم، بأنه (أقل ما يمكن أن يقال هو أن السيطرة الإسلامية كانت مصاباً جسيماً حتى على إسبانيا). فما من أحد مثقف في إسبانيا اليوم يجرؤ على أن يكون حكماً مفرطاً في المبالغة إلى هذا الحد. ولكن إسبانيا قد عرفت أن تعيد إلى الإسلام الأندلس القابعة في مراتب الشرف، وادعت وهي مرفوعة الرأس علناً بأنه يعتبر زهرة في تراثها التاريخي والفكري»[(٢)].

= نفسه، ص ٨١ ـ ٨٥، وانظر ـ كذلك ـ عبارة المؤلف التي تحمل دلالتها في هذا المجال: «لو أمعنا النفي هذه الاستقصاءات حتى تشمل مفردات الحياة اليومية لأصبحت إسهاباً طويلاً، بل ومن المحتمل أن تصبح مملة..»، نفسه ٨٢.

(١) نفسه، ص ٨٧ ـ ٨٨.

(٢) نفسه، ص ٩٩ ـ ١٠٠.

[٥] «كان العالم السياسي الإسباني السيد Ci.Sanchez-Albornoz رئيساً لجامعة مدريد، فسفيراً لبلاده، ثم وزيراً لشؤونها الخارجية، إلّا أنه كان ويبقى، قبل كل شيء، مؤرخاً على مستوٍ عالٍ. . إنه يعرف، أكثر من أي شخص آخر، كيف أشرف الإسلام على هذه البلاد، وماذا كان تراثه الرئيسي فيها: تأثير عميق على الفكر الإسباني لا يمكن إنكاره. . لنترك له الكلام، ونردد معه كلمة هذا الاعتراف المؤثر العفوي: (المسألة اليوم ليست مسألة ظلمات العصور الوسطى، ولكن علينا أن نرى مقابل أوربة التي تنمو في التعاسة والانحطاط، حضارة إسبانيا المسلمة الرائعة. فإن أساتذة الدراسات العربية يفتحون لنا كل مرة آفاقاً جديدة عن مدى تألق هذه الثقافة الإسبانية المغربية وعمقها. فقد ادعوا أن لها مقاماً حاسماً في تدوين الفلسفة والعلم والشعر وجميع ثقافة أوربة المسيحية. وبرهنوا على أن تأثيرها قد بلغ حتى ذرا الفكر الوسيط. بلغ القديس توماس ودانتي. كثيرون ولا شك، في كل ناحية من ناحيتي جبال البيرنيه والبحر المتوسط الذين ينفرون حتى الآن من الإقرار لها بهذا التفوق، وذلك الدور الموجه. مع ذلك فإن براهين وافية للغاية تؤكد ذلك منذ الآن. ومن يوم إلى يوم تنبجس أخرى جديدة. وقد انقضت عدة قرون قبل أن تعمل النهضة من جديد على تفجير ينابيع كادت تنضب، كان نهر الحضارة الذي ينهمر في قرطبة يحفظ جوهر الفكر القديم، وينقله إلى العالم الجديد)»[(١)].

إدوارد بروي

[١] «. . انجلى غبار الفتح [الإسلامي] عن إمبراطورية جديدة ولا أوسع، وعن حضارة ولا أسطع، وعن مدنية ولا أروع، عول عليها الغرب في تطوره الصاعد، ورقيه البناء، بعد أن نفخ الإسلام في قسم موات من التراث الإنساني القديم روحاً جديدةً عادت معه إليه الحياة، فنبض وشَعَّ وأثرى. ولهذه الأسباب، كان لا بد أن يحتل تاريخ العالم الإسلامي محلاً مرموقاً في ثقافة رجل معاصر، كما كان لا بد لرجل العصر هذا من أن يفهم جيداً أن المدنية لا يقتصر مدلولها

---

(١) نفسه، ص ١٠٢ـ١٠٣، وعن الدور الذي لعبته الترجمة إلى اللغات الإسبانية في نقل مؤثرات الحضارة الإسلامية إلى الغرب، انظر: المرجع نفسه ص ٩٦ـ٩٧. وعن إنجازات المسلمين في الأدب والفنون، انظر المرجع نفسه، ص ٨٨ ـ ٩٠، ٩٧ ـ ٩٨.

على شعب أو بلد متحيز في الزمان، وأن يعرف جيداً أن قبل توما الإكويني الذي رأى النور في إيطاليا، طلع ابن سينا المولود في إحدى مقاطعات التركستان، وإن مساجد دمشق وقرطبة ارتفعت قبابها قبل كاتدرائية نوتردام في باريس بزمان، وألا ينتقص من شأن العالم الإسلامي اليوم فيما يعاني من غمرة ستنقشع بأسرع مما يظن، وألا ينظر إلى التاريخ الإسلامي من خلال مرئيات ألف ليلة وليلة. بل علينا اعتبار هذا التاريخ قطعة من صميم التاريخ الإنساني المتنوع بتنوع الأزمنة والأمكنة، والذي لا يزال، بالرغم من جزئياته وخصوصياته، تاريخ هذه البشرية الواحدة الجمعاء»[(١)].

[٢] «في هذا العالم الإسلامي القلق، الجياش بعظائم الأحداث.. ليس ما يلفت النظر، ويستبد بالخواطر مثل الرواج الذي بلغته الآداب، والازدهار الذي آلت إليه الحركة الفكرية.. واتساع هذه الحركة التي عمت مشارق العالم الإسلامي ومغاربه، فتحت الباب على مصراعيه أمام التنوع لظهور مجار فكرية عامة، وتلقيح الأفكار والأذهان في كل مكان.. وقد بلغ من غنى التأليف في العالم الإسلامي ما جعل الناس يشعرون بحاجة ماسة لمن ينهض، ويعرف به في فهارس علمية.. وقامت في بعض حواضر البلاد الإسلامية الكبرى دور للكتب، غصت بعشرات الألوف من الكتب جرى تصنيفها على نظم فنية خاصة، روعي فيها تصنيف العلوم على أبواب ومطالب، وقام على خدمتها جيش من النساخ والوراقين.. كل هذا كان يفترض عدداً كبيراً من الفقراء والمطالعين، وطائفة كبيرة من الكتاب، وحملة الأقلام والمفكرين»[(٢)].

[٣] «أفضت الحملات الصليبية بسرعة أخيراً، بإقامة الروابط المتينة مع البلدان المتقدمة ثقافياً، إلى تهذيب أخلاق الفرسان، ونشر استعمال الطرائق والسلع الغربية، وإدخال التقنيات الجديدة.. واطلاع رجال الفكر على بعض مظاهر العلم والفلسفة والفن والأدب في العالمين العربي واليوناني: فجاءت هذه الأشكال والمفاهيم والطرائق والعادات؛ التي حصل عليها أحياناً في إمارات فلسطين

(١) تاريخ الحضارات العام، ٣/ ١٠٩-١١٠.
(٢) نفسه، ٣/ ٢٢٤-٢٢٥.

وإيطاليا الجنوبية، وشبه الجزيرة الأيبرية، وانتشرت بفضل العائدين من الحج، سَمي التراث الثقافي في أوربة المسيحية..»[١].

[٤] «امتدت الثقافة الإسبانية إلى ما وراء حدود السيطرة الإسلامية المنكمشة.

ففي صقلية المخصصة للنورمنديين، حيث عومل المسلمون المقيمون بتساهل فل نظيره، تألق مركز إشعاع ثان، دون إسبانيا شأناً، على أنه أعظم أهمية، إلى حد بعيد، من الشرق اللاتيني، انتقلت بواسطة الثقافة الإسلامية إلى الغرب..»[٢].

[٥] «.. بعد زمن قصير توقفت حركة التطور في البلاد [الإفريقية] على أثر العبث الذريع؛ الذي أحدثه في تلك الأرجاء تجار النخاسة والرق من الأوربيين هذه الحركة التطورية التي بعثها الإسلام في تلك البلاد، قبل أن تطأ أقدام البرتغاليين، بزمن طويل»[٣].

بلستر[٤]

[١] «.. لا يكاد يوجد شيء من جهود المسلمين في ميدان العلوم لم يتأثر به الغرب بطريق أو بآخر»[٥].

[٢] «أصبح تأثير العلوم عند المسلمين على الغرب ممكناً في المقام الأول نتيجة للفتوح العربية في غرب البحر الأبيض المتوسط. فقد ترك وجود العرب

---

(١) نفسه، ٣/ ٣١٥.

(٢) نفسه، ٣/ ٣٣٥.

(٣) نفسه، ٣/ ٥٦٤. وعن إنجازات المسلمين في ميادين العلوم الصرفة والتطبيقية والإنسانية، انظر: المرجع نفسه ٣/ ١٣١ ـ ١٣٢، ١٩٥ ـ ١٩٦، ٢٢٨ ـ ٢٢٩، ٣٢٥ ـ ٣٢٦، ٣٣٤، ٥٦٢ ـ ٥٦٣.

(٤) مارتن بلسنر M.Plessner

محاضر في معهد الشرقية بجامعة فرانكفورت. وقد وقف نشاطه على إحصاء ما عرب من الأدب والفلسفة والعلوم الطبيعية لدى اليونان في العصور الوسطى.

من آثاره: كتب العديد من الدراسات في المجلات الاستشراقية المعروفة، ومنها (المخطوطات العربية في إستانبول وقونية ودمشق) و (ترجمة العلوم اليونانية إلى العربية) كما كتب العديد من المفردات في دائرة المعارف الإسلامية.

(٥) تراث الإسلام: (تصنيف شاخت وبوزوث)، ٣/ ٧٩.

حوالي ثمانمئة عام في شبه جزيرة أيبريا علامات لا تمحى على الأرض الأيبرية وعلى الفنون، واللغات التي يتكلمها الناس هناك.. بالرغم من أن فترة حكم العرب في صقلية وأجزاء من جنوب إيطاليا كانت قصيرة، وإن استمرار التأثير الثقافي للعرب كان أقصر عمراً، فإن هذا التأثير لم يكن في جملته، أقل شدة مما كان عليه في شبه جزيرة أيبريا..»[1].

[٣] «لم تكن علوم المسلمين بطبيعة الحال العامل الوحيد؛ الذي أدى إلى إحياء العلم الغرب، فتقاليد العلوم القديمة لم تتلاش تماماً وسط الفوضى التي عمت خلال عصر غزوات البرابرة لأوربة. ومع ذلك فمن الصحيح أن علماء المسلمين أعطوا العلم الأوربي قوة دفع جديدة. والأهم من ذلك أن هذا العلم الغربي قد اكتسب مادة أدت إلى إثرائه بدرجة لا نظير لها بفضل الترجمات العربية عن الإغريق، وكذلك بفضل الإنتاج العلمي المستقل للمسلمين أنفسهم..»[2].

[٤] «.. أضحت اللغة العربية أداة العلم الإسلامي، وقامت في المشرق بالدور الذي قامت به اللغة اللاتينية في الغرب.. ولم تحتل اللغة العربية هذه المكانة الرفيعة بذاتها، ولكن الموقع المركزي لها بوصفها لغة الدين الإسلامي والإدارة أدى إلى تطويعها لتلائم المتطلبات العملية..»[3].

مارسيل بوازار

[١] «.. إن الموضوعية التاريخية ـ بل مجرد العدل ـ تدفع إلى التذكير بأن الحضارة التي تعهدت الثقافة المتوسطة خلال القرون السبعة التي تتألف منها العصور الوسطى، كانت الحضارة الإسلامية، ويعترف معظم المؤلفين اليوم بهذا الواقع..»[4].

---

(١) نفسه، ٣/ ٧٩.
(٢) نفسه، ٣/ ٨١.
(٣) نفسه، ٣/ ٨٢، وعن إنجازات المسلمين في ميدان الطب والصيدلية، انظر: المرجع نفسه، ٣/ ١٠٠ـ١٠٢، ١١٨ـ ١١٩، ١٢١ـ ١٢٨، ١٤١ ـ ١٤٨.
(٤) إنسانية الإسلام، ص ١٢.

[٢] «.. ألم يكن العالم الإسلامي هو الذي جمع أعمال العصور القديمة، وترجمتها، وعلق عليها تاركاً في أثنائها بصمات عبقريته الخاصة، قبل أن ينقلها إلى الغرب المسيحي؟ ألم يكن ابن رشد وابن سينا وغيرهما أساتذة الفكر لعدة أجيال أوربية؟ ألم تتخلص الفلسفة العبرية على يد الثقافة الإسلامية، من وطأة العقيدة التلمودية التي كانت قد سحقتها زمناً طويلاً؟..»[(١)].

[٣] «.. يبدو الإسلام واقعاً سياسياً واجتماعياً متناغماً، وظاهرةً تاريخيةً جديرة بالملاحظة، وبالاختصار حضارة قدمت مفهوماً خاصاً بالفرد، وبينت مكانته في المجتمع، ودفعت قدماً ببعض المسلمات التي تنظم اتصال الشعوب بعضها ببعض. ولم يكن من شأن هذه الحضارة، من جهة ثانية، أن أسهمت إسهاماً تاريخياً في الثقافة الكونية وحسب، بل كان أن طمحت كذلك، وبحق، إلى تقديم حلول لأهم المعضلات الفردية والاجتماعية والدولية التي تزعج العالم المعاصر وتقلقه»[(٢)].

[٤] «يدل التاريخ على وجود ثابتة مطلقة في الحضارة الإسلامية كانت متمحورة منذ البدء تمحوراً تاماً حول الله، وما تزال كذلك، وهذه الظاهرة التي غالباً ما تخفي على الفكر والتحليل الغربيين الحديثين تضفي على الإسلام طابع الديمومة..»[(٣)].

[٥] «.. ما كاد الإسلام يستقر، متأثراً بالمبادئ القرآنية الخلقية الجوهرية، ومفيداً من الثقافة المرهفة لبعض الشعوب المفتوحة بلادها، حتى ظهر على أنه مشعل حضارة..»[(٤)].

ديبورا بوتر

[١] «لقد جاء الإسلام بعصر التنوير الحقيقي في المجالات العلمية والثقافية والفنية؛ بصورة لم يسبق لها مثيل في عظمتها إلى يوم الناس هذا.. فبين عام

(١) نفسه، ص ١٢ـ١٣.
(٢) نفسه، ص ٣٣.
(٣) نفسه، ص ٣٦ـ٣٧.
(٤) نفسه، ص ٢٥٣.

٧٠٠ و ١٤٠٠ بعد الميلاد وفي الوقت الذي كانت تغط في سبات عميق في عصور الظلام المسماة بالعصور الوسطى، كان العلماء المسلمون قد توصلوا إلى المنهج التجريبي في البحث الذي حل محل المنهج المنطقي العقيم؛ الذي كان سائداً عند الإغريق قبل ذلك.. لقد أنتجت هذه الحقبة من الزمان للدنيا رجالاً عظماء.. ساهموا مساهمة عظيمة في تشييد صرح الإنسانية، وكانوا يستلهمون هديهم من القرآن الكريم في جميع نشاطاتهم..»[١].

٢ «لقد انتشرت روح الاستفسار والتساؤل الإسلامية، وتفشت في أوربة، وأصبحت إسبانيا المركز لأوربة كلها، وقدمت للعالم أفضل الأساتذة والمعلمين.. لقد كان الأوربيون يستخدمون مادة العلم [الإسلامي] في مؤلفاتهم، واستفادوا من كثير من الإنجازات والاكتشافات الإسلامية، ونسبوها لأنفسهم. واليوم نجد المؤرخين ينسبون للمسلمين المزيد مما يسمى بالمخترعات الأوربية، والأعمال الأدبية العظمى..»[٢].

٣ «إنه لا روجر بيكون ولا من جاء بعده من الأوربيين له أي فضل في اختراع الطريقة التجريبية. فلم يكن روجر بيكون إلّا تلميذاً من الذين نهلوا من العلوم الإسلامية، واقتبسوا طريقتها، وكانوا رسلها إلى أوربة المسيحية، وكان لا يفتأ يعلن أن الإلمام باللغة العربية والعلوم العربية هو السبيل الوحيد لمعاصريه نحو المعرفة الصحيحة»[٣].

موريس بوكاي

١ «.. إن الإسلام قد اعتبر دائماً أن الدين والعلم توءمان متلازمان. فمنذ البدء كانت العناية بالعلم جزءاً لا يتجزأ من الواجبات التي أمر بها الإسلام. وأن تطبيق هذا الأمر هو الذي أدى إلى ذلك الازدهار العظيم للعلوم في عصر الحضارة الإسلامية، تلك التي اقتات منها الغرب نفسه قبل عصر النهضة في أوربة.. »[٤].

---

(١) رجال ونساء أسلموا، ٨/١٠٨ ـ ١٠٩.
(٢) نفسه، ٨/ ١١٠ ـ ١١١.
(٣) نفسه، ٨/١١١.
(٤) دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، ص ١٤.

[٢] «.. في الإسلام كان الموقف إزاء العلم مختلفاً عن المسيحية؛ إذ ليس هناك أوضح من ذلك الحديث الشهير للنبي ﷺ الذي يقول: «اطلب العلم ولو في الصين». أو ذلك الحديث الآخر الذي يقول: «إن طلب العلم فرض على كل مسلم وكل مسلمة». هناك أمر رئيسي: القرآن، إلى جانب أنه يدعو إلى المواظبة على الاشتغال بالعلم، فإنه يحتوي أيضاً على تأملات عديدة خاصة بالظاهرات الطبيعية، وبتفاصيل تتفق تماماً مع معطيات العلم الحديث»(١).

[٣] «.. علينا أن نتذكر أنه في عصر عظمة الإسلام، أي بين القرن الثامن والقرن الثاني عشر من العصر المسيحي، وعلى حين كانت تفرض القيود على التطور العلمي في بلداننا المسيحية، أنجزت كمية عظيمة من الأبحاث والمكتشفات بالجامعات الإسلامية. في ذلك العصر كان بهذه الجامعات يوجد وسائل ثقافية عظيمة. ففي قرطبة كانت مكتبة الخليفة تحتوي على أربعمئة ألف مجلد.. [وكان] الكثيرون يسافرون من مختلف بلاد أوروبة للدراسة فيها. ولكم هي كثيرة تلك المخطوطات القديمة التي وصلت إلينا بواسطة الأدباء العرب؛ ناقلة بذلك الثقافة إلى البلاد المفتوحة. ولكم نحن مدينون للثقافة العربية في الرياضيات (فالجبر عربي) وعلم الفلك والفيزياء (البصريات) والجيولوجيا وعلم النباتات والطب إلى غير ذلك. ولقد اتخذ العلم لأول مرة صفة عالمية في جامعات العصر الوسيط الإسلامية. في ذلك العصر كان الناس أكثر تأثراً بالروح الدينية مما هم عليه في عصرنا، ولكن ذلك لم يمنعهم من أن يكونوا في آن واحد مؤمنين وعلماء. كان العلم الأخ التوءم للدين. لكم كان ينبغي على العلم ألّا يكف عن أن يكون كذلك»(٢).

جون براند ترند

[١] «.. الشيء الذي لا يمكن نكرانه هو أن عرب إسبانيا خلقوا مدنية زاهرة، وأتقنوا تنظيم الحياة الاقتصادية في الوقت الذي كانت تنوء أغلب أوربة تحت نير الشقاء والأغلال، مادية كانت أم روحية. أجل فقد لعب عرب إسبانيا دوراً

(١) نفسه، ص ١٤٠.
(٢) نفسه، ص ١٤٠-١٤١.

خطيراً في تقدم الفن والفلسفة والشعر؛ حتى ارتفع تأثيرها إلى أعلى قمم الفكر المسيحي في القرن الثالث عشر بظهور توما الأكويني ودانتي»[١].

٢ «إن قرطبة فاقت كل حواضر أوربة مدنية أثناء القرن العاشر، كانت في الحقيقة محط إعجاب العالم ودهشته. وكان السياح القادمون من الشمال يسمعون بما هو أشبه بالخشوع والرهبة عن تلك المدينة؛ التي تحتوي سبعين مكتبة وتسعمئة حمام عمومي. فإن أدركت الحاجة حكام ليون أو النافار أو برشلونة إلى جراحي أو مهندس معماري أو خائط ثياب موسيقي أو موسيقي؛ فلا يتوجهون بمطلبهم إلّا إلى قرطبة»[٢].

٣ «ترينا أسماء الأمكنة والألفاظ الشائعة التي بقيت في اللغة الإسبانية ـ حتى الآن ـ مدى تأثرها باللغة العربية في خير أوقات نموها. إذ ما أهلَّ القرن العاشر، حتى كانت بسائط الحياة الإسبانية قد تأثرت بالإسلام أعمق تأثير. هذا التأثير امتد بسقوط طليطلة فشمل سائر أنحاء أوربة.. ثم وإن كان بلاط الملك الفونسو بلاطاً مسيحياً بالاسم (كما تأثر خطاه في هذا المضمار بلاط فردريك الثاني في بالرمو بعد ذلك الزمن بمئتي عام تقريباً) فقد كانت مسحة المدنية الإسلامية تغلب عليه.. ولقد كانت مدارس طليطلة تجتذب طلاب العلم من جميع أنحاء أوربة، وبضمنها إنكلترا..»[٣].

٤ «يذهب الناس أحياناً إلى أن تراث العصور الوسطى ليس إلّا تراثاً مسيحياً خالصاً، وأن المسيحية إنما هي السبيل الوحيد لتعرف تاريخ العصور الوسطى. على أن هذا القول ينطوي على إغفال أهم ما ظفرت به النهضة الأوربية من أثر هام قام بالجانب الأكبر منه مسلمو إسبانيا، ولم يكن حظ مسلمي صقلية وبلاد البرتغال منه قليلاً..»[٤].

٥ «اجتذبت مدارس طليطلة إليها الدارسين من سائر أنحاء أوربة، واستطاع هؤلاء الدارسون بفضل ما تعلموه من اللغة العربية.. أن يتوفروا على ترجمة

---

(١) تراث الإسلام، (إشراف سير توماس أرنولد)، ص ٢٢.
(٢) نفسه، ص ٢٧.
(٣) نفسه، ص ٥٤ـ٥٥.
(٤) تاريخ العالم، (نشره السير جون. أ. هامرتن)، المجلد الخامس، ص ٧٢٩.

الكتب من العربية إلى اللاتينية، فأسهموا بذلك في تقديم الحركة العلمية في العالم.. فمن مدارس سالرنو وبغداد ودمشق وقرطبة وغرناطة ومالقة تلقى العالم ثقافة المسلمين، وعلومهم..»(١).

أرنولد توينبي

١ «لقد أسر الإسلام (المغلوب) [في الحروب الصليبية] (غالبيه)، وأدخل فنون الحضارة إلى حياة العالم المسيحي، وقد كانت حياة (لاتينية) صدئة، وفي بعض حقول النشاط الإنساني، كهندسة البناء مثلاً، تغلغل التأثير الإسلامي في العالم المسيحي كله طيلة قرونه الوسطى، أما في صقلية والأندلس، فقد كان تأثر الدولة الغربية الجديدة فيهما بالإمبراطورية العربية القديمة أوسع شمولاً، وأبعد غوراً»(٢).

٢ «وفق الإسلام فيما فشل فيه سابقوه؛ لأنه استكمل عملية طرد الهلينية من العالم السوري. كما عاد فأدمج في الخلافة العربية، الدولة العالمية السورية؛ التي اختزل الإسكندر الأكبر حياتها بقسوة قبل أن تستكمل رسالتها. وأخيراً منح الإسلام المجتمع السوري بعد طول الانتظار، عقيدة دينية عالمية أصيلة. فعادوا بذلك المجتمع السوري ـ بعد انقضاء قرون من توقف حيويته ـ على أن يسلم الروح وهو متأكد أنه لن يزول دون أن يخلف عقباً؛ إذ غدت العقيدة الإسلامية اليرقة التي بزغت عنها في حينها الحضارتان العربية والإيرانية»(٣).

٣ «.. ساهم علماء إسبانيا الإسلامية ـ عن غير قصد ـ في تشييد الصرح الفلسفي الذي أقامه فلاسفة المسيحية الغربية المدرسيون إبان العصور الوسطى. كما وصلت بعض مؤلفات الفيلسوف الهليني أرسطو، العالم المسيحي الغربي للمرة الأولى، عن طريق التراجم العربية. وصحح كذلك أن كثيراً من

(١) نفسه، ٥/٧٥٩، وعن إنجازات المسلمين في ميادين العلوم الصرفة والتطبيقية والإنسانية، انظر: المرجع نفسه، ٥/٧٣٠، ٧٤٥ـ٧٤٦، ٧٤٩ـ٧٥٢، ٧٥٨ ـ ٧٥٩.
(٢) الإسلام والغرب والمستقبل، ص ٣٤.
(٣) مختصر دراسات للتاريخ، ١/٢٤١.

المؤثرات الشرقية على الثقافة الغربية. . إنما وفدت في الحقيقة من إيبريا الإسلامية»[١].

٤ «إننا لنجد للتقويم المسيحي وقت كتابة هذه السطور، السيادة على جميع العالم، ولا ينازعه مكانته سوى منافس خطير هو الهجري الإسلامي، وما يزال اليهود ـ بعنادهم المعروف ـ يحسبون تقويمهم رسمياً على أساس تقديرهم بداية الخليقة»[٢].

٥ «. . لعلنا نعجب لهذه الدرجة من الاحترام المتبادل؛ التي أصبح كل من المتحاربين من الفريقين [الإسلامي والمسيحي] يكنها للآخر. كما نعجب لهذا القدر من الزاد الثقافي الذي نشر به مسيحيو الغرب الوسيط عن هذا الطريق السوري. . حيث أصبحت فتوحات الصليبيين الموقوتة في سورية، وفتوحاتهم الدائمة في صقلية والأندلس ـ على حساب دار السلام ـ محطات (إرسال) متعددة، أمكن عن طريقها نقل الكنوز الروحية إلى العالم المسيحي الغربي في العصور الوسطى. إن الجو النظيف القائم على التسامح الديني، والتطلع الفكري؛ الذي أسر ـ بعض الوقت ـ الباب فاتحي بالرمو وطليطلة من مسيحيي الغرب، بمقارنته بروح التعصب التقليدية فيهم، هذا الجو النظيف كان أصيلاً في الإسلام في عهده الأول. . لقد تلقى مسيحيو القرون الوسطى في الغرب من معاصريهم علماء المسلمين، نتائج البحث الإسلامي. .»[٣].

فيليب حتي

١ «لقد ساعد فتح البلاد الإسلامية، ودخول عدد كبير من سكان البلاد المفتوحة في الإسلام إلى ازدهار العلم، وزيادة ثقافته. وقد امتازت هذه الثقافة بأنها ظلت منذ أواسط القرن الثامن للميلاد (الثلث الأول من القرن الثاني للهجرة) إلى آخر القرن الثاني عشر للميلاد (وآخر القرن السادس للهجرة) تدانيها ثقافة أخرى في الازدهار، ولا يفوقها في النتاج الأدبي والعلمي والفلسفي نتاج آخر»[٤].

---

(١) نفسه، ١/٢٦٦-٢٦٧.
(٢) نفسه، ٣/١٠٤.
(٣) نفسه، ٣/٣٥٤،٣٥٥،٣٥٦.
(٤) الإسلام منهج حياة، ص ١٠-١١.

[٢] «إن فترة النقل تلك (في العصر العباسي) قد استمرت نحو قرن من الزمن، وانتهت في نحو عام ٨٥٠ للميلاد(٢٣٦هـ). ولكن تبعها دور من الابتكار، دور عبر فيه العرب عن فكرهم الأصيل، وازدهر في بغداد، ثم امتد قرنين كاملين. وكثر الابتكار في عدد من ميادين المعرفة كعلم الكلام وفقه اللغة والبحوث اللغوية الأخرى والفلسفة والطب والعلوم الطبيعية. ذلك كان دوراً لا مثيل له في جميع أدوار التاريخ العربي. بل إن بإمكاننا أن نقول أكثر من ذلك: إننا على ثقة من أن العلماء الذين برعوا في الرياضيات والفلك، والأطباء الذين عاشوا في بغداد في القرنين التاسع والعاشر للميلاد (الثالث والرابع للهجرة) لم يكن لهم مثيل (يوم ذاك) في قارتي أوربة وآسية. لقد جعل هؤلاء من مدينتهم عاصمة للعلم في العالم، كما كانت (من قبل) أثينة حضارة ذات هبات غنية، يغلب فيها عنصر الابتكار، وأقاموا في الإسلام عصراً ذهبياً (في العلوم الكونية). .»[١].

[٣] «لم يدرك العرب وجود المعارف العلمية إلّا بعد أن جاءهم الإسلام، وبعد أن احتكوا بأهل الثقافات القديمة. إن الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام هي التي أدت إلى هذا الاحتكاك الحيوي للعرب بالتراث الثقافي النفيس؛ الذي خلفه اليونان والسريان والفرس والمصريون القدماء. . لقد كان من أفضال [العرب] أنهم شجعوا كل جماعة من رعاياهم على أن تحافظ على تراثها القومي، وعلى أن توسعه ما دام هذا التراث ليس مخالفاً للإسلام. .»[٢].

[٤] «فيما كان بناء المساجد ينتشر شرقاً حتى بلغ الصين، وغرباً حتى وصل إلى الأندلس؛ كان نمط البناء يتأثر بعناصر محلية، من غير أن تتبدل خطته الأساسية تبدلاً يذكر. وبما أن المسجد كان مكاناً للعبادة فإن بناءه عموماً ظل على بساطة وجلال. ومع أنه استعار من أنماط البناء الأخرى؛ فإنه ظل معبراً عن الإسلام تعبيراً عظيماً. وأما في أثناء تطوره في التاريخ، من ناحية العمارة، فإنه كان صورة مصغرة لتطور الثقافة الإسلامية: تلك الثقافة التي كان المسجد تعبيراً صحيحاً عنها ـ فيما يتعلق بالأمم المختلفة، وبأعراق البشر المختلفة ـ إذ هو يمثل

---

(١) نفسه، ص ١٨٩.

(٢) نفسه، ص ٢٠٩ـ٢١٠.

ـ بصورة ملموسة ـ ذلك التفاعل بين الإسلام وبين جيرانه. والمؤمن ذو الاتجاه الروحي، على كل حال، لا يقلقه ذلك التطور. إنه ما يكاد يدخل الصحن الذي ينكشف للسماء، والذي تحيط به الأرواق حتى يجد في نفسه ميلاً شديداً إلى الانعتاق من البيئة المادية التي حوله ثم نزوعا، في الوقت نفسه، إلى السمو نحو الملأ الأعلى. و هذه المئذنة الطويلة الرشيقة فإنها أشبه بالإصبع التي تنتصب مشيرة إلى السماء، وأما في جوف المسجد فإن القبة المتلألئة بالمصابيح تبدو وكأنها صورة منقولة عن قبة السماء. وكذلك المحراب (المزخرف بالأشكال والأغصان، والمزين بالآيات الكريمة) فإنه يوجه القلب إلى مصدر الهدى والإيمان. والأعمدة التي تتوالى في صفوف لا تكاد العين أن ترى آخرها توحي بأنها لا تنتهي. وهؤلاء المصلون حولك (معاً أو فرادى. في كل مكان من المسجد) يولِّدون في النفس شعوراً بمشاركة في أخوة تسع العالم كله»[1].

٥ «. . إنه جاء يوم بلغت فيه الثقافة الإسلامية درجة من السمو والتقدم، لم يقابلها فيها غيرها من الثقافات الهندية والصينية في الشرق أو اليونانية واللاتينية في الغرب. والذي نعنيه بالثقافة الإسلامية تلك المجموعة من العلوم والفنون والفلسفات التي نشأت في ظل الإسلام. . تمتعت هذه الثقافة بعصرها الذهبي من منتصف القرن الثامن للميلاد إلى مطلع القرن الثالث عشر، يوم كانت اللغة العربية أداة التعبير عنها، ويوم كانت الشعوب العربية اللسان ـ وبينهم السوري والعراقي والمصري والفارسي والتركي وغيرهم ـ في مقدمة مشعل الحضارة في العالم قاطبة، وجاء عدد المؤلفات في هذه اللغة في تلك الحقبة، المؤلفات الفلسفية والطبية والتاريخية والفلكية والجغرافية والرياضيات واللغوية، أكثر من عددها بأي لغة أخرى من آسيوية أو أوربية. والغريب في أمر العربية التي كانت إلى أواسط القرن الثامن لغة شعر ودين فحسب، أنها في خلال قرن واحد تطورت وتقدمت إلى أن أصبحت أداة صالحة لنقل دقائق الفلسفة، وحقائق العلوم، ومصطلحات الفنون. وربما لم يكن من مثيل لهذه الظاهرة الغريبة في تاريخ نشوء اللغات، وبفضل جهود أبناء هذه اللغة. .تسنى لعلوم الأقدمين، من هنود وساميين

(١) نفسه، ص ٣٠٦ـ ٣٠٨.

ويونان ولاتين، مضافاً إليها ما ابتكره هؤلاء الأبناء، على اختلاف عناصرهم القومية، أن تنتهي بعد أجيال عديدة إلى غربي أوروبة، وذلك عن طريق سورية الصليبية وصقلية وإسبانيا المسلمتين، فأصبح أساس العرفان الذي دان له الفكر الأوربي في القرون الوسطى، ورائد السبيل لنشوء النهضة الحديثة في أوروبة الغربية التي لا يزال إلى اليوم أبناء أوروبة وأمريكا ينعمون ببركاتها. فبينا كان الأوربي يتخبط في ديجور العصور - التي أطلقوا عليها بحق العصور المظلمة - كان كتبة العربية - وهو يومئذ يشملون معظم المجتمع الإسلامي - يرتعون في عصرهم العلمي الذهبي»[1].

جورج حنا

١ «لم تنحصر الفتوحات العربية في الناحية العسكرية فقط، بل تعدتها إلى الناحية الثقافية. لقد كان في العرب علماء وفلاسفة وحكماء، درسوا الفلسفة اليونانية وعلومها، ونبشوا منها ما كان الحكم الروماني قد أقفل عليه الأبواب. فكان للعلماء والفلاسفة العرب الفضل في إعادة الثقافة اليونانية إلى رونقها. فعندما كانت السلطات الغربية في القرون الوسطى المظلمة، في خضوعها المطلق للكنيسة الرومانية، تنصاع، مسيَّرة أو مخيَّرة لإحكامها، وتنفذ إرادة الكنيسة دونما بحث أو جدل، وعندما كانت محاكم التفتيش تحكم بالموت والاحتراق والتشريد على كل من نزاع السلطة البابوية تعاليمها وعقائدها. وعندما كان الجهل مخيماً على ربوع وحياة الغرب، كان علماء العرب يبحثون عن المعرفة أينما وجدت. وكان خلفاء العرب يسهلون لهؤلاء العلماء مهماتهم، ويقدمون لهم المساعدات. فعكف الباحثون على إخراج العلوم اليونانية من مدفنها ونقلوها إلى العربية، وزادوا عليها من اختباراتهم ونظرياتهم ومشاهداتهم، ووضعوا كتباً قيمة في الفلسفة والطب والجبر والكيمياء والرياضيات والفلك، وقام منهم رحالة إلى بلاد الغرب والشرق،

---

(١) الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة، جمع وتقديم: محمد خلف الله، ص ٥٥٠-٥٥١. عن إنجازات المسلمين في ميادين العلوم الصرفة، انظر: الإسلام منهج حياة، ص ٢١١-٢٢٠، ٢٢٤ - ٢٣١، وفي الآداب والفنون، ص٢٦٤-، ٢٨٦ - ٢٨٧، ٢٩٤ - ٢٩٦، ٣٢٢ - ٣٢٣، ٣٣٥-٣٣٦.

ودرسوا اللغات المنتشرة فيها، وترجموا من كتبها ما لا يزال إلى يومنا هذا يدرس للطلاب..»[١].

[٢] «لولا العرب لبقيت الثقافة اليونانية مطموسة، لما أخرجت هذه الثقافة من مدفنها الذي زجها فيه الرومانية.. فما إن أخذت الإمبراطورية الرومانية في الانحلال حتى عادت الثقافة اليونانية إلى الظهور مرة ثانية، ولم يكن ظهورها في الغرب بل في الشرق.. وإذا كان النسطوريون هم الذين كشفوا عنها الغطاء، فالعرب هم الذين نشروها في الشرق، ثم بعثوها إلى الغرب»[٢].

[٣] «إن الحقبة التاريخية الواقعة بين القرن العاشر والقرن الثالث عشر [الميلادي] هي بحق عصر العرب الذهبي، ففي هذه الحقبة كان العرب حاملي مشعل الثقافة الوحيدين. وعلى الرغم من أن فتوحات العرب العسكرية نحو الغرب، لم تمتد إلى أكثر من مئة سنة، وانتهت بهزيمتهم في موقعة (بواتييه) على يد شارل مارتل؛ فإن التوسع الثقافي العربي استمر في امتداده نحو الغرب، وبقي الفكر العربي يصدر إنتاجه الخصب من الأندلس وشواطئ إفريقية إلى سواحل أوروبة الجنوبية، ومن هناك يغزو أوروبة كلها، ويضع أساساً لنهضتها»[٣].

[٤] «لا يسعنا إلّا أن نسجل استغرابنا مما يدعيه بعض المكابرين؛ الذين ينكرون قيام حضارة عربية في التاريخ، فإذا كانت البحوث العلمية والفلسفية والثقافية مضافاً إليها الأعمال الفنية، وما تنطوي عليه كل هذه الشؤون من قيم، لا تشكل حضارة ذات شأن، فماذا تكون إذاً الدعائم التي تقوم عليها الحضارات؟ صحيح أن العرب نقلوا عن اليونان والفرس والهنود والرومان، ولكن هل ينكر عليهم ما زادوه على ذلك باكتشافاتهم في الطب والكيمياء والجبر والفلك والرياضيات، وفي الفن أيضاً؟ وهل من الإنصاف أن ينكر على فلاسفتها وحكمائهم، نظرياتهم في الاجتماع والاقتصاد والإدارة؟ ثم ماذا يضير العرب إذا كانوا نبشوا ما كان دفيناً من فلسفة اليونان وحضارتهم، وأظهروه إلى النور؟ إن من يطالع الكتب الغربية التي

(١) قصة الإنسان، ص ٨١.
(٢) نفسه، ص ٨٣.
(٣) نفسه، ص ٨٤.

أنتجها عصر النهضة، يجد فيها أثر علماء العرب واضحاً، فما جاء به (مونتسكيو) و(باكون) وعلماء الاجتماع في القرن السادس عشر والسابع عشر، تجده، أو تجد له تمهيداً على الأقل، في مقدمة ابن خلدون، هذه المقدمة التي لم تترك حقلاً من حقول البحث الاجتماعي، إلّا وطرقته، حتى شهد علماء الغرب أنفسهم أنها أعظم مؤلف علمي واجتماعي، وكتب الفلك الغربية محشوة بالكلمات العربية التي لم يجد علماء الفلك الغربيون بداً من تبنيها.. والأرقام الغربية ليست إلّا أرقاماً عربية. كل هذا إنما يدل على مدى إقتباس العلوم الغربية من العلوم العربية. إن ما تحويه المؤلفات العلمية والفلسفة الغربية من أمثال هذه الشواهد؛ لدليل على أن النضج الفكري والعلمي الذي نقرأ عنه في عصر النهضة الغربية وبعدها، إنما كان متأثراً ـ إلى حد بعيد ـ بالنضج الفكري والعلمي عند العرب، بل كان مؤسساً عليه، ومقتبساً منه»[١].

٥ «لقد دهش الصليبيون من التقدم العلمي والفكري في الشرق. فكانوا عندما يعودون إلى بلادهم، يروون لمواطنيهم الروايات المختلفة عنه، ويشوقونهم للاقتداء بالنهضة الفكرية فيه.. وعندما عاد الإمبراطور [النورماني] فردريك الثاني إلى بلاده، أسس جامعة نابولي، وجامعة ساليرنو الطبية، واعتمد في هاتين الجامعتين الدروس التي وضعها ابن سينا والرازي وابن رشد وابن خلدون وسائر أقطاب العلم والفلسفة العرب.. هو الذي أدخل الأرقام العربية وعلم الجبر إلى أوربة. إن جامعتي نابولي وساليرنو كانتا النافذة الأولى التي تسربت منها النهضة الفكرية إلى أوروبا، ووضعت أساساً للنهضة الفكرية فيها، في العهد الذي عرف بعهد الانبعاث»[٢].

إميل درمنغم

١ «إن العرب إذ صار لهم سيد دان له الجميع.. وصارت لهم روح عامة، ومبدأ واحد، وأصبحوا من القوة ما استطاعوا به أن يكونوا ذوي شأن في العالم.. وكانوا مستعدين ليرثوا الدول العالمية المتحضرة. [وهم] على خلاف

---

(١) نفسه، ص ٨٦ ـ ٨٧.
(٢) نفسه، ص ٩٦.

الجرمان والوندال والبرابرة بدوا وارثين مستعدين لتمثيل دورهم في التاريخ، والصعود تواً في سلم الحضارة. وكان ظهورهم في الوقت المناسب.. فأنقذوا العالم من الانهيار، وأخذوا المصباح من أيدي البيزنطيين والفرس العاجزة، فكان دور خلفاء بني أمية وبني العباس الذي يعد من أنضر أدوار التاريخ، وذلك قبل أن ينتقل هذا المصباح في القرن الثالث عشر إلى ما بين البارتنون وشارتر. والعرب لو تركت حبالهم على غواربهم ما قاموا بغير التخريب.. ولكنهم جلبوا معهم الإسلام والمروءة؛ حين قبضوا على زمام المدنيات القديمة؛ التي كادت تنحل، فازدهرت بفضلهم»[1].

دريو[2]

١ «في الزمن الذي كانت فيه إيطاليا تتخبط في دياجي الحروب، ولا سيما على عهد برابرة المملكة المقدسة. كان الفتح العربي في طرفي البحر المتوسط أعظم وأخصب من الفتح الروماني، وقد دامت ممالكه قروناً، وكانت مصانعه أعظم أثراً من مصانع رومية، وما هي إلّا عنوان ثقافة عالية جداً. وقد كان لهم الأثر المشهود في إسبانيا إلى آخر القرن الخامس عشر»[3].

إتيين دينيه

١ «إن الفروسية ونبالة قصدها لم يكن يعرفها الأقدمون من اليونان والرومان، ولكنها كانت معروفة عند العرب أيام جاهليتهم، ثم هذبها الإسلام وطهرها تطهيراً. وعلى يده دخلت أوربة ووصلت إلينا نحن الغربيين. ولم يبق أحد اليوم ينكر نسبتها إلى العرب..»[4].

---

(١) حياة محمد، ص ٣٦٩.

(٢) أي دريو E.Driault
مؤرخ فرنسي، عني بالشؤون الشرقية.
من آثاره: (المسألة الشرقية منذ نشأتها حتى عام ١٩٢٠) (١٩٢١) و (الحملة الفرنسية وحكم محمد علي) كما نشر عدداً من الدراسات في التاريخ الحديث.

(٣) المسألة الشرقية (عن محمد كرد علي: الإسلام والحضارة العربية ١/ ٢٠).

(٤) أشعة خاصة بنور الإسلام، ص ٢٨.

[٢] «.. نستطيع أن نبرهن على أن المحاولات الأولى في السعي إلى تحرير الفكر كانت أثراً منطقياً للمبادئ التي جاء بها محمد؟ فإلى الفيلسوف المسلم ابن رشد يرجع الفضل في إدخال حرية الرأي (التي يجب ألا نخلط بينها وبين الإلحاد) في أوربة. وقد عارض ابن رشد وحدة الوجود القديمة والتجسيم المسيحي بعقيدة الإيمان بالله وحده في الإسلام، وتحمس أحرار الفكر في العصر الوسيط الأوربي لشروحه لأرسطو، وإن كانت هذه الشروح مصبوغة بصبغة إسلامية قوية. ويمكن أن نعتبر ـ بحق ـ أن التيار الفكري الذي نشأ عن هذا التحمس لابن رشد كان أصل التفكير المنطقي الحديث، فضلاً عن كونه من أصول الإصلاح الديني»[١].

ول ديورانت

[١] «.. إن الخلفاء الأولين من أبي بكر [رضي الله عنه] إلى المأمون قد وضعوا النظم الصالحة الموفقة للحياة الإنسانية في رقعة واسعة من العالم، وإنهم كانوا من أقدر الحكام في التاريخ كله. ولقد كان في مقدورهم أن يصادروا كل شيء، أو أن يخربوا كل شيء، كما فعل المغول أو المجر أو أهل الشمال من الأوربيين لكنهم لم يفعلوا هذا.. كانت العراق قبل الفتح الإسلامي صحراء جرداء، فاستحالت أرضها بعده جناناً فيحاء، وكان كثير من أرض فلسطين قبيل الفتح رملاً وحجارة، فأصبحت خصبة غنية عامرة بالسكان.. لقد أمَّن الخلفاء الناس إلى حد كبير على حياتهم وثمار جهودهم، وهيؤوا الفرص لذوي المواهب، ونشروا الرخاء مدى ستة قرون في أصقاع لم تر قط مثل هذا الرخاء بعد عهدهم، وبفضل تشجيعهم ومعونتهم انتشر التعليم، وازدهرت العلوم، والآداب، والفلسفة، والفنون ازدهاراً جعل آسية الغربية ـ مدى خمسة قرون ـ أرقى أقاليم العالم كله حضارة»[٢].

[٢] «.. في وسع القارئ أن يحكم على ثراء الأدب الإسلامي إذا عرف أن الكتب التي ذكرها ـ ابن النديم في الفهرست ـ على ما نعلم لم يبق منها الآن واحد في الألف»[٣].

---

(١) محمد رسول الله، ص ٣٢٤.

(٢) قصة الحضارة، ١٣/ ١٥٠ـ١٥١.

(٣) نفسه، ص ١٣/ ١٧٢.

[٣] «.. إن العلوم العربية نمَّت في علم الكيمياء الطريقة التجريبية العلمية، وهي أهم أدوات العقل الحديث، وأعظم مفاخره. ولما أن أعلن روجر بيكون هذه الطريق إلى أوربة بعد أن أعلنها جابر [بن حيان] بخمسمئة عام كان الذي هداه إليها هو النور الذي أضاء له السبيل من عرب الأندلس، وليس هذا الضياء نفسه إلّا قبساً من نور المسلمين في الشرق»[(١)].

[٤] «. ليس هذا الجزء الباقي [من تراث المسلمين] إلّا قسماً ضئيلاً مما أثمرته قرائحهم، وليس ما أثبتناه في هذه الصحف إلّا نقطة من بحر تراثهم. وإذا كشف العلماء عن هذا التراث المنسي، فأكبر ظننا أننا سنضع القرن العاشر من تاريخ الإسلام في الشرق بين العصور الذهبية في تاريخ العقل البشري»[(٢)].

مكسيم رودنسن

[١] «هكذا ظهرت الترجمات اللاتينية [لمؤلفات المسلمين] تدريجياً، وانتشرت ثروة العرب العلمية؛ بحيث وصلت إلى إنجلترا واللورين وساليرنو، وخصوصاً إلى إسبانيا، حيث كان الاتصال يجري بسهولة أكثر..»[(٣)].

[٢] «في عام ١١٨٠ م، اكتملت المجموعة الأولى من مؤلفات ابن سينا الفلسفية، وأخذت تروج في أوربة، وكان تأثيرها بالغاً، وتبعها ترجمات لفلاسفة آخرين بتلاحق سريع.. وقد أخذت تتشكل في أذهان المفكرين الغربيين صورة أخرى للعالم الإسلامي بوصفه مهداً لفلاسفة عظام. وكانت تلك صورة مضادة تماماً للصورة السابقة، صورة الكيان الذي يسيطر عليه دين معاد ومغلوط، وهي الصورة التي خلقتها الخرافات السخيفة والكريهة في أذهان الناس.. واستطاع علماء اللاهوت الفلاسفة أن ينقلوا إلى المسيحية ما كان يذكره ابن سينا عن الحضارة الإسلامية، بل لقد جاء وقت كان لفظ (الفيلسوف) يعني فعلياً (المسلم)..»[(٤)].

[٣] «من وجهة النظر الفكرية نجد أن كبار المؤلفين المسلمين؛ الذين كان اكتشافهم قوة تجديدية؛ أصبحوا يتمثلون (ويهضمون) بصورة تدريجية، ويدمجون ضمن

---

(١) نفسه، ١٣/١٩٦.
(٢) نفسه، ١٣/٢١٣.
(٣) تراث الإسلام (تصنيف شاخت وبوزورث)، ١/٣٦.
(٤) نفسه، ١/٤٠-٤١.

الثقافة العامة. وخلال عدة قرون نجد أن ابن سينا وابن رشد والغزالي في الفلسفة، وابن سينا وعلي بن العباس والرازي في الطب، ومؤلفين آخرين [في عالم الإسلام] نجد هؤلاء يقلدون، وتعاد طباعة أعمالهم، ويعلق عليها، وتدرس..»[١].

فرانز روزنثال

١ «إن نمو المدينة الإسلامية من أروع الأحداث في تاريخ الفكر الإنساني، وسيبقى مثار أعظم الإعجاب. وكان لا يمكن اعتبار هذه المدينة أمراً غامضاً أو معجزة، ولعلها كانت معجزة من حيث حدوثها بسرعة عجيبة؛ لدرجة أنها كملت بعد بدئها بوقت قصير. وقد يمكن أن نعتبرها غامضة من حيث إن كل عمل من الإبداع الفكري، وكل ازدهار في أية مدينة هما أمران لا يحصرهما الإدراك الإنساني التام، أما في الإسلام فإننا نجد أن الأسباب والظروف؛ التي أوجدت المدينة الإسلامية أشد وضوحاً من الأسباب والنتائج؛ التي أوجدت معظم المدنيات الأخرى..»[٢].

٢ «لقد استطاع الإسلام بفضل الله، ثم بفضل أنظمته العسكرية والظروف التاريخية الملائمة أن يكتسح في زمن قصير بلاداً كانت تتمثل فيها جميع المنجزات الفكرية القائمة آنذاك، وسرعان ما أخذت حضارته تتبنى لنفسها هذه المنجزات بقيامها بحركة ترجمته واسعة، واقتباس كبير. ونظراً لأنها حركة روحية جديدة، فقد اضطر إلى عرض معتقداتها لخصومها، وإلى أن تدافع عن علة وجودها، وكان عليها ـ باعتبارها طريقة جديدة في الحياة ـ أن تصلح المؤسسات الإدارية التي وجدتها في مختلف الأقاليم، وفوق كل هذا فبتقدم الإسلام تهاوت الحواجز القديمة من اللغة والعادات، وتوفرت فرصة نادرة لجميع الشعوب والمدنيات؛ لتبدأ حياة فكرية جديدة على أساس المساواة المطلقة، وبروح من المنافسة الحرة. وقد تمت في القرن التاسع الميلادي الفترة التكوينية لهذه العمليات، وصار كل فرع من فروع المعرفة في الإسلام تتحكم فيه منذ ذلك الوقت قوانين وتقاليد المدنية الإسلامية المستقلة»[٣].

---

(١) نفسه، ١/٥٢.
(٢) علم التاريخ عند المسلمين، ص ٤٥ـ٤٦.
(٣) نفسه، ص ٤٦.

[٣] «يقول فون كريمر عند وصفه النشاط العلمي عند المسلمين: (إن أعظم نشاط فكري قام به العرب يبدو لنا جلياً في حقل المعرفة التجريبية ضمن دائرة ملاحظاتهم واختباراتهم. فإنهم كانوا يبدوا نشاطاً واجتهاداً عجيبين حين يلاحظون، ويمحصون، وحين يجمعون ويرتبون ما تعلموه من التجربة، أو أخذوه من الرواية والتقليد. ولذلك فإن أسلوبهم في البحث أكبر ما يكون تأثيراً عندما يكون في نطاق الرواية والوصف. ولذا يحتل التاريخ والجغرافيا المقام الأول في أدبهم، وبصفتهم أصحاب ملاحظة دقيقة، وبصفتهم مفكرين مبدعين؛ فإنهم قد أتوا بأعمال رائعة في حقلي الرياضيات والفلك. وللسبب ذاته نجح العرب في التشريع، وفي وضع قواعد اللغة من صرف ونحو في شكل شامل محكم..)»[١].

[٤] «وكثيراً ما يشوه آراء الغربيين في البحث العلمي عند المسلمين شعورهم بالتفوق والعلو شعوراً لا يتركز على منطق. فمن العجيب حقاً أن نسمع عالماً أوربياً يقول عن ياقوت الذي يرفض تصديق [إحدى القصص]: (يندر جداً أن يبدو ياقوت بهذا التعقل، وهذه الرصانة) في الوقت الذي نعلم فيه أن هذا المؤلف الغربي، بقطع النظر عن مؤهلاته العلمية، يبدو قزماً إذا ما قيس بياقوت [الحموي]..»[٢].

[٥] «كانت المكتبة الخاصة بالنسبة للعالم المسلم، أعز ما يملكه، وكان فقدها كارثة تترك في نفسه ألماً أشد من الألم الذي يشعر به عالم اليوم إذا ما فقد كتبه»[٣].

جاك ريسلر

[١] «سيطر الإسلام أثناء خمسمئة عام ٧٠٠ إلى ١٢٠٠م على العالم بالقوة، وبالعلم، وبتفوق حضارته»[٤].

---

(١) مناهج العلماء في البحث العلمي، ص ١٥، عن بحث فون كريمر:
Culturgeschichte des Orients II, 466 (Vienna, 1877).

(٢) مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي، ص ١٨ـ١٩.

(٣) نفسه، ص ٤٩، وعن إنجاز المسلمين في ميدان (المنهج) انظر: المرجع نفسه، ص ١٤ـ١٥، ١٧، ١٩، ٥٥، ٦٢ـ٦٤، ٧٢ـ٧٤، ٩٢ـ٩٣، ١١٥ـ١٢٣، ١٥١ـ١٥٣، ١٨٧ ـ ١٨٨.

(٤) الحضارة العربية، ص ٨٢.

٢ «لقد ورث الإسلام تراث اليونان من الفلسفة والعلوم، ثم بعد أن نماها، نقلها إلى أوربة الغربية. كما أنه استطاع أن يوسع الأفق الفكري للعصر الوسيط، وأن ينفذ بعمق إلى الفكر والحياة الأوربيتين»(١).

٣ «إن ما يشاهد المرء من القرن التاسع إلى القرن الثاني عشر لم يكن له مثيل قبل ذلك. ففي كل مكان كلف لا حد له بالكتب. وآلاف المساجد تهتز بفصاحة العلماء، ومئة بلاط رائع تدوي بمباريات شعرية أو فلسفية، وطرقات غاصة بعلماء الجغرافية، وعلماء التاريخ، وعلماء الدين للبحث عن المعرفة. وهذه أهم يقظة فكرية في التاريخ الإسلامي»(٢).

٤ «.. عندما بهرت الحضارة [الإسلامية] المشرق بعض رجال الدين والعلمانيين من أوربة المسيحية كلها، أخذوا يزحفون، حباً في الحرية [التي تميز بها هذه الحضارة] إلى قرطبة وطليطلة وإشبيلية، لكي يحضروا دروس الجامعات الإسلامية ومحاضراتها»(٣).

٥ «لكي نقيم حاسباً كاملاً لإسهامها الشرق الفكرية تجاه الغرب، كان يجدر بنا أيضاً أن ننسب إلى العرب ما للعرب من تطبيقات صناعية نجمت عن المعرفة الإسلامية.. ويكفي أن يتصور المرء القارة الأوربية في فجر العصور الحديثة من غير أن تملك تحت تصرفها هذه الهبات الثلاثة: البارود، والبوصلة، والكتاب، رمز المعاونة الإسلامية في بناء الإنسانية»(٤).

جورج سارتون

١ «.. [إن إدراك الفاتحين لضرورة الأخذ عن ثقافات الشعوب المفتوحة] قد فسح المجال بما يجوز أن نسميه معجزة العلم العربي، آتين بكلمة معجزة لترمز إلى تفسير ما بلغ إليه العرب في الثقافة والعلم؛ مما يخرج تقريباً عن نطاق التصديق، وليس لذلك شبه في تاريخ العالم كله؛ ما عدا حسن اكتساب اليابانيين

(١) نفسه، ص ٨٣.
(٢) نفسه، ص ١٠٠.
(٣) نفسه، ص ١٥٤.
(٤) نفسه، ص ١٩١-١٩٢.

للعلم الحديث، وللبراعة الفنية في أثناء العصر الميجي [١٨٦٨ـ١٩١٢م]. إن هذه الموازنة مفيدة، لأن الموقف كان في الحالين واحد. إن قادة الثقافة بين العرب قد أدركوا الحاجة الماسة إلى العلم اليوناني بقدر ما أدرك اليابانيون في الجيلين السابقين حاجتهم إلى العلم الأوربي الحديث. ولقد كان خير المعلمين لكلتا الأمتين الحاجة، الحاجة الملحة. على أن تلك الأمتين قد اتصفتا بالإدارة، وبنوع من النشاط الروحي الذي يتغلب على المصاعب الشاقة..»[1].

(٢) «... إن غرابة العلم العربي وخصبه معاً يرجعان في الحقيقة إلى أن ذلك العلم قد جمع العناصر اليونانية إلى العناصر الشرقية، وخلق منها مركباً جديداً، أو أنه جعل خلق هذا المركب ممكناً في المستقبل، ولقد كان بالإمكان أن ينتقل العلم اليوناني على يد أوربة اللاتينية؛ لو لم تكن النصرانية الكاثوليكية مفصولة تماما عن النصرانية الأرثوذكسية بجدار من التعصب وسوء الظن والبغض. وبما أن هذا الجدار كان لسوء الحظ موجوداً، فإنه لم يكن من سبيل إلى اتصال العلم اليوناني السابق بالمستقبل التالي إلّا من طريق المنحني العربي، وإذا نحن نظرنا إلى العلم العربي من وجهة نظر التطور الإنساني عموماً، وجدنا أن الثقافة العربية الإسلامية كانت ذات أهمية بالغة، ذلك لأنها تؤلف الصلة الأساسية بين الشرق الأدنى وبين الغرب، ثم بين الشرق الأوسط وبين آسيا البوذية»[2].

(٣) «إن الأهمية العظمى التي يتمتع بها الشرق الأوسط على أنه مهد للثقافة الغربية؛ قد قام البرهان عليه.. ولكن حب الحقيقة يحملنا على أن نبدي تحفظاً.. إن الثقافة العربية التي كانت الثقافة الزعيمة منذ القرن التاسع إلى القرن الحادي عشر، ثم بقيت على غاية من الأهمية ثلاثة قرون أخرى (ولنذكر أن ستة قرون ليست شيئاً يسيراً) قد درجت من ذلك المهد، لا شك في ذلك. ولكن الفتوح الإسلامية قد مدتها شرقاً إلى الهند وأواسط آسيا حتى الصين، ثم غرباً إلى إسبانية ومراكش، أي إلى طرف العالم. فإذا نحن سمينا هذه الثقافة إذاً ثقافة الشرق

(١) الثقافة العربية في رعاية الشرق الأوسط، ص ٤٩.
(٢) نفسه، ص ٥٧.

الأوسط فحسب؛ فإننا نكون قد جئنا شيئاً غريباً، إذ إن تلك الثقافة كانت قد امتدت في العصور الوسطى من الشرق الأقصى إلى المغرب الأقصى..»[(١)].

[٤] «إن المآثر التي قامت بها الشعوب التي تتكلم اللغة العربية ـ وذلك بين القرن التاسع والقرن الثاني عشر [للميلاد] ـ كانت عظيمة إلى درجة تخمل أفهامنا. على أن التأخر الذي أصاب المسلمين والعرب كان مستغرباً جداً في سرعته واكتماله، كما كانت نهضتهم الرائعة مستغربة جداً أيضاً. وسيحاول العلماء الدارسون أبداً تعليل ذلك، ولكن بلا جدوى من الناحية العلمية على الأقل، ذلك لأن أشباه هذه المسائل معقدة جداً، ولأن الإجابة عليها بالأساليب العادية تقع في نطاق المستحيل»[(٢)].

[٥] «.. مرة أخرى نستعمل كلمة (معجزة) لأن ما تحقق على أيدي العرب في ميدان العلوم لا يكاد يصدق. ولم يحدث قط في تاريخ الإنسانية أن تمكن قوم من العلم هذا التمكن السريع، إلّا في حالة واحدة وأخرى هي ما حققه عصر [الإمبراطور] موتسوهيتو Mutsuhito [1886-1912] لليابان من علم وفنّ حديث. والحق أن بين هاتين الحالتين من النهضة الإنسانية شبهاً أساسياً»[(٣)].

لوثروب ستودارد

[١] «.. العرب لم يكونوا قط أمة تحب إراقة الدماء، وترغب في الاستلاب والتدمير، بل كانوا، على الضد من ذلك، أمة موهوبة جليلة الأخلاق والسجايا تواقة إلى ارتشاف العلوم، محسنة في اعتبار نعم التهذيب، تلك النعم التي قد انتهت إليها من الحضارة السالفة. وإذ شاع بين الغالبين والمغلوبين التزاوج وتلقيح الأفكار، كان اختلاط بعضهم ببعض سريعاً، وعن هذا الاختلاط نشأت حضارة جديدة ـ الحضارة العربية، وهي جماع متجدد للتهذيب اليوناني والروماني والفارسي، ذلك الجماع الذي نفخ فيه العرب روحاً جديدة، فنضر وأزهر، وألفوا بين عناصره ومواده بالعبقرية العربية والروح الإسلامية، فاتحد وتماسك بعضه

---

(١) نفسه، ص ٥٧ـ٥٨.

(٢) نفسه، ص ٦١.

(٣) الشرق الأدنى: مجتمعه وثقافته (بإشراف كويلر يونغ)، ص ١٤٢.

ببعض، فأشرق وعلا علواً كبيراً. وقد سارت الممالك الإسلامية القرون الثلاثة الأولى من تاريخها (٦٥٠-١٠٠٠م) أحسن سير، فكانت أكثر ممالك الدنيا حضارة ورقياً، وتقدماً وعمراناً، مرصعة الأقطار بجواهر المدن الزاهرة، والحواضر العامرة، والمساجد الفخمة، والجامعات العلمية المنظمة، وفيها مجموع حكمة القدماء، ومختزن علومهم، يشعان إشعاعاً باهراً. طول هذه القرون الثلاثة ما انفك الشرق الإسلامي يضيء على الغرب النصراني نوراً..»[1].

٢ «الإسلام، وهو هذا الدين البين الصريح، ما كان ليقيد عقل العربي، ويلقي عليه سجوفاً فوق سجوف. والعربي كان قد أدرك حالاً ثار فيه جده، واشتعلت غيرته، فبات تواقاً إلى اقتباس العلوم، واجتناء ثمراتها، والتبسط في شؤون الحياة، وتوفير أحوالها، والتكيف على حديث مقتضياتها، والخروج عما ألفه أزماناً في فيافي الصحراء.. لهذا لما نشر العرب فتوحهم، ومدوا سلطانهم على الأقطار الأجنبية لم يقصروا نفوسهم على التنعم بالنعم المادية، واستلذاذ الترف والرخاء العيش فحسب، بل عكفوا جادين على ترقية الفنون والعلوم والآداب وآراء الحضارات القديمة. فنشأ عن جميع هذا الجد والترقيات أن أخرج للناس تهذيب عربي سام. فأضاءت العقول، وازدهرت ازدهاراً كان فخر الحضارة العربية ودرة تاجها. وكان ردح من الزمن كانت فيه الحضارة مشرقة الشموس، يانعة الثمار، وارفة الظلال. أدت الحرية العقلية، وابتكرت الآراء والأفكار العلمية، ووضعت الواعد والأصول، واستنبطت الأحكام. بيد أن هذا لم يكن من صنع العرب وحدهم، بل شاركهم فيه كثير ممن كانوا متظللين ظل دولتهم من النصارى واليهود والفرس؛ الذين كانوا في عهد ملوكهم قبل الفتح الإسلامي يذوقوا الأمرين، ويسامون خسفاً شديداً في سبيل آرائهم ومعتقداتهم الدينية التي كانوا يخالفون فيها النصرانية البيزنطية والمجوس الفارسية..»[2].

٣ «.. إن الشعوب الآسيوية التي يتألف منها سواد المسلمين.. ذات حضارة بديعة حية منذ القرون الخوالي، حضارة هي نتاج إسلامي صرف، متكون من

---

(١) حاضر العالم الإسلامي، ١/ ٣-٤.

(٢) نفسه، ١/ ٨.

صنع المسلمين، وثمرات جهودهم. ومتى أخذنا نعتبر ما قد استطاعته هذه الشعوب الإسلامية من تشييد المعالي، وبلوغ ذروات المجد فيما مضى، أمنا الخطل بقولنا: الآن إننا نستبين خلال هذا الغليان الهائل في العالم الإسلامي تجدداً حقيقياً، صحيحاً رائعاً، ولا غرابة في ذلك أن عاد الإسلام من عزه الغابرة، وعلاه السالف، وهذا تاريخه المجيد شاهد له على ما كان عليه المسلمون قبلاً من الحضارة والعمران»[1].

نصري سلهب

[١] «[لا بد من الإشارة] إلى المداميك الكثيرة التي رصفها الإسلام في بناء الحضارة، وبتعبير آخر إلى إسهام الإسلام في تراث البشرية الحضاري، في حقلي الفكر والعلم بمختلف فروعهما من فلسفة وشعر وموسيقا وطب وكيمياء وفيزياء ورياضيات وهندسة؛ إلى آخر سلسلة معطيات وعناصر جعلت الإنسانية ترتفع إلى مستوى خليق بها، وجعلتها تنعم بما تنعم به اليوم. إن ذلك ضروري؛ لأن كثيرين من المسيحيين يجهلون مدى وأهمية إسهام الإسلام، كدين وكدولة، في الحضارة.. وإن الغرب فيما ينعم به اليوم من أسباب الحضارة والرقي والتفوق مدين به لنفسه، أي للفكر الغربي دون سواه. وذلك خطأ كبير؛ لأن الغرب مدين لهذا الشرق ـ وبتعبير آخر ـ إن المسيحية مدينة للإسلام بأشياء كثيرة مهمة، وإن الشرق اليوم ليس سوى دائن يستوفي دينه من مدين قديم. تلك إرادة الله، وسنة الوجود»[2].

[٢] «فيما كان البيروني، في نهاية القرن العاشر [الميلادي] يضع مؤلفاته في علوم الرياضيات والفلك والطب والتقاويم والتاريخ والفلسفة، وينشئ النظريات العلمية، ويقوم بالاختراعات، كانت أوروبة مذعورة، قلقة، خائفة، تنتظر نهاية العالم وحلول العام الألف!»[3].

[٣] «متى ذكرنا أن عشرات الكلمات الفرنسية هي من أصل عربي صريح، بل تكاد تكون منقولة بحرفيتها، فيصبح باستطاعتنا أن ندرك تأثير الإسلام في الغرب..

---

(١) نفسه، ٤/٢.
(٢) لقاء المسيحية والإسلام، ص ٤٤.
(٣) نفسه، ص ٥٠.

وتلاحظ أن هذه الكلمات لها طابع علمي أو فكري، وهي، على كل حال، لم تنتقل إلى أوروبة كمجرد كلمات فقط، بل كأسماء لمسميات انتقلت هي أيضاً معها»[١].

٤ «.. أية قمة شماء بلغ إليها العقل الإسلامي والعربي في حقبة من حقب تاريخه، بل من حقب التاريخ على إطلاقه؟ ذلك كله كان نتيجة طبيعية محتومة لما أوصى به القرآن الكريم.. وجهود رسول الله ﷺ إلى العالمين»[٢].

٥ «حضارة الإسلام ـ التي سيطرت على العالم مئات خمساً من السنين ـ كانت وليدة الإيمان، والإيمان وحده»[٣].

دومينيك سورديل

١ «في ظل الإسلام نمت مجموعة من العلوم، ولم يكتف العرب والفرس من نقل التراثين الفكريين الإغريقي والهندي إلى أوربة الغربية، بل أضافوا إليهما ملاحظات عديدة، واكتشافات مهمة»[٤].

٢ «يستحق [الفن الإسلامي]، من الوجهتين التاريخية والجغرافية، على الرغم من نزعته التجريدية؛ التي تدين الإسلام وللإسلام وحده بوحدته، أن يتوج الثقافة الإسلامية الضخمة؛ التي تتصف بدورها بالوحدة، على الرغم من نزعتها المتباينة. ومن ثم فلا يبدو لنا الإسلام ديناً [فحسب]، ولا أمة [فحسب]، بل ركناً لحضارة ينعش مظاهرها الدينية والفكرية والفنية، أو يكيفها على الأقل. لكن هذه الحضارة منذ القرن السادس عشر توقفت عن الإشعاع..»[٥].

أحمد سوسة

١ «للإسلام فضل كبير عن التاريخ نفسه من غير الوجهة الدينية، ذلك أنه جاء موضحاً بعض الحوادث التاريخية، بحيث فتح باباً واسعاً للتدقيق والبحث

---

(١) نفسه، ص ٥٠ـ٥١، وعن إنجازات المسلمين في ميادين العلوم الصرفة والتطبيقية والإنسانية، انظر: المرجع نفسه ص ٤٨ـ٥٣.

(٢) في خطى محمد، ص ٤٩٦.

(٣) نفسه، ص ٤٧.

(٤) الإسلام، ص ٩٥ـ٩٦.

(٥) نفسه، ص ١٠٢.

جاء حافزاً للعلماء للتنقيب، وسبر أغوار البحوث التاريخية لاستنباط الحقائق التي أوردها القرآن الكريم. وعليه فإن خدمة الإسلام للتاريخ والعلم بل خدمته للإنسانية بصورة عامة بتشجيع العلم الصحيح، ونبذ التقليد الأعمى؛ مما يسجلها له التاريخ ما دام تاريخ في الوجود»[1].

[٢] «إن النزعة العامة للكنيسة المسيحية تجاه الفلسفة والعلم هي نزعة عدائية..

ويرجع الفضل للإسلام في محافظته على الروح العلمية الفلسفية، وإرجاعها إلى المجتمع الأوربي، إذ كان الإسلام حامياً للكثير من المعلمين والفلاسفة الذين هجروا أوطانهم بنتيجة اضطهاد المسيحية إياهم. والواقع أن العلم لم يرجع إلى أوربة إلّا بواسطة الإسلام الذي امتد سلطانه إلى الأندلس.. وإن هذا العلم الذي انتشر في أوربة عن طريق الإسلام أخذ يعمل في عقول المفكرين شيئاً فشيئاً؛ حتى كانت النتيجة أن حدث صراعاً عنيفاً بين الكنيسة وساسة الشعوب المفكرين، فكان نصيب الكنيسة التسليم بمعظم ما كانت تتمتع به من سلطان»[2].

[٣] «لا يخفى أن الحضارة الإسلامية أنتجت ضحى التبصر والتيقظ، نابذة التقليد، ومتجنبة الظن، فكانت التجربة والبرهان قاعدة البحث فيها، وبذلك تم للمسلمين وضع الأسس الثابتة للعلوم الصحيحة، فجعلوا التجربة والملاحظة أساس المباحث العلمية، ودعامة التنقيب الأمر؛ الذي لم يكن قد اهتدى إليه اليونان مدة اشتغالهم بالبحث والفلسفة، فكون المسلمون بذلك ثقافة خاصة بهم، وفلسفة إسلامية مستقلة بعد أن اقتبسوا محسنات ما في الفلسفة اليونانية، ونبذوا الآراء الوثنية منها، كما أنهم وضعوا الأسس للعلوم الطبيعية والرياضيات بأنواعها المختلفة، ومن طريقهم وصلت هذه العلوم إلى أوربة»[3].

[٤] «تمتاز الحضارة الإسلامية في كونها تخضع في معظم إنتاجها إلى التعاليم الإسلامية، فالقيام بالصناعات والأخذ بالعلوم متصل بروح الأمة وعقيدتها؛ لأن العمل بذلك في نظر الإسلام فرض على الأمة، وهذا نظام يربط الإنتاج

---

(١) في طريقي إلى الإسلام، ١/ ١٧٥.

(٢) نفسه، هامش ١، ١/ ١٨٨-١٨٩.

(٣) نفسه، ٢/ ١١٢.

البشري بالدين.. وذلك بخلاف المدنية الغربية؛ فإنها جعلت القيام بشؤون الحياة من اختصاص الاقتصاد المادي وحده، فأمست مدنية مادية محضة لا يعين الفرد فيها صاحبه، ولا ينصر أحد رفيقه..»(١).

٥ «.. يجب أن لا يغيب عن البال أن المدنية الغربية الحديثة خابت في إرضاء النفوس، وأخفقت في إيجاد السعادة البشرية، فهبطت بالناس في هاوية الشقاء والارتباك؛ لأن جهود العالم الحديث موجهة إلى التدمير والإفناء.. فهو بعيد والحالة هذه من أن يتصف بالكمال، أو أن يكون واسطة لخدمة الإنسانية كما كان في عهد الإسلام..»(٢).

لويس سيديو

١ «.. إن مغازي العرب وإقامتهم بين القرنين الثامن عشر [الميلاديين] بجنوب فرنسة أسفرت، لا ريب، عن آثار لا تزول من لغتنا، وإن نفوذ العرب كان بادياً في مختلف أدوار تاريخنا، لا فرق في ذلك بين زمن الغزوات الأولى وزمن الحرب الصليبية.. وإن لهجات هذه الولايات مملوءة بالكلمات العربية، وإن أسماء الأعلام فيها تبدي شكلاً عربياً في كل خطوة كما تبديه اصطلاحاتنا العلمية أيضاً، وما يأتيه علماء اللغة المعاصرون عندنا من اشتقاق يقف له شعر الرأس!.. ولا ينكر فضلاً عن ذلك. إن الخلفاء كانوا في القرن التاسع من الميلاد سادة إمبراطورية واسعة رائعة لامعة تقضي بالعجب، وإن خلفاء بغداد كانوا يرسلون وفوداً وهدايا إلى الإمبراطورية شارلمان وإلى عاهل الصين، وإنهم كانوا مثال العظمة الحقيقية بنظمهم الصالحة، وعنايتهم بالآداب والعلوم، وأن ما شيد من المدارس في أرجاء دولتهم كان يوقد مصباح الحضارة فيما بين الشرق الأقصى، وعمد هركول [على الساحل الأطلسي] ناشراً آثار الفن العربي الرائعة في كل مكان عاملاً، على تجديد الدم في عروق العالم الهرم»(٣).

٢ «لم يكن [هيناً]، في تقدم العلوم، تأثير مدرسة بغداد التي كانت متوسطة بين مدرسة الإسكندرية والمدرسة الحديثة، فهيأت لهذه المدرسة الحديثة

---

(١) نفسه، ٢/ ١١٢-١١٣.

(٢) نفسه، ٢/ ١١٤.

(٣) تاريخ العرب العام، ص ١٢-١٤.

اكتشافاتها، ونحن مدينون للعرب في الحقل العلمي، ونعترف، وعن ذلك، بأن مترجمينا كانوا يتلهون بتشويه ما يقتبسونه من التعابير تشويهاً غريباً، فينم ما اتخذ من الاصطلاحات على الجهل والارتباك..»[1].

[٣] «وظاهرة مدرسة بغداد في بدء أمرها هي الروح العلمية التي كانت سائدة لأعمالها، فكانت مبادئ أساتذتها تقوم على الانتقال من المعلوم إلى المجهول، وعلى ملاحظة الحوادث ملاحظة وثيقة لمجاوزة المعلومات إلى العلل، وعلى عدم التسليم بما لا يستند إلى التجربة، وكان العرب في القرن التاسع [الميلادي] أصحاباً لهذا المنهاج الخصيب، فأضحى ـ بعد زمن طويل ـ أداة بيد علماء الزمن الحديث للوصول إلى أجمل اكتشافاتهم»[2].

[٤] «..نحن إذ نرى شوق العرب إلى العلم قد حفزهم إلى النهوض بمختلف فروع المعارف البشرية طلباً للحقيقة وحدها؛ لا يسعنا سوى الإعجاب المطلق بجهود الشعب العربي؛ الذي أدى بمثاله النبيل إلى بعث الآداب والفنون في أوربة»[3].

[٥] «حقاً إنه لمنظر رائع أن نرى انتصار سلطان حضارة العرب على همجية [المغول]، أولئك الذين انقضوا على آسيا الغربية والجنوبية»[4].

[٦] «.. قدر تأثير مدرسة بغداد البالغ في المشرق والمغرب، وكان عند العرب معظم الأفكار والمبادئ التي تباهي بها أوربة الحديثة، والعرب، فضلاً عن ذلك، ربطوا دورين كبيرين أحدهما بالآخر: ربطوا اليونان بعصر النهضة محافظين على تراث الدور الأول معدين ظهور الدور الثاني، ووجد من حاول خفض منزلة العرب، بيد أن الحقيقة تبدو يوماً بعد يوم، ولا بد من حلول الزمن العاجل أو الآجل الذي ينصفون فيه فيستردون حقهم..»[5].

[٧] «هكذا تجلى تأثير العرب في جميع فروع الحضارة الأوربية الحديثة، وظهرت، بين القرن التاسع والقرن الخامس عشر [الميلادي]، آداب تعد من

(١) نفسه، ص ١٤.
(٢) نفسه، ص ٣٩٢.
(٣) نفسه، ص ٤٠٣.
(٤) نفسه، ص ٤٠٨.
(٥) نفسه، ص ٤٨٠.

أعظم ما عرف، وتشهد الإنتاجات المتنوعة، والاختراعات المهمة على ما كان يتصف به عرب ذلك الزمن من النشاط العجيب، وبما كان لهم من الأثر البالغ في أوربة النصرانية، فجاء هذا مسوغاً للرأي القائل أن العرب كانوا أساتذة لنا، وما أتى به العرب من الموارد التي لا تقدر بثمن عن تاريخ القرون الوسطى ومن كتب الرحلات ومعاجم تراجم الأحوال من ناحية، وما جاؤوا به من صناعة منقطعة النظير، ومن مبان دالة على تفكير عظيم، وتنفيذ جسيم، ومن اكتشافات مهمة في الفنون من ناحية أخرى، كلها أمور يجب أن ترفع في أعيننا شأن الأمة العربية..»[(١)].

لورافيشيا فاغليري

١ «كيف نستطيع أن نقول: إن الإسلام عاق نمو الثقافة في القرون السالفة، نعلم أن بلاط الإسلام ومدارسه كانت آنذاك منارات ثقافية لأوربة الغارقة في ظلمات القرون الوسطى، وإن أفكار الفلاسفة العرب بلغت آنذاك منزلة رفيعة جعلت العلماء الغربيين يقتفون آثارهم، وإن هارون الرشيد أصدر أمراً آنذاك بأن يلحق بكل مسجد مدرسة يتلقى فيها الطلاب مختلف العلوم، وإن المكتبات الحافلة بمئات آلاف من الكتب كانت مشروعة الأبواب آنذاك في وجه العلماء والدارسين في طول العالم الإسلامي وعرضه. ألم يكن العرب أول من اصطنعوا الطرائق التجريبية قبل أن يعلن بيكون ضرورتها بزمن طويل؟ وتطور الكيمياء، وعلم الفلك، ونشر العلم الإغريقي، وتعزيز دراسة الطب، واكتشاف مختلفة القوانين الفيزيائية، أليست هذه من مآثر العرب؟»[(٢)].

ليوبولد فايس

١ «.. إن الحضارة الإسلامية أتم ما عرفه التاريخ من أشكال الدولة الإلهية. فالاعتبار الديني، أو وجهة النظر الدينية، يسود هنا كل شيء، ويظهر في

---

(١) نفسه، ص ٤٩٠-٤٩١.

(٢) دفاع عن الإسلام، ص ١٣٠-١٣١.

أساس كل شيء. ولو أننا وازنا بين هذا الاتجاه وبين اتجاه الحضارة الغربية؛ لعجبنا من هذا الاختلاف العظيم في استشرافهما الأمور»[١].

[٢] «إن أثر النفوذ [الحضاري الإسلامي] في أوربة كان عظيماً. لقد بزغ، مع اقتراب الحضارة الإسلامية، نور عقلي في سماء الغرب ملأها بحياة جديدة، وبتعطش إلى الرقي، ولم يأت التاريخ الأوربي بأكثر من اعتراف عادل بقيمة الحضارة الإسلامية حينما سمى عصر التجديد الذي نشأ من الاحتكاك الحيوي بالثقافة الإسلامية (عصر البعث)؛ فإنه كان في الحقيقة ولادة لأوربة، ولم يكن أقل من ذلك»[٢].

[٣] «.. إن (النهضة) أو إحياء الفنون والعلوم الأوربية، باستمدادها الواسع من المصادر الإسلامية والعربية على الأخص، كانت تعزى في الأكثر إلى الاتصال المادي بين الشرق والغرب. لقد استفادت أوربة أكثر مما استفاد العالم الإسلامي، ولكنها لم تعترف بهذا الجميل، وذلك بأنه تنقص من بغضائها للإسلام، بل كان الأمر على العكس؛ فإن تلك البغضاء قد نمت مع تقدم الزمن، ثم استحالت عادة..»[٣].

[٤] «إن التاريخ يبرهن وراء كل إمكان للريب أنه ما من دين أبداً حث على التقدم العلمي كما حث عليه الإسلام. وإن التشجيع الذي لقيه العلم والبحث العلمي من الدين الإسلامي انتهى إلى ذلك الإنتاج الثقافي الباهر في أيام الأمويين، وأيام دولة العرب في الأندلس. وإن أوربة لتعرف ذلك حق المعرفة؛ لأن ثقافتها هي نفسها مدينة للإسلام بتلك النهضة على الأقل بعد قرون من الظلام الدامس. نحن لا نقول ذلك إعجاباً منا بتلك الذكريات المجيدة في زمن هجر العالم الإسلامي فيه تقاليد الخاصة، وانتقل إلى العماية وإلى الفقر الفكري، إذ لا يحق لنا في بؤسنا الحاضر أن نفتخر بالأمجاد الماضية»[٤].

---

(١) الإسلام على مفترق الطرق، ص ٣٢.
(٢) نفسه، ص ٤٣.
(٣) نفسه، ص ٥٩.
(٤) نفسه، ص ٧٠-٧١.

٥ «لقد جاء حين كانت مدينة المسلمين أقوى وأمضى من مدينة أوربة. فنقلت إلى أوربة كثيراً من الاختراعات الصناعية والفنية ذات الطبيعة الثورة، وأكثر من هذا بمبادئ تلك (الطريقة العلمية) نفسها التي يركز عليها العلم الحديث، والمدنية الحديثة..»[١].

فورغ[٢]

١ «.. إن إسبانية.. أرض قائمة بنفسها لها مزاياها وخصائصها، وهي تمتاز بميزات لا يشاركها فيها غيرها، وإن فيها قوة حيوية قومية غير معهودة لكثير من الأمم، وإن لتلك الأدمغة الحارة من سرعة الفكر.. ما يجعل هذه الأمة فريدة في بابها. ولأجل أن نفهم هذه الحالة النفسية عند الأسبانيول وجب علينا أن نفهم هذه الحقيقة التاريخية، وهي استيلاء العرب على إسبانيا. [التي بقيت تحت حكمهم] زهاء ثمانية قرون. وهكذا يمكن قياس درجة اتصال الأمة الإسبانية بالمدنية الإسلامية، هذه المدنية التي كانت الاتصال بين العالم الإسلامي وأوربة الغربية. قال ليبري: Libri احذف العرب من التاريخ يتأخر عصر التجديد في أوربة عدة قرون إلى الوراء..»[٣].

٢ «.. كانت طليطلة قد عادت للإسبانيول سنة ١٠٨٥ م فصارت مركز الاتصال بين المدينتين الإسلامية والمسيحية. وسنرى مقدار تأثير هذه البلدة كمركز تبادل للبضائع العقلية، وكمكتب للترجمة يحج إليه طلاب العلوم من كل فج.. وفي يناير سنة ١٤٩٢ كان سقوط غرناطة وجلاء العرب الأخير.. فتركوا من قصر الحمراء بقية باهرة تتأمل القرون والحقب دهراً طويلاً، كما إن طليطلة بقيت خزانة كتب تغذي بترجمتها الفكرة البشرية أعصراً مديدة. لا جرم أن هناك تاريخاً نادراً المثال لم ينقصه شيء لا من العظمة ولا من طول المدة..»[٤].

---

(١) الطريق إلى مكة، ص ٣٧٥.

(٢) البروفيسور فورغ Pro.Forgue
جراح فرنسي شهير، يعد من أشهر جراحي فرنسا في النصف الأول من هذا القرن، إن لم يكن أشهرهم، وله اهتمام بتاريخ الطب.

(٣) مجلة المستشفيات الفرنسية Gazette des Hopitaux عدد ١٩ مارس، ١٩٣٢، عن (حاضر العالم الإسلامي ١/١٢٨ ـ ١٢٩).

(٤) نفسه، ١/١٢٩.

[٣] «. . إنك ترى شعباً من القبائل الرحل، رعاة الإبل، بسياق دعوة دينية يحملون على الأمم فيفتحون نصف العالم في مدة قرن واحدة. ثم يكون أعظم همهم، بعد أن وطدوا هذا الملك الطويل العريض، أن يضموا إلى عظمة الفتح عظمة العلم. .»(١).

فيرنيه(٢)

[١] «. في القرن السادس الهجري، الثاني عشر الميلادي، اكتسبت حركة الترجمة قوة غير عادية، إذ أصبح عدد الكتب المترجمة في صقلية وبخاصة في إسبانيا، يثير الإعجاب، وتدفق علم الإغريق والرومان على الأديرة الأوربية من خلال العقول العربية، وأدمجت الكشوف التي توصل إليها العرب ضمن رصيد من الثقافة الغربية. . وتوافد على (طليطلة) عدد كبير من العلماء الأوربيين المتلهفين إلى الحصول على المعارف العلمية الشرقية. . وبالرغم من أن هؤلاء العلماء لم يعملوا معاً كأصحاب مدرسة؛ إلّا أن إنتاجهم المكثف والغزير قد غير شكل المجتمع الأوربي. لكن أولئك العلماء وإن كانوا قد استطاعوا أن يتمثلوا بسهولة النصوص التي وصلت إليهم أخفقوا في إدخال أي تطوير يذكر عليها. .»(٣).

[٢] «. . في بداية القرن العشرين بدأت حقبة جديدة من الترجمات العلمية تقدم على العالم الغربي إلى عالم الإسلام، شأنها شأن تلك الحركة التي قدمت من القرن الثاني إلى القرن الرابع الهجري (الثامن إلى العاشر الميلادي). .»(٤).

---

(١) نفسه، ١/ ١٣٠.

(٢) جوان فيرنيه J.Gines Vernet
تخرج من جامعة برشلونة، وسمي أستاذاً للعربية فيها عام ١٩٥٤.
من آثاره: ترجم القرآن الكريم إلى الإسبانية (١٩٥٣)، و (ألف ليلة وليلة)، وحقق عدداً من النصوص، كما كتب العديد من المقالات في الفلك والجغرافية.

(٣) تراث الإسلام (تصنيف شاخت وبوزورث)٣/ ٢١٤ـ٢١٥.

(٤) نفسه، ٣/ ٢١٨، وعن إنجازات المسلمين في ميادين الرياضيات والفلك والبصريات، انظر المرجع نفسه ٣/ ١٦٨، ١٧٠، ١٧٢ ـ ١٧٤، ١٧٦ ـ ١٨٣، ١٨٨ ـ ١٩٤، ١٩٦ ـ ٢١٣، ٢١٦ ـ ٢١٨.

كابرييلي[١]

١ «. . إنها القوة العجيبة التي تشع من العقيدة الجديدة، من الدولة التي أقامتها هذه العقيدة، والتي نمت في كل اتجاه، وأنتجت حضارة موحدة إلى حد يدعو إلى الدهشة، وذلك رغم الاختلاف الشديد بين البيئات والمستويات الثقافية التي أزهرت عليها. .»[٢].

٢ «. . إن الاتصالات بين العالم المسيحي، الذي كان مهلهلاً محصوراً، وبين الإسلام الغازي في منطقة البحر المتوسط، كانت على ما يبدو كثيرة ومثمرة. . [لقد] تسرب (تراث) الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى إلى الغرب وتغلغل فيه»[٣].

٣ «. . إن ما خلفته الحضارة العربية الإسلامية لإسبانيا في المجالات الثقافية والأدبية والفنية أيضاً لأوربة بوصفه عنصراً خصباً من العناصر المكونة للحضارة الغربية. .»[٤].

٤ «من الواضح أننا نعني بالإسلام هنا كل (الحضارة الإسلامية) التي تطورت بما لها من مظهر خاص، من آسيا الوسطى إلى المحيط الأطلسي، والتي قامت على الإيمان برسالة الرسول محمد ﷺ. . ولا ريب أن العقيدة الدينية قد زودت هذه الحضارة ليس بعاملها المشترك فحسب، بل بمحورها ومظهرها الأساسي أيضاً. ؟ وإن كل مظاهر الحياة الأخرى من مادية وروحية ومن سياسة وأدبية واقتصادية

---

(١) فوانشيسكو كابرييلي Francesco, Gabriell
ولد عام ١٩٠٤، كبير أساتذة اللغة العربية وآدابها في جامعة روما، برز في دراسة الشعر العربي من الجاهلية حتى العصر الحديث وفي تحقيق التاريخ الإسلامي، وانتخب عضواً في عدد من المجاميع والجمعيات العلمية.
ومن آثاره: ألف العديد من الأبحاث والمصنفات منها: (تاريخ المسلمين للحروب الصليبية) (١٩٢٩)، و (العصبية لدى ابن خلدون) (١٩٣٠)، و (عمر الخيام)(١٩٣٠)، و (ابن المقفع)(١٩٣٢)، و (العيد الألفي للمتنبي)(١٩٣٦)، و (أصل الخوارج) (١٩٢٤)، وغيرها.

(٢) تراث الإسلام (تصنيف شاخت وبوزورث ١/ ١٠١).

(٣) نفسه، ١/ ١٠٩.

(٤) نفسه، ١/ ١٤٣.

واجتماعية، تحمل طابع هذا العنصر الديني، وتنعكس عليها ألوانه، وتنمو وتتسع تحت تأثيره. قد قال أحدهم: إن الإسلام دين (عالمي شامل) أكثر من أي دين آخر، ويشمل تأثيره الإنسان بأكمله، وليس شعوره الديني وحده»[١].

٥ «[إن] الطابع الإسلامي إذا غلب على أمة من الأمم لا يمكن محوه ألبتة، وإن كبار [الشعراء] حتى حينما يعالجون موضوعات سابقة للإسلام وخارجه عنه يطبعونه بالطابع الإسلامي أيضاً»[٢].

كارادي فو[٣]

١ «.. أنجز العرب أعظم المكتشفات العلمية فعلاً، فعلمونا استعمالها، وجعلوا (الجبر) علماً متقناً وتقدموا به، ووضعوا أسس علم الهندسة التحليلية، وهم بلا منازع موجدو علمي المثلثات المستوية والكروية اللذين لم يكن للإغريق فضل وجودهما إذا ما توخينا الحقيقة والإنصاف، كما أنهم عملوا في الفلك أرصاداً عديدة قيمة، وحفظوا لنا بترجماتهم عدداً كبيراً من كتب الإغريق التي ضاعت أصولها... والسبب الآخر لاهتمامنا بعلم العرب هو تأثيره العظيم على الغرب. إن العرب ارتفعوا بالحياة العقلية والدراسة العلمية إلى المقام الأسمى؛ في الوقت الذي كان العالم المسيحي يناضل نضال المستميت للانعتاق من أحابيل البربرية وأغلالها. ووصلوا إلى قمة نشاطهم (الذي استمر حتى القرن الخامس عشر) في القرنين التاسع والعاشر. ومن القرن الثاني عشر فصاعداً كانت مراكش والشرق محط أنظار كل غربي يميل إلى العلم ويتذوقه. في هذه الفترة شرع أبناء أوروبة يترجمون آثار العرب كما كان العرب قد ترجموا آثار الإغريق. وهكذا

---

(١) الوحدة والتنوع في الحضارة الإسلامية (تحرير كرونباوم)، ص ١٢٣.

(٢) نفسه، ص ١٤١.

(٣) البارون كارادي فو (١٨٦٨-١٩٣٩) Baron Carra De Vaux
مستشرق فرنسي معروف من المعهد الكاثوليكي بباريس، درس العربية ودرسها في المعهد المذكور، وألف في الرياضيات والفلسفة كما حقق عدداً من المصادر. ومن أشهر مؤلفاته ما كتبه عن ابن سينا (١٩٠٠) والغزالي (١٩٠٢) و (مفكرو الإسلام) في خمسة أجزاء (١٩٢١-١٩٢٦). كما ترجم كتباً عديدة أخرى.

كانوا همزة وصل بين الثقافة القديمة والمدنية الجديدة، عندما عادت النفس الإنسانية في عهد الإحياء العلمي لتمتلئ ثانية بحب المعرفة والاستقصاء، ولتتنبه بوميض من العبقرية العلمية، فإن هي أفلحت في سلوك السبيل الاقوم للعمل، وإن أتيح لها الإنتاج والابتكار، فما ذلك إلّا لأن نفسية العرب قد حفظت وأكملت مختلف فروع العلم، وصانت روح البحث العلمي حية بائقة للتحرر والحركة، متهيئة للمكتشفات المقبلة..»[١].

روجيه كارودي

١ «افترى الاستعمار الإنكليزي والإسباني والفرنسي، بنتيجة الدور الذي قام به في أرض الإسلام خلال أكثر من قرن، افتراء منهجياً لإساءة سمعة إسهام الحضارة العربية»[٢].

٢ «يقول (أناتول فرانس) في (الحياة الجميلة): (سأل السيد (دوبوا) السيدة (نوزير) عن أشأم يوم في تاريخ فرنسة. ولكن السيدة (نوزير) لم تكن تعرف. فقال السيد (دوبوا): إنه يوم معركة (بواتيه) عندما تراجع العلم العربي، والفن العربي، والحضارة العربية، سنة ٧٣٢م أمام همجية الفرنجة)..»[٣].

٣ «إن ذاكرتي ستحتفظ دوماً بهذا النص الذي سبب طردي من (تونس) سنة ١٩٤٥ بذريعة الدعوة المضادة لفرنسة! فقد كان من المحظور تأكيد أن الحضارة العربية كانت تسيطر إلى حد كبير على الحضارة الأوربية حتى القرن الرابع عشر»[٤].

٤ «إننا نصطدم برأي مبيت استعماري قديم وجدت خلاصة كاريكاتورية عنه في كتاب كان متوافراً في جميع مكتبات الجزائر سنة ١٩٤٥ وعنوانه: (كتاب السياسة الإسلامية)، وهو أشبه شيء بكتاب صلاة كامل للمستعمرين، ومما جاء فيه

---

(١) تراث الإسلام، (إشراف سير توماس أرنولد)، ص ٥٦٣-٥٦٥. عن إنجازات المسلمين في ميدان الفلك والرياضيات والعلوم التطبيقية، انظر: المرجع نفسه، ص ٥٦٣-٥٦٥، ٥٦٩-٥٧١، ٥٧٣-٥٨٠، ٥٨٢، ٥٨٤-٥٩٢.

(٢) حوار الحضارات، ص ٩٦.

(٣) نفسه، ص ٩٨.

(٤) نفسه، ص ٩٩.

خاصة: (إن العلم العربي الذي بلي ومات لا رجعة لها إنما قام على اقتباسات من مؤلفات يونانية اختارها يهود في العصر الوسيط!). .»[١].

٥ «يوضح الكاتب (بلاسكو إيبانز) في كتابه (في ظل الكاتدرائية): إن انتعاش إسبانية لم يأت من الشمال، حيث القبائل البربرية، بل من الجنوب مع العرب الغزاة. لقد استولى العرب خلال سنتين على بذل الآخرون لاسترجاعه منهم سبعة قرون. إن ذلك لم يكن فتحاً يفرض ذاته بقوة السلاح، بل كان مجتمعاً جديداً يمد من كل جانب جذوره القوية»[٢].

٦ «إنما يدين (الغرب) بعصر النهضة للـ (غزو) العربي الذي عرف كيف يخلق الشروط الفكرية الأزمة لتفتحه. وهذا الغزو قد جعل من الممكن، أولاً، انبثاق الثقافات القديمة بدءاً من الثقافة الهلينية. . بيد أن العرب لم يقتصروا على [ذلك] وإنما أسهموا إسهام إبداع ضخم في الثقافة العالمية»[٣].

إدوين كالفرلي

١ «لقد رأينا كيف أن الإسلام أمد أوربة الجنوبية بالعالم والثقافة، وكيف أن ترجمته القرآن إلى اللاتينية، ودراسة اللغة العربية مكنت دول أوربة الغربية من الوصول إلى المعرفة الدقيقة بالدين الإسلامي، ولكن المسيحيين قد أخذوا عن المسلمين أموراً كثيرة أخرى، فقد كانت الثقافة الإسلامية والعربية الغذاء الأول للعلماء المسيحيين في القرون الوسطى. . ولم يمضِ حين قليل [على حركة الترجمة] حتى ظهر علماء وأساتذة مسلمون تمثلوا الثقافة الإغريقية، وجعلوها جزءاً لا ينفصل من ثقافة المسلمين وحضارتهم. وقد نقل كل ذلك فيما بعد إلى الغرب. ومما يعنينا في هذا الصدد عناية خاصة أن نذكر أن المسلمين قد هضموا العلم والفلسفة الهيلينية، ثم حوروا فيهما ليلائموا بين معرفتها الجديدة وبين روح العقيدة القرآنية. .»[٤].

(١) نفسه، ص ١٠١.
(٢) نفسه، ص ١٠٢ـ١٠٣.
(٣) نفسه، ص ١٠٣.
وعن إنجازات المسلمين في ميادين العلوم الصرفة والإنسانية، انظر: المرجع نفسه، ص ٦، ٩٧ـ٩٨، ١٠٣ـ١٠٦، ١٠٨، ١٣٥ـ١٣٦، ١٦٣ـ١٦٤، ١٦٩ـ١٧٦.
(٤) الشرق الأدنى: مجتمعه وثقافته (بإشراف كويلر يونغ)، ص ١٧٤ـ١٧٥.

[٢] «أخذ المسلمون [عقيدتهم] معهم حيثما استقرت بهم غزواتهم. وفي البلاد الجديدة التي استوطنوها علموا ما اكتسبوا من المعارف وعلوم انتقلت فيما بعد إلى أوربة الغربية وسواها من أقطار الأرض، وكانت النتيجة أن أصبح علم العرب والإسلام لباب الثقافة في أوربة..»[١].

[٣] «.. من الطبيعي أن يحاول بعض علماء المسيحية اليوم، أن يقلل من أهمية تأثير التفكير الفلسفي الديني الإسلامي في علم اللاهوت المسيحي. والحق أن محاولتهم هذه هي في ذاتها دليل على وجود هذا التأثير وعلى أهميته»[٢].

كولد كاهن

[١] «أما الحضارة الجديدة التي انبثقت عن هذه الفتوح [الإسلامية] فقد كانت من أزهى الحضارات، فهي قد أفادت الغرب من علومها وفي شتى الميادين، بعد حضنت النصيب الأكبر من التراث القديم وأمدته بالحياة. ثم امتزج التاريخ الإسلامي منذ ثلاثة عشر قرناً بالتاريخ الغربي امتزاجاً مستمراً، سواء في الحرب أم في السلم، ونهلت الحضارتان من معين واحد. ولئن هما تطورتا فيما بعد، وتباعدتا تباعداً عميقاً، فلا بد أن تعيننا الموازنة بينهما على الوصول إلى تفاهم أفضل. ولا يسع المرء في القرن العشرين أن يبقى بمعزل عن أي أسرة من الأسر التي يتألف منها المجمع الإنساني.. لهذه الأسباب جميعاً كان خليقاً بتاريخ العالم الإسلامي أن يشغل مكانة مرموقة في ثقافتنا الغربية. وكان حقيقياً بنا أن نطرح جانباً تلك الفكرة الخاطئة التي تجعل الحضارة ملكاً لبعض الشعوب وبعض الأقاليم المنفردة بمثل هذا الامتياز، حتى ندرك أن ابن سينا المولود في آسيا الصغرى قد وجد قبل القديس توما المولود في إيطاليا، وأن مساجد دمشق وقرطبة قد أنشئت قبل كاتدرائيات فرنسا وألمانيا. وبالتالي لا مناص لنا من التخلي عن هذا الازدراء الذي نبديه للشعوب الإسلامية المعاصرة لنا بحكم تضاؤل شخصياتها تضاؤلاً قد يكون عابراً أمام قارة أوربية استطاعت أن تخطو خطوات حثيثة في مضمار الثقافة والسلطان..»[٣].

---

(١) نفسه، ص ١٧٥ ـ ١٧٦.

(٢) نفسه، ص ١٧٦.

(٣) تاريخ العرب والشعوب الإسلامية، ٦/١.

[٢] «كان العرب، بطبيعة الحال، ينظرون فيما يترجمون، بل كانوا يترجمون بغية في هذه الكتب..»[١].

[٣] «تقوم الأهمية التاريخية للعلوم العربية على احتضانها التراث القديم، مما أتاح للغرب أن يتقبل هذا التراث بدوره وفي عهد لاحق. ولكنه من الحيف أن نقصر هذه الأهمية على مجرد دور الوسيط السلبي. ولعلنا لا نشاهد مطلقاً في التاريخ مثل ذلك الحماس الفكري الذي نشاهده عند العرب، ولم تتجمع قط المعلومات المتوفرة لأمة من الأمم بمثل ذلك الاتساع. فقد أضافوا إلى العلم الإغريقي كل ما أسهمت فيه المدنيات الشرقية الأخرى. وتيسير عرض ذلك في لغة ذات حضارة واحدة. ولئن صح أنهم انطلقوا من النصوص القديمة، لكنهم قاموا بمقارنة هذه النصوص وانتقادها وضبطها، ولا بد من أن ينجم عن ذلك كله تقدم على أقل تقدير في بعض الميادين. وإذا كان علماء المسلمين ـ رغم نزعتهم الفكرية ـ أقل قوة من التجريد من اليونان، لكنهم عوضوا عن ذلك بميلهم الشديد إلى التجربة. ولقد بين التقدم العلمي اللاحق أهمية هذا الميل. فالعلم الذي خلفه العرب هو علم مارسوه في حياتهم اليومية، ولهذا السبب ظل على قيد الحياة وقدر له البقاء. وكان الرازي (وهو أحد كبار العلماء) قد عبر تعبيراً واضحاً جداً عن إمكانية استمرار التقدم العلمي، وذلك مبدأ غريب على معظم مفكري العصر الوسيط الذين ناؤوا بعبء الحكمة القديمة»[٢].

[٤] «.. لابد لنا من القول بأن المؤلفات [العربية]، رغم ما نلحظ فيها من تكرار، تشهد على حيوية فكرية بالغة. وهي إذا قورنت بالمؤلفات الأوربية الصادرة بعد العهد (الكارولنجي)، أو بالآثار التي وضعت إبان النهضة البيزنطية، أثارت في نفوسنا الدهشة والإعجاب»[٣].

[٥] «لا يسع المؤرخ أن ينفض يده من حضارة في حال انحطاطها دون أن تعتريه عاطفة من الكآبة التي لا تتنافى مع الموضوعية. فقد كانت هذه الحضارة مدة طويلة من الزمن ورغم اضطراباتها ونقاط الضعف فيها، إنجازاً رائعاً من منجزات

(١) نفسه، ١/١٥٧.
(٢) نفسه، ١/٢٣٩ـ٣٣٠.
(٣) نفسه، ١/٣٣٦.

الإنسان، وفترة حاسمة من وجوده.. إن الحضارات جميعاً عرضة للفناء. ذلك أمر لا ريب فيه. لكنها تنهض دليلاً على أن الشعوب التي أوجدت هذه الحضارات قادرة على إبداع غيرها أو بعثها من جديد. ومهما يكن من أمر، فإن الغرب لا يسعه أن يتجاهل بأنه أخذ العلم والتفكير عن ابن سينا وابن رشد، وأنه لولا مسجد قرطبة لما شيدت كاتدرائية (بوي) بالذات في قلب فرنسا على النحو الذي شيدت به»[(١)].

هاملتون كب

١ «ظهرت للإسلام ملامح مختلفة في مختلف الأزمنة والأمكنة بتأثير العوامل المحلية الجغرافية والاجتماعية والسياسية فيه، وبقوة استجابته لها. ولنمثل على ذلك بما تم في الغرب. أعني في شمال غربي إفريقية وفي إسبانيا أثناء العصور الوسطى. ففي تلك المناطق اتخذ الإسلام لنفسه خصائص فارقة على الرغم من الصلة الوثيقة بين تلك المناطق وقلب العالم الإسلامي في غرب آسيا، وعلى الرغم من أن الثقافة فيها كانت فرعاً من الثقافة السائدة في قلب العالم الإسلامي، وكان لبعض تلك الخصائص الفارقة أثرها في الإسلام نفسه غربي آسيا، ومثل هذا نفسه تم أيضاً في مناطق أخرى جغرافية واسعة قليلة الاتصال بغيرها كشبه القارة الهندية وإندونيسيا وأراضي السهوب الممتدة في جنوبي روسيا إلى تخوم الصين. ففي تلك المناطق أنتجت العوامل المشابهة أشكالاً وصوراً مميزة فارقة. على أن هذه المناطق تحتفظ مجتمعة ومنفردة، بطابع إسلامي معين مشترك يمكن تبينه بسهولة»[(٢)].

٢ «..إن العرب والمسلمين بصورة عامة اضطروا إلى الحذر من المفاهيم العامة الشاملة المجردة مثل مفهوم (قانون الطبيعة) أو (العدالة) المثالي، وقد

---

(١) نفسه، ١/ ٤٠٥-٤٠٦.

وعن إنجازات المسلمين في ميادين الرياضيات والفلك الطبيعية والكيمياء والنبات والزراعة والجغرافية، انظر: المرجع نفسه، ١/ ٣٣٠-٣٣٤، ١/ ٣٧٦-٣٧٧، أما في ميدان الفنون فانظر المرجع نفسه، ١/ ٣٣٦، ١/ ٤٠٢.

(٢) دراسات في حضارة الإسلام، ص ٣-٤.

اتهموا هذه المفاهيم (وهم في ذلك على صواب) بأنها مستمدة من (الفلسفة الازدواجية) أو من (المادية) التي ترتكز على طرائق مغلوطة في التفكير لا ينتج عنها سوى قليل من الخير وكثير من الشر.. وعلى الرغم من أن أنصار المدرسة الإسلامية اعتبروا بعض العلوم مساعدة مفيدة، كالمنطق والرياضيات، وتبنوا بهذا المقدار طرية التفكير (العلمي) وشجعوه، فإنهم تمسكوا بإعطائها دوراً ثانوياً. فإذا أتيح لي أن أستطرد في القول فإني أقول بأن تمركز التفكير العربي حول الأحداث الفردية حمل العلماء المسلمين إلى توسيع الطريقة التجريبية العلمية إلى أبعد مما فعل أسلافهم اليونان وعلماء الإسكندرية.. وأعتقد أن الجميع متفوقون بصورة عامة على الاعتراف بأن الملحوظات التفصيلية للباحثين المسلمين أسهمت مادياً في تقدم المعرفة العلمية، وأنهم أصحاب الفضل إدخال أو إعادة اعتبار الطريقة التجريبية في أوربة خلال القرون الوسطى..»[1].

جي. ج. كرامز

[١] «إن اكتشاف النقود الإسلامية في بقعة عظيمة الرقعة [من آسيا وأوربة] ينهض دليلاً على مدى انتشار الثقافة الإسلامية، ويقوم برهاناً على أن المسلمين كانوا يستبضعون مختلف السلع من الشعوب الشمالية الغربية..»[2].

[٢] «.. إن التقدم الثقافي الذي نالته أوربة من العالم الإسلامي في صعيدي الجغرافية والتجارة لم يكن ثمرة ساعة واحدة. إنما قام على العلاقات المتبادلة التي ظلت متواصلة منذ مطلع القرن الحادي عشر [الميلادي] حتى الآن، فوصلت إلى ذروة مجدها أثناء حكم المغول في القرن الثالث عشر، كذلك يجب أن نضع نصب أعيننا حقيقة واحدة وهي أن الحضارة الإسلامية بنموها وازدهارها عن طريق الدول التي أعقبتها في الحكم كتركيا وإيران وشعوب الهند المسلمة وسكان جزر الهند الشرقية المسلمين، جعلت كثيراً من الآراء والعادات الإسلامية معروفة مطبقة في

(١) الاتجاهات الحديثة في الإسلام، ص ٣٤ـ٣٥، وعن إنجاز المسلمين في ميدان الآداب انظر: تراث الإسلام (إشراف سير توماس أرنولد)، ص ٢٦١ـ٢٦٦، ٢٦٩ـ٢٩٧، ٣٠٠ـ٣٠٢.

(٢) تراث الإسلام، (إشراف سير توماس أرنولد)، ص ١٥٦.

البلاد الأوربية، ولكن لم يبد في فترة تاريخية تفوق ساحق عظيم للشعوب الإسلامية على العالم المسيحي كفنرة القرن العاشر، أعني عندما وصل الإسلام إلى أوج السؤدد والتقدم، وعندما كانت أوربة المسيحية في ركود وظلام حالك»(١).

كوستاف فون كرونباوم

١ «كانت الحضارة التي جاء بها العرب الفاتحون من جزيرة العرب هي في حد ذاتها نتيجة الاندماج الأولى بين عناصر الثقافة المحلية للعرب وعناصر مستمدة من التقاليد اليهودية والمسيحية والتقاليد الهللينية.. وبين رسالة الإسلام التي كانت عنصر آخر، وعاملاً من عوامل تبلور الحضارة الجديدة. وهذا التكامل الإسلامي الأول هو الذي فرض نفسه على نسبة كبيرة نوعاً ما من الشعوب المغولية في الوقت الذي كان يجري فيه الكفاح شديداً بينها وبين الحضارات القديمة المتأصلة في تلك البلاد. وكانت نتيجة هذه الخصومة والتنازع أن خرجت إمكانيات الإسلام الفلسفية والعملية إلى حيز الفعل»(٢).

٢ «التفكير الإداري والسياسي من فارس، والطرائق الهلنسيتية في التفلسف والعلم، والطب والرياضيات من الهند، وكل ذلك قد تمثله [المسلمون] واستوعبوه بغير عناء. وإن التعريب اللغوي لكل ما اقتبسوه من هذه الأمور ساعد على تمثلها. وحينما توضح وجهة النظر الأجنبية في داخل إطار الإسلامي وبتعابير الإسلامية يكون الإحساس بها إسلامياً صادقاً، ومن جهة أخرى فإن التوضيح التدريجي بحقائق الدين الأولى، ولما تشتمل عليه من ملابسات ثقافية، أخذ يساعد على توسيع الأساس الذي يقوم عليه التبادل بين الحضارات. وهكذا نجد أن ازدهار الحضارة العباسية بين ٧٦٠ـ٨٤٠م إنما يمثل امتزاجاً ثانياً للحضارة الإسلامية، وقد فسحوا المجال فيها للتقاليد (المحلية) التي استمدوا جزءاً منها من الكتب، إلّا أن معظمها دخل في التركيب الجديد على سبيل حقائق التعايش الفعلي»(٣).

---

(١) نفسه، ص ١٦٤. عن إنجازات المسلمين في ميدان الجغرافية والتجارة، انظر: المرجع نفسه، ص ١٠٥ـ١٠٦، ١٣٠ـ١٣١، ١٤٢ـ١٤٣، ١٤٦ـ١٤٨، ١٥٢ـ١٥٣، ١٥٧ ـ ١٥٨، ١٦١ـ١٦٤.
(٢) الوحدة والتنوع في الحضارة الإسلامية، (تحرير كرونباوم)، ص ٣٨.
(٣) نفسه، ص ٣٨ ـ ٣٩.

٣ «إن ثقافة الإسلام العامة تمتلك تحت تصرفها وسائل متعددة تساعد على التوفيق بين الثقافات المحلية. ومن هذه الوسائل التي يتميز بها الإسلام في الأخص الإجماع. فهذا الإجماع الذي هو عنصر في Consensus Prudentium له سلطة الفصل في شرعية أي عمل أو عقيدة أخذتها الجماعة»[1].

جوليفيه كستلو

١ «كان التقدم العربي بعد وفاة الرسول ﷺ عظيماً، جرى على أسرع ما يكون، وكان الزمان مستعداً لانتشار الإسلام، فنشأت المدنية الإسلامية نشأة باهرة، قامت في كل مكان مع الفتوحات بذكاء غريب ظهر أثره في الفنون والآداب والشعر والعلوم. وقبض العرب بأيديهم، خلال عدة قرون، على مشعل النور العقلي، وتمثلوا جميع المعارف البشرية.. فأصبحوا سادة الفكر، مبدعين ومخترعين، لا بالمعنى المعروف، بل بما أحرزوه من أساليب العلم التي استخدموها بقريحة وقادة للغاية، وكانت المدنية العربية قصيرة العمر، إلّا أنها باهرة الأثر، وليس لنا إلّا إبداء الأسف على اضمحلالها»[2].

٢ «.. إن أوربة لمدينة للحضارة العربية بما كتب لها من ارتقاء، كان القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر، وعنها أخذت الفكرة الفلسفية العلمية التي سرت إليها سرياناً بطيئاً ناقصاً في القرون الوسطى، وإن أوربة لتتجلى لنا منحطة جاهلة أمام المدنية العربية وأمام العلم العربي والآداب والفنون العربية. وأوربة تدين بالهواء النافع الذي تمتعه به في تلك العصور للأفكار العربية، وقد انقضت أربعة قرون ولا حضارة فيها غير الحضارة العربية، وعلماؤها هم حملة لوائها الخفاق»[3].

٣ «.. إن تبادل الأفكار بين الشرق والغرب قد نتج من الاحتكاك بين عرب إسبانيا والأوربيين.. وإن أوربة مدينة كثيراً للحضارة العربية والتركية أكثر مما

(١) نفسه، ص ٥٣.
(٢) قانون التاريخ، (عن محمد كرد علي: الإسلام والحضارة العربية، ١/٥٦).
(٣) نفسه، ٢/٥٤٤.

تدين الحضارة العربية للحضارة المنحطة في الغرب بين القرن الحادي عشر والثالث عشر»[١].

إيفلين كوبولد

١ «.. ليس من يجهل خدمات العرب للعلم والمعرفة في أيام حضارتهم وعزهم، وكيف أنهم أنشؤوا المدارس، وعنوا بالمستشفيات، وعززوا المعارف، وأجازوا أهل العلم والعرفان، وعملوا على نشر الكتب وترجمة المؤلفات في كل الأقطار التي امتدت حضارتهم إليها، واستقام حكمهم فيها؛ حتى أصبحت بغداد في عصرها الزاهر مدينة العلم والفلسفة، وأوربة لا تزال حتى يومنا هذا مدينة للإسلام بهذه الشعلة العلمية التي حملها العرب في أيام حضارتهم، وحافظوا عليها كل المحافظة حتى أخذتها أوربة منهم»[٢].

٢ «.. جاء العرب إلى أوربة ومعهم شعلة العلم في ذلك الزمان الماضي، وهو ما يحملنا أن نبكي مصرع الأندلس؛ لأن مصرعها كان ضربة على الحضارة الحديثة والعمران القديم»[٣].

٣ «.. أصيب العالم والحضارة من سقوط العرب وانهيار سلطانهم بخسارة لا تعوض»[٤].

٤ «.. (اطلبوا العلم ولو بالصين) هذه كلمة النبي العربي ﷺ إلى المؤمنين أوجب عليهم فيها طلب العلم من أقصى الأرض إلى أقصاها، وهي كلمة ألقاها وأمر بها منذ مئات السنين.. ولكن العالم الأوربي لم يتفهم خطورتها ولا اتبعها حتى القرن الثالث عشر وبعد سبعة قرون من صدورها»[٥].

٥ «.. إن الإسلام كان يقف شعلة للمعرفة والعلوم.. ولقد عرف كلومبوس في جامعات إسبانيا الإسلامية أن الأرض مدورة. وكانت هذه الجامعات ترحب

---

(١) نفسه، ٢/ ٥٥٥.
(٢) البحث عن الله، ص ٥٠.
(٣) نفسه، ص ٥١.
(٤) نفسه، ص ٥١-٥٢.
(٥) نفسه، ص ٩١.

بطلاب المعرفة من اليهود والنصارى.. الذين انتظموا فيها ونالوا شهاداتهم وتلقوا معارفها..»[١].

عبد الله كويليام

١ «أضاء نور بالحضارة الإسلامية] على العالم من سماء بغداد ومن قرطبة، إذ من المعلوم أنه في ذلك العهد الذي بلغت فيه [تلك] الحضارة إلى الغاية التي لا تدرك كانت أوربة في دياجي الجهالة، وكان الرهبان يرحلون لأخذ العلم بالبلاد الاندلسية.. وبالجملة فديانة الرجل الذي يقول (اطلبوا العلم ولو بالصين) تحرص على السعي.. لا على السكون..»[٢].

٢ «هاهي الحوادث والأحوال قد برهنت على ما للقرآن أمام أعين الذين يفقهونه من صفات القابلية للعلم والتقي والحضارة، حيث قامت في العالم الإسلامي حضارات فاخرة باهرة مثل حضارة بغداد وتمدن قرطبة الذي فات بكثير ما كان يعاصره من تمدن الغرب أن صح ألا نسمي ما كانت عليه حالة الغرب وقتئذ بالهمجية. وحينذاك لم يهدم المسلمون آثار اليونان العلمية بحريق مكتبة الإسكندرية الموهوم، بل هم نقلوا إلى لغتهم آثار أرسطو التي عادت بأحسن الفوائد على مدارسنا الغربية في القرون الوسطى؛ التي لم تصلنا إلّا بواسطة المسلمين وعن أيديهم، فضلاً عن أن علماء العرب كانوا أساتذتنا في سائر أنواع المعارف من الجبر (والاسم نفسه يرشد لذلك) إلى الطب، حتى إن أحد أعاظم باباواتنا (سلفستر) رحل إلى الأندلس فحصل فيها من العلوم والمعارف ما أدهش وبهر سائر معاصريه»[٣].

روم لاندو

١ «.. على الرغم من أن أثر الشرق اليومي بعيد المدى إلى حد بالغ، فالواقع أن الإسلام على العموم، والحضارة الإسلامية (أو العربية) على الخصوص،

---

(١) نفسه، ص ٩٢.

(٢) العقيدة الإسلامية، ص ٤٠، عن (لوازون في خطبة ألقاها بتونس ونشرت بجريدة الحضارة التي تصدر في تونس بتاريخ ٣ ديسمبر سنة ١٨٩٥).

(٣) نفسه، ص ٦٢-٦٣.

يتمتعان بأهمية أعظم بكثير. إن الحضارة الغربية ـ ابتداء من الفلسفة والرياضيات إلى الطب والزراعة ـ مدينة لتلك الحضارة بشيء كثير؛ إلى درجة نعجز معها عن فهم الأولى (الغربية) إذا لم تتم معرفة ما بالأخرى (إسلامية أو عربية)»[(١)].

٢ «بينما كانت سائر بلدان أوربة تتمرغ في القذارة والحطة نعمت إسبانيا بمدن نظيفة منظمة ذات شوارع معبدة ومضاءة. وكان في ميسور قرطبة وحدها أن تعتز بنصف مليون من السكان، وسبعمئة مسجد، وثلاثمئة حمام عمومي، وسبعين مكتبة عامة، وعدد كبير من دكاكين الوراقين (المكتبات التجارية)»[(٢)].

٣ «حين نتذكر كم كان العرب بدائيين في جاهليتهم يصبح مدى التقدم الثقافي الذي أحرزوه خلال مئتي سنة انقضت على وفاة الرسول ﷺ ليس غير، وعمق ذلك التقدم، أمر يدعو إلى الذهول حقاً؛ لذلك علينا أن نتذكر أيضاً أن النصرانية احتاجت إلى نحو من ألف وخمسمئة سنة لكي تنشئ ما يمكن أن يدعى حضارة (مسيحية)، فما هي إذاً الدوافع الرئيسية إلى منجزات العرب العلمية؟ إن في استطاعتنا أن نلخص هذه الدوافع فيما يلي: رغبة متقدمة في اكتساب فهم أعمق للعالم كما خلقه اللّه، قبول للعالم المادي، لا بوصفه دون العالم الروحي شأناً ومقاماً، ولكن بوصفه صنواً له في الصحة والرسوخ؛ واقعية قوية تعكس في صدق وإخلاص طبيعة العقل العربي اللاعاطفي، وأخيراً فضولهم النهم الذي لا يعرف الشبع، كان كل ما في الوجود صادراً عن الله، ابتداء من الاستغراق في العبودية لله إلى حنان الأم وحبها، إلى انطلاق السهم والطاعون الذي يقضي على البلاد برمتها وقرصة البعوضة. إن كلاً من هذه ليكشف عن قدرة اللّه، ومن هنا فهو جدير بالتأمل والدرس. في الإسلام لم يول كل من الدين والعلم ظهره للآخر ويتخذ طريقاً معاكسة. لا، والواقع أن الأول كان باعثاً من البواعث الرئيسية للثاني»[(٣)].

٤ «منذ عصر النهضة انفصل العلم في الغرب، انفصالاً أشد وضوحاً عن الدين، أو بتعبير آخر، تابع العلم سبيله غير ملتفت إلا قليلاً إلى مطالب

(١) الإسلام والعرب، ص ٩.
(٢) نفسه، ص ١٧٧.
(٣) نفسه، ص ٢٤٦.

الأخلاق وعلم الأخلاق. ففيما كان الانسان في الغرب يكتسب معرفة متنامية أبداً بالكون الطبيعي وسيطرة متعاظمة عليه كان تقدمه الأخلاقي يتخلف متلكئاً. وبتحرير العلم في القرون الوسطى من سلطان الكنيسة، لم يفصل الغرب العلم عن العقائد الدينية فحسب، بل فصله عن مفاهيم الإيمان والقيود الأخلاقية الملازمة لها أيضاً. أما العلم الإسلامي فلم ينفصل عن الدين قط. والواقع أن الدين كان هو ملهمه وقوته الدافعة الرئيسة. ففي الإسلام ظهرت الفلسفة والعلم معاً إلى الوجود لا ليحلا محل ألوهية الدين (البدائية)، ولكن لتفسيرها عقلياً، لإقامة الدليل عليها وتمجيدها، ومن هنا فليس عجيباً أن يكون العلم الإسلامي لم يجرد في أيما يوم من الأيام من الصفات الإنسانية ـ كما حدث في الغرب ـ ولكنه كان دائماً في خدمة الإنسان. وبينما أُكره العلم الغربي في عهد مبكر نسبياً على اتخاذ سبيل التخصص، بحيث أمسى كل فرع من فروعه يعمل ـ كثيراً أو قليلاً ـ في عزلة، ظل العلم الإسلامي شمولياً، يجهد من أجل الوحدة، وهي وحدة يلعب فيها كل من الكون المادي والله والإنسان دوره الحاسم»[١].

٥ «.. الحقيقة التاريخية التي لا ريب فيها هي أن المسلمين وفقوا، طوال خمسة قرون كاملة، إلى القيام بخطوات حاسمة في مختلف العلوم من غير أن يديروا ظهورهم للدين وحقائقه، وأنهم في ذلك الانصهار عامل تسريع وإنجاح، لا عامل تعويق وإحباط»[٢].

كوستاف لوبون

١ «كلما أمعنا في درس حضارة العرب وكتبهم العلمية واختراعاتهم وفنونهم ظهرت لنا حقائق جديدة وآفاق واسعة، ولسرعان ما رأيناه أن العرب

---

(١) نفسه، ص ٢٨٠ـ٢٨١.

(٢) نفسه، ص ٢٨١.

وعن إنجازات المسلمين في ميادين العلوم الصرفة والتطبيقية والإنسانية، انظر: المرجع نفسه: الرياضيات، ص٢٤٦ـ٢٥٤، الكيمياء والفيزياء والأدوية والزراعة والميكانيك ص ٢٧١ـ٢٨٠، ٣٣٣، الطب، ص ٢٥٨ـ ٢٦٩، الجغرافية، ص ٢٥٤ـ٢٥٨، الفلسفة، ص ١٤٤، ٢١٣ـ ٢١٨، ٢٢٣، ٢٢٧، ٢٣٠ـ٢٣٢، ٢٣٦، ٢٣٨، الفن واللغة والأدب، ص ٢٨٩ـ٢٩١، ٢٩٧ـ ٢٩٨، ٣٠٢، ٣٠٧ـ ٣٠٩، ٣١٥ـ ٣١٨، ٣٢٢ـ٣٣٢، ٣٣٦ـ٣٤٠.

أصحاب الفضل في معرفة القرون الوسطى لعلوم الأقدمين، وأن جامعات الغرب لم تعرف لها، مدة خمسة قرون، مورداً علمياً سوى مؤلفاتهم، وإنهم هم الذين مدنوا أوربة سادة وعقلاً وأخلاقاً، وأن التاريخ لم يعرف أمة أنتجت ما أنتجوه في وقت قصير، وأنه لم يفقهم قوم في الابتداع الفني»[1].

٢ «تأثير العرب عظيم في الغرب، وهو في الشرق أشد وأقوى، ولم يتفق مثلما اتفق للعرب من نفوذ، والأمم كانت لها سيادة في العالم، كالآشوريين والفرس والمصريين واليونان والرومان، توارت تحت أعفار الدهر، ولم تترك لنا غير أطلال دارسة، وعادت أديانها ولغاتها وفنونها لا تكون سوى ذكريات. والعرب، وإن تواروا أيضاً، لم تزل عناصر حضارتهم، وإن شئت فقل ديانتهم ولغتهم وفنونهم، حية..»[2].

٣ «وسعت دائرة التعليم العام، واستدعي الأساتذة من مختلف أقطار العالم، وبلغ علم الفلك درجة رفيعة من التقدم، وانتهى إلى نتائج لم ينته إليها الأوربيون إلّا في العصر الحاضر.. ونقلت إلى العربية كتب علماء اليونان واللاتين، وصارت تدرس في جميع المدارس، وبحث العرب في آثار القدماء فسبقوا الأوربيين إلى ذلك ببضعة قرون. وأقدم العرب على تلك المباحث، التي لم يكن لهم عهد بها، وبشوق ونشاط، وأكثروا من إنشاء المكتبات العامة والمدارس والمختبرات في كل مكان، وكانت لهم اكتشافات مهمة في أكثر العلوم..»[3].

٤ «كلما تقدمنا في الكتاب بدا لنا، بوضوح، أمران جوهريان.. وهما: أن العرب استطاعوا أن يبدعوا حضارة جديدة مستعينين بما استعاروا من الفرس واليونان والرومان، وأن حضارة العرب كان لها من المناعة ما استطاعت أن تهيمن به على البرابرة الذين حاولوا هدمها. وقد ظهر لنا أن جميع أمم الشرق الكثيرة.. أعانت بلا استثناء على نشر نفوذ العرب، وأن أمماً قديمة قدم العالم، كالمصريين والهنود، اعتنقت ما جاءها بها العرب أو ورثتهم من الحضارة والدين واللغة»[4].

---

(١) حضارة العرب، ص ٢٦.
(٢) نفسه، ص ٢٦-٢٧.
(٣) نفسه، ص ١٧٣.
(٤) نفسه، ص ١٨٠.

٥ «لنفرض جدلاً أن النصارى عجزوا عن دحر العرب [في جنوب فرنسا] فماذا كان يصيب أوربة؟ كان يصيب أوربة النصرانية المتبربرة مثل ما أصاب إسبانية من الحضارة الزاهرة تحت راية النبي العربي ﷺ، وكان لا يحدث في أوربة التي تكون قد هذبت ما حدث فيها من الكبائر كالحروب الدينية ومظالم محاكم التفتيش، وكل ما لم يعرفه المسلمون من الوقائع التي ضرجت أوربة بالدماء عدة قرون. ويجب أن يكون المرء جاهلاً تاريخ حضارة العرب جهلاً مطبقاً ليوافق على ما زعمه المؤرخ [هنري مارتن في كتابه عن (تاريخ فرنسا الشعبي) من (أن أوربة والدنيا كانت تخسران مستقبلهما). فمزاعم مثل هذه ليست مما يقف أمام سلطان النقد عندما يعلم أن التمدن اللامع حل بالبلاد التي خضعت لأتباع الرسول ﷺ محل الهمجية، وأن النشاط الذي يحفز الإنسان إلى التقدم لم يكن قوياً في أمة مثل قوته في العرب»[١].

لين ـ بول[٢]

١ «. . لم يحدث في تاريخ المدنية حركة أكثر روعة من ذلك الشغف الفجائي بالثقافة الذي حدث في جميع أنحاء العالم الإسلامي. فكان كل مسلم، مكن الخليفة إلى الصانع، يبدو كأنما قد اعتراه فجأة شوق إلى العلم وظمأ إلى السفر، وكان ذلك خير ما قدمه الإسلام من جميع الجهات. وكان تهافت طلاب العلم على مركز مثل بغداد، ومن بعدها على المراكز الأخرى التي كانت مهداً للآداب والعلوم، شبيهاً بذلك التيار الحديث من العلماء الأوربيين الذين كانت تموج بهم الجامعات بحثاً وراء العلم الجديد، بل لقد كان أكثر منه روعة!»[٣].

---

(١) نفسه، ص ٣١٧.

(٢) د. ستانلي لين ـ بول (١٨٢٣ـ١٨٩٥) Dr.Stanley Lane-Pool
أستاذ اللغة العربية في كلية ترينتي بدبلن (١٨٩٨ـ١٩٠٤). عالم في الآثار المصرية. عين سنة ١٨٧٧ حافظاً للنقود في المتحف البريطاني حتى وفاته.
من آثاره: (فهرس النقود الشرقية في المتحف البريطاني)(١٨٧٥ـ١٨٩٠) في عشرة أجزاء، (الخلافة في الشرق)، (الأسر الصغيرة الحاكمة في الشرق)، (المغول)، (العثمانيون)، (صلاح الدين وسقوط مملكة القدس). . . إلخ.

(٣) تاريخ العالم (نشره السير جون. أ. هامرتن) المجلد ٤، ص ٦٠٧.

٢ «أما المساجد، وهي التي كانت ـ وما زال بعضها ـ جامعات الإسلام، فإنها عجت بالطلبة الذين ملأتهم الرغبة في العلم، وقد جاؤوا للاستماع إلى محاضرات العلماء في علوم الدين والشريعة والفلسفة والطب والرياضة. وقد جاء العلماء أنفسهم من جميع أرجاء العالم الذي كان يتكلم باللغة العربية.. وكان يرحب بكل طالب مهما كانت جنسيته..»[١].

٣ «.. كان كل ما عرفته أوربة في العصور الوسطى من فلسفة إغريقية ومن علوم رياضية وكيمياء وفلك وطب مأخوذاً في الأصل من المؤلفات والرسائل العربية المترجمة إلى اللغة اللاتينية، وقد احتفظت هذه المؤلفات بمكانتها في المدارس الأوربية حتى القرن السادس عشر، بل والسابع عشر كذلك»[٢].

٤ «إن القوة الموحدة للغة واحدة وديانة واحدة قد جعلت من الممكن أن يحفظ العصر الذهبي لثقافة العرب تراث الإغريق والرومان، وينقله إلى العالم الحديث. إن للغة العربية أدبها الهائل الخالد، إلّا أن فضلها الكبير على العالم يتركز فيما قدمته له من خدمة جليلة في حفظ الحضارة العظيمة القديمة، ونشرها، في وقت كانت فيه أوربة تتخبط في ظلمات الجهل والأمية. إن سحر اللغة العربية وحماسة طلابها هما اللذان مهدا الطريق لحركة إحياء العلوم»[٣].

مايرهوف[٤]

١ «.. كانت حرية التعليم مكفولة مؤمنة للجميع في معاهد بغداد ومساجدها.. وكان لكل مسجد كبير وما يزال، مكتبته الخاصة لا في المواضيع الدينية وحدها، بل في الأبحاث الفلسفية والعلمية أيضاً.. وكان الحج إلى مكة المكرمة

---

(١) نفسه، ٤/٦٠٧ـ٦٠٨.

(٢) نفسه، ٤/٦٠٨ـ٦٠٩.

(٣) نفسه، ٤/٦١٨.

(٤) د. ماكس مايرهوف Dr. Max Meyerhof

مستشرق ألماني وكحال شهير، مارس طبه في مصر زهاء ربع قرن، ثم ألم بجانب مهم من اللغات، واطلع خلال إقامته الطويلة في الشرق على كنوز المخطوطات، ونشر وأحيا عدداً من المصادر العربية، هذا علاوة على العديد من الرسائل بالفرنسية والإنكليزية في مواضيع تاريخ الطب العربي، نشرها في مختلف المجلات العلمية المشهورة.

فريضة على كل مسلم مما ساعد على انتشار العلم، إذ لا مفر للتلاميذ القادمين من الهند وإسبانيا وآسيا الصغرى وإفريقية من المرور ببلاد مختلفة، فتتاح لهم زيارة المساجد والمعاهد العلمية والاتصال بمشاهير العلماء.. وكانت الطريقة العلمية في التدريس آنذاك شبيهة بالطريقة المتبعة اليوم..»(١).

٢ «.. إن عظمة العلم الإسلامي تتجلى في ميدان البصريات. هاهنا تكشف مقدرة (ابن الهيثم وكمال الدين) الرياضية ضياء (بطليموس وإقليدس). إن هذا النوع من العلوم مدين للمسلمين بتقدم حقيقي باق مقرون إلى اسمهم على مر الدهور»(٢).

٣ «.. في عام ١٠٨٥ م سقطت طليطلة أعظم مركز للثقافة الإسلامية في الغرب بأيدي الأسبان المسيحيين، وصار تلاميذ اللاتين يفدون إلى العاصمة الجديدة ليظهروا إعجابهم بما يرون من بقايا حضارة المغرب، ولكي يدرسوا الفنون العربية..»(٣).

٤ «.. ثمة تراجم عديدة [عن العربية] استخدمت بصورة واسعة في التدريس الجامعي على الأخص في فرنسا وشمالي إيطاليا. بهذا الطريق انتقلت مئات من تراجم التراث العربي ـ الإغريقي العلمي إلى تربة أوربة المجدبة، وكانت النتيجة زخات من المطر الوابل أحيا تلك الأرض الموات..»(٤).

٥ «.. كانت العلوم الإسلامية وهي في أوج عظمتها تضيء كما يضيء القمر، فتبدد غياهب الظلام؛ الذي كان يلف أوربة في القرون الوسطى.. ولما كان لتلك العلوم سهمها الأوفى في توجيه عهد (إحياء العلوم) وحث خطواته، فعلينا أن نقر مذعنين بأن التراث العربي الإسلامي مازال يعيش في علومنا حتى الآن»(٥).

---

(١) تراث الإسلام، (إشراف سير توماس أرنولد)، ص ٤٨٢-٤٨٣.

(٢) نفسه، ص ٤٩٤.

(٣) نفسه، ص ٤٩٦.

(٤) نفسه، ص ٥٠٢.

(٥) نفسه، ص ٥٠٦.

وعن إنجازات المسلمين في ميادين الكيمياء والطبيعة والطب والصيدلة والعلوم التطبيقية، انظر: المرجع نفسه، ص ٤٥٨-٤٨٢، ٤٨٤-٤٩١، ٤٩٧-٥٠٠، ٥٠٢-٥٠٥.

جواهر لال نهرو

١ «إننا لنجد أن الأسلوب العلمي لم يكن مطبقاً في بلدان العالم القديم مثل مصر والصين والهند، ونجد القليل منه في اليونان، ولا نجده في روما. ولكن العرب امتازوا بهذه الروح العلمية الاستطلاعية؛ مما يجعلهم يدعون بجدارة آباء العلم الحديث.. لقد بنى العرب على الأساس العلمي الذي استقوه من غيرهم أبحاثاً عظيمة وتوصلوا إلى اكتشافات عظيمة. لقد صنعوا أول مكبر، وصنعوا أول بوصلة، وكان أول أطبائهم وجراحيهم ذوي شهرة عالمية طبقت آفاق أوربة. وكانت بغداد في دنيا الغرب. وكانت في العالم العربي مراكز علمية أخرى ازدهرت فيها العلوم، ومنها القاهرة والبصرة والكوفة. ولكن بغداد فاقت هذه المراكز جميعاً.. وكان عدد سكانها يربو على مليون نسمة، أي أكثر بكثير من سكان كلكتا أو بومبي في يومنا هذا»[١].

٢ «إن حكم العرب لأجزاء من إسبانيا مدة ٧٠٠ سنة أمر يدعو إلى الإكبار، ويزيدنا إكباراً لهم تلك المدنية الرفيعة والثقافة العربية الراقية التي وصفها أحد المؤرخين بقوله: (لقد نظم المغاربة مملكة قرطبة العظيمة التي كانت مفخرة العصور الوسطى، والتي حملت نبراس العلوم والحضارة الزاهرة إلى العالم الغربي؛ الذي كان مغموراً في الجهل والوحشية). وكتب مؤرخ آخر يقول: (بينما كان معظم الناس في قرطبة يقرؤون ويكتبون، كان أهل أوربة المسيحيون في جهل مطبق اللهم إلّا رجال الدين منهم، ولم ينج من هذا الجهل حتى أعلى الطبقات الأوربية).. لقد طارت شهرتها في أرجاء الدنيا، وشعت منها الفلسفة العربية حتى وصلت جامعات أوربة الكبرى؛ كجامعة باريس وأكسفورد وشمال إيطاليا»[٢].

٣ «.. اكتسب الصليبيون [في عالم الإسلام] الفنون والصناعة والحرف والعلوم وحب الاستطلاع العلمي. وهذه هي الأشياء عينها التي كان بطرس الناسك [داعية الحرب الصليبية] وأمثاله أبعد الناس عن احترامها وتقديرها»[٣].

---

(١) لمحات، ص ٣٥.
(٢) نفسه، ص ٤٥-٤٦.
(٣) نفسه، ص ٥٤.

٤ «.. لنذكر أن صلاح الدين [الأيوبي] نفسه لم تشغله مهام الحرب عن إنشاء المعابد والكليات والمستشفيات وغيرها من مظاهر الرقي والمدنية. غير أن القدر يشاء أن تتعرض هذه الحياة السامية إلى جحافل المغول الزاحفين من الشرق»[١].

زيغريد هونكه

١ «.. يخيل إلي أن الوقت قد حان للتحدث عن شعب قد أثر بقوة على مجرى الأحداث العالمية، ويدين له الغرب. كما تدين له الإنسانية كافة بالشيء الكثير. وعلى الرغم من ذلك فإن من يتصفح مئة كتاب تاريخي، لا يجد اسماً لذلك الشعب في ثمانية وتسعين منها»[٢].

٢ «إن في لغتنا كلمات عربية عديدة، وإننا لندين ـ والتاريخ شاهد على ذلك ـ في كثير من أسباب الحياة الحاضرة للعرب. وكم أخذنا عنهم من حاجات وأشياء زينت حياتنا بزخرفة محببة إلى النفوس، وألقت أضواء باهرة جميلة على عالمنا الرتيب، الذي كان يوماً من الأيام قاتماً كالحاً باهتاً، وزركشته بالتوابل الطيبة النكهة، وطيبته بالعبير العابق، وأحياناً باللون الساحر، وزادته صحة وجمالاً وأناقة وروعة»[٣].

٣ «إن أرقام العرب وآلاتهم التي بلغوا بها حداً قريباً من الكمال وحسابهم وجبرهم وعلمهم في المثلثات الدائرية، وبصرياتهم الدقيقة، كل ذلك أفضال عربية على الغرب ارتقت بأوربة إلى مكانة؛ ومكانتها عن طريق اختراعاتها واكتشافاتها الخاصة، من أن تتزعم العالم في ميادين العلوم التطبيقية منذ ذلك التاريخ حتى أيامنا هذه»[٤].

٤ «.. إن التأثير العربي في أوربة [ظل حتى القرن التاسع عشر] وإن اختفى شكلاً، فتغلغل في أعماق الحياة الأوربية، ورآه من يرغب في رؤيته، وأغفله من حجب بصره كره أرعن، أو تعصب أعمى»[٥].

---

(١) نفسه، ص ٥٤.
(٢) شمس العرب تسطع على الغرب، ص ١٠.
(٣) نفسه، ص ٢٠.
(٤) نفسه، ص ١٦٣.
(٥) نفسه، ص ٣٣٤.

مونتكومري وات

١ «درس الباحثون مختلف الطرق التي أثر العالم الإسلامي من خلالها إلى أوربة في العصور الوسطى، وقد نشرت نتائج دراستهم هذه في العديد من المقالات والكتب العلمية، إلّا أنه من النادر أن نجد محاولة للنظر في التأثير الإسلامي هذا بصورة إجمالية، ولتقييم أهمية أثره على أوربة، ومدى استجابة أوربة له. لذلك فإن الغرض من هذه السلسلة من المحاضرات هو إعطاء نظرة شاملة لهذه التأثيرات ولردود الفعل عليها.. إن وجهة نظري ستختلف عن وجهة نظر المؤرخ الأوربي، فإني لا أفكر في المسلمين كأجانب غزوا أوربة، بل سأنظر إليهم باعتبارهم أصحاب حضارة ذات إنجازات عظيمة عمت بفضلهم جزءاً كبيراً من العالم، وامتدت فوائدها إلى الأقاليم المجاورة..»[١].

٢ «إنه لمن المناسب أن تصدر دراسة عن التأثيرات الإسلامية على أوربة في هذا الوقت الذي يزداد فيه ترابط المسلمين والمسيحيين العرب مع الأوربيين في هذا العالم الواحد. وقد لوحظ في وقت ما أن الكتاب المسيحيين في أوربة خلال العصور الوسطى قد كونوا صورة مشوهة عن الإسلام من عدة جوانب؛ إلّا أنه بفضل محاولات الباحثين في القرن الماضي، بدأت تتكون موضوعية في أذهان الغربيين، إذ ليست لدينا نحن الأوربيين ـ على أية حال ـ القدرة على استيعاب فضل المسلمين على ثقافتنا، إذ أننا نقلل أحياناً من قيمة التأثيرات الإسلامية ومقدار أهميتها على تراثنا، وأحياناً نغض الطرف عنها كلياً. ومن أجل علاقات طيبة مع العرب والمسلمين علينا الاعتراف بكامل فضل المسلمين علينا، أما محاولاتنا إنكار ذلك فما هو إلّا علامة من علامات الغرور الكاذب»[٢].

٣ «إن تشويه صورة الإسلام بين الأوربيين كان ضرورياً لتعويضهم عن الشعور بالتخلف..»[٣].

---

(١) تأثير الإسلام على أوربة في العصور الوسطى، ص ٥.
(٢) نفسه، ص ٦٥.
(٣) نفسه، ص ١٣١.

هـ. ج. ولز

١ «.. كان الذهن العربي قبل محمد ﷺ ببضعة أجيال متقداً بنار تسري تحت الرماد، فكان يخرج الشعر والشيء الكثير من الجدل الديني، وما لبث ذلك العقل.. حتى تأجج في تألق لا يفوقه إلّا ما كان للإغريق في أزهى عصورهم. فأحيا من جديد تأثير الإنسان للعلم. فلئن كان الإغريقي أباً للطريقة العلمية، فقد كان العربي شبيهاً لها، وشريكها له في أبوتها. فمن العرب، وليس بوساطة الأرومة اللاتينية، تلقى العالم العصري تلك المنحة من النور والقوة»[1].

٢ «.. جاء من الصحراء العقل العربي الغفل، متوقداً مستطلعاً، فاستوعب كثيراً، ورفع قيمة ما تعلم بزيادته وقدراً وتحسينه نوعاً. تعلم كثيراً واستوعب كثيراً»[2].

٣ «سبق العالم الإسلامي الغرب بقرن أو ما يقاربه، إذ نمت به سلسلة من الجامعات العظيمة، فأضاء نور هاته الجامعات خارج العالم الإسلامي إلى مسافات بعيدة، واجتذب إليها الطلاب من الشرق والغرب..»[3].

٤ «.. لقد قذفت المقادير بالذكاء العربي في طول العالم بصورة أسرع وأروع مما فعلت بالعقل اليوناني قبل ذلك بألف سنة خلت؛ لذا عظمت إلى أقصى حد الاستثارة الفكرية التي أحدثها وجودهم للعالم أجمع غربي بلاد الصين، كما اشتد تمزيق الأفكار القديمة وتطور أخرى جديدة. وكان العلم يثب على قدميه وثباً في كل موضع وطئته قدم الفاتح العربي..»[4].

٥ «.. عثر علماء [العرب من الكيميائيين] على مناهج العلم التجريبي الذي يوشك في خاتمة المطاف أن يمنح الإنسان سلطاناً لا حد له على العالم كله، بل وعلى مصائره هو نفسه»[5].

---

(١) معالم تاريخ الإنسانية، ٣/ ٦٦٢.
(٢) نفسه، ٣/ ٦٦٣.
(٣) نفسه، ٣/ ٦٦٤.
(٤) موجز تاريخ العالم، ٢٠٦.
(٥) نفسه، ص ٢٠٩.

كويلر يونغ

١ «كلمة (الإسلام) [ثقافياً] تستعمل بالمعنى الواسع لتدل على تلك المدنية المتجانسة ـ رغم تنوعها ـ والتي وجهها وسيطر عليها الدين الإسلامي منذ أكثر من ثلاثة عشر قرناً . .»[١].

٢ «. . عندما انتقلت عاصمة الإسلام إلى بغداد في منتصف القرن الثامن الميلادي كان عصر الفتوح قد انتهى، وأصبح ما جاء به القرآن من لغة وقانون ودين يحكم من حدود الصين إلى أعمدة (هرقل). وفي خلال خمسمئة السنة التي حكم فيها العباسيون نمَّى الإسلام نظامه الفكري وثقافته المتجانسة على أساس من الإحياء البارع للمعارف الكلاسيكية في القرنين التاسع والعاشر الميلادي وهو (الرنيسانس) الشرقي. هذا الإحياء الثقافي في ذينك القرنين ـ وفي القرن الذي تلاهما حيث بلغت الثقافة الإسلامية قمة تطورها ـ هو الذي نقل إلى العالم اللاتيني . . وأصبح أساس (الرنيسانس) الغربي في القرنين الخامس عشر والسادس عشر»[٢].

٣ «. . كان الفارابي وابن سينا معروفين جيداً في أوربة، وكان (بيكون) يستشهد بأقوالهما . .»[٣].

٤ «. . ليس هناك من شك في أن روح البحث العلمي الجديد وطريقة الملاحظة والتجربة اللذين أخذت بهما أوربة؛ إنما جاءا من اتصال الطلاب الغربيين بالعالم الإسلامي»[٤].

٥ «عندما جاء محمد [عليه السلام] وظهر الإسلام تحول التيار [الثقافي] إلى عكس الاتجاه الذي كان يسير فيه. وقد بدا هذا التحول مفاجئاً في مظهره بالرغم من أنه يمكن للمؤرخ أن يتعرف على الأسباب التي تجمعت رويداً رويداً حتى أنتجت هذا الانعكاس في اتجاه التيار الثقافي. ومن جزيرة العرب اندفعت حماسة هؤلاء الساميين بهم، ومعهم دينهم ولغتهم إلى حدود الصين في الشرق وإلى جبال

---

(١) الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة، ص ٢٣٢.
(٢) نفسه، ص ٢٣٤.
(٣) نفسه، ص ٢٤٢.
(٤) نفسه، ص ٢٤٧.

البرانس في الغرب. وفي العصر الإسلامي الذهبي، عصر العباسيين، آتت البذور الثقافية التي جلبها العرب من الإغريق والفرس والهند أكلها، وخلقوا هم أنفسهم ثقافة حية، سيطرت وسادت في العصور الوسطى، وكان لها تأثيرها الواضح في أنحاء أوربة المختلفة، فنهضت بها على مر الزمن.. وظل تيار الثقافة في العصور الوسطى مندفعاً من الشرق إلى الغرب، فبلغ قمته في القرن الثالث عشر..»(١).

٦ «لقد قام العلم الإسلامي للإنسانية خدمات عظيمة، وأضاف إلى تراثها الثقافي القديم والكلاسيكي الشيء الكثير، وظل يلعب دوره حتى تسلم العلم الغربي منه القيادة..»(٢).

لويس يونغ

١ «نحن حينما نسلم اليوم أن آسيا وإفريقية تتمثلان أوربة قدوة لهما، يجب ألّا ننسى الوجه الآخر للصورة في العصور الوسطى؛ عندما عكف أوربة على علوم العرب من طب وفلسفة وطبيعة، واستمر ذلك لفترة طويلة. حتى إذا كان القرن الثامن عشر قبست منهم نار الرومانطيقية، وفي القرن التاسع عشر سلبتهم أراضيهم، ثم بترولهم في القرن العشرين..»(٣).

٢ «ما الذي تركته حضارة العرب والمسلمين في أوربة؟ لقد تركت بصماتها على جميع المستويات ابتداء بالفولكلور.. وانتهاء بالعلوم، حيث يستخدم ملاحو الفضاء اصطلاحات عربية مثل السمت Asimuth وسمت الرأس Senith وهناك في خرائط القمر أكثر من موقع أطلق عليها أسماء لبعض العلماء العرب كالرازي والبتاني وأبي الفداء. إن أشياء كثيرة لا يزال على الغرب أن يتعلمها من الحضارة الإسلامية»(٤).

٣ «.. نفذ المسلمون بمعارفهم عن العالم القديم إلى الأوربيين، ونقلوا إليهم كشوفهم واختراعاتهم التي أضافوها إلى تلك المعارف..»(٥).

(١) الشرق الأدنى: مجتمعه وثقافته (بإشراف كويلر يونغ)، ص ٧.
(٢) نفسه، ص ١٠.
(٣) العرب وأوربة، ص ٩.
(٤) نفسه، ص ١٠.
(٥) نفسه، ص ١٢.

٤ «إن تطوير المسلمين للتراث اليوناني هو واحد من أهم حلقات التاريخ الثقافي العالم، وليس معنى أن الحضارة الإسلامية كانت مجرد تقليد أو انعكاس للحضارة اليونانية القديمة. ويجب ألّا تغيب عن ذهننا ـ ونحن نناقش ونقيم الحضارة الإسلامية ـ تلك الأفكار المبدعة التي جاءت من الجزيرة العربية مع الإسلام وقبله، واستطاع المسلمون أن يمزجوا بها التراث اليوناني فيصنعوا من ذلك لوناً جديداً سباقاً فريداً»[١].

٥ «هناك أدلة واضحة تشير إلى أن مؤسسة (الجامعة) هي من المبتكرات الخالصة للحضارة العربية، وخلافاً لهذه الأدلة يحجم الكثير من المؤرخين الغربيين عن الإقرار بأن وجود الشبه بين الجامعات في البلاد العربية وأوربة لم يكن مجرد صدفة، رغم أن أحداً منهم لا يجادل في الحقيقة الثابتة القائلة بأن أكثر الكتب الجامعية التي كانت تدرس في جامعات أوربة إنما هي كتب مترجمة عن العربية في القرون الوسطى، وإذا لم يكن هناك برهان آخر على التأثير الثقافي للحضارة الإسلامية في أوربة المسيحية؛ فيكفي أن ننوه بالارتباط الوثيق جداً بين الجامعات الأوربية نفسها وبين الثقافة الإسلامية، تلك الثقافة التي أمدت الجامعات الأوربية بالكتب الدراسية. وتدل بعض الحقائق على أن القرون الوسطى للإسلام مهدت لنشوء الجامعات في أوربا الوسطى. فقد نشأت الجامعات العربية وعملت قبل قيام الجامعات في أوربة بأكثر من قرن.. وقد لعبت [الأخيرة] حين ظهورها دوراً مماثلاً لمثيلاتها في البلاد العربية.. وما زالت بقايا [هذا النظام الجامعي] متبعة في جامعات أكسفورد ولينكن ورستر وهارتفورد.. إلخ.. ووجه الشبه الآخر بين الجامعات العربية والأوربية تمثل في التقليد القاضي بلباس أردية خاصة للأساتذة خلال المحاضرات، أو لبعض الأعمال الإدارية، وأن الرداء الجامعي المميز عادة متبعة في أهم مراكز التعليم في البلاد العربية قبل أن يصبح عادة في الجامعة الأوربية»[٢].




(١) نفسه، ص ٣٦.
(٢) نفسه، ص ١٣٠ـ١٣١.

الفصل السادس

المرأة والأسرة

«فيما يتصل بالزواج لا تطالب السنة الإسلامية بأكثر من حياة أمينة إنشائية يسلك فيها المرء منتصف الطريق، متذكراً الله من ناحية، ومحترماً حقوق الجسد والأسرة والمجتمع وحاجاتها من ناحية ثانية..»

المستشرقة الإيطالية لورافيشيا فاكليري

مارسيل بوازار

١ «.. كانت المرأة تتمتع بالاحترام والحرية في ظل الخلافة الأموية بإسبانيا، فقد كانت يومئذ تشارك مشاركة تامة في الحياة الاجتماعية والثقافية، وكان الرجل يتودد لـ (السيدة) للفوز بالحضور لديها.. إن الشعراء المسلمين هم الذين علموا مسيحيي أوربة عبر إسبانيا احترام المرأة..»[1].

٢ «إن الإسلام يخاطب الرجال والنساء على السواء، ويعاملهم بطريقة (شبه متساوية)، وتهدف الشريعة الإسلامية بشكل عام إلى غاية متميزة هي الحماية، ويقدم التشريع للمرأة تعريفات دقيقة عما لها من حقوق، ويبدي اهتماماً شديداً بضمانها. فالقرآن والسنة يحضان على معاملة المرأة بعدل ورفق وعطف، وقد أدخلا مفهوماً أشد خلقية عن الزواج، وسعيا أخيراً إلى رفع وضع المؤمنة بمنحها عدداً من الطموحات القانونية، وتشمل حقوق المرأة ـ وهي (مقدسة) وفقاً لحديث نبوي ـ بشكل أساسي: المساواة أمام القانون والملكية الخاصة الشخصية، والإرث»[2].

٣ «لقد خلقت المرأة في نظر القرآن من الجوهر الذي خلق منه الرجل. وهي ليست من ضلعه، بل (نصفه الشقيق) كما يقول الحديث النبوي [النساء شقائق الرجال] المطابق كل المطابقة للتعاليم القرآنية التي تنص على أن الله قد خلق من كل شيء زوجين. ولا يذكر التنزيل أن المرأة دفعت الرجل إلى ارتكاب الخطيئة الأصلية، كما يقول سفر التكوين. وهكذا فإن العقيدة الإسلامية لم تستخدم ألفاظاً للتقليل من احترامها، كما فعل آباء الكنيسة الذين طالما اعتبروها (عميلة الشيطان). بل إن القرآن يضفي آيات الكمال على امرأتين: امرأة فرعون ومريم ابنة عمران أم المسيح [عليه السلام][3]..»[4].

٤ «.. ليس في التعاليم القرآنية ما يسوغ وضع المرأة الراهن في العالم الإسلامي، والجهل وحده، جهل المسلمة حقوقها بصورة خاصة، هو الذي يسوغه..»[5].

(١) إنسانية الإسلام، ص ١٠٨.
(٢) نفسه، ص ١٠٩ـ١١٠.
(٣) انظر سورة التحريم، الآيتين ١١ و ١٢.
(٤) إنسانية الإسلام، ص ١١٣.
(٥) نفسه، ص ١١٤.

٥ «.. أثبتت التعاليم القرآنية وتعاليم محمد ﷺ أنها حمت حمى حقوق المرأة التي لا تكل..»(١).

إميل درمنغم

١ «مما لا ريب فيه أن الإسلام رفع شأن المرأة في بلاد العرب وحسن حالها، قال عمر بن الخطاب [رضي الله عنه]: (ما فتئنا نعد النساء من المتاع حتى أوحى الله في أمرهن مبيناً لهن)، وقال النبي ﷺ: (أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً، وخياركم خياركم لنسائهم). أجل، إن النبي ﷺ أوصى الزوجات بطاعة أزواجهن، ولكنه أمر بالرفق بهن، ونهى عن تزويج الفتيات كرهاً، وعن أكل أموالهن بالوعيد أو عند الطلاق.. ولم يكن للنساء نصيب في المواريث أيام الجاهلية.. فأنزلت الآية التي تورث النساء. وفي القرآن تحريم لوأد البنات، وأمر بمعاملة النساء والأيتام بالعدل، ونهى محمد ﷺ عن زواج المتعة وحَمْل الإماء على البغاء.. وأباح تعدد الزوجات.. ولم يوصِ الناس به، ولم يأذن فيه إلّا بشرط العدل بين الزوجات فلا يهب لإحداهن إبرة دون الأخرى.. وأباح الطلاق أيضاً مع قوله: (أبغض الحلال عند الله تعالى الطلاق). وليس مبدأ الاقتصار على زوجة واحدة من الحقوق الطبيعية مع ذلك، ولم يفرضه كتاب العهد القديم على الآباء، وإذا كان هذا المبدأ قد أصبح سنة في النصرانية، فذلك لسابق انتشاره في بلاد الغرب، وذلك من غير أن يحمله رعايا نيرون إلى بلاد إبراهيم ويعقوب [عليهما السلام].. وأيهما أفضل: تعدد الزوجات الشرعي أم تعدد الزوجات السري؟.. إن تعدد الزوجات من شأنه إلغاء البغاء، والقضاء على عزوبة النساء ذات المخاطر..»(٢).

٢ «من المزاعم الباطلة أن يقال: إن المرأة في الإسلام قد جردت من نفوذها زوجة وأماً كما تذم النصرانية لعدها المرأة مصدر الذنوب والآثام، ولعنها إياها، فعلى الإنسان أن يطوف في الشرق ليرى أن الأدب المنزلي فيه قوي متين، وأن المرأة فيه تحسد بحكم الضرورة نساءنا ذوات الثياب القصيرة والأذرع العارية،

---

(١) نفسه، ص ١٤٠.
(٢) حياة محمد، ص ٣٢٩ـ٣٣١.

ولا تحسد عاملاتنا في المصانع وعجائزنا، ولم يكن العالم الإسلامي ليجهل الحب المنزلي والحب الروحي، ولا يجهل الإسلام ما أخذناه عنه من الفروسية المثالية والحب العذري»[١].

هنري دي كاستري

١ «. . إن الناس بالغوا كثيراً في مضار تعدد الزوجات عند المسلمين إن لم نقل أن ما نسبوه إليه من ذلك غير صحيح. فما تعدد الزوجات هو الذي ولد في الشرق تلك الرذائل الفاضحة، بل المعقول أنه من شأنه تلطيفها، على أنني لست أدري إن كانت تلك الرذائل أكثر منها في الغرب، بل تلك وصمة ألصقت بالإسلام بواسطة السواح الذين يرون أمراً في الفرد فيجعلونه عاماً من غير تثبيت فيه، ولولا هذا التعميم السطحي لما وجدوا شيئاً يملؤون به مؤلفاتهم. والواقع أن الرذائل الفاضحة موجودة في كل أمة، ولقد يقع منها في باريس ولندن وبرلين أكثر مما يحدث في الشرق بأجمعه؛ لأن النبي ﷺ بالغ في تحريمها، ولم يعدها من الذنوب الخفيفة. . »[٢].

٢ «من الخطأ الفاضح والغلو الفادح قولهم: إن عقد الزواج عند المسلمين عبارة عن عقد تباع فيه المرأة فتصير شيئاً مملوكاً لزوجها؛ لأن ذلك العقد يخول للمرأة حقوقاً أدبية وحقوقاً مادية من شأنها إعلاء منزلتها في الهيئة الاجتماعية»[٣].

٣ «لم يقتصر القرآن في التضييق على تعدد الزوجات على عددهن، بل حرم ما كان معروفاً عند العرب قبله من الزواج لزمن محدود، وفي ذلك شبه تحريم للطلاق لكونه لا يتأتى إلّا بشروط مخصوصة»[٤].

٤ «. . إننا لو رجعنا إلى زمن النبي ﷺ ومكان ظهوره لما وجدنا عملاً يفيد النساء أكثر مما أتاه [عليه السلام]، فهن مدينات لنبيهن بأمور كثيرة، وفي

(١) نفسه، ص ٣٣١.
(٢) الإسلام خواطر وسوانح، ص ٥٦.
(٣) نفسه، ص ٥٧.
(٤) نفسه، ص ٥٧ ـ ٥٨.

القرآن آيات ساميات في حقوقهن وما يجب لهن على الرجال.. ويرى القارئ من جميع تلك الآيات مقدار اهتمام [الإسلام] بمنع عوامل الفساد الناشئة عن التعشق بين المسلمين لكي يجعل الأزواج والآباء في راحة ونعيم.. ولقد [أصبحت] للمسلمين أخلاق مخصوصة، عملاً بما جاء في القرآن أو في الحديث، وتولدت في نفوسهم ملكات الحشمة والوقار، وجاء هذا مغايراً لآداب الأمم المتمدنة اليوم على خط مستقيم ومزيلاً لما عساه كان يحدث عن ميل الشرقيين إلى الشهوات لولا هذه التعاليم والفروض. والفرق بين الحشمة عند المسلم وبينها عند المسيحي كما بين السماء والأرض..»[1].

إتيين دينيه

[١] «لا يتمرد الإسلام على الطبيعة التي لا تغلب، وإنما هو يساير قوانينها ويزامل أزمانها، بخلاف ما تفعل الكنيسة من مغالطة الطبيعة ومصادمتها في كثير من شؤون الحياة مثل ذلك الفرض الذي تفرضه على أبنائها الذين يتخذون الرهبنة، فهم لا يتزوجون وإنما يعيشون غرباء. على أن الإسلام لا يكفيه أن يساير الطبيعة، وأن لا يتمرد عليها، وإنما هو يدخل على قوانينها ما يجعلها أكثر قبولاً وأسهل تطبيقاً في إصلاح ونظام ورضا ميسور مشكور؛ حتى لقد سمي القرآن لذلك (بالهدى) لأنه المرشد إلى أقوم مسالك الحياة والأمثلة العديدة تعوزنا، ولكنا نأخذ بأشهرها وهو التساهل في سبيل تعداد الزوجات.. فمما لا شك فيه أن التوحيد في الزوجة هو المثل الأعلى، ولكن ما العمل وهذا الأمر يعارض الطبيعة ويصادم الحقائق بل هو الحال الذي يستحيل تنفيذه لم يكن للإسلام أمام الأمر الواقع، وهو دين اليسر، إلّا أن يستبين أقرب أنواع العلاج؛ فلا يحكم فيه حكماً قاطعاً، ولا يأمر به أمراً باتاً»[2].

[٢] «.. هل حقيقي أن الديانة المسيحية بتقريرها الجبري لفردية الزوجة وتشديدها في تطبيق ذلك قد منعت تعدد الزوجات؟ وهل يستطيع شخص أن يقول ذلك دون أن يأخذ منه الضحك مأخذه؟ وإلا فهؤلاء مثلاً ملوك فرنسا ـ دع

---

(١) نفسه، ص ٥٨-٥٩.

(٢) أشعة خاصة بنور الإسلام، ص ٣١.

عنك الإفراد ـ الذين كانت لهم الزوجات المتعددات والنساء الكثيرات، وفي الوقت نفسه لهم من الكنيسة كل تعظيم وإكرام. إن تعدد الزوجات قانون طبيعي وسيبقى ما بقي العالم، ولذلك فإن ما فعلته المسيحية لم يأت بالغرض الذي أرادته فانعكست الآية معها، وصرنا نشهد الإغراء بجميع أنواعه.. إن نظرية التوحيد في الزوجة [التي] تأخذ بها المسيحية ظاهراً تنطوي تحتها السيئات المتعددة ظهرت على الأخص في ثلاث نتائج واقعية شديدة الخطر، جسيمة البلاء، تلك هي الدعارة، والعوانس من النساء، والأبناء غير الشرعيين. إن هذه الأمراض الاجتماعية ذات السيئات الأخلاقية لم تكن تعرف في البلاد التي طبقت فيها الشريعة الإسلامية تمام التطبيق، وإنما دخلتها وانتشرت فيها بعد الاحتكاك بالمدنية الغربية»[1].

٣ «جاء في كتاب (الإسلام) تأليف (شمتز دوملان)[2] أنه (عندما غادر الدكتور مافروكر رداتو الآستانة ١٨٧٢ إلى برلين لدراسة الطب لم يكن في العاصمة العثمانية كلها بيت واحد للدعارة.؟ كما لم يعرف فيها داء الزهري ـ وهو السفلس المعروف في الشرق بالمرض الإفرنكي ـ فلما عاد الدكتور بعد أربع سنين تبدل الحال غير الحال. وفي ذلك يقول الصدر الأعظم الكبير رشيد باشا في حسرة موجعة: إننا نرسل أبناءنا إلى أوربة ليتعلموا المدنية الإفرنكية فيعودوا إلينا مرضى بالداء الإفرنكي)»[3].

٤ «.. إننا نخشى أن تخرج [المرأة] الشرقية إلى الحياة العصرية.. فينتابها الرعب لما تشهده لدى أخواتها الغربيات، اللائي يسعين للعيش، وينافسن في ذلك الرجل من أمثلة الشقاء والبؤس الكثير»[4].

٥ «إن [تعليم المرأة] يساير كل المسايرة جميع تعاليم الدين، وقد كان في عصر ازدهار الإسلام يفاض فيضاً على المسلمات، وكانت ثقافتهن حينذاك أرفع من ثقافة الأوربيات دون جدال»[5].

---

(١) نفسه، ص ٣٢ـ٣٣.
(٢) L' Islam. Par Schmitz du Mulin. Page 160.
(٣) أشعة خاصة بنور الإسلام، ص ٣٣.
(٤) نفسه، ص ٣٤٠ـ٣٤١.
(٥) نفسه، ص ٣٤١.

ول ديورانت

[١] «رفع [الإسلام] من مقام المرأة في بلاد العرب.. وقضى على عادة وأد البنات، وسوى بين الرجل والمرأة في الإجراءات القضائية والاستقلال المالي، وجعل من حقها أن تشتغل بكل عمل حلال، وأن تحتفظ بما لها ومكاسبها، وأن ترث، وتتصرف في مالها كما تشاء، وقضى على ما اعتاده العرب في الجاهلية من انتقال النساء من الآباء إلى الأبناء فيما ينتقل لهم من متاع، وجعل نصيب الأنثى في الميراث نصف نصيب الذكر، ومنع زواجهن بغير إرادتهن..»(١).

[٢] «المسلم لا يرى الامتناع عن إشباع الغريزة الجنسية حال طبيعية أو مثالية، وقد كان لمعظم الصالحين من المسلمين زوجات وأبناء. وحدود الزواج أوسع في الإسلام منها في كثير من الأديان، وتفتح الشريعة الإسلامية منافذ كثيرة لإشباع الغريزة الجنسية؛ ولهذا قل البغاء في أيام النبي ﷺ والخلفاء الراشدين [رضي الله عنهم]..»(٢).

[٣] «.. كان مركز المرأة المسلمة يمتاز عن مركز المرأة في بعض البلاد الأوربية من ناحية هامة، تلك هي أنها كانت حرة التصرف فيما تملك، لاحق لزوجها أو لدائنيه في شيء من أملاكها..»(٣).

[٤] «.. كانت البنات يذهبن إلى المدارس سواء بسواء، ونبغ عدد من النساء المسلمات في الأدب والفن..»(٤).

جاك ريسلر

[١] «لقد وضعت المرأة على قدم المساواة مع الرجل في القضايا الخاصة بالمصلحة؛ فأصبح في استطاعتها أن ترث، وأن تورث، وأن تشتغل بمهنة مشروعة، لكن مكانها الصحيح هو البيت. كما أن مهمتها الأساسية هي أن تنجب

---

(١) قصة الحضارة، ١٣/ ٦٠.
(٢) نفسه، ١٣/ ١٣٥.
(٣) نفسه، ١٣/ ١٤٠.
(٤) نفسه، ١٣/ ٣٠٦.

أطفالاً.. وعلى ذلك رسم لها النبي ﷺ واجبها (أيما امرأة مات زوجها، وهو راض عنها، دخلت الجنة).. وفي الحق أن تعدد الزوجات، بتقييده الانزلاق مع الشهوات الجامحة، قد حقق بهذا التشريع الإسلامي تماسك الأسرة، وفيه ما يسوغ عقوبة الزوج الزاني»[١].

٢ «كانت الأسرة الإسلامية ترعى دائماً الطفل، وصحته، وتربيته، رعاية كبيرة. وترضع الأم هذا الطفل زمناً طويلاً، وأحياناً لمدة أكثر من سنتين، وتقوم على تنشئته بحنان، وتغمره بحبها وباحتياطات متصلة. وإذا حدث أن أصاب الموت بعض الأسرة، وأصبحوا يتامى، فإن أقاربهم المقربين لا يترددون في مساعدتهم وفي تبنيهم»[٢].

٣ «يقوم تعليم البنات على تلقينهن تربية دينية قومية، وعلى تعويدهن الصلاة، وجعلهن في وقت مبكر صالحات للأعمال المنزلية. وبعد سنوات أيضاً يعلمن قرض الشعر والفنون..»[٣].

أحمد سوسة

١ «يجب ألّا يغرب عن البال أن المرأة لم تكن قد حازت حقوقاً تتمتع بها إلّا بعد ظهور الإسلام؛ لأن الإسلام هو أول من رفع قدر المرأة، وأعطاها حقها في الحياة كحق الرجل..»[٤].

٢ «لقد حرمت المسيحية الطلاق، ولكن في الوقت نفسه نجد أنظمة البلاد المسيحية وقوانينها الرسمية تنص على إباحته. إن المسيحيين أنفسهم قد ضربوا بتعاليم ديانتهم عرض الحائط، ووضعوا القوانين التي تنقضها من الأساس، وما كان ذلك كرهاً لديانتهم، ولكن رغبة في وضع ما تتطلبه نفسه المجتمع البشري من نظام يضمن الاطمئنان في علاقات الجنسين، ويكفل السعادة البشرية. ولو

(١) الحضارة العربية، ص ٥٢.
(٢) نفسه، ص ٥٣.
(٣) نفسه، ص ٥٤.
(٤) في طريقي إلى الإسلام، ١/ ١٨٧.

صحا المسيحيون من غفلتهم، وتأملوا في الأمر لاتضح لهم بأن الإسلام قد سبقهم في هذا المضمار من قبل ثلاثة عشر قرناً..»[١].

٣ «من الغريب أن يصبح الطلاق اليوم عند المسلمين إلى جانب القلة، ويكثر عند الغربيين الذين كانوا ينكرونه أشد الإنكار، وما فتئ يزداد مع الزمن انتشاراً مطرداً، فإنه يحصل في الولايات المتحدة الأمريكية كل سنة ما ينيف على المئتي ألف طلاق، وفي أوربة يبت في عشرات الألوف من قضايا الطلاق وعلى الأخص في فرنسا. ولا يغيب عن الذهن أن الإسلام مع إباحته الطلاق للضرورة فإنه يعد أبغض الحلال عند اللّه، كما أنه ورد في القرآن الكريم ما يحتم الرفق بالمرأة، ويفرض المحافظة على حقوقها، ويقصي الرجل عن الإقدام على الطلاق ما أمكن»[٢].

٤ «.. كانت المرأة في ديار العرب قديماً محض متاع، مجرد ذكرها أمر ممتهن. هكذا كان الوضع حينما [جاء محمد ﷺ] فرفع مقام المرأة في آسيا من وضع المتاع الحقير إلى مرتبة الشخص المحترم؛ الذي له الحق في الحياة حياة محترمة، كما أن له الحق في أن يملك ويرث المال»[٣].

٥ «مما يدل على أن الإسلام هو دين أبدي لكل وقت ومكان؛ نجد أن عادة تعدد الزوجات لم تعد تتبع في كثير من الأنحاء الإسلامية إلّا ما ندر وقل، وذلك بسبب التطور الذي طرأ في حياة معظم الجامعات، بحيث جعل العسر الاقتصادي والظروف الحالية تعدد الزوجات متعذراً تطبيقه.. هذا وإذا دققنا كم هي النسبة المئوية من المؤمنين بالدين الإسلامي الذين يطبقون عادة تعدد الزوجات في الوقت الحاضر؛ نجد فعلاً أنها نسبة جد قليلة..»[٤].

لويس سيديو

١ «إن القرآن، وهو دستور المسلمين، رفع شأن المرأة بدلاً من خفضه.. فجعل حصة البنت في الميراث تعدل نصف حصة أخيها، مع أن البنات كن

---

(١) نفسه، ٢/ ٣٠ـ٣١.
(٢) نفسه، ٢/ ٣١ـ٣٢.
(٣) نفسه، ٢/ ١٤٢.
(٤) نفسه، ٢/ ١٤٤ـ١٤٥.

لا يرثن في زمن الجاهلية.. [وهو] وإن جعل الرجال قوامين على النساء بين أن للمرأة حق الرعاية والحماية على زوجها. وأراد ألّا تكون الأيامى جزءاً من ميراث رب الأسرة، فأوجب أن يأخذ ما يحتجن إليه مدة سنة، وأن يقبضن مهورهن، وأن ينلن نصيباً من أموال المتوفى..»[١].

٢ «لا شيء أدعى إلى راحة النفس من عناية محمد ﷺ بالأولاد، فهو قد حرم [بأمر الله] عادة الوأد، وشغل باله بحال اليتامى على الدوام.. وكان في ملاحظة صغار الأولاد أعظم لذة. ومما حدث ذات يوم أن كان محمد ﷺ يصلي فوثب الحسين بن علي [رضي الله عنهما] فوق ظهره، فلم يبال بنظرات الحضور، فانتظر صابراً إلى حين نزوله كما أراد. وما ألطف أقوال محمد ﷺ عن حنان الأم وحب الوالدين، وما أجمل ما في كلمته (الجنة تحت أقدام الأمهات) من تكريم للأمهات! فيمكن أن يكتب فصل رائع من حياة محمد ﷺ حول الموضوع»[٢].

٣ «أحل الطلاق في الإسلام، ولكنه جعل تابعاً لبعض الشروط، فيمكن الرجوع عنه عند الطيش والتهور. والطلاق، لكي يكون باتاً، يجب أن يكرر ثلاث مرات.. و المرأة إذا ما طلقت الطلقة الثالثة لا تحل لزوجها الأول إلّا بعد أن تنكح زوجاً آخر فيطلقها هذا الزوج، وهذا الحكم على جانب عظيم من الحكمة لما يؤدي إليه من تقليل عدد الطلاق، ولا يحق للمرأة أن تطلب الطلاق إلّا عند سوء المعاملة..»[٣].

٤ «جزاء الزنى صارم [في الإسلام].. ولابد من أربعة شهود لثباته. ولم يقصر محمد ﷺ في منع انتشار الفجور، وله نصائح غالية [بهذا الصدد] وهو يأمر المؤمنين بالاحتشام، وينظم أمورهم نحو إجرائهم وأبنائهم وآبائهم وأمهاتهم، برفق أبوي ممزوج بلسان المشرع الوقور الجليل»[٤].

(١) تاريخ العرب العام، ص ١١٠.
(٢) نفسه، ص ١١٠-١١١.
(٣) نفسه، ص ١١١.
(٤) نفسه، ص ١١١-١١٢.

لورا فيشا فاغليري

١ «.. في ما يتصل بالزواج لا تطلب السنة الإسلامية بأكثر من حياة أمينة إنشائية يسلك فيها المرء منتصف الطريق، متذكراً الله من ناحية، ومحترماً حقوق الجسد والأسرة والمجتمع وحاجاتها من ناحية ثانية»[١].

٢ «.. إنه لم يقم الدليل حتى الآن، بأي طريقة مطلقة، على أن تعدد الزوجات هو بالضرورة شر اجتماعي، وعقبة في طريق التقدم. ولكننا نؤثر ألا نناقش المسألة على هذا الصعيد. وفي استطاعتنا أيضاً أن نصر على أنه في بعض مراحل التطور الاجتماعي، عندما تنشأ أحوال خاصة بعينها، كأن يقتل عدد من الذكور ضخم إلى حد استثنائي في الحرب مثلاً، يصبح تعدد الزوجات ضرورة اجتماعية. والحق أن الشريعة الإسلامية التي تبدو اليوم؛ وكأنها حافلة بضروب التساهل في هذا الموضوع إنما قيدت تعدد الزوجات بقيود معينة، وكان هذا التعدد حراً قبل الإسلام، مطلقاً من كل قيد. لقد شجب الإسلام بعض أشكال الزواج المشروط والمؤقت التي كانت في الواقع أشكالاً مختلفة للتسري الشرعي (المعاشرة من غير زواج). وفوق هذا منح الإسلام المرأة حقوقاً لم تكن معروفة قط من قبل. وفي استطاعتنا، في كثير من اليسر، أن نحشر الشواهد المؤيدة لذلك»[٢].

٣ «القرآن يبيح الطلاق. وما دام المجتمع الغربي قد ارتضى الطلاق أيضاً، واعترف به في الواقع كضرورة من ضرورات الحياة، وخلع عليه في كل مكان تقريباً صفة شرعية كاملة، ففي ميسورنا أن نغفل الدفاع عن اعتراف الإسلام به. ومع ذلك فإننا بدراستنا له، وبمقارنتنا بين عادات العرب في الجاهلية وبين الشريعة الإسلامية، نفوز بفرصة نظهر فيها أن القانون الإسلامي قد دشن في هذا المجال أيضاً إصلاحاً اجتماعياً. فقبل عهد محمد ﷺ كان العرف بين العرب قد جعل الطلاق عملاً بالغ السهولة.. أما القانون الإلهي فقد سن بعض القواعد التي تجيز إبطال الطلاق فحسب، بل التي توصي به في بعض الأحوال.. وليس للمرأة حق المطالبة بالطلاق، ولكنها قد تلتمس فسخ زواجها باللجوء إلى القاضي، وفي

(١) دفاع عن الإسلام، ص ٨٨.
(٢) نفسه، ص ٩٧-٩٨.

إمكانها أن تفوز بذلك إذا كان لديها سبب وجيه يبرره. والغرض من هذا التقيد لحق المرأة في المبادرة هو وضع حد لممارسة الطلاق؛ لأن الرجال يعتبرون أقل استهدافاً لاتخاذ القرارات تحت تأثير اللحظة الراهنة من النساء. وكذلك جعل تدخل القاضي ضماناً للحصول المرأة على جميع حقوقها المالية وغير المالية الناشئة عن إنجاز فسخ الزواج. وهذه القاعدة، والقاعدة الأخرى التي تنص على أنه في حال نشوب خلاف داخل الأسرة يتعين اللجوء إلى بعض الموفقين ابتغاء الوصول إلى تفاهم، تنهضان دليلاً كافياً على أن الإسلام يعتبر الطلاق عملاً جديراً باللوم والتعنيف. والآيات [القرآنية] تقرر ذلك في صراحة بالغة.. وثمة أحاديث نبوية كثيرة تحمل الفكرة نفسها..»[١].

٤ «اجتناباً للإغراء بسوء ودفعاً لنتائجه يتعين على المرأة المسلمة أن تتخذ حجاباً، وأن تستر جسدها كله، ما عدا تلك الأجزاء التي تعتبر حريتها ضرورة مطلقة كالعينين والقدمين. وليس هذا ناشئاً عن قلة احترام للنساء، أو ابتغاء كبت إرادتهن، ولكن لحمايتهن من شهوات الرجال. وهذه القاعدة العريقة في القدم، القاضية بعزل النساء عن الرجال،والحياة الأخلاقية التي نشأت عنها، قد جعلتا تجارة البغاء المنظمة مجهولة بالكلية في البلدان الشرقية، إلّا حيثما كان للأجانب نفوذ أو سلطان. وإذا كان أحد لا يستطيع أن ينكر قيمة هذه المكاسب فيتعين علينا أن نستنتج أن عادة الحجاب.. كانت مصدر فائدة لا تثمن للمجتمع الإسلامي»[٢].

٥ «إذا كانت المرأة قد بلغت، من وجهة النظر الاجتماعية في أوربة، مكانة رفيعة، فإن مركزها، شرعياً على الأقل، كان حتى سنوات قليلة جداً، ولا يزال في بعض البلدان، أقل استقلالاً من المرأة المسلمة في العالم الإسلامي؟ إن المرأة المسلمة إلى جانب تمتعها بحق الوراثة مثل أخوتها، ولو بنسبة أصغر، وبحقها في ألا تزف إلى أحد إلّا بموافقتها الحرة، وفي ألا يسيء زوجها معاملتها،

(١) نفسه، ص ١٠١ـ١٠٣.
(٢) نفسه، ص ١٠٣ـ١٠٤.

تتمتع أيضاً بحق الحصول على مهر من الزوج، وبحق إعالته إياها، وتتمتع بأكمل الحرية، إذا كانت مؤهلة لذلك شرعياً، في إدارة ممتلكاتها الشخصية»[١].

ليوبولد فايس

١ «[إن] الشريعة الإسلامية، بمقتضى الحكمة التي تأخذ الطبيعة البشرية بعين الاعتبار الكلي دائماً، لا تأخذ على عاتقها أكثر من صيانة الوظيفة الاجتماعية ـ البيولوجية للزواج (بما فيها طبعاً العناية بالنسل أيضاً) فتسمح للرجل بأن يتخذ لنفسه أكثر من زوجة واحدة، ولا تسمح للمرأة بأن تتخذ لنفسها أكثر من زوج واحد في الوقت نفسه، في حين أنها تترك للشريكين مسألة الزواج الروحية التي لا يمكن أن تقاس، وبالتالي تقع خارج دائرة الشريعة. فمتى كان الحب تاماً كاملاً فعندئذ تنعدم الرغبة عند كل منهما في الزواج ثانية ومتى كان الرجل لا يحب زوجته من كل قلبه، ولا يرغب مع ذلك في فقدها، فإن بإمكانه أن يتزوج بأخرى.. ومهما يكن فإنه لما كان الزواج في الإسلام عقداً مدنياً فحسب، فإن في إمكان الشريكين في الزواج أن يلجأ دائماً إلى الطلاق خصوصاً وأن الوصمة التي تلصق بالطلاق، سواء بشدة أقل أو أكثر، في المجتمعات الأخرى، معدومة في المجتمع الإسلامي»[٢].

٢ «إن الحرية التي تمنحها الشريعة الإسلامية كلاً من الرجل و المرأة على حد سواء لعقد الزواج، أو حل هذا العقد، يفسر السبب الذي من أجله تعتبر هذه الشريعة الزنى من أقبح الآثام: ذلك أنه تجاه هذا التسامح وهذه الحرية لا يمكن أن يكون هناك أيما عذر للوقوع في حبائل العاطفة أو الشهوة..»[٣].

٣ «[جاء] النبي ﷺ بما لم يسمع به من قبل من أن الرجال والنساء سواء أمام الله، وأن جميع الواجبات الدينية مفروضة على الرجل والمرأة على حد سواء. والحق أنه ذهب إلى أبعد من ذلك فأعلن أن المرأة شخص بملء حقها، وليس لمجرد صلتها بالرجل كأم أو زوجة أو أخت أو ابنة، وإنها لذلك من حقها

(١) نفسه، ص ١٠٦.
(٢) الطريق إلى مكة، ص ٣٠٠ـ٣٠١.
(٣) نفسه، ص ٣٠١.

أن تقتني ملكاً، وأن تتعاطى التجارة على حسابها ومسؤولياتها، وأن تهب نفسها لمن تشاء عن طريق الزواج»[١].

روجيه كارودي

١ «إن القرآن، من وجهة النظر اللاهوتية، لا يحدد بين الرجل والمرأة علاقة التبعية الميتافيزيقية: فالمرأة في القرآن توءم وشريكة للرجل؛ لأن الله يقول: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ [الذاريات: ٤٩]. و القرآن لا يُحمِّل المرأة المسؤولية الأولى للخطيئة»[٢].

٢ «إذا نحن قارنا قواعد القرآن بقواعد جميع المجتمعات السابقة فإنها تسجل تقدماً لا مراء فيه، ولا سيما بالنسبة لأثينا ولروما، حيث كانت المرأة قاصرة بصورة ثابتة»[٣].

٣ «في القرآن تستطيع المرأة التصرف بما تملك، وهو حق لم يعترف لها به في معظم التشريعات الغربية ولا سيما في فرنسا إلّا في القرن التاسع عشر والعشرين. أما في الإرث فصحيح أن للأنثى نصف ما للذكر، إلّا أنه بالمقابل تقع جميع الالتزامات، وخاصة أعباء مساعدة أعضاء الأسرة الآخرين، على عاتق الذكر. المرأة معفاة من كل ذلك. وهو يعطي المرأة حق طلب الطلاق، وهو ما لم تحصل عليه المرأة في الغرب إلّا بعد ثلاثة عشر قرناً»[٤].

٤ «في القرآن إقرار بتعدد الزوجات. إلّا أن هذا التعدد لم يؤسسه هو، كان موجوداً من قبل (وهو موجود كذلك في التوراة وفي الأناجيل)، وقد فرض عليه، على العكس، حدوداً مثل العدل التام بين مختلف الزوجات في الإنفاق والمحبة والمعاشرة الجنسية، وهي قواعد إذا ما أجري تطبيقها بحرفيتها تجعل تعدد الزوجات مستحيلاً»[٥].

---

(١) نفسه، ص ٣٠٦.
(٢) وعود الإسلام، ص ٧٨.
(٣) نفسه، ص ٧٨.
(٤) نفسه، ص ٧٨-٧٩.
(٥) نفسه، ص ٧٩.

٥ «يحسن ألّا ننسى بأن جميع ألوان الرقة في الحب والشفافية فيه.. على نحو ما ظهر في الغرب لدى شعراء التروبادور.. وفي قصائد دانتي.. من أصول عربية إسلامية..»(١).

هاملتون كب

١ «حين ننتهي من حذف الانحرافات [الفقهية المتأخرة] وشجبها، تعود تعاليم القرآن والرسول ﷺ الأصلية إلى الظهور في كل نقائها ورفعتها وعدالتها المتساوية إزاء الرجل و المرأة معاً. عندئذ نجد أن هذه التعاليم تعود إلى المبادئ العامة، وتحدد الفكرة التي يجب أن يوضع ويطبق القانون بمقتضاها أكثر من أن تعين صيغاً حقوقية حاسمة. وهذه الفكرة، فيما يخص المرأة، لا يمكنها إلّا أن تكون نابضة بالود الإنساني، وبشعور الاحترام لشخصيتها، والرغبة في محو الإضرار التي ألحقها بالمرأة سير المجتمع سيراً قاسياً وناقصاً فيما مضى. وبعدما ننتهي من استخلاص هذه الفكرة وهضمها، يمكننا أن نفهم التشريع الخاص بالقرآن فهماً صحيحاً، حالما نتوصل إلى ذلك نرى أن الموقف الإسلامي تجاه المرأة، والطريقة الإسلامية في فهم شخصيتها ونظامها الاجتماعي، وطريقة حماية التشريع الإسلامي لها، تفوق كثيراً ما هي عليه في الديانات الأخرى»(٢).

إيفلين كوبولد

١ «الحق أقول: إن الحب عندنا ـ وكما يفهمه الغربيون ـ ما يزال قريباً من الغريزة الجنسية، مقصورة دائرته أو تكاد، على ما تلهمه هذه الغريزة.. فإما المناطق العليا التي يرتفع الحب المهذب إليها، أما الحب بمعناه الإنساني السامي.. الحب على أنه عاطفة إنسانية سامية أساسها إنكار الذات والرقي النفسي إلى عالم الخير والجمال والحق، فهذا ما لا يفكر به أحد، أو يتصور وجوده إنسان، وهو إلى ذلك كله موجود في الإسلام، منطو في هذه الأخوة الإسلامية التي تجعل من الفرد عبداً يعمل لخير المجموع، وفرداً قصارى همه أن يعمل للإحسان والإحسان أبداً»(٣).

---

(١) نفسه، ص ٨٠.
(٢) الاتجاهات الحديثة في الإسلام، ص ١٢٣.
(٣) البحث عن الله، ص ٣٨.

٢ «لم تكن النساء [المسلمات] متأخرات عن الرجال في ميدان العلوم والمعارف، فقد نشأ منهن عالمات في الفلسفة والتاريخ والأدب والشعر وكل ألوان الحياة»(١).

٣ «لما جاء الإسلام رد للمرأة حريتها، فإذا هي قسيمة الرجل، لها من الحق ما له وعليها ما عليه، ولا فضل له عليها إلّا بما يقوم به من قوة الجَلَد، وبسطة اليد، واتساع الحيلة، فيلي رياستها، فهو لذلك وليها يحوطها بقوته ويذود عنها بدمه وينفق عليها من كسب يده، فأما فيما سوى ذلك فهما في السراء والبأساء على السواء. ذلك ما أجمله الله بقوله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌۗ﴾ [البَقَرَة: ٢٢٨]، وهذه الدرجة هي الرعاية والحياطة لا يتجاوزها إلى قهر النفس وجحود الحق، وكما قرن الله سبحانه بينهما في شؤون الحياة، قرن بينهما في حسن التوبة، وادخار الأجر، وارتقاء الدرجات العليا في الدنيا والآخرة. وإذا احتمل الرجل مشتقات الحياة، ومتاعب العمل، وتناثرت أوصاله، وتهدم جسمه في سبيل معاشه ومعاش زوجه؛ فليس ذلك بزائد مثقال حبة عن المرأة إذا وفت لبيتها، وأخلصت لزوجها، وأحسنت القيام في شأن دارها»(٢).

٤ «كتبت اللادي ماري مونتكاد، زوجة السفير الإنكليزي في تركيا إلى شقيقتها تقول: (يزعمون أن المرأة المسلمة في استعباد وحجر معيب، وهو ما أود تكذيبه؛ فإن مؤلفي الروايات في أوربة لا يحاولون الحقيقة ولا يسعون للبحث عنها، ولولا أنني في تركيا، وأنني اجتمعت إلى النساء المسلمات ما كان إلى ذلك سبيل، وإني أستمتع إلى أخبارهم وحوادثهم وطرق معيشتهم من سبل شتى، لذهبت أصدق ما يكتبه هؤلاء الكتاب، ولكن ما رأيته يكذب كل التكذيب إخبارهم، ولا أبالغ إذا قررت لك أن المرأة المسلمة ـ وكما رأيتها في الآستانة ـ أكثر حرية من زميلاتها في أوربا، ولعلها المرأة الوحيدة التي لا تعنى بغير حياتها البيتية، ثم إنهن يعشن في مقصورات جميلات، ويستقبلن من يُردن من الناس..»(٣).

---

(١) نفسه، ص ٥١.
(٢) البحث عن الله، ص ٨١ ـ ٨٢.
(٣) نفسه، ص ٨٥.

٥ «إن جهل النساء في الإسلام أمر لا يتفق وأوامر الرسول الكريم ﷺ، فقد أمر رسول الله ﷺ النساء بطلب العلم، وحظر الإسلام الجهل على المؤمنين به، وشدد في ذلك بما لا يدعو مجالاً للشبهة والتأويل»[١].

عبد الله كويليام

١ «.. إن زعماء النصرانية أبدلوا دين المسيح [عليه السلام] بما كانت ترمي إليه أهواؤهم، وأوجدوا عقائد أخرى من تلقاء ذاتهم، وتظاهروا في مقاومة الشهوات البشرية بالرهبنة والعزوبية.. واتخذوا ستاراً للفسق ولأعمالهم التضليلية حتى ضل الناس، وأشركوا بالواحد القهار، واتخذوا لفيفاً من هؤلاء القديسين والرهبان أرباباً من دون الله. فلما جاء الإسلام استأصل شأفة هذه الخزعبلات، وقضى على جميع الأباطيل والترهات، وأقيمت الحجة الثابتة على استهجان العزوبية، واعتبار الزواج كدليل للتقوى الحقيقية، وأنه من أوليات القواعد الدينية؛ إذ فيه بيان قدرة الخالق، ووحدانيته، وجلاله.. فالإسلام هو الذي حض على الزواج وأبطل الرهبنة..»[٢].

٢ «أما تعدد الزوجات فإن موسى [عليه السلام] لم يحرمها، وداود [عليه السلام] أتاها، وقال بها ولم تحرم في العهد الجديد (أي الإنجيل) إلّا من عهد غير بعيد. ولقد أوقف محمد ﷺ الغلو فيها عند حد معلوم. وعلى كل حال فإن مسألة تعدد الزوجات أمر شاذ كثيراً عن الدستور المعمول به في البلاد الإسلامية المتمدنة.. وهو بكل ما قيل فيه من القول الهراء لا يخلو من الفائدة، فقد ساعد على حفظ حياة المرأة، وأوجد لها في الشريعة حسن المساعدة. وتعدد الزوجات في البلاد الإسلامية أقل إثماً وأخف ضرراً من الخبائث التي ترتكبها الأمم المسيحية تحت ستار المدنية.. فلنخرج الخشبة التي في أعيننا أولاً، ومن ثم نتقدم لإخراج القذى من أعين غيرنا»[٣].

---

(١) نفسه، ص ٨٦.

(٢) العقيدة الإسلامية، ص ١٩، عن (كانن إسحاق تيلر في خطبة له بمؤتمر الكنيسة الإنكليزية بتاريخ ٧ أكتوبر سنة ١٨٨٧، نشر بجريدة التيمس في اليوم التالي).

(٣) نفسه، ص ٢٢-٢٣ عن (تيلر في خطبته المذكورة).

٣ «جاء في القرآن ﴿فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تَعۡدِلُواْ فَوَٰحِدَةً﴾ [النساء: ٣]. فيما يتعلق بمسألة تعدد الزوجات التي تنتقدون فيها على المسلمين ظلماً وعدواناً. إذ لا شك في أنكم تجهلون عدل النبي ﷺ بين أزواجه (رضوان الله عليهن) وحبه فيهن حباً مساوياً، مما علم المسلمين الانتماء للإنصاف بينهن. على أن القرآن لم يأمر بتعدد الزوجات، بل جاء بالحظر مع الوعيد لمن لا يعدل في الآية المتقدمة، ولذلك ترى اليوم جميع المسلمين منهم إلا القليل لا يتزوجون إلّا امرأة واحدة خوف الوقوع تحت طائلة ما جاء من الإنذار في القرآن المجيد. وإذا سلمنا على العموم بأن عدم تعدد الزوجات أوفق للمعاشرة الدنيوية من تكررهن، فلا نسلم بالاعتراف بذلك على الوجه المتعارف اليوم بأوربة من حصر الزواج في امرأة واحدة إذعاناً للقانون، واتخاذ عدة أزواج أخرى [غير شرعيات] من وراء الجدار..»[1].

٤ «.. ورد في القرآن نصوص كثيرة تثبت أن النساء لا يعاقبن في الدار الآخرة فقط على ما آتين من سيِّئ الأعمال، بل كذلك يُجازين خير الجزاء على ما يعلنه من طيب أعمالهن بمثل ما يكون للرجال. وعلى ذلك ترى أن اللّه سبحانه وتعالى لا تمييز عنده في الإسلام بين الأجناس»[2].

روم لاندو

١ «يوم كانت النسوة يعتبرن، في العالم الغربي، مجرد متاع من الأمتعة، ويوم كان القوم هناك في ريب جدي من أن لهن أرواحاً، وكان الشرع الإسلامي قد منحهن حق التملك. وتلقت الأرامل نصيباً من ميراث أزواجهن، ولكن البنات كان عليهن أن يقنعن بنصف حصة الذكر.. إلّا أن علينا أن لا ننسى أن الأبناء الذكور وحدهم كانوا، حتى فترة حديثة نسبياً، ينالون في الديار الغربية حصة من الإرث»[3].

---

(١) نفسه، ص ٣٨-٣٩ عن (لوازون في خطبة ألقاها بتونس، ونشرت في جريدة الحاضرة التي تصدر في تونس بتاريخ ٣ ديسمبر سنة ١٨٩٥).
(٢) نفسه، ص ١٤٣.
(٣) الإسلام و العرب، ص ٢٠٣.

لايتنر

١ «. . إن الزواج عند المسلمين يجلّ عما رماهم به كتاب النصارى. والقول بأنه لا يوجد حد للزواج والطلاق عند المسلمين فغير صحيح، والطلاق عندهم ليس هو بالأمر الهين، فعدا عن وجود المحكمين، فعلى الرجل أن يدفع صداقها المسمى عند إجراء العقد، وهذا غالباً يكون فوق ما يقدر زوجها على إيفائه بسهولة، فمركز المرأة بالإسلام قوي مُؤمَّن من الطلاق. إن النصارى والبوذيين يرون الزواج أمراً روحياً، ومع ذلك نرى عقدة النكاح محترمة عند المسلمين أكثر مما هي محترمة في البلاد المسيحية. . ويسوءني أن أذكر ما ليس لي مناص من ذكره، وهو أنني سكنت بين المسلمين أربعاً وخمسين عاماً ابتداؤها سنة ١٨٤٨، فمع وجود التساهل في أمر الطلاق عندهم وعسره عند النصارى، فقد وقع حوادث طلاق عند النصارى أكثر مما وقع عند المسلمين بكثير. وإني أقول الحق بأن الشفقة والإحسان عند المسلمين نحو عيالهم والغرباء والمسنين والعلماء لمثال مجدٍ على النصارى أن يقتدوا به»[1].

٢ «أما تعدد الزوجات. . فأنا بقطع النظر عن منافعه الحقيقية، لأنه يقلل النساء في الأماكن التي هن فيها أكثر من الرجال، وبقطع النظر عن أنه يقلل وجود المومسات وأضرارهن، ويمنع مواليد الزنى، فلا يمكننا أن ننكر بأن أكثر المسلمين ذوي زوجة واحدة، والسبب في ذلك هو تعليم دين الإسلام. لقد أتى محمد ﷺ بين أمة تعد ولادة الأنثى شراً عظيماً عليهم، وهكذا كانوا يُوئِدُونها، ولم يكن للرجال حد يقفون عنده من جهة الزواج، وكانوا يعدون النساء من جملة المتاع ويرثونها من بعد موت بعلها. فجعل ﷺ لهذه الحالة حداً يقدر الرجل أن يتزوج بأكثر من أربع نساء بشرط المساواة بينهن في كل شيء حتى بالمحبة والوداد، فإن لم يكن قادراً على كل ذلك فلا يباح له بأن يتزوج غير واحدة، ومن يتدبر شريعته يرى أنه قد حض على الزواج بامرأة واحدة، ولقد رفع مقام المرأة ورقاها رقياً عظيماً، فإنها بعد ما كنت تعد كمتاع مملوك؛ صارت مالكة، وحكمها مؤيد، وحقوقها محفوظة»[2].

---

(١) دين الإسلام، ص ١٠-١١.
(٢) نفسه، ص ١١.

٣ «أما بخصوص الرهبانية فليس لها وجود في الإسلام، وتكاد لا ترى امرأة غير متزوجة، وقصاص الزنى متساو فيه الرجل والمرأة.. والشريعة الإسلامية لا تسمح بإهانة أولاد المملوكة، وهو يرثون آباءهم مع أولاد السيدة.. وليس في الإسلام محلات للفاجرات، ولا قانون يبيح انتشار المومسات، ومسامرات المسلمين العمومية خير مما هي في أوربة. ومسامرات شبان المسلمين في المدارس خير وأطهر من مسامرات شبابنا.. والحق أولى أن يقال؛ فإن كثيراً من كلام شبان الإنكليز لو قاله أحد في بلاد المسلمين لنال قائله القصاص الصارم. وللمرأة المسلمة مركز شرعي خير من مركز المرأة الإنكليزية بكثير..»[1].

كوستاف لوبون

١ «تعد مبادئ المواريث التي نص عليها القرآن بالغة العدل والإنصاف.. ويظهر من مقابلتي بينها وبين الحقوق الفرنسية والإنكليزية أن الشريعة الإسلامية منحت الزوجات ـ اللائي يزعم أن المسلمين لا يعاشروهن بالمعروف ـ حقوقاً في المواريث لا تجد مثلها في قوانيننا..»[2].

٢ «لم يقتصر الإسلام على مبدأ تعدد الزوجات الذي كان موجوداً قبل ظهوره، بل كان ذا تأثير عظيم في حال المرأة في الشرق، والإسلام قد رفع حال المرأة الاجتماعي وشأنها رفعاً عظيماً بدلاً من خفضهما؛ خلافاً للمزاعم المكررة على غير هدى، والقرآن قد منح المرأة حقوقاً إرثية أحسن مما في أكثر قوانيننا الأوربية.. أجل أباح القرآن الطلاق كما أباحته قوانين أوربة التي قالت به، ولكنه اشترط أن يكون ﴿وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعُۢ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البَقَرَة: ٢٤١].. وأحسن طريق لإدراك تأثير الإسلام في أحوال النساء في الشرق هو أن نبحث في حالهن قبل القرآن وبعده»[3].

٣ «إذا أردنا أن نعلم درجة تأثير القرآن في أمر النساء؛ وجب علينا أن ننظر إليهن أيام ازدهار حضارة العرب، وقد ظهر مما قصه المؤرخون أنه كان لهن

---

(١) نفسه، ص ١٤ـ١٥.

(٢) حضارة العرب، ص ٣٨٩.

(٣) نفسه، ص ٤٠١.

من الشأن ما اتفق لأخواتهن حديثاً في أوربة. . إن الأوربيين أخذوا عن العرب مبادئ الفروسية، وما اقتضته من احترام المرأة. فالإسلام، إذاً، لا النصرانية، هو الذي رفع المرأة من الدرك الأسفل الذي كانت خلافاً للاعتقاد الشائع. وإذا نظرنا إلى نصارى الدور الأول من القرون الوسطى رأيتهم لم يحملوا شيئاً من الحرمة للنساء، وإذا تصفحت كتب التاريخ ذلك الزمن وجدت ما يزيل كل شك في هذا الأمر، وعلمت أن رجال عصر الإقطاع كانوا غلاظاً نحو النساء قبل أن يتعلم النصارى من العرب أمر معاملتهن بالحسنى»[1].

٤ «. . إن حالة [النساء المسلمات] الحضارة أفضل من حالة أخواتهن في أوربة حتى عند الترك. . وإن نقصان شأنهن حدث خلافاً للقرآن، لا بسبب القرآن على كل حال. . إن الإسلام هو الذي رفع المرأة كثيراً، بعيداً من خفضها، ولم نكن أول من دافع عن هذا الرأي، فقد سبقنا إليه [كثيرون]. .»[2].

٥ «إن تعدد الزوجات المشروع عند الشرقيين أحسن من تعدد الزوجات الريائي عند الأوربيين، وما يتبعه من مواكب أولاد غير شرعيين»[3].

٦ «إن النساء المسلمات قد أخرجن في الدهر الغابر من المشهورات العالمية بقدر تخريج مدارس الإناث في الغرب اليوم. .»[4].

نظمي لوقا

١ «المرأة في الإسلام إنسان له حقوق الإنسان، وكل تكاليفه العقلية والروحية، فهي في ذلك صنو الرجل، تقع عليها أعباء الأمانة التي تقع عليه، أمانة العقيدة والإيمان وتزكية النفس. . وقد نجد هذا اليوم من بدائه الأمور. ولكنه لم يكن كذلك في العالم القديم، في كثير من الأمم؛ حيث كانت المرأة تباع أحياناً كثيرة كما تباع السلعة. . وكانت في كثير من الأحيان منقوصة الأهلية لا تمارس التصرفات المالية والقانونية إلا عن طريق وليها الشرعي أو بموافقته، بل لم تكن

(١) نفسه، ص ٤٠٣.
(٢) نفسه، ص ٤٠٤-٤٠٥.
(٣) روح السياسة، (عن محمد كرد علي: الإسلام والحضارة العربية، ١/ ٨٣).
(٤) نفسه، ١/ ٨٣.

تملك تزويج نفسها على الخصوص، وإنما الأمر في ذلك لوليها يجريه على هواه ـ وأكثر من هذا، كانت قبائل العرب في الجاهلية تئد البنات كراهة لهن، وازدراء لشأنهن، ومن لم يُوئدهنّ كان يضيق بهن ضيقاً شديداً . . »[١].

٢ «في سور القرآن إشارة إلى مساواة عند اللّه بين الذكر والأنثى بغير تفريق في التكليف أو الجزاء، وإشارة صريحة إلى مساواة المرأة والرجل في ثمرات الأعمال والجهود . . وفي بعض الأمم القديمة والحديثة، كانت المرأة تحرم غالباً من الميراث، فأبى الإسلام هذا الغبن الفاحش . . . »[٢].

٣ «ليس الإسلام ـ على حقيقته ـ عقيدة رجعية تفرق بين الجنسين في القيمة. بل إن المرأة في موازنته تقف مع الرجل على قدم المساواة. لا يفضلها إلّا بفضل، ولا يحبس عنها التفضيل إن حصل لها ذلك الفضل بعينه في غير مطل أو مراءاة، وما من امرأة سوية تستغني عن كنف الرجل بحكم فطرتها الجسدية والنفسية على كل حال، وذلك حسب عقيدة صالحة لكل طور اجتماعي على تعاقب الأطوار والعصور، على سنة العدل التي لم يجد لها عصرنا اسماً أوفق من (تكافؤ الفرص)، الذي يلغي كل تفريق، ويسقط كل حجة، ويقضي على التميز إلّا بامتياز ثابت صحيح»[٣].

٤ «[العلاقة الزوجية في الإسلام] ليست مسافدة حيوانية بين ذكر وأنثى، على إطلاق بواعث الرغبة والاشتهاء الغريزي بين جنسي النوع البشري. لغير هذا قامت كوابح الآداب وضوابط الشرائع والعقائد ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١]. وهكذا جاء في سورة الروم، وإني لأرى في قوله (من أنفسكم) لمسة تمس شغاف القلب، وتذكر بما في الزوج من قربى تجعل الزوجة قطعة من نفس، ثم أردف ذلك بالسكن، وما أقرب السكن في هذا الباب من سكينة النفس لا من مساكنة الأجساد! بدليل ما أردف بذلك من المودة والرحمة . . وتلك عليا مقاصد المعاشرة الإنسانية،

---

(١) محمد الرسالة والرسول، ص ٩٥ـ٩٦.
(٢) نفسه، ص ٩٦.
(٣) نفسه، ص ١٠٠ـ١٠١.

بما فيها من غلبة الروح على نزوات الأجساد، ودفعات الرغبة العمياء. فالزواج مطلب نفسي وروحي عند الانسان، وليس مطلباً شهوياً جسدياً وإن كان له أساس جسدي..»[١].

٥ «كان لابد من إصلاح ما بين الإنسان وبين نفسه التي بين جنبيه بعقيدة موفقة بين الدين والدنيا، وقد نهض بهذا الإسلام، وكانت سنته في الزواج كفاءة خطته في جوانب الهداية البشرية الفطرية، لتحرير البشر من الذعر والخزي وعقدة الإثم الشوهاء التي كبلته، ولم تزل تكبل الكثيرين عن انطلاقة الحياة، وسوء الفطرة»[٢].

مارش[٣]

١ «.. على فرض وجود بعض القيود على المرأة المسلمة في ظل الإسلام، فإن هذه القيود ليست إلّا ضمانات لمصلحة المرأة المسلمة نفسها، ولخير الأسرة، والحفاظ عليها متماسكة قوية، وأخيراً فهي لخير المجتمع الإسلامي بشكل عام»[٤].

٢ «لقد لاحظت أن المشكلات [العائلية التي يعاني منها الغرب] لا وجود لها بين الأسر المسلمة التي تنعم بالسلام والهناء وكذلك الحب، فلا الزوج ولا زوجته في ظل الإسلام يعرفان شيئاً عن موعد العشاق، ومودة الصديقات السائدين هذه الأيام في الأقطار غير الإسلامية. لقد أحببت هذا الجانب من الحياة الإسلامية حباً كثيراً، لأنه يمنح الزوج والزوجة والأبناء ما لابد لهم عنه من حب وإخلاص

(١) محمد الرسالة والرسول، ص ١٠٦-١٠٧.
(٢) نفسه، ص ١١٥-١١٦.
(٣) سالي جان مارش: سلوى جان مارش S.J Marsh
ولدت في واشنطن عام ١٩٤٥ في عائلة بروتستانتية. حصلت على درجة الماجستير في العلوم السياسية من واشنطن، كما تفرغت لدراسة اللغة العربية بجامعة الكويت. قرأت كثيراً عن معظم الأديان المعروفة في الغرب، فلم يقبل عقلها أي واحد منها، فلما التقت بالإسلام (أحست منذ البداية أنها تؤمن بكافة تعاليمه بحكم فطرتها التي فطرها الله عليها فانتمت إليه).
(٤) رجال ونساء أسلموا، ٨/ ٤٦.

وسلام يعمر حياتهم. وليس ذلك فحسب بل بفضل هذا الإخلاص في العلاقات الزوجية بين المسلمين، هم واثقون أن أبناءهم حقاً من صلبهم غير دخلاء عليهم. وهذا مفقود في المجتمعات الأخرى»[١].

ماكلوسكي[٢]

١ «.. في ظل الإسلام استعادت المرأة حرياتها، واكتسبت مكانة مرموقة. فالإسلام يعتبر النساء شقائق مساوين للرجال، وكلاهما يكمل الآخر»[٣].

٢ «لقد دعا الإسلام إلى تعليم المرأة، وتزويدها بالعلم والثقافة لأنها بمثابة مدرسة لأطفالها. وقال رسول الله ﷺ: (طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة). لقد منح الإسلام المرأة حق التملك وحرية التصرف فيما تملك. وفي الوقت الذي نرى فيه أن المرأة في أوربة كانت محرومة من جميع هذه الحقوق إلى عهد قريب جداً، نجد أن الإسلام قد منح المرأة بالإضافة إلى ما تقدم حق إبرام العقود للزواج. والمهر في نظر الإسلام هو حق شخصي للمرأة. والمرأة في الإسلام تتمتع بحرية الفكر والتعبير..»[٤].

٣ «[إن] المرأة [المسلمة] معززة مكرمة في كافة نواحي الحياة، ولكنها اليوم مخدوعة مع الأسف ببريق الحضارة الغربية الزائف. ومع ذلك فسوف تكتشف يوماً كم هي مضللة في ذلك، أن تعرف بعد الحقيقة»[٥].

٤ «إن الإسلام يحضنا على القيام بالعمل المثمر، شريطة أن نلتزم نحن النساء بالحشمة في لباسنا، وأن نستر جمال أجسادنا. وعلينا أن نكون جادين في حديثنا. وهكذا فالإسلام لا يمنع المرأة من ممارسة أي عمل شريف يناسب

---

(١) نفسه، ٨/٤٦-٤٧.

(٢) منى عبد الله ماكلوسكي Muna A.Maclosky الألمانية، تعمل قنصلاً لبلادها، ألمانيا الاتحادية، في بنغلادش، اهتدت إلى الإسلام في مطلع عام ١٩٧٦، على يد شيخ الجامع الأزهر الدكتور عبد الحليم محمود ـ رحمه الله ـ وشعرت يومها «كأنها ولدت من جديد».

(٣) رجال ونساء أسلموا، ٩/٦٢.

(٤) نفسه، ٩/٦٢-٦٣.

(٥) نفسه، ٩/٦٣.

طبيعتها. إلّا أن أقدس واجب على المرأة هو واجبها الطبيعي في خدمة أسرتها، والعناية بأعضائها؛ لأن جزاءها على هذا يعادل أجر المقاتلين في سبيل اللّه، والمرأة المسلمة مازالت تقوم بهذه الواجبات بكل اعتزاز»[١].

٥ «إن نشاطات المرأة المسلمة قد تمتد أحياناً خارج المنزل، فبعض النساء المسلمات كن يقمن بمسؤوليات عامة.. في الحرب والتجارة. ولكن ذلك كله كان في إطار الخلق الكريم»[٢].

روزماري هاو

١ «الحجاب شيء أساسي في الدين الإسلامي؛ لأن الدين ممارسة عملية أيضاً، والدين الإسلامي حدد لنا كل شيء. كاللباس والعلاقة بين الرجل والمرأة. الحجاب يحافظ على كرامة المرأة ويحميها من نظرات الشهوة، ويحافظ على كرامة المجتمع، ويكف الفتنة بين إفراده؛ لذلك يحمي الجنسين من الانحراف، وأنا أومن أن السترة ليست في الحجاب فحسب، بل يجب أن تكون العفة داخلية أيضاً، وأن تحجب النفس عن كل ما هو سوء»[٣].

٢ «إن الإسلام قد كرم المرأة وأعطاها حقوقها كإنسانة، وكامرأة، وعلى عكس ما يظن الناس من أن المرأة الغربية حصلت على حقوقها. فالمرأة الغربية لا تستطيع مثلاً أن تمارس إنسانيتها الكاملة وحقوقها مثل المرأة المسلمة. فقد أصبح واجباً على المرأة في الغرب أن تعمل خارج بيتها لكسب العيش. أما المرأة المسلمة فلها حق الاختيار، ومن حقها أن يقوم الرجل بكسب القوت لها ولبقية إفراد الأسرة. فحين جعل الله سبحانه وتعالى للرجال القوامة على النساء كان المقصود هنا أن على الرجل أن يعمل ليكسب قوته وقت عائلته. فالمرأة في الإسلام لها أهم وأكبر من مجرد الوظيفة، وهو الإنجاز، وإذا اقتضت ظروفها ذلك»[٤].

---

(١) نفسه، ٩/ ٦٣-٦٤.
(٢) نفسه، ٩/ ٦٤.
(٣) رجال ونساء أسلموا، ٨/ ٢٥ ـ ٢٦.
(٤) نفسه، ٨/ ٢٨.

٣ «.. أنا أفهم أن الإسلام يعتبر الزوج أقرب صديق لزوجته، إذ تكن له كل ما في نفسها؛ لأن الزواج في الإسلام علاقة حميمة مبنية على شريعة اللّه لا تضاهيها العلاقات العادية الأخرى..»(١).

زيفريد هونكه

١ «إن احترام العرب العالم النساء واهتمامهم به ليظهروا بوضوح عندما نرى أنهم خصوه بفيضهم من العطور بأنواع الزينة؛ التي وإن لم تكن غير مجهولة قبلهم، إلّا أنها فاحت بثروة الشرق العطرية الزكية، وبالأساليب الفائقة في تحضيرها. كذلك فإن العثنون الذي كان يزين الوجوه الحليقة، منذ حملات الصليبين، على طريقة النبي محمد ﷺ قد أصبح نموذجاً يقلده الرجال»(٢).

٢ «.. قاوم العرب كل التيارات المعادية [للمرأة] واستطاعوا القضاء على هذا العداء للمرأة والطبيعة، وجعلوا من منهجهم مثالاً احتذاه الغرب ولا يملك الآن منه فكاكاً، وأصبح الاستمتاع بالجمال جزءاً من حياة الأوربيين شاؤوا أم أبوا»(٣).

٣ «..ظلت المرأة في الإسلام تحتل مكانة أعلى وأرفع مما احتلته في الجاهلية. ألم تكن خديجة [رضي الله عنها] زوجة النبي ﷺ الأولى، التي عاش معها أربعة وعشرين عاماً، أرملة لها شخصيتها ومالها ومكانتها الرفيعة في مجتمعها؟ لقد كانت نموذجاً لشريفات العرب، أجاز لها الرسول ﷺ أن تستزيد من العلم والمعرفة كالرجال تماماً؛ وسار الركب وشاهد الناس سيدات يدرسن القانون والشرع، ويلقين المحاضرات في المساجد وفسرن أحكام الدين. فكانت السيدة تنتهي دراستها على يد كبار العلماء، ثم تنال منهم تصريحاً لتدرس هي بنفسها ما تعلمته، فتصبح الأستاذة الشيخة. كما لمعت من بينهن أديبات وشاعرات، والناس لا ترى في ذلك غضاضة أو خروجاً على التقاليد»(٤).

---

(١) نفسه، ٨/ ٢٩.
(٢) شمس العرب تسطع على العرب، ص ٥٣.
(٣) نفسه، ص ٤٦٨.
(٤) نفسه، ص ٤٧٠.

٤ «إن النساء في صدر الإسلام لم يكن مظلومات أو مقيدات، ولكن هل دام هذا طويلاً؟ لقد هبت على قصور العباسيين رياح جديدة قدمت من الشمال فغيرت الأوضاع، وقدم الحريم مع الجاريات الفارسيات واليونانيات.. وكان أن حرمت المرأة العربية من مكانتها الرفيعة في المجتمع، وقيدت حريتها حين سيطرت على المجتمع العادات الفارسية القديمة. والإسلام بريء من كل ما حدث، والرسول ﷺ لم يأمر قط بحجب النساء عن المجتمع. لقد أمر المؤمنين من الرجال والنساء على حد سواء، بأن يغضوا الطرف، وأن يحافظوا على أعراضهم وأمر النساء بألا يظهرن من أجسادهن إلّا ما لا بد من ظهوره، وألا يظهرن محاسن أجسادهن إلّا في حضرة أزواجهن»[1].

٥ «الإسلام قدس الزواج وطالب بالعدل بين الزوجتين أو الثلاث أو الأربع في المعاملة ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾ [النساء: ٣]. أليس هذا نصاً صريحاً يطلب فيه من المؤمنين ألّا يتزوجوا بأكثر من واحدة إلّا إذا كان في استطاعتهم تحري العدل بين النساء؟ والمشكلة لم تكن اقتصادية فحسب، فمؤرخو العرب يذكرون أن العربي الأصيل المؤمن لم يكن يتخذ إلّا زوجة واحدة يبقى مخلصاً لها، وتبقى هي مخلصة له حتى يفرق بينهما الموت»[2].

مونتكومري وات

١ «إن الفكرة الرائدة في القرآن، هي أنه إذا تبنى المسلمون تعدد الزوجات، فإن جميع الفتيات اللواتي هن في سن الزواج يمكنهن الزواج بصورة حسنة»[3].

٢ «.. كان [تعدد الزوجات] عادة غريبة على تفكير أهل المدينة. وقد عالج هذا التغيير المساوئ التي نتجت عن ازدياد الفردية. إذ إن تعدد الزوجات يمنح للنساء الكثيرات بالزواج الشريف، كما يضع حداً لاضطهاد الأرامل اللواتي تحت الوصاية، كما يخفف من إغراء الزواج المؤقت الذي يسمح به مجتمع عربي

(١) نفسه، ص ٤٧٠-٤٧١.
(٢) شمس العرب تسطع على العرب، ص ٤٧٢.
(٣) محمد في المدينة، ص ٤٢٢.

ذو عوائد أمية. ويجب اعتبار هذا الإصلاح، بالنظر لبعض العادات السائدة آنذاك، تقدماً مهماً في تنظيم المجتمع»[١].

٣ «لقد قام محمد ﷺ في ميدان الزواج والعلاقات العائلية، بتنظيم عميق واسع للبناء الاجتماعي. وقد وجدت قبله نزعات جديدة فردية، ولكن أثرها كان هداماً أكثر منه بناء. وكان عمل محمد ﷺ بهذا الصدد يقوم على استخدام هذه النزعات الفردية لتكون بناء جديد. فقد انهارت عادات المجتمعات القبلية وتقاليدها، فأنقذ محمد ﷺ منها ما يمكن إنقاذه وحوله إلى المجتمع الفردي الجديد. وهكذا استطاع توليد نظام عائلي ظهر مرضياً ومغرياً في مجتمع عائلي ينتقل من مرحلة الجماعية إلى مرحلة الفردية»[٢].

٤ «كانت التشريعات القرآنية تهدف إلى أن لا يتعدى الوصي على حقوق أي قاصر أو امرأة في الميراث الطبيعي..»[٣].

٥ «.. بالرغم من أن الإنسان [المسلم] يملك ممتلكاته في حياته، ويستطيع التصرف بها كما يشاء؛ فهو مسؤول عنها أمام عائلته»[٤].

واندر[٥]

١ «من خلال معايشتي للمسلمين اكتشفت العلاقة الرائعة بين إفراد الأسرة المسلمة، تعرفت كيف يعامل الآباء المسلمون أبناءهم، وعرفت العلاقة الوثيقة التي تربط إفراد الأسرة المسلمة، كما أعجبت بالمكانة التي يتمتع بها كبار السن بين المسلمين. وفي الوقت الذي أجد فيه كبار السن في الغرب وفي بلادي

(١) نفسه، ص ٤٢٣-٤٢٤.
(٢) نفسه، ص ٤٤١.
(٣) نفسه، ص ٤٤٣.
(٤) نفسه، ص ٤٤٧.
(٥) جاري واندر Gary Wander
صحفي أميركي يعمل في صحيفة (كويت تايمز). من مواليد نيويورك. نشأ في ظل أسرة بروتستانتية. تخرج من قسم العلوم السياسية بجامعة نيويورك. زار عدداً من البلاد العربية حيث وجد نفسه يندفع لاعتناق الإسلام. وهو الآن في العقد الرابع من عمره.

أمريكا، قمة الحضارة الغربية المادية المعاصرة، يلقى بهم في مؤسسات العجزة، وينبذون فلا يلتفت إليهم أحد، أجد الجد والجدة المسلمين في مركز الأسرة وبؤرتها من حيث الحفاوة والتكريم. ولقد أحببت ذلك كثيراً..»[1].




(١) رجال ونساء أسلموا، ٧/١٠٦.



الفصل السابع

الحاضر والمستقبل

«ليس هناك أي دين آخر غير الإسلام لديه الإمكانية لحل كافة مشكلات الناس في العالم الحديث، وهذا هو امتياز الإسلام وحده..»

السياسي والصحفي الهندي كوفهي لال جابا

دوكلاس آرشر

١ «لو أحسن عرض الإسلام على الناس لأمكن به حل كافة المشكلات، ولأمكن تلبية الحاجات الاجتماعية والروحية والسياسية؛ للذين يعيشون في ظل الرأسمالية والشيوعية على السواء. فقد فشل هذان النظامان في حل مشكلات الإنسان. أما الإسلام فسوف يقدم الأمن والأمان للأشقياء، والأمل والهدى للحيارى والضالين. وهكذا فالإسلام لديه أعظم الإمكانات لتحدي هذا العالم، وتعبئة طاقات الإنسان لتحقيق أعلى مستوى من الإنتاج والكفاية»[١].

سير توماس أرنولد

١ «إن عدم وجود التعصب الطائفي ليكون القوة الحقيقية للإسلام في الهند، ويمكن له أن يجذب إليه عدداً كبيراً جداً من الهندوكية»[٢].

٢ «في سنة ١٨٦٧ عبَّر كاتب روسي، في كتاب هام كتبه عن الإسلام في الصين[٣] عن الفكرة التي تقول بأن الإسلام مهيأ لأن يصبح الدين القومي للإمبراطورية الصينية، ولأن يقلب تبعاً لذلك الأوضاع السياسية في العالم الشرقي رأساً على عقب»[٤].

٣ «كان اعتناق أي دين يخالف ديانة الكنيسة الأرثوذكسية في روسيا، أمراً محرماً في القانون الروسي، ومن ثم توقف الإسلام عن أي تقدم جديد، إلى أن صدر مرسوم التسامح الديني سنة ١٩٠٥. ومن النتائج التي ترتبت على صدور هذا المرسوم في بلاد القوقاز، أن دخلت جموع كثيرة في الإسلام بين طوائف الأبخاز Abkhazes الذين كانوا قد ظلوا فترة طويلة يدينون بالمسيحية اسماً فقط، ولكنهم الآن قد أصبحوا مسلمين، في جموع بلغ من ضخامتها أن رجال الكنيسة

---

(١) رجال ونساء أسلموا، ٥/ ٥٧.

(٢) الدعوة إلى الإسلام، ص ٣٢٧.

(٣) Vasilev (V.P.): Spread of Mohammedan Faith in China, PP.3,5,14,17 (Petesburg,1867).

(٤) الدعوة إلى الإسلام، ص ٣٤٧.

الأرثوذكسية قد أخذ الخوف منهم كل مأخذ؛ حتى أقاموا جمعية خاصة تقوم بتوزيع منشورات دينية بينهم، أملاً في مناهضة النفوذ الإسلامي»(١).

٤ «هنالك في الوقت الحاضر عاملان رئيسيان.. يعملان على تنشيط الدعوة في العالم الإسلامي. أولهما انتعاش الحياة الدينية التي يبدأ تاريخها من حركة الإصلاح الوهابية في القرن الثامن عشر.. والتي ترى تأثيرها من حيث هي نهضة دينية ملموساً في كافة أنحاء إفريقية والهند وأرخبيل الملايو، حتى إلى الوقت الحاضر، كما أحيت كثيراً من الحركات التي أحرزت قصب السبق بين أقوى المؤثرات في العالم الإسلامي. وقد أوضحنا كيف أن كثيراً من البعوث الإسلامية الحديثة، يرتبط ارتباطاً وثيقاً بتلك الحركة الواسعة النطاق، وأن ما أثارته هذه الحركة من حماسة متقدة، وما سكبته في النظم الدينية القائمة من حياة جديدة، وما بثته في الدراسة الدينية النظرية، وتنظيم الشعائر المنسكية من روح دافعة، إن ذلك كله قد عمل على إيقاظ روح الإسلام الفطرية التي جبلت على نشر تعاليم الدعوة، كما عمل الإبقاء عليها. وهناك عامل آخر يسير مع هذه الحركة الإصلاحية جنباً إلى جنب.. ذلك هو حركة الوحدة الإسلامية التي تسعى إلى ربط جميع شعوب العالم الإسلامي برباط مشترك من المودة والتعاطف.. [فتهب] روحاً قوية تدفع إلى القيام بأعمال نشر الدعوة، وإن الجهد الذي يحقق في الحياة الدنيا المثل الإسلامي الأعلى في أخوة المؤمنين كافة؛ لينعكس على مثل العقيدة العليا المكملة، وأن معنى وحدة شاملة وحياة شاملة وحياة مشتركة تجري في هذه الشعوب، لينفخ في قلوب المؤمنين روحاً وحياة، ويخلق فيها الجرأة على التحدث بين يدي الكفار، أما معرفة ما ستحدثه هاتان الحركتان من تأثير أبعد مدى في حياة الدعوة الإسلامية؛ فإن المستقبل وحده كفيل ببيان ذلك. على أن مجرد نشاطهم في الوقت الحاضر دليل على أن الإسلام لم يمت. ولم يكن النشاط الروحي للإسلام، كما زعم عدد كبير جداً من الناس، متماشياً مع سلطانه السياسي، بل على العكس من ذلك، نجد فقدان السلطة السياسية والانتصار المادي، يعمل على إبراز أجمل الصفات الروحية؛ التي تعد أصدق البواعث التي تحفز على القيام بأعمال الدعوة.

(١) نفسه، ص ١٢٢.

وقد تعلم الإسلام منافع الشدائد، ولما كان بعيداً كل البعد عن الانحدار إلى الرخاء المادي لكونه نذير انحلال هذا الدين، كان من المهم أن تلك البلاد الإسلامية الخالصة، التي عاشت أطول وقت في ظل الحكم المسيحي، تتجلى كأشد ما تكون نشاطاً في القيام بنشر تعاليم الدعوة. ويظهر مسلمو الهند والملايو من الحماس والغيرة في نشر الدين ما لا نجده في تركيا أو في مراكش»[١].

ج. ك. برغ

١ «مما يعني الباحثين في الإسلام في إندونيسيا عناية خاصة أن تأثير شعور الوحدة الإسلامية القديم يمكن أن يتجلى أيضاً في حركات كثيرة، وأظهر ما يكون هذا في حركة شعبية مثل (شركة إسلام) التي زاد أعضاؤها على مليونين في بعض الأحيان، وأن تاريخها ليبين أنها تكونت من عناصر غير متجانسة، وأن هذه العناصر لم تشعر قط بما بينها من اختلاف»[٢].

٢ «.. إن أفكاراً أوربية مخالفة في جوهرها للأفكار التي كانت سائدة قبل ذلك وجدت لها مكاناً خفياً في مركز العالم الإسلامي.. وأحدثت عملية انحلال انتهت في ميدان السياسة بتكوين ممالك صغرى مشربة بالروح الأوربية.. وأصبحت الأمة الإسلامية على وشك التمزق..»[٣].

٣ «إن التعليم على الأسلوب الأوربي الجديد ـ وهو غريب عن روح الإسلام غرابته عن روح المسيحية ـ يضع وهو صامت بذور أكثر مما حدث»[٤].

مارسيل بوازار

١ «.. هاهو الإسلام يؤكد طموحه السياسي على المستوى العالمي، ويتابع انتشاره بانتظام، ولا سيما في إفريقية السوداء. وإذا نظر إلى قيام الإسلام

(١) نفسه، ص ٤٦٨ـ٤٦٩.
(٢) وجهة الإسلام (بإشراف كب)، ص ١٨٤.
(٣) نفسه، ص ٢٠٠.
(٤) نفسه، ص ٢٠١.

ووحدته، وتبين أنه ليس مجرد جسم ميت نقشت عليه ذكرى ماض مجيد، وإنما هو واقع حي حقاً»[(١)].

٢ «.. يتمثل الذي يجد العالم الإسلامي المعاصر نفسه في قدرته على إيجاد الوسائل اللازمة لتحقيق (نهضة) فكرية وسياسية، ولا يمكن أن تقوم هذه النهضة من دون الإسلام..»[(٢)].

٣ «.. يظهر أن التغيير السياسي ـ الاجتماعي اللازم للتكيف مع العالم العصري يظل مشروطاً، بشكل واسع، بقيام (نهضة) دينية؛ لأن الإسلام الراشد يرفض فصل الروحي عن الزمني»[(٣)].

٤ «ثبت أن الإسلام روح كل مقاومة يبديها شعب مغلوب سياسياً.. ومحك كل مقاومة.. وفي إفريقية ساهم الدين في إقامة مجتمع جديد خارج النطاق القبلي أكثر جدارة بمقاومة التأثير الأجنبي. وفي آسيا تماسك الإسلام المرن، ونما في وجه النفوذ الاستعماري.. وقد حمل الإسلام في أكثر الأحيان راية الصراع مع الاستعمار»[(٤)].

٥ «.. [إن] هناك إجماعاً على الجهر بأنه لا يمكن اعتبار الإسلام مسؤولاً عن جمود العالم الإسلامي الطويل وانحطاطه. بل تعزى الأمراض الحاضرة على العكس من ذلك إلى المسلمين الذين أهملوا العيش وفق مبادئ دينهم. وإذا كانوا قد فقدوا الرخاء المادي الذي كانوا ينعمون به تاريخياً، فلأنهم بالتحديد أهملوا التقيد بـ (نصف الشريعة الإلهية)، ولكشف النقاب عن الذي انسدل على العالم الإسلامي ينبغي أن نلح على الطابع العقلاني الكامل للتنزيل، وعلى الطاقات اللامحدودة الكامنة في السنة النبوية. فحين كان المسلمون يحيون حسب إرشادات الدين التي تحض على التفكير، وتشجيع الروح النقدي، أثبت الإسلام أنه حامل مشعل التقدم والرقي»[(٥)].

---

(١) إنسانية الإسلام، ص ٣٥.
(٢) نفسه، ص ٧٥.
(٣) نفسه، ص ٧٨.
(٤) نفسه، ص ٣٠٠ـ٣٠١.
(٥) نفسه، ص ٣٠٥.

أرنولد توينبي

١ «أما حركة التغريب المتطرفة التي قادها مصطفى كمال أتاتورك، فإننا نشك فيما إذا كان بعد نظر أتاتورك الخيالي، وقدرته الموجهة، قادرين وحدهما على زحزحة الأتراك من وضعهم المحافظ القديم، لو لم يواجه الأتراك بعد الحرب العالمية الأولى اختياراً صعباً لا يمكن الهروب منه: إما تغريب بدون تحفظ، وإما فناء محقق! والحقيقة أن الهجوم الغربي المعاكس على العالم الإسلامي.. قد تأثر إلى حد كبير بالذكريات المرة التي كان يحملها الغربيون عن البسالة العسكرية المشهودة عند الأتراك والشعوب الإسلامية الأخرى»(١).

٢ «الآن، بعد أن طويت المسافات بتقدم التقنية الغربية، وفي الوقت الذي تتنافس فيه طرق الحياة الغربية مع الحياة الروسية لكسب ولاء البشرية كلها، الآن يظهر أن التقليد الإسلامي في أخوة الإنسان للإنسان هو مثل أعلى يوافق حاجات العصر الاجتماعية، وهو أفضل من التقليد الغربي؛ الذي أدى إلى قيام عشرات الدول الصغيرة ذات السيادة. وفي الواقع الحاضر الذي يجد الغرب نفسه فيه منذ الحرب العالمية الثانية، نرى أن تجزئته إلى أكثر من أربعين دولة مستقلة ذات سيادة يهدد بانهيار البيت كله على من فيه، بسبب انقسامه هكذا على نفسه. ومن المأمول أن يستطيع العالم الإسلامي، على كل حال، إيقاف انتشار هذا الداء السياسي الغربي.. وذلك عن طريق الشعور الإسلامي القوي بالوحدة»(٢).

٣ «ليس من الضروري للدولة الإسلامية الأخرى أن تتبع تماماً الطريق التي سلكها (الرواد) الأتراك. هناك مثلاً الدول الإسلامية الناطقة بالعربية، حيث اللغة المشتركة المتكلمة بلهجات مختلفة، ولكنها تكتب بأسلوب أدبي لغوي واحد من شواطئ المحيط الأطلسي في مراكش إلى الحدود الغربية لإيران، ومن حلب والموصل في الشمال إلى الخرطوم وعدن ومسقط وزنجبار في الجنوب؛ لأن اللغة العربية هي لغة الدين حتى في البلاد الإسلامية التي لا تتكلم العربية كلغة أصلية. فهل من الضروري حقاً أن يتفتت العالم العربي كما تفتتت الإمبراطورية الإسبانية في

---

(١) الإسلام والغرب والمستقبل، ص ١٨.
(٢) نفسه، ص ٢٨.

أمريكا إلى عشرين دولة مستقلة عن بعضها، تعيش في قوالب ضعيفة (غربية النمط؟!.. هذا هو الوجه الثاني الكالح لحضارتنا الغربية، ومن المؤسف حقاً أن تقلده الشعوب الناطقة بالعربية تقليداً تاماً»[1].

٤ «إن باستطاعتنا أن نميز بعض مبادئ الإسلام التي إذا طبقت في الحياة الاجتماعية للبروليتاريا العالمية الحديثة، ويمكن أن تأتي بنتائج حسنة مفيدة لهذا المجتمع الكبير في المستقبل القريب. هناك مصدران ظاهران من مصادر الخطر، الأول نفسي والثاني مادي في العلاقات الحاضرة بين البروليتاريا العالمية وبين الفئة الحاكمة في مجتمعنا الغربي، ومصدرا الخطر هذان هما (١) التمييز العنصري، (٢) الخمر. وفي مجال الصراع ضد هذين الشرين نجد للفكر الإسلامي دوراً يؤديه ويبرهن فيه ـ إذا سمح له بتأدية هذا الدور ـ عن قيم اجتماعية وأخلاقية سامية. فعدم وجود التمييز العنصري بين المسلمين هو أحد أبرز الإنجازات الأخلاقية للإسلام، والعالم المعاصر في وضعه الراهن بحاجة ماسة لنشر هذه الفضيلة الإسلامية.. إن قوى التسامح العنصري ذات أهمية ضخمة للإنسانية، وهي الآن ـ على ما يظهر ـ تخوض معركة خاسرة على الصعيد الفكري، إلّا أنها قد تتمكن من الغلبة إذا ساندها ونزل إلى جانبها في المعركة رصيد من النفوذ القوي المناضل؛ الذي لم يزل حتى الآن احتياطياً. والذي أتصوره أن روح الإسلام ستكون التعزيز المناسب الذي سيقرر مصير هذه المعركة لمصلحة التسامح والسلام»[2].

٥ «صحيح أن الوحدة الإسلامية نائمة، ولكن يجب أن نضع في حسابنا أن النائم قد يستيقظ إذا ثارت البروليتاريا العالمية للعالم المتغرب ضد السيطرة الغربية، ونادت بزعامة معادية للغرب، فقد يكون لهذا النداء نتائج نفسانية لا حصر لها في إيقاظ الروح النضالية للإسلام، حتى ولو نامت نومة أهل الكهف، إذ يمكن لهذا النداء أن يوقظ أصداء التاريخ البطولي للإسلام. وهناك مناسبتان تاريخيتان كان الإسلام فيهما رمز سمو المجتمع الشرقي في انتصاره على الدخيل الغربي: ففي عهد الخلفاء الراشدين [رضي الله عنهم]، بعد الرسول ﷺ، حرر الإسلام

---

(١) نفسه، ص ٢٩ـ٣٠.

(٢) نفسه، ص ٦٢، ٦٤.

سورية ومصر من السيطرة اليونانية التي أثقلت كاهلها مدة ألف عام تقريباً. وفي عهد (نور الدين) و (صلاح الدين) و (المماليك) احتفظ الإسلام بقلعته أمام هجمات الصليبيين والمغول. فإذا سبب الوضع الدولي الآن حرباً عنصرية، يمكن للإسلام أن يتحرك ليلعب دوره التاريخي مرة أخرى»[1].

كوفهي لال جابا

١ «.. إن الإسلام بوسعه تلبية كافة حاجات الإنسان في العصر الحاضر، فليس هناك أي دين كالإسلام يستطيع أن يقدم أنجح الحلول للمشكلات والقضايا المعاصرة. فمثلاً أشد ما يحتاج إليه العالم اليوم الأخوة والمساواة، وهذه، وجميع الفضائل لا تجتمع إلّا في الإسلام؛ لأن الإسلام لا يفاضل بين الناس إلّا على أساس العمل والبذل»[2].

٢ «.. في عالمنا اليوم هناك دعوة لحقوق الإنسان. ننظر إلى ما حولنا فماذا نجد؟ نجد العلاقات الأسرية وقد دمرت، بينما نجد الإسلام يمنح كافة الحقوق للمرأة، ويقيم عقد الزواج على أساس عقد حكيم عادل بين طرفين متكافئين. إن مشكلات الأمهات غير المتزوجات غريبة تماماً عن المجتمع الإسلامي، إذ الإسلام قد وضع عقوبات صارمة لجريمة الزنى، على العكس من القوانين الحديثة التي تتساهل كثيراً في ذلك، ومن هنا نجد المجتمع الإسلامي نظيفاً طاهراً من كل ذلك»[3].

٣ «إن الإسلام هو أفضل دين للبشرية، فبينما نجد أماكن العبادة في الأديان الأخرى خاوية في أغلب الأحيان، نرى أن المساجد تزخر بالمؤمنين، وخاصة من الشباب الذين يعبدون الله خمس مرات في اليوم بإعداد كبيرة، وهذا أكبر دليل على أن الإسلام لا يزال بخير تماماً كما كان دائماً في الماضي. فالإسلام يتغلغل في حياة المسلم بكل تفاصيلها، بل له الكلمة الفصل في كل نشاط

(١) نفسه، ص ٧٣.
(٢) رجال ونساء أسلموا، ٦/ ١٠٢-١٠٣.
(٣) نفسه، ٦/ ١٠٣.

يقوم به المسلم وليس هناك أي دين آخر غير الإسلام لديه الإمكانية لحل كافة مشكلات الناس في العالم الحديث، وهذا هو امتياز الإسلام وحده»[١].

دانكوس[٢]

١ «إن استمرار الشعور الديني في الاتحاد السوفيتي، أو تجدده، حقيقة اجتماعية ثقافية، تقر بها السلطات السوفيتية، ويلحظها المراقبون الأجانب، والسلطة تنظر إلى هذه الحقيقة من وجهتين، فهي تارة تعتبرها مدعاة للافتخار على أنها الدليل الملموس على موقفها المنفتح والديمقراطي تجاه جميع المعتقدات الخاصة، وطوراً تبدي تجاهها بعض القلق، وحينها تجند أجهزتها المختصة في الدعاية المعادية للدين، وتشتد الحملات الإلحادية، وتتضاعف في الصحف الدعوة إلى التيقظ والحذر، ويعاد إلى أذهان المربين أن المهمة الأولى للمدرسة هي في إنشاء شيوعيين، أي: في إبعاد مواطني المستقبل السوفيتيين عن الأفكار الرجعية [!!] الخطرة والمعادية للشيوعية، التي تنقلها الديانات، وتؤكد النشرات المعادية للدين بصورة متزايدة، قابلية الديانات للاستمرار والتأقلم مع المجتمع الذي بدلته الاشتراكية، بعد أن كانت هذه النشرات تكتفي في الماضي القريب، بمهاجمة الديانات، وتتنبأ بزوالها الحتمي [!!] وقد بدأت السلطة السوفيتية تدرك مدى جاذبية الطقوس الدينية في مجتمع تسود فيه الرتابة، وكيف بدأت الأخلاق الدينية تخطط لنفسها طريقاً إلى جانب الأخلاق الاشتراكية، لا بل في محلها في مجتمع ما زاده التحضير ميلاً إلى الجنوح»[٣].

٢ «.. إن جميع المعلومات [السوفيتية الرسمية] تتضافر لتوحي بأن الإسلام يحتضر ببطء في الاتحاد السوفيتي، مع احتضار الجيل الذي لم ينشأ على

(١) نفسه، ٦/ ١٠٣-١٠٤.

(٢) هلين كارير دانكوس Helene Carrer ed' Encausse
باحثة فرنسية معاصرة، وهي واحدة من أبرز الخبراء في شؤون (الماركسية الآسيوية)، وقد صدر كتابها (القوميات والدول السوفيتية) في باريس عام ١٩٨٧ فأثار ضجة ما تزال مستمرة، وترجم فوراً إلى عدد من اللغات الحية.

(٣) القوميات والدول السوفيتية، ص ١٤٣.

الأيدلوجية السوفيتية، ولكن معلومات مضادة لا تلبث أن تناقض هذه الصورة، فالتحقيقات الاجتماعية المتزايدة في الاتحاد السوفيتي حول هذا الموضوع، تبين أن المجتمع الإسلامي لا يزال متعلقاً بمعتقداته، وأن ما يقارب نصف الأشخاص الذين جرى استجوابهم في الوسط الريفي صرحوا بتمسكهم بالإيمان. وعلى سبيل المثال نورد تحقيقاً أجري عام ١٩٧٢ بجمهورية كاراكالبك الملحقة بأزبكستان، وقد دل هذا التحقيق على أن ٢٣٪ من الرجال و ٢٠ ٪ من النساء يعلنون عن إلحادهم، فيكون ٧٧٪ من الذكور و ٨٠٪ من الإناث مؤمنين.. وفي شمال القوقاس أعلن ٢٠٪ فقط من السكان عن كونهم ملحدين (عام ١٩٧٤). [هذا رغم] أن الباحثين في الأوساط الإسلامية يلحظون غالباً تخبطاً من قبل السكان في الكشف عن حقيقة إيمانهم..»[١].

٣ «هنالك خاصية ثانية للإسلام تزيد الوضع [في الاتحاد السوفيتي] تعقيداً - فهو على نقيض المسيحية التي تفصل بين أمور الدين وأمور الدنيا - يجمع بين المجالين. فالعقيدة الإسلامية، وهي ثمرة القرآن والسنة، تفرض على المؤمنين وجود مؤسسات خاصة، مهمتها الإشراف على الحياة الاجتماعية. والدولة السوفيتية، في برنامجها التأكيدي [الذي يستهدف فرض أيدلوجية واحدة] لم يكن باستطاعتها أن توافق على وجود نظام خاص للطائفة الإسلامية، فألغت في أوائل سني استلامها السلطة، العناصر الأساسية فيه، أي النظام القانوني، والمؤسسات الشرعية، والأسس المالية المعتمدة. بعد أن جعلت الديانة الإسلامية ديانة إفراد معينين لا ديانة طائفة، وبعد أن حرمت من مؤسساتها، ونزعت منها أمور الدنيا، هل بقي لها وجود منظم، أم هي أضحت هيكلاً لا يلبث أن يتفتت مع غياب آخر فوج من المؤمنين؟ هنالك وقائع كثيرة وساطعة تشهد بأن التشاؤم فيما يتعلق بمستقبل الإسلام كان يمكن القبول به في الماضي القريب، ولكنه اليوم لم يعد له من أساس، بل على العكس، فهذه الوقائع توحي بأن الإسلام يبعث من جديد، وفي ظروف جديدة، وأن هذا البعث المرتكز إلى وجود واع وإرادي لا إلى وجود استمراري، تدعمه وتوجهه المراجع الإسلامية العليا..»[٢].

---

(١) نفسه، ص ١٤٧.

(٢) نفسه، ص ١٤٨-١٤٩.

٤ «.. نجد في الصحف لجمهوريات الإسلام عدة إشارات.. يفهم منها أن التضامن الإسلامي [في الاتحاد السوفيتي] بات في ازدياد، وأن المؤمنين أضحى لهم تأثير متصاعد على السكان غير الممارسين لدينهم..»[١].

إميل درمنغم

١ «.. كان الانحطاط السياسي والاجتماعي موازياً لنسيان مبادئ الإسلام الصحيح، مع أنه لم ينشأ عنها، واليوم يظهر أن الأمم الإسلامية تنهض، وهي تستطيع أن تمثل دوراً كبيراً، فتكون أداة وصل بين الغرب والشرق الأقصى ذخراً من أذاخر العالم القديم..»[٢].

هنري دي كاستري

١ «.. إن للمسلمين في الصين منزلة علية. [ويخمن] (وازيليف) وهو من الذين اشتغلوا بالإسلام في تلك النواحي أن مصيره القيام مقام مذهب [بوذا]، وأن لمسلمي [الصين] اعتقاداً جازماً بأن الإسلام لا بد أن يسود حتى تزول به تلك الديانة القديمة البوذية، وهي مسألة من أهم المسائل، إذ الصين آهلة بثلث العالم أو تزيد، فلو صاروا كلهم مسلمين لأوجب ذلك تغييراً عظيماً في حالة تلك البلاد بأجمعها، فيمتد شرع محمد ﷺ من جبل طارق إلى المحيط الأكبر الهادي، ويخشى على الدين المسيحي مرة أخرى. ومعلوم أن أمة الصين أمة عالمة وإن هدأت أخلاقها، وجميع الأمم تستفيد الآن من عملها، فلو جاءها التعصب الإسلامي ذو البأس القوي لخشيت بقية الأمم من السقوط تحت سلطانها[٣]. وقال (مسيو مونتيه): لقد صار من المحقق أن الإسلام ظافر لا محالة على غيره من الأديان التي تتنازع البلاد الصينية»[٤].

---

(١) نفسه، ص ١٥١.

(٢) حياة محمد، ص ٣٧١-٣٧٢.

(٣) الإسلام: خواطر وسوانح، ص ٨٧-٨٨ (عن مسيو دابري: الديانة المحمدية في الصين وتركستان الشرقية، باريس ١٨٧٨).

(٤) نفسه، ص ٨٨ (عن مجلة تاريخ الديانات، عدد شهري مايو ويونيو، سنة ١٨٨٣).

٢ «قال (مسيو مونتيه): إن أكثر انتشار الإسلام في إفريقية، فهو يتقدم فيها تقدماً سريعاً، وينجح نجاحاً كلياً؛ لأن أزر المسلمين فيها مشدود بما لهم من المكنة في الجهة الشمالية.. فلا ينازع الدين الإسلامي دين غيره؛ لذلك يكثر عددهم، وينمو الدين على الدوام»[(١)].

٣ «إن الإسلام يبرهن على قوته وحياته باكتساب الوثنيين في أواسط إفريقية، وتجنيدهم تحت راية القرآن. وله كذلك في الشمال الشرقي من بلاد الزنج وفي السودان ما يدل على قوته الغريبة وسيره المدهش. إذ قامت مملكتان قويتان مملكة المهدي ومملكة إمام جغبوب [السنوسية] منذ خمسين سنة على هيئة حكومات، تشخص الحكومة الدينية التي أرادها النبي الإسلامي ﷺ، كذلك توجد في الزاوية المقابلة لهاتين المملكتين مملكة ثالثة في شمال إفريقية، وهي لا تزال تقاوم هجمات الديانة المسيحية ظافرة عليها، ونعني بها مملكة مراكش..»[(٢)].

٤ «إن استعصاء المسلمين على التنصر بواسطة المرسلين، واستحالة إخضاعهم بالقوة، وهما السببان اللذان يعترضان تنصرهم. والمرسلون من الكاثوليك هم أول المعترفين بوجوب العدول عن الوعظ مباشرة، ولكنهم مع ذلك متمسكون برسالتهم، فلم يملوا من الجهاد في سبيلها أمام صلابة الإسلام.. ولكنهم لم يحوموا حول مسألة الدين مطلقاً، وهم إنما يزرعون البعد عن الدين مع كونهم من الأحبار [على الرغم] من أنهم لم ينجحوا في إدخال الإنجيل بين العرب؛ فقد كانوا من أحسن الوسائل لنشر نفوذ الدولة الفرنساوية..»[(٣)].

٥ «مضى على الإسلام في الجزائر نصف قرن لم يؤثر فيه الاحتلال الفرنساوي، [بسبب] مقاومة الطوائف الدينية في تلك البلاد، ولو أن تلك الطوائف تعرف من نفسها اقتداراً على قذفنا في البحر لتقيم بعدنا مملكة إسلامية جامعة (بين السلطتين الدينية والسياسية) لاقتحمت الأخطار، وقلبت الحكومة المسيحية، ولكنهم يرون الغرض بعيداً لذلك هم يقصرون مساعيهم على إحياء روح البغضاء في

---

(١) نفسه، ص ٨٨ ـ ٨٩.
(٢) نفسه، ص ١٠٠.
(٣) نفسه، ص ١٠٤.

نفوس تابعيهم.. وأكبر الطوائف وأشدها تمسكاً بمبدئها هي طائفة السنوسية، وهي التي يخشى منها أكثر من غيرها، ولها شيخ ذو دهاء، ينظر إليه البعض كجامع وحدة الإسلام، وهو رجل رأى أنه يضعف عن مقاومة الحكومة الفرنساوية في الجزائر مقاومة صريحة، فعدل عن فتح الجزائر إلى فتح أرض غيرها للإسلام، وعلم سيدي السنوسي ما أحزن المسلمين من حكم المسيحيين.. فناداهم أن اخرجوا من دياركم إن أرض الله واسعة.. وانتقل إلى صحراء ليبيا الشاسعة، حيث لحق به الواردون من كل مكان رغم جفاء الصحراء..»[١].

إتيين دينيه

١ «.. ليس من الجرأة أن نظن أنه إذا هدأت الزوبعة المروعة القائمة ضد الإسلام، وضمن هو الاحترام لكل الشعوب والديانات، أنه سيرى مستقبلاً حافلاً بأعظم الآمال، وأعلاها شأناً. فإذا ما دخل في الحضارة الأوربية بفضل اشتراكه العظيم في الحوادث سيتضح سناه الحقيقي، وستعرف الأمم المختلفة حقيقته التي حجبت عنهم زمناً، وسيمد الكل أيديهم لمحالفته متنافسين في ذلك؛ لأن قيمته قد خبروها، وعرفوا ما يستكين فيه من وسائل القوة التي لا حد لها ولا نفاذ. ولو نهض أتباع محمد عليه السلام، وأفاقوا من سباتهم العميق لرجع لهم عزة السالف وتاريخهم المجيد، وصاروا أمة لا تعرف الجور في معاملتها لكل رعاياها.. وتبوءوا مكانهم الذي يليق بمجدهم إن شاء الله»[٢].

جورج سارتون

١ «.. إن شعوب الشرق الأوسط قد سبق لها أن قادت العالم في حقبتين طويلتين، طوال ألفي سنة قبل اليونان، ثم في العصور الوسطى مدة أربعة قرون على الأقل. من أجل ذلك ليس ثمة شك لتلك الشعوب من أن تقود العالم ثانية في المستقبل أو البعيد»[٣].

---

(١) نفسه، ص ١١٣-١١٤.

(٢) محمد رسول الله، ص ٣٤٥-٣٤٦.

(٣) الثقافة الغربية في رعاية الشرق الأوسط، ص ٦٩.

٢ «ليس ما يمنع الشعوب العربية اليوم من أن تباري أسلافها، وأن تستعيد ثانية مكانتها الأولى في قيادة العالم. ومع أن ذلك ليس سهلاً ـ ثم هو يصبح أشد صعوبة يوماً بعد يوم ـ فإنه ممكن»[١].

٣ «.. إن التقدم المادي الخالص مدمر، وهو ليس تقدماً على الإطلاق، بل تأخر أساسي. إن التقدم الصحيح ـ ومعناه تحسين صحيح لأحوال الحياة ـ لا يمكن أن يبنى على وثنية الآلات ولا على العتلات، ولكن يجب أن يقوم على الدين وعلى الفن، وفوق ذلك كله، على العلم، العلم الخالص، على محبة الله، على محبة الحقيقة، وعلى حب الجمال وحب العدل. وهذا يبدو لنا جلياً حينما نلقي نظرة واحدة إلى الوراء. من هم أولئك الذين كانوا رجالاً عظاماً في التاريخ؟ من هم أولئك الذي أحسنوا إلينا؟ ومن هم أولئك الرجال الذين نحن مدينون لهم بمسرات حياتنا ونعمها؟ لقد كانوا رجالاً أمثال أفلاطون وأرسطو وإقليدس وأرخميدس في تاريخ اليونان. أما في أثناء العصور الوسطى فكانوا رجالاً من أمثال الفارابي وابن سينا وابن الهيثم والبيروني والغزالي وابن رشد وموسى بن ميمون وأبي الفداء وابن خلدون.. إن ما نراه واضحاً حينما نلقي نظرة إلى الوراء يجب أن يكون واضحاً أيضاً حينما نمد نظرنا إلى الأمام، فيهدي خطانا إلى المستقبل»[٢].

٤ «إن المدنية ليست مرضاً، ولكن من الممكن أن تنقلب عند أهل الجدل شراً وفساداً، والمدنية ليست شرقية ولا غربية، وليس مكانها في واشنطن أكثر مما هو في بغداد. إنها يمكن أن تكون في كل مكان يكون فيه رجال صالحون ونساء صالحات يفهمونها، ويعرفون كيف يستفيدون منها من غير أن يسيئوا استعمالها. والشرق الأوسط كان مهد الثقافة، ومنه جاءت أسباب إنقاذ العالم في أثناء العصور الوسطى حينما بدأ الستار الحديدي في أوربة يشطر العالم شطرين الأرثوذكسي والكاثوليكي. وها نحن اليوم ننظر إلى ماضي الشرق بعين من عرفان الجميل، ثم نرنو إلى مستقبله بعين من الأمل الحلو»[٣].

---

(١) نفسه، ص ٧٠.
(٢) نفسه، ص ٧٢ـ٧٣.
(٣) نفسه، ص ٧٤ـ٧٥.

لوثروب ستودارد

١ «فيما العالم الإسلامي مستغرق في هجعته، ومدلج في ظلمته، إذا بصوت قد يدوي من قلب صحراء شبه الجزيرة، مهد الإسلام، يوقظ المؤمنين، ويدعمهم إلى الإصلاح والرجوع إلى سواء السبيل والصراط المستقيم، فكان الصارخ بهذا الصوت إنما هو المصلح المشهور محمد بن عبد الوهاب الذي أشعل نار الوهابيين، فاشتعلت واتقدت، واندلعت ألسنتها إلى كل زاوية من زوايا العالم الإسلامي. ثم أخذ هذا الداعي يحض المسلمين على إصلاح النفوس، واستعادة المجد الإسلامي القديم والعز التليد، فتبدت تباشير صبح الإصلاح ثم بدأت اليقظة الكبرى في عالم الإسلام»(١).

٢ «الجامعة الإسلامية بمعناها الشامل ومفهومها العام؛ إنما هي الشعور بالوحدة العامة والعروة الوثقى لا انفصام لها بين جميع المؤمنين في المعمور الإسلامي.. لقد كر أكثر من ثلاثة عشر قرناً، فما أوهن كرور هذه القرون من الجامعة الإسلامية جانباً، ولا ضعضع لها كياناً، بل كلما تقادم عليها العهد ازدادت الجامعة شدة وقوة ومنعة وإعزازاً. حقاً إن الجامعة اليوم بين المسلم والمسلم لأقوى منها بين النصراني والنصراني، ولا ينكر أن المسلمين يتقاتلون بعضهم مع بعض قتالاً شديداً، بيد أن هذا ليس له من الشأن أكثر مما ينشأ بين إفراد الأسرة الواحدة المشتبكة الأرحام، إذ لا حقد في الإسلام، فعند الشدائد تذهب الأحقاد بين المسلمين، فيصطلحون على الأمر الذي فيه يختلفون، ويتألبون جموعاً متراصة متماسكة لقتال العدو المهاجم، ورد الخطر الداهم. ومن أحب أن يقف حق الوقوف على ما أراده الإسلام من غرض الجامعة، وغايتها؛ فلينظر إلى حال المسلمين اليوم، والى تيار هذا التعاطف والتشاكي كي يعلم سر الجامعة ومكانتها في نفوس المسلمين. وفي الواقع ليس من دين في الدنيا جامع لأبنائه بعضهم مع بعض، موحد لشعورهم، دافع بهم نحو الجامعة العامة والاستمساك بعروقها كدين الإسلام»(٢).

٣ «أي شيء أدل على هياج الإسلام، وغليان مراجل حقده من ذلك الثوران الهائل الذي يقوم به السبعون مليوناً من المسلمين في الهند احتجاجاً على

(١) حاضر العالم الإسلامي، ١/ ٢٦٠.
(٢) نفسه، ١/ ٢٨٧ـ٢٨٨.

تجزئة الدولة العثمانية، والأمر الأخطر أن هذا الثوران الإسلامي ليس مقصوراً على الهند فحسب، بل إنه شامل المعمور الإسلامي..»[١].

٤ «.. لا يغرب عن البال أن الروابط الدينية، والصلات الخلقية التهذيبية التي تجمع بين المسلم والمسلم ما انفكت تزيد في تواثق المسلمين وتآلفهم، وتعاطفهم، وتضامنهم، كأنهم في المعمور الإسلامي أمة واحدة بعضها يغار على بعض وجانب يساند آخر. دع ما هو هناك من الأسباب الغربية للنقل والتواصل المسهلة على المسلمين القيام بالأسفار إلى كل جهة أرادوا، فازداد بذلك تعارفهم، واستمسكت أواصرهم»[٢].

٥ «.. لقد تحرك (الشرق الجامد) أخيراً حتى القرارة القصوى من أعماقه، وهو اليوم في أشد ما يكون من الانفعال والهياج والفوران. وجميع ذلك قائم فيه، وبالغ منه أكثر مما يخال الخائل، ويتصور المتصور. فالعالم الإسلامي الذي ظلت قواه العقلية والروحية هاجعة ما يقرب من ألف سنة، قد استيقظ مرة أخرى، وطغت قواه تعمل عملها العجيب، وغدا المسلمون يعظمون شأناً من جديد، ويعلون منزلة في الأرض»[٣].

هارولد سمث

١ «.. إن العالم الإسلامي في وضع يسمح له أن ينمي فلسفته الخاصة المتميزة؛ دون أن يدفعه التقليد الأعمى إلى اتباع الأشكال الشيوعية، أو النظرية السياسية الغربية التي تتجه إلى الفردية.. لقد رأينا أن الإسلام يعترف بالقيمة الذاتية للإفراد، باعتبارهم مدينين بوجودهم لله، ومسؤولين أمامه عن أعمالهم. وهذا يعني أنه لا يمكن لأي فرد أن يندمج اندماجاً كاملاً في بناء جماعي قاهر مثل البناء الشيوعي. إن الشيوعية ـ من الوجهتين النظرية والعملية ـ تستغني عن الفرد إن لم يخدم غرض الدولة.. دون نقاش، وهذا لا يمكن أن يكون في مجتمع إسلامي»[٤].

---

(١) نفسه، ١/ ٢٣٤.
(٢) نفسه، ١/ ٣٢٧.
(٣) نفسه، ٤/ ٢٨٢.
(٤) الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة، ص ٧٥.

٢ «.. إنه لو أمكن إثارة التماسك الإسلامي في سبيل أغراض إيجابية، وتكتيل الأمم الإسلامية الكثيرة المختلفة في وحدة حية، لأمكن أن تصير هذه الوحدة قوة إيجابية في العالم.. بل إن هذه الوحدة لتكون أكثر فاعلية إذا أدخلت في نطاقها من سواها، وإذا بلغ من سماحتها أن تشرد في وجدانها وفي أخوتها كل مخلوقات الله. ما أروع أن تحتج باكستان على مظالم حلت بأمة أخرى، شديدة البعد عنها جغرافياً، لأن تلك الأمة تنتمي إلى جماعة الأمم الإسلامية! وأروع منه وأجدر أن يضيء طرقاً جديدة في عالمنا الذي مزقته الحرب، أن تنهض أمة إسلامية - باسم المقاصد الحقة التي يوجه إليها الله الواحد، وباسم الرابطة التي تربط بني الإنسان - محتجة على ظلم أصاب أي شعب، ولو كان خارج الكتلة الإسلامية»(١).

٣ «من حيث العلاقات الدولية، فإن الأمم الإسلامية، أو الجماعة الإسلامية الكبرى، يجب أن تكون في طليعة المنتصرين لخلق نوع من المجتمع العالمي من الأمم، ومن العاملين على إيجاد مثل ذلك المجتمع؛ الذي ينظمه، ويسيطر عليه قانون دولي..»(٢)

أحمد سوسة

١ «.. إني أعتقد بأنه لو كان للإسلام [في أمريكا] بعض ما كان للمسيحية من الدعاية والتبشير، لكان عمله يخفق اليوم في معظم أصقاع هذه البلاد الواسعة، ولكان لقي فيها من التشجيع بخلاف ما هو معروف عن فشل التبشير النصراني»(٣).

٢ «إن البلاد العربية تجتاز اليوم دوراً عصبياً هو دور الانتقال والتطور، وهذا الانتقال السريع مخيف ومريع، فقد تضيع فيه الوجهة والمبدأ إن لم نتدارك الأمر بالتحلي بالصفات الإسلامية السامية التي تمدنا بالإيمان والقوة، قبل أن تتغلب علينا مادة الغرب فتفرقنا، وتنتزع من أبناء يعرب يقينهم وأمانيهم»(٤).

٣ «لا بد للشباب المتعلمين أن يضعوا نصب أعينهم الحقيقة التاريخية، ألا وهي أن حرب الغرب ضد الإسلام لم تنته، تلكم الحرب التي أضمرها

---

(١) نفسه، ص ٧٥-٧٦.
(٢) نفسه، ص ٧٧.
(٣) في طريقي إلى الإسلام، ١/ ٥٣.
(٤) نفسه، ١/ ٦٢.

الغربيون المسيحيون بقصد قطع دابر المسلمين، ومحور شوكة الإسلام من البسيطة. وقد وجد الغربيون في نظرياتهم الإلحادية التي يبثونها في علومهم، ويشجعونها بين المسلمين بوسائط مختلفة غير العلم خير دسيسة، بل أنجع وسيلة لمحو الإيمان بالدين الإسلامي، ونعني بذلك قوة الإسلام التي يتربص لها الغرب باغياً إخمادها واضمحلالها. يا ليت الشباب المسلمين يتروون في مسلكهم، ويدرسون الحقائق الدينية التاريخية؛ قبل أن يبيعوا عواطفهم الدينية رخيصة للعدو المترصد»(١).

٤ «إنه يجب ألّا ننسى أن العالم الغربي يخشى بأس الإسلام إذا اتحد أنصاره.. إذ يرى الغربيون في اتحاد المسلمين خطراً على كيانهم ومدنيتهم، ولا يخفون شعورهم بهذا الصدد، بل هم يسعون بكل الوسائل لوضع العراقيل في سبيل التفاهم والاتحاد بين البلاد الإسلامية..»(٢).

٥ «لا بد من القول أن المناوأة التي أحدثتها البابوية ضد الإسلام، وأضرمت بها نيران الحروب الصليبية لا تزال متأصلة في نفوس الغربيين..»(٣).

جوزيف شاخت

١ «.. المسلمون لا يستطيعون أن يتخلصوا من السلطان الروحي والتأثير العميق المتأصل لقانونهم الديني. وأن فك القانون الديني ـ بمعنى أن القانون له شأن العلاقات الإنسانية الأخرى، يجب أن يخضع للدين ـ أصبح جزءاً أساسياً من النظرة الإسلامية. ولنذكر عرضاً أن هذا ينطبق أيضاً على السياسة، وحتى على الاقتصاد..»(٤).

لورافيشيا فاغليري

١ «من حسن الطالع أن الجمود مرض لا بد أن يزول، بل إنه في الواقع شرع يزول فيما يبدو. فإلى الكتاب العزيز الذي لم يحرفه قط لا أصدقاؤه ولا

(١) نفسه، ١/ ٦٢-٦٣.
(٢) نفسه، ١/ ١٣٣-١٣٤.
(٣) نفسه، ١/ ١٣٤-١٣٥.
(٤) الوحدة والتنوع في الحضارة الإسلامية (تحرير كرونبلوم)، ص ١١٩.

أعداؤه، لا المثقفون ولا الأميون، ذلك الكتاب الذي لا يبليه الزمان، والذي لايزال إلى اليوم كعهده يوم أوحى اللّه به إلى الرسول الأمي البسيط ﷺ آخر الأنبياء حملة الشرائع [عليهم السلام]، إلى هذا المصدر الصافي دون غيره سوف يرجع المسلمون؛ حتى إذا نهلوا مباشرة من معين هذا الكتاب المقدس؛ فعندئذ يستعيدون قوتهم السابقة من غير ريب، وثمة بينات قوية على أن هذه العملية قد بدأت فعلاً»[١].

ليوبولد فايس

١ «إن الغربيين لا يرون في تعاليم الإسلام إنكار الكثير من معتقداتهم الدينية فحسب، ولكنهم ينظرون إليه على أنه خطر سياسي أيضاً. وتحت تأثير الذكريات التاريخية المتعلقة بالحروب التي التحم فيها العالم الإسلامي مع أوربة خلال القرون، ينسب الغربيون للإسلام تهمة عدائه لكل ما هو غير مسلم، ولهذا يخشون أن يؤدي بعث الروح الإسلامية من جديد إلى إيقاظ العافية في العالم الإسلامي؛ بحيث تدفعه إلى القيام بمغامرات عدوانية على الغرب، وكيما يدرأ الغربيون هذا الخطر المحتمل؛ فإنهم يبذلون كل ما في وسعهم للحيلولة دون بعث القوة السياسية للمسلمين، ومنع الإسلام من احتلال المكانة التي يحتلها في السابق في حياة المسلمين الاجتماعية والثقافية»[٢].

٢ «إن وسائل الغربيين [للحيلولة دون بعث الإسلام] ليست مقصورة على الميدان السياسي فحسب، ولكنها تمتد فتشمل الجانب الثقافي كذلك، وعن طريق المدارس الغربية في العالم الإسلامي، وعن طريق المدارس الوطنية للمسلمين التي تقوم مناهجها على أساس من أساليب الغرب التربوية، تبذر بذور التشكيك في الإسلام كنظرية اجتماعية بطريقة منظمة رتيبة في عقول الأجيال الصاعدة من سباب المسلمين فتياناً وفتيات..»[٣].

---

(١) دفاع عن الإسلام، ص ١٣٣ـ١٣٤.
(٢) منهاج الإسلام في الحكم، ص ١٧٠.
(٣) نفسه، ص ١٧٠ـ١٧١.

٣ «.. إن الحياة الإسلامية في الواقع تظهر، على كل حال، في أيامنا الحاضرة بعيدة جداً عن الإمكانيات المثلى التي تقدمها التعاليم الدينية في الإسلام، من ذلك مثلاً أن كل ما كان في الإسلام تقدماً وحيوية أصبح بين المسلمين اليوم تراخياً وركوداً، وكل ما كان في الإسلام من قبل كرماً وإيثاراً أصبح اليوم بين المسلمين ضيقاً في النظر، وحباً للحياة الهينة»[١].

٤ «.. إن الإسلام من وجهتيه الروحية والاجتماعية لا يزال، بالرغم من جميع العقبات التي خلقها تأخر المسلمين، أعظم قوة ناهضة بالهمم عرفها البشر..»[٢].

٥ «.. يجب أن يتضح لدينا أن إهمال المسلمين، وليس النقص في التعاليم الإسلامية، هو الذي سبب الانحلال الحاضر»[٣].

٦ «لو أن المسلمين احتفظوا برباطة جأشهم، وارتضوا الرقي وسيلة لا غاية في ذاتها؛ إذاً لما استطاعوا أن يحتفظوا بحريتهم الباطنة فحسب، بل ربما استطاعوا أيضاً أن يعطوا إنسان الغرب سر طلاوة الحياة الضائع»[٤].

ج. ف. فليويز

١ «التقدم العلمي في العصر الحاضر، والمنجزات العلمية تتفق تماماً مع مبادئ الإسلام»[٥].

٢ «لقد نشرت الصحف مؤخراً بيانات تفيد أن الفلاسفة والكتاب في الغرب يزعمون أن الأديان المعاصرة قد أصبحت بالية عتيقة.. ولا بد من التخلص، وهذا يبين مقدار التشاؤم الذي تعاني منه جمهرة الكتاب الغربيين بسبب ما يلاقونه من تعقيدات وغموض في ديانتهم النصرانية. [ولكن] هؤلاء يرتكبون خطأ.

(١) الإسلام في مفترق الطرق، ص ١٣.
(٢) نفسه، ص ١٦.
(٣) نفسه، ص ٧١.
(٤) الطريق إلى مكة، ص ٣٧٦.
(٥) رجال ونساء أسلموا، ٦/ ٦٠-٦١.

فالإسلام ـ الذي يمثل الإجابة الكاملة الوحيدة ـ لا يزال قائماً، وعلى استعداد لأن يكون البديل. وهو جاهز لذلك»(١).

٣ «هناك فراغ روحي كبير في الغرب، لم يستطع أي مبدأ من المبادئ، ولا أية عقيدة أن تملأه، وتحقيق السعادة للإنسان هناك. فرغم الثراء المادي وما يسمى بالرخاء الاقتصادي، وتحقيق كافة الرغبات المادية للشعوب، فإن الإنسان الغربي لا يزال يحس بتفاهة حياته، ويتساءل: لماذا أعيش؟ وإلى أين أسير؟ ولماذا؟ ولا أحد يقدم له حتى الآن الإجابة عن هذه الأسئلة. وما درى المسكين أن دواءه في الدين القويم الذي لا يعرف عنه إلّا الشبهات. ولكن بداية النور قد بدأت تشقشق، والصبح قد بدأ يسفر، بدخول جماعات ولو قليلة من الغربيين في الإسلام. وبدأ الإنسان الغربي يرى بأم عينه رجالاً ونساء يطبقون الإسلام، ويعيشون به، وفي كل يوم يدخل بعضهم في الدين الحق. إنها البداية..»(٢).

جميلة قرار

١ «..إن الإسلام بصفته ديناً عالمياً، وعقيدة كونية؛ يُعتبر مناسباً لكافة مراحل تطور الحياة الإنسانية في المستقبل، فهو ينسجم مع منجزات الإنسان الحديثة في كافة مجالات النشاط الإنساني»(٣).

٢ «..إن من واجب نشاطات المسلمين في ميدان البحث والعلم.. أن [يبرهنوا] أن الإسلام هو في الحقيقة دين حركي يستطيع بفضل جهود المسلمين ـ بعد عون الله ـ أن يشكل قوة ثورية تحرر الإنسان من العبودية للقوة، وخاصة القوة المدمرة المهلكة، وأن تقوده إلى التقدم البناء، وتمكنه من تطوير قدراته وإمكاناته الإيجابية المختلفة»(٤).

٣ «.. إن من المهمات الحساسة الملقاة على عاتق المسلمين المستنيرين والمثقفين.. أن يبينوا للمسلمين اليائسين؛ الذين يتطلعون إلى العقائد

---

(١) نفسه، ٦/٦١.
(٢) نفسه ٦/٦١ـ٦٢.
(٣) نفسه، ٤/١٠٨.
(٤) نفسه، ٤/١٠٨ـ١٠٩.

الأخرى، وكذلك لغير المسلمين الذين يبحثون عن غايات جديدة، وقيم لحياتهم؛ أن الإسلام هو نقطة البدء الجديدة أمام الإنسانية جمعاء»[١].

روجيه كارودي

١ «لقد أنقذ [الإسلام] من قبل، في القرن السابع من تاريخنا من التفتت إمبراطوريات عظيمة متهاوية. أفلا يستطيع اليوم أن يسهم بالإجابة على جزع ومسائل حضارة غربية، تكشف عن أنها، بمدة أربعة قرون، قادرة على أن تحفر قبراً على مستوى العالم، وأن تعمل على تغطية أسطورة إنسانية أنشئت منذ مليوني عام بفضل الابتكارات والتضحيات»[٢].

٢ «لقد فقد الإنسان الغربي كل وحدة في علاقاته مع الطبيعة والمجتمع والله. انفصل عن الطبيعة التي اعتقد أنه سيدها ومالكها.. ولم تساعد المسيحية الإنسان، مع حذرها الأول بإزاء الطبيعة.. ومع تراجعاتها المتتالية، منذ عصر النهضة، أمام (علموية) تدعي الإجابة على جميع مشاكل الحياة، على الحفاظ على هذا البعد الكوني، على هذا الاتحاد الحميم بجميع الكائنات.. والإسلام، عندما لا يكون قد أفسدته الرؤية الغربية المباشرة التي فرضها عليه الاستعمار، يستطيع أن يساعدنا على أن نعي هذه الوحدة التي هي عقيدته المركزية الأولى»[٣].

٣ «[إن] الإسلام يحمل بذور تغيير جذري على مستوى الإنسانية»[٤].

٤ «.. (لا إله إلّا الله) هذا الإثبات الأساسي للإيمان الإسلامي يقصي الصنمية، التمائمية التي تفرخ وتتكاثر في مجتمعاتنا: صنم النمو، صنم الـ (تقدم)، صنم التقنية العلموي، صنم الفردانية، صنم الأمة، صنم قوة الأسلحة والجيوش، وبمحذوراتها جميعاً ومحرماتها وبرموزها الـ (مقدسة) وبطقوسها. كلا!! يذكرنا الإسلام، (لا إله إلّا الله)، الله أكبر، وإننا لنعرف بالتأكيد ما لهذا اليقين في العقيدة من قوة هدم وتحرير؛ دفعت الجيوش إلى التراجع، في حين أن

---

(١) نفسه، ٤/١٠٩.
(٢) وعود الإسلام، ص ٢٢ـ٢٣.
(٣) نفسه، ص ٦٤.
(٤) نفسه، ص ١٥٦.

عقيدتنا منذ زمن طويل، لم تعد تدفع على التراجع شيئاً ذا بال. . فالحوار هكذا مع الإسلام يمكنه أن يساعدنا على ابتعاث خميرة عقيدتنا الحية فينا، تلك التي تستطيع نقل الجبال من مواضعها. . »[١].

كامبفماير[٢]

١ «. . إن العربية، وهي لسان الإسلام غير مدافع، تدرس وتعرف حق المعرفة في العالم الإسلامي كله من المحيط الأطلسي إلى الهند وجاوة، وبذلك تسهل انتشار الحركات الروحية انتشاراً يتجاوز بكثير حدود البلاد التي تنشأ فيها، ويعين على انتشارها عوامل أخرى، أكبرها الصحافة العربية. . ويلعب الحج دوره أيضاً في المزج الروحي بين مختلف شعوب الإسلام، وإن تجاور البلاد في الشرق الأدنى الناطق بالضاد، وبوجه أدق في المساحة التي تشغلها مصر وجزيرة العرب والعراق وسورية وفلسطين ورقي وسائل المواصلات إلى جانب الصحافة تعمل بوجه خاص على إنماء العواطف والأماني الإسلامية العامة»[٣].

٢ «. أستطيع أن أؤكد أن البلاد الناطقة بالضاد، ولا سيما مركزها العظيم الذي يتكون من الكتلة المتماسكة التي قوامها مصر وجزيرة العرب وفلسطين وسورية والعراق؛ ستلعب دوراً غاية في الأهمية، وربما كان دوراً حاسماً. . ونهضة الإسلام في هذه البلاد أمر واقع لا سبيل إلى رده، ولن يحدث في البلاد العربية شيء يشبه ما حدث في تركيا، فلن يقطع العرب الصلة بتاريخهم الإسلامي والأدبي المجيد، بل إن ذكرى هذا الماضي من عوامل النهضة الوطنية والدينية،

---

(١) نفسه، ص ٢١٧ـ٢١٨.

(٢) د. ج. كامبغماير(١٨٦٤ـ١٩٦٣) G.Kampffmeryer
تخرج باللغات الشرقية في ليزبغ، وتخصص في الإسلام الحديث والعربية المعاصرة من معهد اللغات الشرقية ببرلين (١٩٠٧)، ورأس تحرير مجلة (عالم الإسلام) التي نشر فيها دراسات عن المؤلفات الحديثة في الأدب المعاصر.
من آثاره: (النصوص والأعمال في تاريخ الأمة العربية الحديث) (١٩٢٤)، (دراسات في الأدب العربي المعاصر)(١٩٢٥ـ٢٩٢٦) و (شعراء العرب في العصر الحاضر). إلخ. .

(٣) وجهة الإسلام (بإشراف كب)، ص ٦٩.

ولن تستبدل هذه الشعوب الكتابة اللاتينية بالكتابة العربية.. ولن ينبذوا هذه الوسيلة المدهشة التي تمكنهم من الاتصال بالعالم الإسلامي كله، ولن يقوى أحد على إيقاف حركة النهضة الإسلامية في هذه البلاد؛ لأنها الأساس الذي يحتاج إليه الناس لتقوم عليه نهضتهم الوطنية.. وستصير كل من القاهرة والقدس بالتدريج مركزاً عظيماً للحياة الإسلامية بعد مكة، وسيفيد طلبة العلم (كما حدث فعلاً) من البلاد الناطقة بالضاد في المغرب شطر مصر وفلسطين.. ثم سيعودون إلى بلادهم ليزيدوا نهضة الشرق شيئاً فشيئاً، وسيحدث مثل هذا الأثر في الأصقاع الأخرى من العالم الإسلامي.. ولن يقوى الانحلال السياسي على تغيير شيء من خصائص الحاجات الوطنية والدينية العامة..»[1].

(٣) «.. إن في الشرق العربي الأدنى على وجه التأكيد نهضة إسلامية قوية خلقية ودينية واجتماعية، ستكون أساس الحياة القومية الجديدة، وإذا عرفنا هذا تجلت حقيقة [مهمة] هي أن تنصير المسلمين مستحيل الآن.. فهل سيعارض المبشرون في جعل الدين ـ ولو كان الإسلام ـ أساساً للحياة القومية الصحيحة؟ وإذا كان تنصير المسلمين في الظروف الحاضرة مستحيلاً، فلم يبق أمام هذه الشعوب الإسلامية إلّا أحد أمرين: أما النهضة الإسلامية وأما المادية والفساد الخلقي... فأيهما خير للشعوب الإسلامية؟»[2].

(٤) «.. إن الاعتداء على الإسلام لا ترجى منه فائدة.. ولن يرد [المسلمون] عن دينهم، ولن يعوق النهضة الإسلامية بل سيقويها..»[3].

كولد كاهن

(١) «.. ثمة ظاهرة تسترعي الانتباه في كل مرحلة من مراحل التاريخ الإسلامي، ألَا وهي قدرة المسلمين على النهوض من كبوتهم؛ وذلك لأن التاريخ الذي صنعه في بداية الأمر نفر قليل من أناس منعزلين؛ قد أصبح العمل المشترك لمجموعة

---

(١) نفسه، ص ٩٩ـ١٠٠.
(٢) نفسه، ص ١٠٢.
(٣) نفسه، ص ١٠٣.

من الشعوب انتسبت للإسلام على مر الزمن، وظلت مخلصة له إخلاصاً مطلقاً. ويعلم المبشرون المسيحيون أنهم لا يقدرون على تغيير عقيدة المسلم..»[1].

هاملتون كب

١ «إذاً فإذا قام أحد ينكر الشريعة من حيث صلاحيتها كان عمله هذا كفراً ومروقاً، وهذه حقيقة تفسر الهزة التي شعر بها المسلمون في جميع أرجاء العالم، عندما أقدمت الجمهورية التركية على إلغاء الشريعة جملة. ولعلني غير مخطئ في اعتقادي، وإن كان اعتقادي صادراً عن التصور والحدس، إن احترام الشريعة لا يزال لب التفكير الاجتماعي الإسلامي، وإن الإبقاء على الشريعة يرتبط به بقاء الإسلام أو زواله من حيث هو نظام مؤثل. أما الاحترام الذي أتحدث عنه فليس من الضروري أن يعني التقدير لكل تفسير مبني من تفسيرات القرون الوسطى ومبانيها»[2].

٢ «.. كان للحركة الوهابية تأثير نافع ومجدد، انتشر شيئاً فشيئاً في جميع أنحاء العالم الإسلامي، وذلك في ميدان الأفكار بواسطة الصراع والمقاومة الضاريين، الموجهين ضد جميع التسربات العلمية لميول التعلق والإيمان بالأرواح، ومفاهيم المذهب الحلولي؛ الذي انتشرت عدواه في ذلك الوقت في قلب التوحيد الإسلامي الصرف. إلّا أن العنصر المحرك للمذهب الوهابي بقي خلال القسم الأكبر من القرن التاسع عشر محتجباً وراء صفته الثورية، فأعطى المثل في الثورة ضد الحكومة الإسلامية [الضالة]، وتبع هذا المثل بحماسة شديدة في جميع البلاد الأخرى؛ التي وقعت حكومتها الإسلامية بشكل مفضوح تحت سيطرة أوربة ونفوذها، وكان مصدر إلهام في القرن التاسع عشر [للعديد] من الحركات.. وبعد عدة سنوات في منتصف وخلال النصف الثاني للقرن التاسع عشر أقامت الجمعية الاصطلاحية المؤسسة من قبل الشيخ الجزائري محمد بن علي السنوسي دولة تيوقراطية في ليبيا الجنوبية، وفي إفريقية الاستوائية احتجاجاً على فساد التفكير، ومساوئ الحكم الإسلامي المخالف للدين. وكذلك برزت الجماعة المهدية في

---

(١) تاريخ العرب والشعوب الإسلامية، ١/ ٤٠٥.

(٢) دراسات في حضارة الإسلام، ص ٢٦٥ـ٢٦٦.

السودان الشرقية من قبل محمد أحمد [المهدي] كأداة للثورة ضد الأوربيين. كما امتد نفوذ الدعوة الإصلاحية السلفية؛ التي قام بها الإمام محمد بن عبد الوهاب إلى قلب الأقطار البعيدة مثل نيجيريا وسومطرة.. وعلى الرغم من أن محاولات العمل السياسي هذه انتهت جميعاً إلى الفشل إذا نظرنا إليها من الخارج، لكن نتائجها كانت متينة راسخة في المحيط الديني؛ إذ نشرت في كافة أرجاء البلاد الإسلامية، المبدأ الوهابي القائل بضرورة التعلق بالصفاء المذهبي، وإعادة تأكيد المبدأ السني القرآني لا على شكل التبشير ونشر قواعد المذهب، ولكن بنشر متطلبات الإيمان الإسلامي لدى الجماهير الإسلامية، والإشارة إلى الأخطار التي تهدده..»[(١)].

٣ «ليس بين البلاد الإسلامية بلد أعلن عن رغبته الصريحة في الاستغراب أو (التغرب) باستثناء البلاد التركية، ولكن البلاد التركية أيضاً لا تعلن هذه الرغبة اليوم بتلك الثقة التي أعربت عنها منذ عشرين سنة، وفيما عدا هذا الاستثناء الضعيف يغلب على أبناء العصر من المسلمين ـ الذين ينقمون على مساوئ العصر الحاضر ـ أن يُحمِّلوا الغرب أوزار هذه المساوئ، ولا يعلقوا آمالهم في الإصلاح بمشابهة الغرب والاقتداء بأممه في جملة أحوالها»[(٢)].

كوستاف فون كرونباوم

١ «.. [إن] العصر العباسي الأول لم يستعر علم الفلك الهندي مثلاً، أو حتى الإدارة الفارسية؛ لأنه رأى في تلك المنتجات الأجنبية الوسيلة الوحيدة لإعاقة التغلغل، أو السيطرة السياسية أو الاقتصادية. إن الإسلام لم يكن إذ ذاك في موقف دفاعي، ولكنه تبنى تلك الإمكانيات الأجنبية لمصلحته هو، وفعل ذلك في ريث وأناة، إذا كان قد وقع تحت تأثير ضغط فلم يكن ذلك من الخارج، ولكن بدافع من مرحلة التطور التي كان يمر بها. وبالاختصار، إن الملابسات السياسية التي توجه النقل الثقافي في عصرنا الحاضر؛ هي التي تجعله صعباً من الوجهتين النفسية والاجتماعية، ومفككاً للجماعات التي تستقبل هذا النقل. فالاختيار،

---

(١) الاتجاهات الحديثة في الإسلام، ص ٥٤ـ٥٥.

(٢) الشرق الأدنى الإسلامي (بإشراف جامعة تورنتو)، عن العقاد: ما يقال عن الإسلام، ص٦١.

وتحديد الوقت، والتأثير الإيجابي، ورد العدوان المعادي، كل أولئك لم يعد خاضعاً لحالة النمو، ولا للحاجات الذهنية والوجدانية للمستعير، ولكن يخضع للطموح الثقافي، ولسلسلة من الأحوال الاضطرارية؛ التي ليس للمستعير عليها إلّا تسليط محدود. ومن هنا نقول: إن مقتضيات الموقف السياسي للعصر العباسي الأول ـ وقد كانت مغايرة تماماً لموقفنا اليوم ـ هي التي مكنت العباسيين من أن يسيروا في طريق. . حمى عصرهم من الأخطار المصاحبة من الأخطار المصاحبة للاستمداد الثقافي في عصرنا الحاضر؛ الذي يتحكم في النزوع نحو الغرب»[(١)].

٢ «إن اطراح الإسلام ـ لا في صورة التحويل الكامل للحياة الإسلامية إلى حياة دنيوية، ولكن في صورة إدخالها في حركة دينية عامة ـ يبدو أنه الأمل الخفي الذي يحلم به (توينبي) على أساس تحليله للاستمداد الثقافي ونتائجه للمستمد. غير أن الملاحظ المحايد للإسلام لا يرى أقل دليل يؤيد رأي (توينبي) في أن هذه العملية هي الحل النهائي للمعضلات الثقافية للعالم الإسلامي. وبالإضافة إلى أن فكرة التثقيف هي الحل النهائي للمعضلات الثقافية للعالم الإسلامي. وبالإضافة إلى أن فكرة التثقيف الغربي التام من جانب واحد للأقطار الإسلامية فكرة غير جديرة بالقبول، فإنه يبدو أن معضلة هذا التثقيف يجب أن توجه من زاوية مخالفة تماماً للزاوية التي اختارها (توينبي). . »[(٢)].

٣ «إن حركة داخلية ـ كحركة إحياء دين في بيئة ثقافية ـ تكون عاملاً منشطاً فعالاً في إعادة تنظيم نموذج الحياة كله لتلك الجماعات أكبر أثراً من الاتصال بمدنيات أخرى، مهما كانت الأفضلية الحقيقية أو المتخيلة للثقافة المؤثرة، ومهما كان الحرص على التكيف بها»[(٣)].

٤ «ومن حيث إنه لا خطر على الإسلام من أن ينمحي انمحاءً مادياً كنتيجة لتأثير الغرب، فإنه يلوح أن سريان العناصر الغربية إليه سيظل مقصوراً على ما يمكن أن (يهاجر من قوم إلى آخرين كالفنون الصناعية والعمالية والتطبيقية

---

(١) الوحدة والتنوع في الحضارة الإسلامية، (تحرير كرونباوم)، ص ١٨٩.
(٢) نفسه، ص ١٩١.
(٣) نفسه، ص ١٩٣.

وطرقها). فعملية طبع العالم الإسلامي بالطابع الغربي.. لن تشمل ـ على الأرجح ـ المبادئ الأساسية المتضمنة في الدين والفلسفة والفن والنظرية العلمية. فالإسلام ـ باختصار ـ سوف لا يفقد نفسه في المدنية الغربية إلى درجة انمحاء شخصيته، على الرغم من استعمالها للمنشط الخارجي حافزاً لبث روح الحياة فيه من جديد»[١].

٥ «.. لا مفر من أن نعترف.. إن بطء التغيير في موقف العالم الإسلامي يعطي نوعاً من الضمان ضد الاطراح الطائش للخصائص الأساسية لمدنيته؛ التي لا ينبغي أن تطرح هكذا بسهولة. وفي عبارة أخرى: إن هذا البطء في تعديل الموقف ـ ولو أنه في بعض الأحيان يفسد التطبيق الناجح للاستمداد المرغوب فيه ـ يكون دفاعاً داخلياً قوياً، أو سداً ملطفاً لتأثير الأمواج الأجنبية؛ التي سمح لها بالدخول في ميادين الأفكار والنظم»[٢].

كوستاف لوبون

١ «.. مع ما أصاب حضارة العرب من الدثور، كالحضارات التي ظهرت قبلها: لم يمس الزمن دين النبي ﷺ الذي له من النفوذ ما له في الماضي، والذي لا يزال ذا سلطان كبير على النفوس، مع أن الأديان الأخرى التي هي أقدم منه تخسر كل يوم شيئاً من قوتها.. وتجمع بين مختلف الشعوب التي اتخذت القرآن دستوراً لها وحدة اللغة، والصلات التي يفسر عنها مجيء الحجيج إلى مكة من جميع بلاد العالم الإسلامي. وتجب على جميع أتباع محمد ﷺ تلاوة القرآن باللغة العربية بقدر الإمكان، واللغة العربية هي لذلك أكثر لغات العالم انتشاراً على ما يحتمل، وعلى ما بين الشعوب الإسلامية من الفروق العنصرية ترى بينها من التضامن الكبير ما يمكن جمعها به تحت على علم واحد في أحد الأيام»[٣].

٢ «كان سلطان الإسلام السياسي والديني قوياً في بلاد الهند، ورسخ فيها ثمانية قرون بفضل ملوك الإسلام الذين تداولوا حكمها، ولا يزال سلطان الإسلام

---

(١) نفسه، ص ١٩٣.
(٢) نفسه، ص ١٩٤.
(٣) حضارة العرب، ص ١٢٦.

الديني قائماً في بلاد الهند، وإن تواري سلطانه السياسي عنها، وهو يمضي قدماً نحو الاتساع»[١].

٣ «تأثير دين محمد ﷺ في النفوس أعظم من تأثير أي دين آخر، ولا تزال العروق المختلفة التي اتخذت القرآن مرشداً لها تعمل بإحكام كما كانت تفعل منذ ثلاثة عشر قرناً..»[٢].

٤ «دخلت حضارة العرب في ذمة التاريخ منذ زمن طويل، ولا نقول ـ مع ذلك ـ إنهم ماتوا تماماً، فنرى الآن دياناتهم ولغتهم اللتين أدخلوهما إلى العالم أكثر انتشاراً مما كانتا عليه في أنضر أدوارهم.. ولا يزال الإسلام جاداً في تقدمه.. واليوم يدرس القرآن، فيما عدا جزيرة العرب، في مصر وسورية وتركيا وآسيا الصغرى وفارس وقسم مهم من روسيا وإفريقية والصين والهند، وتناول القرآن مدغشقر وإفريقية الجنوبية، وعرف في جزر الملايو، وعلمه أهل جاوة وسومطرة وتقدم إلى غينيا الجديدة، دخل أمريكا مع زنوج إفريقية.. ويتقدم الإسلام في الصين تقدماً يقضي بالعجب.. حيث اضطر المبشرون الأوربيون إلى الاعتراف بالحدود، وسيقوم الإسلام ـ كما يقول وازيليف ـ مقام البوذية، ومسلمو الصين لايشكون في ذلك، وهذه المسالة على جانب عظيم من الأهمية. فإذا اعتنقت الصين دين الإسلام تغيرت علاقات العالم القديم السياسية تغيراً عظيماً، وأمكن دين محمد ﷺ أن يهدد النصرانية من جديد»[٣].

كولد تسيهر

١ «إن تاريخ الإسلام زاخر بالأمثلة الكثيرة التي تبين اجتماع مواهب العلم الديني بصفات البطولة الحربية، وذلك في شخصيات قوية قادرة على التوجيه والتنظيم.. وإليك البطل الإسلامي الحديث: الأمير عبد القادر الجزائري الذي قاوم الفرنسيين مقاومة حربية باسلة عندما أخذوا في إخضاع بلاده الجزائر، ولما انتهى جهاده جمع حوله في منفاه بدمشق طلابه ومريديه الذين تابعوا في إصغاء

(١) نفسه، ص ١٨٦.
(٢) نفسه، ص ٤١٧.
(٣) نفسه، ص ٦١٦ـ٦١٧.

واجتهاد دروسه في الفقه المالكي، والعلوم الدينية الأخرى في الإسلام. وممن يمثل هذه الظاهرة الفذة في تاريخ الإسلام الحديث (شامل) بطل الاستقلال القوقازي، والمهديون الحربيون الذين ظهروا في السودان والصومال، والذين سمعنا كثيراً من أخبارهم في أيامنا هذه.. وقد برز هؤلاء المجاهدون أيضاً من صفوف طلاب العلوم الدينية الإسلامية. ومن أهم الحركات الدينية الحربية التي قامت بها الأمة العربية، تلك التي أثارها في الأزمنة الحديثة في أواسط بلاد العرب محمد بن عبد الوهاب المتوفى سنة ١٧٨٧م. فبعد أن درس مؤلفات ابن تيمية، وقد أقبل عليها بشغف زائد، أثار في مواطنيه حركة دينية أساسها بواعث دينية، وسرعان ما عظم أثرها وكثر أنصارها، ودفعت بالأمة العربية المفطورة على الحرب إلى خوض غمار القتال، فأحرزت عدة انتصارات حربية باهرة نشرت من نفوذها، وبسطت من سلطانها حتى تجاوزت شبه الجزيرة العربية إلى بلاد العراق..»[١].

٢ «إن المسلمين.. ممن ناصروا الإمام محمد بن عبد الوهاب في دعوته، وممن تدفعهم الغيرة الدينية لتطهير الإسلام مما علق به من الشوائب، ليجدون في الإسلام ميداناً رحيباً للعمل والإنتاج.. وقد شاهد الإسلام في الهند منذ قرن حركات دينية من هذا القبيل. فدعوة الشيخ محمد الإصلاحية انتشرت تعاليمها وانبعثت من بلاد العرب حتى بلغت هذا القطر الإسلامي. وإن ما يهيئه الحج إلى مكة من فرض الاختلاط والاتصال بين المسلمين، لمما يعمل على إيقاظ الهمم الدينية في نفوسهم، وتوحيد الأماني التي تجيش بها قلوبهم، وعلى السعي لتحقيقها في الأقطار الإسلامية النائية»[٢].

برنارد لويس

١ «إن الإسلام التركي نفسه الذي أظهر حديثاً، برغم فترة من الخفوت، قوة متجددة في تركية، لا يزال بوضوح عنصراً رئيساً، إن لم يكن الرئيس الوحيد في الوعي الجماعي لنسبة عظيمة من الأمة التركية»[٣].

---

(١) العقيدة والشريعة في الإسلام، ص ٢٦٥-٢٦٦.
(٢) نفسه، ص ٢٨٣، وانظر المرجع نفسه، ص ٢٨٤.
(٣) الوحدة والتنوع في الحضارة الإسلامية، (تحرير كرونبلم)، ص ٤٦٥.

٢ «إن الأفكار التي يعبر عنها بالإنكليزية والفرنسية للأجيال ليست لها علاقة بالحياة الحقيقية للبلاد [الإسلامية]. ومن وجهة أخرى حينما تتجه العواطف الشعبية لمكافحة الكفار، كما وقع في منطقة القنال [١٩٥١ـ١٩٥٢]، تلاقي استجابة قوية»[١].

ليندون هاريس

١ «.. إن الإسلام هو الديانة الوحيدة التي تعد على الدوام (تحدياً) أو مناجزة لجهود التبشير والمبشرين»[٢].

٢ «إن وسائل الإسلام [في إفريقية] أقل من وسائل المبشرين.. وليس في الوسع أن يتنبأ أحد بمصير الأمور في بلاد تتوالى فيها المفاجآت على غير انتظار، فلا يبعد أن يميل رقاص الساعة كرة أخرى إلى جانب الإسلام؛ لأنه عامل من العوامل الحاضرة أبداً في هذه البلاد»[٣].

عائشة برجت هوني

١ «يعيش العالم الغربي اليوم في ظلام، وليس هناك أي بصيص من الأمل في قيام الحضارة الغربية بتوفير سبيل لتخليص الروح والنفس. فكل من يعرف الوضع الحقيقي للمجتمعات الغربية يلمس هذا القلق والحيرة العالمية التي تختفي خلف بريق التقدم والإبداع المادي الزائف. فالناس في الغرب (والشرق) يبحثون عن مخلص من العقبات التي تحيق بهم. ولكنهم لا يرون منها مخرجاً. فبحثهم عقيم.. والانسجام اللطيف في الإسلام بين مستلزمات الجسد ومتطلبات الروح يمكن أن يمارس تأثيراً قوياً في أيامنا هذه. وبوسعه أن يبين للحضارة الغربية السبيل المؤدي إلى الفلاح والخلاص الحقيقيين، وأن يقدم للرجل الغربي التصور الحقيقي للحياة، وأن يقنعه بالجهاد في سبيل مرضاة الله..»[٤].

---

(١) نفسه، ص ٥٢٠.
(٢) الإسلام في أفريقية الشرقية، عن العقاد: ما يقال عن الإسلام، ص ٦٥ـ٦٦.
(٣) نفسه، ص ٦٩.
(٤) رجال ونساء أسلموا، ١/ ٦٣ـ٦٤.

مونتكومري وات

١ «لا تزال ـ للمسلمين ـ إمكانية في تقديم دفاعهم بشكل أفضل وأكمل لسائر العالم. فهل بإمكانهم الالتفات إلى حياة محمد ﷺ، واستخلاص القيم العامة بعد فصلها عن التأثيرات الخاصة، واكتشاف مبادئ أخلاقية تكون إضافة فعلية لتحسين حالة العالم اليوم؟ أو هل يستطيعون، على الأقل، أن يظهروا أن نبيهم ﷺ يقدم، بحياته، أحد النماذج الممكنة للإنسان المثالي الذي يعيش في عالم موحد القيم الأخلاقية؟ إذا قدم دفاعاً بارعاً، فهناك مسيحيون على استعداد للاستماع إليهم، والأخذ عنهم كل ما يمكن أخذه»[١].

٢ «.. لسوف ينجح المسلمون بصعوبة في جهادهم للتأثير على الرأي العام العالمي على الأقل فيما يتعلق بالمبادئ الأخلاقية. وربما أمكنهم ـ في ميدان الأفكار الدينية الأوسع ـ أن يساعدوا على أغناء العالم؛ لأنهم احتفظوا بقوة كبرى في التعبير عن بعض الأفكار كحقيقة الله، تلك الأفكار التي أهملت ونسيت في كثير من الطوائف والأديان الأخرى الموحدة»[٢].

كويلر يونغ

١ «.. ليس من المعقول أن لثقافة حية كثقافة الإسلام، يدين بها ثلاثمئة مليون من الأنفس، ألّا يكون لها تأثير ـ بالفعل، أو بالقوة ـ في الحضارة العالمية التي أخذت في الظهور والتكامل في العصر الحديث..»[٣].

٢ «.. إن الوحدة الإسلامية قد أصيبت بالعطل، والمسؤول عن ذلك هو الحضارة الغربية، وعناصرها الدنيوية.. ومع ذلك فإن بين شعوب الإسلام المتعددة المختلفة مثالاً مشتركاً، وأصولاً عقدية تقوم عليها وحدة في الثقافة، ومن واجب المسيحية أن تقدر هذه الظاهرة وتقلدها. إن عالمنا هذا الذي مزقته

---

(١) محمد في المدينة، ص ٥٠٨ـ ٥٠٩.
(٢) نفسه، ص ٥٠٩.
(٣) الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة، ص ٢٥٥.

الجماعات المحتربة، والذي لا يعرف حكماً أعلى من مصير الإنسانية، ليجدر به أن يتدبر تصور الوحدة الجوهرية للحياة كما أسسها الإسلام، ولا شك أن هذه الوحدة ـ في أحسن صورها ـ سيكون لها أثرها ـ بالقوة إن لم يكن بالفعل ـ في الحاجات الروحية للناس في أيامنا الحاضرة»[١].

٣ «للإسلام نصيب آخر من الفضل متفرع عن سابقه، وهو ما حققه من التسامح بين أجناس البشر. . إن الإسلام ـ في إطار الأخوة الإسلامية ـ يستطيع أن يري المسيحية نجاحاً حقيقياً فعلياً في ميادين التسامح البشري»[٢].

٤ «الفضل الثالث من أفضال الإسلام ذلك الروح الحقيقي من الديمقراطية في عالم ـ لا شك ـ محتاج إلى أن يطابق فعله قوله في هذه الناحية. .»[٣].

لويس يونغ

١ «بدأ بعث الفكر الإسلامي في منتصف القرن الثالث عشر [الهجري] بظهور دعوة محمد بن عبد الوهاب في نجد عام ١٧٤٤م. وقد هاجمت الدعوة الوهابية الانحلال الذي اعترى الناس في ممارستهم للدين، كما أدانت تقديس الأولياء، والشعائر التي أتى بها المتصوفة، وقد انتصرت هذه الحركة في مكان نشوئها رغم النكسات التي تعرضت لها. وكان لفكرة العودة إلى تعاليم السلف الأول أثر عميق في نفوس المسلمين أحدثته الدعوة الوهابية. . . كما عادت سيادة العرب ومكانة الإسلام في القرن التاسع عشر في مصر على إثر حركة الإصلاح التي قادها محمد عبده. وخلال القرنين الثامن والتاسع عشر انتعشت الحركة الصوفية. . ولعبت دوراً في مقاومة المد الأوربي. ففي عام ١٨٧١م ظهرت التيجانية نسبة إلى التيجاني، وفي عام ١٨٧٣ ظهرت السنوسية نسبة إلى محمد بن علي السنوسي. ولم تكن السنوسية حركة انتعاش ديني فحسب، وإنما كانت منظمة لمقاومة الاستعمار

(١) نفسه، ص ٢٥٦.
(٢) نفسه، ص ٢٥٦.
(٣) نفسه، ص ٢٥٦.

الأوربي، وقد قاومت الفرنسيين في إفريقية، والإيطاليين في ليبيا. . ولقد دأب المصلحون الدينيون على المناشدة المستمرة الداعية إلى تطهير المعتقدات الدينية، وتصعيد المستويات الفكرية من خلال توسيع آفاق الثقافة»[١].




(١) العرب وأوربة، ص ١٨٤ـ١٨٥.

المراجع

القرآن الكريم

كتاب الصحاح:

أحمد، إبراهيم خليل، محمد ﷺ في التوراة والإنجيل والقرآن، ط٢، مكتبة الوعي العربي، القاهرة، ١٩٦٥م.

أرنولد، سير توماس: تراث الإسلام، تأليف جمهرة من المستشرقين بإشراف سير توماس أرنولد، تعريب وتعليق جرجيس فتح الله، ط٢، دار الطليعة، بيروت، ١٩٧٢ م.

الدوميلي: العلم عند العرب وأثره في تطوير العلم العالمي، ترجمة د. محمد يوسف موسى، ود. عبد الحليم النجار، مراجعة د. حسين فوزي، إصدار الإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية، دار القلم، القاهرة، ١٩٦٢م.

إيرفنج واشنجتون: حياة محمد، ترجمة وتعليق د. علي حسني الخربوطلي، ط٢، دار المعارف، القاهرة ١٩٦٦م.

بارت، رودي: الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية: (المستشرقون الألمان منذ تيودور نولدكه)، ترجمة د. مصطفى ماهر، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٦٧م.

بارتولد، ف: تاريخ الحضارة الإسلامية، ترجمة حمزة طاهر، ط٤، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٦ م.

بانرث، أرنست: تأثير الفلسفة الإسلامية في الفكر الأوربي، محاضرة ألقيت في الموصل بالعربية عام ١٩٥٥، منشورات جمعية المعلمين، مطبعة الهدف، الموصل ١٩٥٥ م.

بروفنسال، ليفي، حضارة العرب في الأندلس، ترجمة ذوقان قرقوط، دار مكتبة الحياة، بيروت، (د.ت).

بروي، أدوارد تاريخ الحضارات العام: القرون الوسطى، تأليف أدوارد بروي ورفاقه، إشراف موريس كروزيه، ترجمة يوسف أسعد داغر، وفريد م. داغر، منشورات عويدات، بيروت، ١٩٦٥م.

بلاشير، ريجيس تاريخ الأدب العربي، ترجمة د. إبراهيم الكيلاني، وزارة الثقافة، دمشق ـ ١٩٧٣م ـ ١٩٧٤م.

القرآن: نزوله، تدوينه، ترجمته وتأثيره، ترجمة رضا سعادة، تحقيق ومراجعة الشيخ محمد علي الزغبي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٧٤م.

بوازار، مارسيل، إنسانية الإسلام، ترجمة د. عفيف دمشقية، دار الآداب، بيروت، ١٩٨٠م.

بوكاي، موريس، القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم، (دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة)، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٨م.

ترتون، أ. س، أهل الذمة في الإسلام، ترجمة وتعليق د. حسن حبشي، ط٢، سلسلة المكتبة التاريخية، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٧ م.

توينبي، أرنولد، الإسلام والغرب والمستقبل، تعريب د. نبيل صبحي، دار العربية، بيروت، ١٩٦٩م.

مختصر دراسة التاريخ، ترجمة فؤاد محمد شبل، مراجعة محمد شفيق غربال، ود. أحمد عزت عبد الكريم، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٠ـ ١٩٦٥ م.

دينيه، إتيين (ناصر الدين)، أشعة خاصة بنور الإسلام، ترجمة راشد رستم، سلسلة الثقافة الإسلامية رقم ١٧، المكتبة الفنية للنشر، بيروت، ١٩٦٠.

محمد رسول الله، بالاشتراك مع سليمان إبراهيم الجزائري، ترجمة، د. عبد الحليم محمود ومحمد عبد الحليم محمود، ط ٣، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٥٩م.

ديورانت، ول، قصة الحضارة، ترجمة محمد بدران وآخرين، ط٢، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٤ ـ ١٩٦٧ م.

روز نثال، فرانز، علم التاريخ عند المسلمين، ترجمة، د. صالح أحمد العلي، مراجعة: محمد توفيق حسين، مكتبة المثنى (بالمشاركة مع مؤسسة فرانكلين)، بغداد، ١٩٦٣م.
مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي، ترجمة، د. أنيس فريحة، مرجعة، د. وليد عرفات، دار الثقافة (بالمشاركة مع مؤسسة فرانكلين)، بيروت، ١٩٦١ م.

ريسلر، جاك. س، الحضارة العربية، ترجمة غنيم عبدون، مراجعة، د. أحمد فؤاد الأهواني، الدار المصرية، القاهرة، (د.ت).

سارتون، جورج، الثقافة الغربية في رعاية الشرق الأوسط، تعريب، د. عمر فروخ، مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٥٢م.

ستشيجفسكا، يوجينا هيانة، تاريخ الدول الإسلامية وتشريعها، المكتبة التجاري، بيروت، ١٩٦٦.

ستودارد، لوثروب، حاضر العالم الإسلامي، ترجمة عجاج نويهض، تعليقات وحواشي شكيب أرسلان، ط٣، دار الفكر، بيروت، ١٩٧١ م.

سلهب، نصري، في خطى محمد، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٧٠م، لقاء المسيحية والإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٧٠ م.

حتي، فيليب، الإسلام منهج حياة، تعريب، د. عمر فروخ، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٢ م.

حنا، جورج، قصة الإنسان، ط٥، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٣ م.

خلف الله، محمد، الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة: بحوث ودراسات إسلامية، تأليف جماعة من الباحثين، جمع وتقديم محمد خلف الله، ط٢، مكتبة النهضة المصرية، (بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلن)، القاهرة، ١٩٦٢م.

خليل، عماد الدين، التفسير الإسلامي للتاريخ، ط٤، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٣ م.
حول إعادة تشكيل العقل المسلم، كتاب الأمة رقم ٤، رئاسة المحاكم الشرعية، الدوحة، ١٤٠٣هـ.

مدخل إلى موقف القرآن الكريم من العلم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٣م.

المستشرقون والسيرة النبوية، بحث مقارن في منهج المستشرق البريطاني المعاصر مونتغمري وات، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، (تونس)، ومكتبة التربية العربية لدول الخليج، (الرياض)، ١٩٨٥ م.

دانكوس، هيلين كارير، القوميات والدولة السوفيتية، ترجمة هنري عبودي، دار الطليعة، بيروت، ١٩٧٩ م.

درمنغم، إميل، حياة محمد، ترجمة عادل زعيتر، ط٢، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٤٩ م.

دي كاستري، هنري، الإسلام: خواطر وسوانح، ترجمة أحمد فتحي زغلول باشا، مطبعة الشعب، القاهرة، ١٩١١ م.

سورديل، دومينيك، الإسلام، ترجمة، د. خليل الجر، سلسلة ماذا أعرف رقم ١٨، المنشورات العربية، بيروت، ١٩٧٧ م.

سوسة، أحمد نسيم، في طريقي إلى الإسلام، الجزء الأول، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٩٣٦م، الجزء الثاني، المطبعة الغراء، النجف، ١٩٣٨ م.

سيديو، ل. م. تاريخ العرب العام، ترجمة: عادل زعيتر، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٤٨ م.

سيرويا، هنري، فلسفة الفكر الإسلامي، ترجمة محمد إبراهيم، سلسلة الثقافة الإسلامية، عدد ٣٢، دار الثقافة العربية، القاهرة، ١٩٦١م.

شاخت، جوزيف، تراث الإسلام، تأليف جماعة من الباحثين، تصنيف جوزيف شاخت و س. أ. بوزورث، ترجمة محمد زهير السمهوري ورفاقه، مراجعة، د. فؤاد زكريا، سلسلة عالم المعرفة، الأعداد ٨، ١١، ١٢، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٧٨م.

عبد الباقي، محمد فؤاد، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٦٤هـ.

العشر: عرفات كامل، رجال ونساء أسلموا، الجزء الأول، ط ٢، الجزءان ٢-٣، ط٣، الأجزاء ٤-١٠، ط١، دار القلم، الكويت، ١٩٧٣-١٩٨٣م.

العقاد: عباس محمود، ما يقال عن الإسلام، ط٢، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٦٦م.

العقيقي: محمد، الإسلام والمستشرقون، ط٣، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٤-١٩٦٥م.

علي: محمد كرد، الإسلام والحضارة العربية، ط٣، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٨ م.

عنان: محمد عبد الله، مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام، ط٤، مؤسسة الخانجي، القاهرة، ١٩٦٢م.

فاغليري: لورافيشيا، دفاع عن الإسلام، ترجمة منير البعلبكي، ط٣، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٦ م.

فايس: ليوبولد (محمد أسد) الإسلام على مفترق الطرق، ترجمة، د. عمر فروخ، ط٦، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٥ م.

الطريق إلى مكة، ترجمة عفيف البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٥٦ م.

منهاج الإسلام في الحكم، ترجمة، منصور محمد ماضي، ط٢، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٤ م.

كارلايل: توماس، الأبطال، ترجمة محمد السباعي، سلسلة من الشرق والغرب، عدد ١١، الدار القومية، (د.ت).

كارودي: روجيه، في سبيل حوار الحضارات، ترجمة، د. عادل العوّا، ط٢، سلسلة زدني علماً، عدد١، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ١٩٨٢م.

وعود الإسلام، ترجمة، ذوقان قرقوط، والوطن العربي، القاهرة، بيروت، ١٩٨٤ م.

كاهن: كولد، تاريخ العرب والشعوب الإسلامية: منذ ظهور الإسلام حتى بداية الإمبراطورية العثمانية، ترجمة، د. بدر الدين القاسم، دار الحقيقة بيروت، ١٩٧٢م.

كب، هاملتون، الاتجاهات الحديثة في الإسلام، تعريب جماعة من الأساتذة الجامعيين، المكتب التجاري، بيروت، ١٩٦١م.
دراسات في حضارة الإسلام، تأليف كب، تحرير ستانفورد شو ووليم بولك، ترجمة، د. إحسان عباس ورفاقه، دار العلم للملايين (بالمشاركة مع مؤسسة فرانكلين)، بيروت، ١٩٦٤م.
وجهة الإسلام: نظرة في الحركات الحديثة في العالم الإسلامي، تأليف، كب وآخرون، تحرير كب، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة، المطبعة الإسلامية، القاهرة، ١٩٣٤ م.

كرونباوم، كوستاف فون، الوحدة والتنوع في الحضارة الإسلامية، تأليف جماعة من الباحثين، تحرير كرونباوم، ترجمة، د. صدقي حمدي، مراجعة، د. صالح أحمد العلي، مكتبة دار المتنبي، (بالمشاركة مع مؤسسة فرانكلين)، بغداد، ١٩٦٦م.

كوبولد، إيفلين، البحث عن الله، ترجمة عمر أبو النصر، المكتبة الأهلية، بيروت، ١٩٣٤م.

كولد تسيهر، اكناص، العقيدة والشريعة في الإسلام، ترجمة، د. محمد يوسف موسى، ورفاقه، ط٢، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ١٩٥٩م.

كويلر يونغ، ت، الشرق الأدنى، مجتمعه وثقافته، تأليف جماعة من الباحثين، تحرير كويلر يونغ، ترجمة، د. عبد الرحمن محمد أيوب، مراجعة، د. أبو العلا عفيفي، و د. محمد محمود الصياد، سلسلة الألف كتاب، عدد ١١٦، دار النشر المتحدة، القاهرة، (د.ت).

كويليام عبد الله وليم، أحسن الأجوبة عن سؤال أحد علماء أوربة، ترجمة معروف الرصافي، مطبعة الولاية، بغداد، ١٣٣٠هـ.

كوينج، الكادرينال، عقيدة التوحيد في العالم المعاصر، محاضرة القاهرة خلال الموسم الثقافي لجامعة الأزهر ١٩٦٤ـ١٩٦٥م، ترجمة د. محمد محمود غالي، مطبعة جامعة الأزهر، القاهرة، ١٩٦٦م.

لاندو، روم، الإسلام والغرب، ترجمة: منير البعلبكي، ط٢، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٧ م.

لايتنر، دين الإسلام، ترجمة عبد الوهاب سليم التنّير، ط٢، المكتبة السلفية، دمشق، ١٣٤٢هـ.

لوبون، كوستاف، حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، ط ٣، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٦٥م.

لوقا، نظمي، محمد الرسالة والرسول، ط٢، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ١٩٥٩م.

مارسيه، جورج، الفن الإسلامي، ترجمة د. عفيفي بهنسي، مراجعة عدنان النبي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٦٨ م.

ماسيه هنري، الإسلام، ترجمة: بهيج شعبان، ط٢، منشورات عويدات، بيروت، ١٩٧٧م.

متز، آدم، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، (أو عصر النهضة في الإسلام)، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة، ط٣، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٧٥م.

منظمة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي،

الإسلام والحضارة ودور الشباب المسلم، (أبحاث ووقائع اللقاء الرابع للمنظمة، المنعقد بالرياض في ١٨ آذار ١٩٧٩م)، الندوة العامية للشباب الإسلامي، الرياض، ١٩٨١م.

نهرو، جواهر لال، لمحات من تاريخ العالم، ترجمة: لجنة من الأساتذة الجامعيين، ط٢، المكتب التجاري بيروت، ١٩٥٧م.

هارت، مايكل، دراسة في المئة الأوائل، ترجمة: خالد أسعد عيسى وأحمد غسان سبانو، ط٢، دار قتيبة، بيروت، ١٩٧٩م.

هامرتون، السير جون أ، تاريخ العالم، تأليف جماعة من الباحثين، نشر السير جون هامرتون، ترجمة إدارة الثقافة بوزارة التربية والتعليم، ط٢، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، (د.ت).

هونكه زيغريد، شمس العرب تسطع على الغرب، (أثر الحضارة العربية في أوربة)، (في الأصل شمس الله تسطع على الغرب)، ترجمة فاروق بيضون وكمال الدسوقي، المكتب التجاري، بيروت، ١٩٦٤م.

وات، مونتكمري، تأثير الإسلام على أوربة في العصور الوسطى، ترجمة: د. عادل نجم عبو، دار الكتب في جامعة الموصل، ١٩٨٢م.

محمد في المدينة، تعريب شعبان بركات، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، (د.ت).

محمد في مكة، تعريب شعبان بركات، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، (د.ت).

ولز، هـ. ج، معالم تاريخ الإنسانية، تعريب عبد العزيز توفيق جاويد، مراجعة محمد مأمون نجا، ود. عبد الحميد يونس، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٤٧ـ١٩٥٠ م.

موجز تاريخ العالم، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد، سلسلة الألف كتاب، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٧ م.

وود، السير ريشارد، الإسلام والإصلاح، نشره ونقحه وترجمه للعربية محب الدين الخطيب، مطبعة المؤيد، القاهرة، ١٩١٢م.

يونغ، لويس، العرب وأوربة، ترجمة ميشيل أزرق، دار الطليعة، بيروت، ١٩٧٩م.

الشهود

أ

إبراهيم خليل أحمد
دوكلاس أرشر
سير توماس أرنولد
الدوميلي
ركس أنجرام
ج. ن. د. أندرسون
ماري أوليفر
واشنجتون ايرفنج

ب

بشير أحمد باتيل
رودي بارت
ف. بارتولد
أرنست باركر
مرسيدس بالتودانو
أرنست بانرث
روبرت برنشفك
ميلر بروز
ليفي بروفنسال
أدوارد بروي
ريجيس بلاشير
مارتن بلنسر
بريشا بنكمرت
علي سلمان بنوا
مارسيل بوازار
ديبورا بوتر
موريس بوكاي
ج. ك. بيرغ
وليم بيكارد

ت

جون براند ترند
أ. س. تريتون
فاطمة تزفسكن
أرنولد توينبي

ج

كوفهي لال جابا
ك. ل. جابا

ح

فيليب حتي
جورج حنا

تخريج الأحاديث النبوية الواردة في الكتاب

«الناس سواسية كأسنان المشط»

في الأصل (الناس كأسنان المشط)

أخرجه الديلمي عن سهل بن سعد، وزاد فيه: (وإنما يتفاضلون بالعافية، فلا تصحبن أحداً لا يرى لك من الفضل مثل ما ترى له)، وله عن أنس: (مستوون كأسنان المشط، ليس على أحد فضل إلّا بتقوى الله).

«شيبتني هود وأخواتها» الواقعة والحاقة والقارعة»

رواه الترمذي في الشمائل وأبو نعيم في الحلية بهذا اللفظ من حديث أبي جحيفة. وفي الترمذي والحلية من رواية ابن عباس قال: قال أبو بكر: يارسول اللّه، قد شبت. قال: «شيبتني هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت». قال الترمذي: إنه حسن غريب، وصححه الحاكم.

«إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا تخسفان لموت أحد»

في الأصل (. . . وأنهما لا ينخسفان لموت أحد ولا لحياته) رواه الإمام أحمد ومسلم

«فضل العلم خير من فضل العبادة»

روى البيهقي في شعب الإيمان والطبراني في الأوسط قول رسول الله ﷺ: «الفقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد». قال الطبراني: سنده ضعيف، وله شواهد أسانيدها ضعيفة.

«ألا لا فضل لعربي على أعجمي ولا لقرشي على حبشي إلّا بالتقوى»

رواه الإمام أحمد.

« لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد فقولوا: عبد الله ورسوله»

رواه البخاري.

«لا تقوموا كما تقوم الأعاجم يعظم بعضهم بعضاً»

رواه الإمام أحمد وأبو داود بإسناد ضعيف.

«.. إنما أنا ابن امرأة تأكل القديد»

رواه ابن ماجه في كتاب الأطعمة.

«لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها»

متفق عليه

«يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا»

رواه الإمام أحمد والبخاري ومسلم والنسائي.

«كاد الفقر أن يكون كفراً»

رواه أبو نعيم في الحلية.

«إن هذا الدين يسر»

رواه الإمام أحمد والبخاري والنسائي.

«أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة»

رواه الإمام أحمد بلفظ (إني أرسلت...) وسنده حسن، ورواه البخاري في صحيحه.

«ألا أنبئكم بشر الناس؟ من أكل وحده، ومنع رفده، وسافر وحده، وضرب عبده..»

رواه ابن عساكر عن معاذ بن جبل، ورواه الطبراني من حديث ابن عباس، وهو حديث ضعيف.

«من آذى ذمياً فأنا خصمه»

رواه أبو داود بلفظ (ألا من ظلم معاهداً أو تنقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس فأنا خصمه يوم القيامة)، ورواه البيهقي في شعب الإيمان ولكن بلفظ (وأنا حجيجه..).

«اطلبوا العلم ولو بالصين فإن طلب العلم فريضة على كل مسلم»

رواه البيهقي والخطيب وابن عبد البر والديلمي وغيرهم عن أنس، وهو حديث ضعيف.

«إن طلب العلم فرض على كل مسلم ومسلمة»

رواه ابن ماجه وابن عبد البر بلفظ (طلب العلم فريضة...).

«النساء شقائق الرجال»

رواه الإمام أحمد في مسنده، وأبو داود والترمذي بلفظ (إنما النساء..).

«خيركم من أحسن إلى امرأته»

رواه الترمذي وابن ماجه بلفظ (خياركم خياركم لنسائهم).

«الجنة تحت أقدام الأمهات»

رواه القاضي والخطيب في التاريخ.

«أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم أخلاقاً وخياركم خياركم لنسائهم»

رواه الترمذي وابن حبان في صحيحه.

«أبغض الحلال إلى الله الطلاق»

رواه أبو داود وابن ماجه عن ابن عمر.

«أيّما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة»

رواه الترمذي وابن ماجه والحاكم.

فهرس الموضوعات






إن «شهادات» غير المسلمين؛ التي يتضمنها هذا الكتاب تحمل أكثر من مغزى، إلا أن المغزى الأشد ثقلاً وحضوراً هو ما يحمله هذا الدين في نسيجه، وتصوّره، ومعطياته المتحققة في السلوك، والحضارة، والتاريخ: من قيم وميزات إيجابية فعالة، تتحرك في خطوط متوازية مع مطامح الإنسان السوي المتوازنة، وميوله ومنازعه، حيث لا تعارض، ولا تقاطع، ولا ارتطام.

وهذا الكتاب يتضمن حشداً خصباً من شهادات غير المسلمين في هذا الدين، مفكرين، ومؤرخين، ومستشرقين، وفلاسفة، وساسة، وأدباء، توزّعت على سبعة فصول: القرآن الكريم، محمد رسول الله (ﷺ)، الإسلام عقيدة وشريعة وعبادة، انتشار الإسلام ومعاملة غير المسلمين، الحضارة الإسلامية، المرأة والأُسرة، الحاضر والمستقبل.

قد تحقق المحاولة ـ كذلك ـ نوعاً من التسهيلات الأكاديمية للباحثين، وذلك بوضع حشد من النصوص الموثقة، عن رأي غير المسلمين بالإسلام، في سائر مناحيه العقدية والتطبيقية، وهذه النصوص ستعزز ـ ولا شك ـ كل بحث يسعى بموضوعية وإخلاص إلى دراسة هذا الجانب، أو ذاك من بنية الإسلام.



ISBN 978-9953-520-00-1
9 789953 520001

دمشق : ص.ب. 311
بيروت : ص.ب. 113/6318
www.ibn-katheer.com
info@ibn-katheer.com